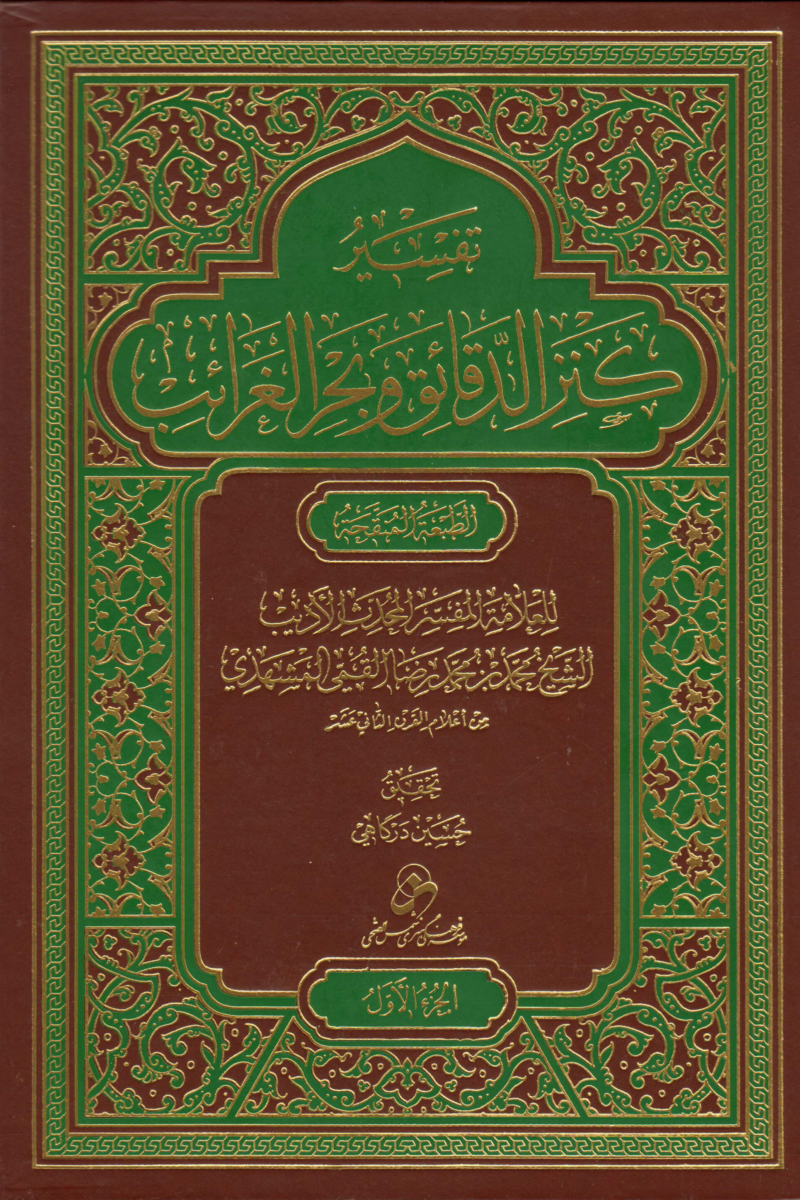

تفسير
كنز الدقائق وبحر الغرائب
الطبعة المنقحة
للعلامة المفسر المحدث الأديب
الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي
من أعلام القرن الثاني عشر
تحقيق
حسين درگاهي
مؤسسه فرهنگی نشر شمس الضحى
الجزء الأول



الطبعة المنقحة

الجزء الأول

للعلامة المفسر المحدث الأديب
الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي
من أعلام القرن الثاني عشر

تحقيق
حسين دركاهي



سرشناسه : قمی مشهدی، محمّد بن محمّد رضا، قرن ۱۲ ق.
عنوان و پدیدآور : تفسیر کنز الدقائق و بحر الغرائب/محمّد بن محمّد رضاالقمي المشهدي؛ تحقيق حسين درگاهی.
مشخصات نشر : تهران : شمس الضحی، ۱۳۸۷.
مشخصات ظاهری : ۱۴ ج.
شابک :(ج ۱)؛ ISBN 978 - 964 - 8767 - 07 - 0
(دوره)؛ ISBN 978 - 964 - 8767 - 06 - 3
وضعیت فهرستنویسی : فیپا.
یادداشت :کتاب حاضر در سال های مختلف توسط ناشرین مختلف منتشرشده است.
موضوع :تفاسیر ماثوره -- شیعه امامیه.
موضوع :تفاسیر شیعه -- قرن ۱۲ ق.
شناسه افزوده : درگاهی، حسین، ۱۳۳۱ - ، مصحح.
رده بندی کنگره :۱۳۸۷ ۹ک ۸ ق / ۳ / BP ۹۷
رده بندی دیویی : ۲۹۷/ ۱۷۳۶
شماره کتابخانه ملی : ۱۶۳۰۶۱۷

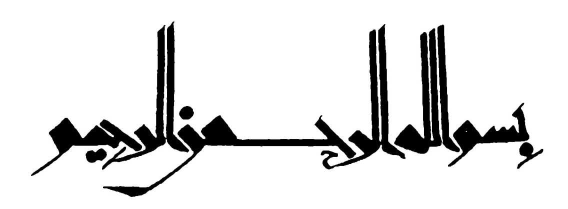
▼

تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب، الجزء الأول

تأليف: الشيخ محمّد بن محمّد رضا القمّي المشهدي
تحقيق: حسين درگاهي
منشورات مؤسسة شمس الضحیٰ
الطبعة الاولي: ۱۴۳۰ هـ ق ـ ۱۳۸۷ هـ.ش.
طبع في ۱۰۰۰ نسخة
المطبعة: نگارش
سعر الدّورة في ۱۷ مجلداً: ۱۱۰/۰۰۰ توماناً
شابك (ردمك): الجزء الأول: ۰ ـ ۰۷ ـ ۸۷۶۷ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸
شابك (ردمك) الدّورة في ۱۴ مجلداً: ۳ ـ ۰۶ ـ ۸۷۶۷ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸
صندوق البريد: تهران ۳۱۴۱ ـ ۱۹۳۹۵

انتشارات شمس الضحی

مراكز التوزيع:
۱) قم، شارع معلم، ساحة روح الله، رقم ۶۵، هاتف و فكس: ۷۷۳۳۴۱۳ - ۷۷۴۴۹۸۸ (۹۸۲۵۱+)
۱) قم، شارع صفائيه، مقابل زقاق رقم ۳۸، منشورات دليل ما، هاتف ۷۷۳۷۰۱۱ ـ ۷۷۳۷۰۰۱
۲) طهران، شارع إنقلاب، شارع فخررازي، رقم ۳۲، منشورات دليل ما، هاتف ۶۶۴۶۴۱۴۱ - ۰۲۱
۳) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقة النادري، زقاق خوراكيان،
بناية گنجينه كتاب التجارية، الطابق الأول، منشورات دليل ما، هاتف ۵ ـ ۲۲۳۷۱۱۳ - ۰۵۱۱



يا علي يا فاطمة

الإهداء إلى:

إمامنا ومحقّق زماننا، اليوم الموعود، والشاهد والمشهود،

والنور الأزهر، والضياء الأنور، المنصور بالرعب، والمظفّر بالسعادة،

فصَلِّ اللهمّ عليه عدد الثمر وأوراق الشجر وأجزاء المدر وعدد الشعر والوبر،

وعدد ما أحاط به علمك وأحصاه كتابك، صلاة يغبطه بها الأوّلون والآخرون.

المحقّق

كلمة المحقّق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد نبيّنا وآله الطيّبين الطاهرين، ولاسيّما بقيّة الله في الأرضين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

و بعد:

١. فإنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى أنزله إلى رسوله ﷺ، وقال فيه: ﴿**كتابٌ أنْزَلْناهُ إلَيْكَ لِتُخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظلماتِ إلى النُّور بِإذْنِ رَبِّهِمْ إلى صراطِ العزيز الحميد**﴾[١] وتجلّى له فيه علا مجده. قال أبوعبدالله عليه السلام: **لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكنّهم لا يبصرون**[٢] فيبدو أنّ القرآن أوّلاً تعريف الله تعالى نفسه المقدّسة لنبيّه ﷺ.

٢. إنّ القرآن نور، وبرهان وذكر. قال تبارك وتعالى: ﴿**قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ**﴾[٣] و ﴿**يا أيّها الناس قَدْ جاءكم برهانٌ من رَبِّكُمْ**﴾[٤] و ﴿**إنّه لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْألُونَ**﴾[٥] وكلّها هي الحقيقة المحمّديّة في الباطن. قال أبو جعفر عليه السلام: **الذكر رسول‌الله ﷺ وأهل بيته أهل الذكر وهم المسؤولون**[٦]. فيعلم أنّه ثانياً تعريف الله تعالى نبيّه لنفسه الشريفة ﷺ.

---

١. ابراهيم (١٤)/١.

٢. التنبيهات العليّة/١٣٩، عوالي اللئالي ٤/١١٦.

٣. المائدة (٥)/١٥.

٤. النساء (٤)/١٧٤.

٥. الزخرف (٤٣)/٤٤.

٦. بصائر الدرجات/٥٨.

٣. إنّ القرآن حقّ. قال ﷻ: ﴿**أفَمَنْ يَعْلَمُ انّما أنزل إليك من ربّك الحقُّ**﴾[١] وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام كما قال الباقر عليه السلام وابن عبّاس[٢]. فيظهر أنّه ثالثاً تعريف الله العزيز عليّاً لرسوله صلّى الله عليهما وآلهما.

٤. إنّ القرآن آيات بيّنات وفاتحته السبع المثاني. قال ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ اَنْزَلْنا اِلَيْكَ آياتٍ بيّناتٍ**﴾[٣] و ﴿**لَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ المثاني والقرآنَ العظيمَ**﴾[٤] وهي في الباطن حقيقة أهل البيت عليهم السلام. قال الباقر عليه السلام في سبع من المثاني: **نحن هم**[٥]، فهو رابعاً تعريف الله تعالى أهل البيت لنبيّه عليهم السلام.

٥. ولا شكّ في أنّ هذا القرآن الذي بين الدفّتين كتاب صامت ولابُدّ له من ناطق. قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**هذا كتابُنا ينطق عليكم بالحقّ**﴾[٦] **إنّ الكتاب لاينطق ولكن محمّد وأهل بيته عليهم السلام هم الناطقون بالكتاب**[٧]. وقال جدّه الأمين صلى الله عليه وآله في حديث الغدير:

معاشر الناس تدبّروا القرآن وافهموا آياته وانظروا إلى محكماته ولاتتّبعوا متشابهه، فو الله لن يبيّن لكم زواجره ولايوضح لكم تفسيره إلّا الذي أنا آخذه بيده ومصعّده إليّ وشائل بعضده ومعلّمكم: أنّ من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، وهو عليّ ابن أبي طالب عليه السلام[٨].

فنحن إذا تأمّلنا ذلك كلّه علمنا السرّ في اقتران القرآن واهل البيت عليهم السلام وعرفنا أنّهما ليسا حقيقتين متباينتين بل هما حقيقة واحدة تجلّت في صورتين وتلك الحقيقة النورانيّة ليست إلّا الحقيقة النبويّة والعلويّة. لذلك قال صلى الله عليه وآله في الحديث الشريف المتّفق عليه:

إنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فتمسّكوا بهما فإنّهما لن يفترقا حتّى

---

١. الرعد (١٣)/١٩.
٢. تأويل الآيات ٢٣١/١.
٣. البقره (٢)/٩٩.
٤. الحجر (١٥)/٨٧.
٥. بحار الأنوار، ١١٧/٢٤.
٦. الجاثية (٤٥)/٢٩.
٧. بحار الأنوار ١٩٧/٢٣ـ١٩٨.
٨. بحار الأنوار ٩/٣٧.

يردا عليّ الحوض[1].

والحوض في اللغة: مجتمع الماء. أي: إنّ هاتين الحقيقتين تلحقان بي وتجتمعان عندي.

و نعلم أيضاً أنّ من يريد القرآن فليبدأ بهم ويتعلّم منهم عليهم السلام لامن غيرهم. فإنّ الحقّ معهم وفيهم ومنهم وإليهم، وهم أهله ومعدنه، وميراث النبوّة عندهم. قال الباقر عليه السلام: **«القرآن ضرب فيه الأمثال للناس وخاطب الله نبيّه فيه ونحن، فليس يعلمه غيرنا»**[2].

من هنا، كانت مكانة أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن وبيانه مدعاةً إلىٰ اهتمام علمائنا الأبرار بجمع الروايات المبيّنة للقرآن الكريم وتدوينها في الموسوعات الكبيرة كـ **«البرهان في تفسير القرآن»** للسيد هاشم البحراني و **«نورالثقلين»** للعلّامة الحويزي و **«كنز الدقائق وبحر الغرائب»** للشيخ محمّد المشهدي قدّس الله أسرارهم الزكيّة وشكر مساعيهم الجميلة.

المؤلّف:

سمّى نفسه في مقدّمة كتابه الفارسي (ستّة ضروريّة): «ميرزا محمّد بن محمّد رضا القمي أصلاً، المشهديّ مولداً ومسكناً»، وفي مقدّمة تفسيره هذا بـ «ميرزا محمّد المشهدي ابن محمّد رضا بن اسماعيل بن جمال‌الدين القمي»، ووصفته ابنته في الوقفيّة المسجّلة على ظهر نسخة من تفسير «كنز الدقائق» فقالت: المرحوم مولانا ميرزا محمّد الشهير بخيّاط. والذي يدلّ على شهرته هذه ما كتب على ظهر النسخة المحفوظة بالمكتبة الرضوية في مشهد برقم ٩٤٣٩.

يبدو من كلمات العلماء المترجمين أنّه كان فاضلاً كاملاً محقّقاً مدقّقاً بدلاً نحريراً

---

١. بصائر الدرجات/ ٤١٤.

٢. تفسير القمي ٢/ ٤٢٥.

أديباً محدّثاً فقيهاً مفسّراً، قد عاصر العلّامة المجلسي، والمحقّق السبزواري.
والفيض الكاشاني، والمحقّق الخوانساري، والحرّ العاملي، والمولى خليل القزويني[١] ولم نجد في كتبهم تاريخ ولادته ووفاته؛ ولكن يعلم من تراثه أنّه كان حيّاً قبل سنة ١٠٧٤هـ وميّتاً بعد سنة ١١٠٧هـ.

أقوال العلماء فيه:

قد اختلف أصحاب التراجم فيه على أقوال:

١. إنّه كان مجازاً من العلّامة المجلسي[٢].

٢. إنّه كان تلميذه[٣].

٣. إنّه هو محمّد بن رضا القمّي نفسه، وليسا شخصين مختلفين.

٤. لا يبعد أنّه كان حيّاً حتّى سنة ١١٣٥هـ، التي شنّ فيها أعداء الحقّ الأفغان هجومهم الوحشيّ على عاصمة التشيّع آنذاك مدينة اصفهان عاصمة الصفويّين.

أمّا القول الأوّل فقال الميرزا حسين النوريّ في تأييده:

رأيت على ظهر المجلّد الاوّل منه مدحاً عظيماً وثناءً بليغاً من العلّامة المجلسي له ولتفسيره وإجازته له[٤].

و كذلك قال الشيخ آغا بزرگ الطهراني:

منظومه في المعاني والبيان... هو للميرزا محمّد بن محمّد رضا بن اسماعيل بن جمال الدين القمي المجاز من المجلسي الثاني على ظهر تفسيره الموسوم بكنز الحقايق »[٥].

ولكنّ معاصريه كالحرّ العامليّ والميرزا عبدالله الأفندي لم يذكرا هذه الاجازة.

---

١. روضات الجنّات ١١٠/٧.

٢. الذريعة ١٣٦/٢٣؛ الفوائد الرضويّة /٦١٨؛ الفيض القدسي المطبوع مع البحار ١٠٠/١٠٥.

٣. أعيان الشيعة ٣٢٨/٤٥؛ الذريعة ١٥٢/١٨؛ الفوائد الرضويّة /٦١٨.

٤. الفيض القدسي المطبوع مع البحار ١٠٠/١٠٥.

٥. الذريعة ١٣٧/٢٣ ـ ١٣٦.

والمذكور في ظهر التفسير ليس إلّا التقريظ المؤرّخ بذلك التاريخ، وليس فيه أيّ ذكر عن الإجازة بالرواية[١].

و من العجب أنّ مصحّحي (بحار الأنوار) طبعة الآخوندي قالوا في تكميل عبارة النوري: «يأتي في باب الإجازات وفي تتميم «أمل الآمل»! والحال أنّه لايوجد في باب إجازات البحار إجازة من العلّامة المجلسي لصاحب التفسير. والنسخ الخطّية الموجودة من تتميم (أمل الآمل) للشيخ عبدالنبيّ القزويني قد وصلت إلى حرف «ش» فلذا لم يكن ترجمة المفسّر موجودة فيها فضلاً عن أن يكون إجازة من العلّامة موجودة فيه.

ويمكن أن يقال أنّ مراد المصحّحين من تتميم (أمل الآمل) يكون تكملة (أمل الآمل) للسيّد حسن الصدر رحمه الله تعالى، ولكن لم نجد فيه أيضاً خبراً عن صاحب الترجمة!

وأمّا القول الثاني فقد ذهب إليه السيد محسن الأمين، والشيخ عباس القمي، والشيخ آغا بزرگ الطهراني، وهم الأوّلون فيه، ولكنّ السابقين والمعاصرين للمفسّر كأصحاب (أمل الآمل) و(رياض العلماء) و(روضات الجنّات) و(الفيض القدسي) لم يذكرو هذا المطلب. وأحسبُ أنّ هذا من استظهاراتهم واستنباطاتهم. ولعلّ هذا القول نابع من ذكر النوري مفسّرنا في عداد الراوين عن العلّامة المجلسي ... ممّا يفيد أنّ المفسّر كان يقيم في اصفهان، بينما تدلّ آثاره على كان مقيماً بمشهد. وفيها صنّف كتبه.

و يؤيّد هذا المعنى ما جاء في رسالة ابنه المسمّى بـ «ترجمه و شرح قصيدهٔ سيّد اسماعيل حميري» المحفوظة مع رسالتين أُخريين احداهما تصحيح كلمات قصيدة السيّد إسماعيل الحميري وترجمتها لمحمّد قاسم هزار جريبى تلميذ العلّامة

---

١. انظر: فهرست مكتبة السيّد المرعشي ٢٤٢/٣ رقم ١٠٥٤ ومكتبة مجلس الشورى الاسلامي رقم ١٢٠٧٣.

المجلسي والمجاز منه، والثانية ترجمة حديث الغمامة والوسادة في مكتبة ملك في طهران برقم (٧٩٢) وهو ما ترجمته:

هذه رسالة مشتملة على حديثين يدلّان على فضل السيّد إسماعيل الحميري وشرح قصيدته وترجمتها بشكل مختصر لخادم محبّي عليّ بن أبي طالب عليه السلام محمّد رضا بن ميرزا محمّد بن محمّد رضا بن إسماعيل القمي أصلاً المشهدي مولداً ومسكناً، وتاريخها جمادى الآخرة سنة ١١٢٣[1].

و يؤيّده أيضاً الوقفيّة التي كتبتها ابنة المفسّر على ظهر المجلّد الثالث من التفسير في سنة ١١١١ هـ حيث وقفت على المتوطّنين بمشهد وشرطت أن لاتُخرَج من تلك البلدة المقدّسة. ومتنها ما يأتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواقف على الضمائر، والصلاة على محمّد وآله أُولي البصائر يوم تبلى السرائر.

وبعد: وقف مؤبّد وحبس مخلّد نمود ابتغاء لوجه الله وطلباً لمرضاته بنت مرحوم مغفور مبرور مولانا ميرزا محمّد الشهير بخيّاط ومؤلّف هذا الكتاب كه موسوم گرديده به كنز الدقائق وبحر الخرائب بر كافّه مؤمنين ومتوطّنين مشهد مقدس كه مطالعه ومباحثه نموده ودر مثوبات واجور واقف ومؤلّف شريك بوده باشند، ومتولى وقف نمود ارشد واصلح واعلم اولاد مرحوم مشار إليه را بطناً بعد بطن به نظارت حاجى الحرمين الشريفين حاجى محمّد رفيع، وبعد وفاته به تجويز اصلح اولاد مؤمى إليه مشروط آن كه اگر متولى وناظر خود در كار داشته باشند فبها وإلّا به هر يك از صلحا وزوار ساكنين مشهد مقدس كه معتمد بوده باشند بدهند وزياده از سه ماه نزد كسى

---

١. فهرست مكتبة ملك بطهران ١٧٧/٥ و ١٧٨ وفيه أنّ الكاتب هو ابن المفسّر.

نباشد مگر به تجديد اذن، واز حصار بند مشهد مقدس بيرون نبرند ونفروشند ورهن ننمايند وهبه ننمايند. فمن بدّله بعد ما سمعه فإنّما اثمه على يالذين يبدّلونه والله سميع عليم.

وأمّا القول الثالث فنقول فيه:

قال الشيخ الحرّ العاملي في «أمل الآمل»:

مولانا محمّد بن الرضا القمي، فاضل معاصر، له شرح منظومة في المعاني والبيان مائة بيت سمّاها «إنجاح المطالب».

وقال صاحب «رياض العلماء» مثله. وليس فيهما غير هذا المطلب.

وأمّا صاحبو التراجم بعدهما كصاحب «الفيض القدسي» و«الأعيان» و«ريحانة الأدب» فلم يذكروه.

ولم يستبعد صاحبا «روضات الجنّات» و«الفوائد الرضويّة» كَوْنَ الاسمين أي: محمّد بن رضا القمي، ومحمّد بن محمّد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي هما لشخص واحد لا لشخصين.

وفي «هدية العارفين» و«ايضاح المكنون» و«الذريعة» و«الكواكب المنتثره» و«معجم المؤلّفين» و«زندگينامهٔ علّامهٔ مجلسى» ومجلّة «تراثنا» جاء «إنجاح المطالب» في عداد مؤلّفات المفسّر، وبه علمنا أنّهم قالوا إنّهما شخص واحد لا شخصان.

ينبغي أن نضيف إلى ذلك أنّ الاختلاف نابع من التضارب في تعريف المؤلّف نفسه في مقدّمة كتبه. فقد ذكر في بعضها اسمه فقط، و في بعضها الآخر اسمه واسم أبيه. ممّا ولّد الاختلاف في تعريفه.

والنقطة الجديرة بالذكر كتاب أنّ «أمل الآمل» ألّف في سنة ١٠٩٦ ـ ١٠٩٧هـ[1]. وأنّ

---

١. الذريعة ٢/٣٥٠.

« رياض العلماء » ألّف في سنة ١١٠٧ ـ ١١٣٠ هـ[1]. وجاء فيه تراجم العلماء إلى سنة ١١١٩هـ. وكان تاريخ تأليف «كنز الدقائق» سنة ١٠٩٤ـ١١٠٣هـ. فلما ذا لم يَرِد فيهما أيّ ذكر للتفسير وصاحبه على القول إنّهما شخص واحد؟ ونحن نعلم أنّ «كنز الدقائق» كان أهمّ آثار المترجم له حتّى أنّ صاحب « الفيض القدسي » عرّفه بهذا الكتاب فحسب.

وعلى القول أنّهما اثنان فإنّ بعض الكتب كـ « إنجاح المطالب » و« تفسير تبيان سليمانى » و« معاد وحشر أَجساد » و« رسالهاى در وجود » ليست من تأليف المترجم له.

وأمّا القول الرابع فقد ذهب إليه بعض المعاصرين وقال: إذا لم يدلّ دليل على وفاته قبل ١١٣٥ فلايبعد أنّه كان حيّاً حتّى هذه السنة التي شنّ فيها أعداء الحقّ (الأفغان) هجومهم الوحشي على عاصمة التشيّع آنذاك مدينة اصفهان عاصمة الصفويّين. فليس مستبعداً أنّه قتل باعتباره واحداً من كبار العلماء المرتبطين بالبلاط الصفويّ، فانمحى أثره مثل الكثير من رجال ذلك العصر في تلك البلدة[2].

وهذا القول كما ذكرنا يستند إلىٰ الكلام الوارد في فهرست المكتبة المركزيّة لجامعة طهران ١٨٣/١ نقلاً عن « منتخب التواريخ » إذ قال: هو من تلامذة العلّامة المجلسي وقبره باصفهان. ولا يخفى أنّ الحاج محمّد هاشم الخراساني صاحب « منتخب التواريخ » ذكر صاحب التفسير في موضعين دون الإشارة إلى أنّهما شخص واحد.

قال في ص ٦٤١ ضمن ذكر عرفاء خراسان متصوّفتها ما ترجمته:

العاشر: الآغا ميرزا محمّد المشهدي الطوسي صاحب تفسير «كنز الحقائق و بحر الدقائق» ابن مولانا اسماعيل، كان من تلامذة المرحوم الفيض، ولم يعلم شيء عن تاريخ ولادته ووفاته ومدفنه.

---

١. الذريعة ٣٣١/١١.

٢. مجلّة تراثنا، العدد (٢٥)/١٣٧.

وجاء في ص ٦٧٩ « ذكر المدفونين من علماء خراسان في اصفهان » و قال ما تعريبه:

الثالث والعشرون: محمّد بن محمّد رضا القمي صاحب تفسير «كنز الدقائق» في أربعة مجلّدات. كان من تلامذة المرحوم العلّامة المجلسي، وأثنى المجلسيّ عليه وعلى تفسيره ثناءً بالغاً.

و لايخفى أنّ صاحب « منتخب التواريخ » أورد في هذا الباب من كتابه مصادر المدفونين باصفهان وعيّن مدفنهم ولكن لم يورد في المترجم له سنداً وذهب إلى أنّه مدفون باصفهان. ويحتمل أن يكون دليله تلمذته للعلّامة المجلسي، وقد تقدّم أنّه مقدوح فيه. والحقّ المبين قوله الأوّل المارّ ذكره، ويؤيّده أنّنا لانجد أثراً من ضالّتنا (المترجم له) في « تذكرة القبور »، للمولى عبدالكريم الجزءاي الاصفهاني ولا في تتمّاته.

ويصدق هنا أيضاً ما ذكرناه عند مناقشة القول الثاني في سياق الحديث عن مولد المفسّر وإقامته في مشهد، كما أنّ تأريخ الوقفيّة المارّ ذكرها يدلّنا بجزم على أنّ تأريخ وفات المترجم له كان قبل سنة ١١١١ هـ.

كلمات العلماء في الثناء عليه:

تستبين مكانة المترجَم له ومنزلته من التقريظين اللّذين كتبهما العلّامة المجلسي، والمحقّق الخوانساري، وغيرهم ممّن ترجم له.

قال الخوانساري « صاحب الروضات »: كان فاضلاً عالماً عاملاً جامعاً أديباً محدّثاً فقيهاً مفسّراً نبيهاً موثّقاً وجيهاً[1].

قال النوري: العالم الجليل والمفسّر النبيل، المتبحّر الفاضل اللوذعيّ[2].

قال القمي: عالم جليل ومفسّر نبيل ومحدّث كامل ومتبحّر فاضل، كشّاف دقائق

---

١. روضات الجنّات ١١٠/٧.

٢. الفيض القدسي المطبوع مع البحار ١٠٠/١٠٥.

المعاني بفكره الثاقب، ونقّاد جواهر الحقائق برأيه الصائب[1].

قال المدرّس: عالم عامل جامع أديب فاضل بارع فقيه مفسّر محدّث موثّق من أعاظم علماء عصر المجلسي، والمحقّق السبزواري، والفيض الكاشاني[2].

١ ـ تقريظ العلّامة المجلسي:

بسم الله الرحمن الرحيم

«لله درّ المولى الأولى الفاضل الكامل المحقّق المدقّق البديل النحرير، كشّاف دقائق المعاني بفكره الثاقب، ومخرج جواهر الحقائق برأيه الصائب، أعني الخبير الأسعد الأرشد مولانا ميرزا محمّد، مؤلّف هذا التفسير لازال مؤيّداً بتأييدات الرب القدير، فلقد أحسن وأتقن وأفاد وأجاد، فسّر الآيات البينات بالآثار المروية عن الأئمة الأطياب، فامتاز من القشر اللباب. وجمع بين السنة والكتاب، وبذل جهده في استخراج ما تعلّق بذلك من الأخبار. وضمّ إليها لطائف المعاني والأسرار. جزاه الله عن الايمان وأهله خير جزاء المحسنين، وحشره مع الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين».

٢ ـ تقريظ المحقّق الخوانساريّ:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي نزّل على عبده الكتاب وجعله آية لمن اُوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب، والصلاة والسلام على نبيّه الأُمّي الذي أرسله بشواهد بيّناته، وبعثه في الأُمّيين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته، وعلى آله الأئمّة الذين هم الراسخون في علم القرآن تفسيراً وتأويلاً، ومُرَتّلوهُ حقّ الترتيل والمفضّلون فيه على كثير ممّن خلق تفصيلاً.

---

١. الفوائد الرضويّة /٦١٨.

٢. ريحانة الأدب ٥/ ٣٢٠.

أمّا بعد : فقد أيّد الله تعالى بفضله الكامل . جناب المولى العالم العارف الألمعي الفاضل ، مجمع فضائل الشيم ، جامع جوامع العلوم والحكم ، عالم معالم التنزيل وأنواره ، عارف معارف التأويل وأسراره ، حلّال كلّ شبهة عارضة ، كشّاف كل مسألة دقيقة غامضة ، الذي أحرق بشواظ طبعه الوقّاد شوك الشكوك والشبهات . ونقّد بلحاظ ذهنه النقّاد نقود الأحكام الشرعية المستفادة من الآيات والروايات ؛ أعني المكرم بكرامة الله الأحد الصمد ، مولانا ميرزا محمّد أعانه الله في كلّ باب وأثابه جزيل الثواب إذ وفّقه الله لتأليف هذا الكتاب الكريم ، في تفسير القرآن وجمعه من التفاسير المعتبرة وسائر كتب الأخبار المشتهرة . فهو كاسمه كنز الدقائق وبحر الغرائب الذي يُصاد بغوص النظر فيه أصداف درر الحقائق . فنفع الله به الطالبين ، وجعله ذخراً لمؤلفه الفاضل يوم الدين .

وأنا العبد المفتقر إلى عفو ربه الباري ، جمال الدين محمّد بن حسين الخوانساري أعانهما الله تعالى يوم الحساب وأوتيا فيه بيمينهما الكتاب . وقد كتب ذلك في شهر محرم الحرام من شهور سنة ١١٠٧ » .

وأمّا آثاره العلميّة فإنّها تدلّ أيضاً على جلالته ومشربه الاعتقادي ومنهجه الفكري ، منها « ستّة ضروريّة » باللغة الفارسيّة . يقول في مقدمته الرابعة :

يجب على كلّ أحد أن يتتبّع كتاب الله وأحاديث الرسول والأئمّة عليهم السلام بالقدر الذي يحصل فيه العلم بكيفيّة العمل من كلامهم .

ويقول في مقدّمته الخامسة :

علم من التقرير السابق أنّ على كلّ مكلّف بذل الجهد من أجل فهم قول الله ورسوله والعمل به ، وعليه ألّا يقلّد غير المعصوم ، وإن لم يفعل يؤاخذ وتحبط أعماله .

ومن آثاره « رسالهاى در وجود » [رسالة في الوجود] ردّ فيها على المولى رجب علي (١٠٦٥ ـ ١٠٨٠ هـ) في رسالته المشهورة « الاشتراك اللفظي والمعنوي في الوجود » .

والمترجم له وإن كان أديباً حَسَن الذوق بيد أنّه لم ينسجم مع الصوفيّة تبعاً لمشربه العقيديّ الخاصّ المارّ ذكره في الفقر من المتقدّمتين. يقول في تفسير «اهدنا الصراط المستقيم» بعد نقل كلام من الصوفيّة: ولا يخفى عليك أنّ هذا وما سبق من التأويل وما سيأتي منه مبنيّ على ما ذهب إليه الصوفيّة من الأصول الفاسدة. والغرض من نقله الاطّلاع على فساده.

و يقول أيضاً في تفسير «و من الناس من يقول آمنّا...» بعد نقل كلام من الصوفيّة: والغرض من أمثال هذه المباحث الاطّلاع على الآراء الفاسدة والأهواء المضلّة، فإنّ الحقّ يعرف بضدّه.

وتؤلّف الكتب الأدبيّة عدداً من آثاره، وتدلّ حواشيه على الكشّاف، وحاشية الشيخ البهائي على تفسير البيضاوي، بخاصّة المباحث الأدبيّة في هذا التفسير على أنّ له يداً طولىٰ في الأدب.

ورغم أنّ معظم آثاره تنحصر بالنطاق الأدبيّ والروائيّ إلّا أنّه قد بلغ في هذا التفسير الذي يعدّ أكبر أثر له، الذروة العُليا في الجمع بينهما.

والده:

سمّاه المؤلّف في تفسيره ـ كما مرّ بنا ـ «محمّد رضا» وهو من تلاميذ شيخنا البهائي (م ١٠٣٠ هـ) حكي في «الرياض» ٤٢٠/٢ في ترجمة القطب الراوندي عن خطّ صاحب الترجمة حكاية أُستاذه البهائي بعض ما يتعلّق بترجمة القطب المذكور في حاشية البهائي حوزل على فهرس منتجب الدين (ذ ٦ قم ٩١٣) وكذا في ترجمة الصهرشتي سليمان بن الحسن (الرياض ٤٤٧/٢) وكتب المترجم له بخطّه نسخة من فهرست المنتجب المذكور عن نسخة والد البهائي التي عليها حواشي البهائي (ذ ٦ قم ٩١٣)، ونقل تلك الحواشي على نسخة أخرى، ذكر ذلك في «الرياض» ١٤٥/٤ في ترجمة

منتجب الدين(١).

وكتب له البهائي إجازة في آخر نسخة «خلاصة الأقوال في أحوال الرجال» للعلّامة الحلّي التي قرأها المترجم له على الشيخ البهائي مرّتين، وهذا نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

امّا بعد الحمد والصلاة، فقد استخرت الله سبحانه وأجزت للأخ الأعزّ الفاضل التقي الذكي الزكي، تاج الأتقياء وخلاصة الفضلاء، مولانا محمّد رضا المشهديّ الخادم أدام الله تعالى فضائله أن يروي عنّي هذا الكتاب الشريف بسندي المتّصل إلى مؤلفه شيخنا الأعظم آية الله العلّامة أحلّه الله دار الكرامة. وذلك بعد ما صرف سلّمه الله جملة من الأيّام في تصحيحه واستكشاف مبهماته وتحقيق مستوراته، وكذلك أجزت له مُدّت أيّام إفضاله أن يروي كتاب الفهرست لشيخ الطائفة وسراج الأمّة ﷺ، وكتاب الرجال للشيخ الأفضل ثقة الدين الحسن بن داود طاب ثراه، وفهرست النجاشي ﵀ بطرقي المتّصلة بهم، فليرو ذلك لمن شاء وأحبّ، والمأمول أن لاينساني من صوالح الدعوات في مظانّ الاجابة ومحالّ الانابة.

حرّره الفقير إلى الله تعالى محمّد المشتهر ببهاء الدين العاملي في قم المحروسة، سنة ألف وستّ حامداً مصلّياً مسلّماً(٢).

وكتب الشيخ البهائي أيضاً:

هو

«... و قد قرأ عليّ الأخ الأعزّ الفاضل المشار إليه هذا الكتاب مرّة ثانية، وكان الفراغ من قراءته في العشر الثالث من الشهر الثاني من السنة السادسة عشرة بعد الألف.

---

١. الروضة النضرة في علماء المائة الحادية عشرة / ٢٢٠.

٢. آخر فهرست المكتبة العامّة لآية الله العظمى النجفي المرعشي ١٣/١٥.

حرّره الفقير محمّد المشتهر ببهاء الدين العامليّ حامداً مصلّياً مسلّماً»[1].

أولاده:

يدلّ أثره المسمّى بـ «الفوائد الشارحة» على أنّ له ولداً اسمه اسماعيل، وذكرت نسخة منه محفوظة في مكتبة ملك بطهران ورقمها (٧٩٢) أنّ له ولداً آخر اسمه محمّد رضا. وتشير الوقفية التي كتبت على جزء من ظهر المجلد الثالث من تفسيره «كنز الدقائق» في سنة ١١١١ إلى أنّ له بنتاً كما ذكرناه آنفاً.

مؤلّفاته:

١. «إنجاح المطالب في الفوز بالمآرب»

هو شرح المنظومة المحبّية التي نظمها محمّد بن محمّد بن محمود أبو الوليد محبّ الدين الشهير بابن الشحنة الحنفيّ (ت ٨١٥) وقد طبعت تلك المنظومة في العدد الرابع من مجلّة «تراثنا» ص ٢٠٩ ـ ٢١٧ باسم «الأرجوزة اللطيفة» وطبع شرحها هذا في العدد (٢٥) من المجلّة المذكورة ص ١١٥ ـ ٢٤٢ باهتمام السيّد محمّد رضا الحسيني.

قال الشارح في مقدّمتها:

أمّا بعد، فيقول المحتاج إلى الله الغنيّ ميرزا محمّد بن رضا القمّيّ: هذه فوائد علّقتها على الأرجوزة المنظومة في فنّ البلاغة لأنّها فائقة على سائر ما صنّف في هذه الصناعة لكونها قليلة اللفظ، كثيرة المعاني، قريبة إلى فهم المقاصد للأجانب والأداني، وسمّيتها بـ «إنجاح المطالب» ومن الله الفوز بالمآرب.

وقال في نهايتها:

---

١. آخر فهرست المكتبة العامّة لآية الله النجفي المرعشي ١٣/١٥.

قد فرغ من تأليف «إنجاح المطالب في الفوز بالمآرب» أقلّ عباد الله وأذلّ خلق الله محمّد بن رضا القمّي بلّغهما الله إلى آمالهما، يوم السبت التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ألفٍ وأربعٍ وسبعين مضين من الهجرة النبويّة في مشهد ثامن الأئمّة عليّ بن موسى الرضا عليه التحيّة والثناء، وعلى الله التوكّل ومنه الاستعانة في كلّ الأمور.

وقال الشيخ آغا بزرگ الطهراني: وما وقع في «الأمل» و«الروضات» من التعبير بـ «نجاح المطالب» لعلّه من تصحيف النسّاخ[1].

والنسخ المخطوطة التي عثرنا عليها من هذا الكتاب هي كما يأتي:

نسخة مكتبة السيّد آية الله المرعشي برقم (١٥٨٧).

نسخة مكتبة الإمام الرضا عليه السلام في مشهد برقم (٣٩٨٥).

نسخة مكتبة الامام الرضا عليه السلام في مشهد برقم (٤٠٣٥).

٢. **«كنز الدقائق وبحر الغرائب»** وهو هذا الكتاب الذي نقدّم له.

٣. **«كاشف الغمّة في تاريخ الأئمّة عليهم السلام»**

قد فرغ من تأليفه في مشهد على الظاهر ليلة السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٠٧٥.

تحتفظ مكتبة مجلس الشورى الإسلامي في طهران بنسخة منه رقمها (٢٠٠٠)[2].

٤. **«تبيان سليماني» بالفارسية، وهو تفسير مأثور للقرآن الكريم.**

تقتني مكتبة الإمام الرضا عليه السلام بمشهد جزئين منه:

الأوّل ورقمه (٩٤٣٨) من ابتداء القرآن إلى نهاية سورة المائدة وتاريخ كتابته (١٠٨٥هـ).

---

١. الذريعة ٣٦٣/٢.

٢. فهرست مكتبة المجلس ٩ (٢)/٧٠٤.

الثاني ورقمه (٩٤٣٩) من الآية (٩٥) من سورة التوبة إلى الآية (٤٤) من سورة العنكبوت وتاريخ كتابته سنة (١١١١ هـ).

لم يذكر هذا التفسير أيّ أحدٍ ممّن ترجم له. كما لانجده في « الذريعة » بيد أنّه ورد في فهرس مكتبة الإمام الرضا عليه السلام عند التعريف بالنسخة. ولعلّ النسخة المثبتة في ص ٦١٣ من المجلد الخامس من كتاب (نسخه‌هاى خطى) [المخطوطات] بعنوان « تفسير فارسى ميرزا محمّد بن رضاى قمى » هي هذا التفسير نفسه.

وذكر المفسّر أيضاً تفسيراً آخر له به عنوان « تبيان » عند تفسير قوله تعالى « ماكادوا يفعلون » (البقرة /٧١). ومن المحتمل أنّه هو هذا التفسير نفسه.

قال المفسّر في مقدّمة الجزء الأوّل منه:

امّا بعد [چنين گويد] اين فقير حقير كثير التقصير احقر عباد الله القدير ميرزا محمّد بن رضا القمي أحسن الله أحوالهما چون مدتى بود كه در خاطر داشت كه تفسيرى به زبان فارسى كه موافق احاديث ائمه عليهم السلام و طرق علماء شيعه رضوان الله عليهم بوده باشد در سمط تحرير و سلك تقرير منتظم سازد و به واسطه قصور بضاعت و كوتاهى دست فطنت از اجراى اين عزم عظيم و فوز به اين مرتبه جسميه متقاعد بود تا از پردگيان سراپرده توفيق اشارت به حلّ اين عقده شرف صدور يافت. بعد از استخاره و توكّل عنان مركب سعى را به عرصهٔ جهد منعطف ساخته از ارواح ائمه صلوات الله عليهم اجمعين مستمدّ گرديده در نوشتن اين تفسير مبادرت نمود، و بشارت به اين اشارت در زمان دولت پادشاه جم ... أعني شاه سليمان الحسين الموسوي الحيدري الصفوي بهادرخان خلد الله ملكه وسلطانه شد ... و اين كتاب را [به] تبيان سليمانى موسوم ساخت، والله الموفق والمعين.

وفي نهايته

تمّ الجزء الاوّل من التفسير الموسوم بالتبيان السليماني على يد مؤلفه الفقير ميرزا

محمّد بن رضا المشهدي في منتصف رجب المرجّب سنة ١٠٨٥.

٥. «رسالة في الوجود» بالفارسيّة وهو ردّ على المولى رجب عليّ (١٠٦٥ ـ ١٠٨٠) في رسالته المشهورة المسمّاة بـ «اشتراك لفظى و معنوى در وجود».

وقد رأى صاحب «الذريعة» نسخة من هذه الرسالة مُلحقةً بنسخة من كتاب «الكافي» عند السيّد محمّد علي القاضي الطباطبائي في تبريز[1]. وهي مؤرّخة بسنة ١٠٨٥.

٦. «شرح الزيارة الرجبيّة» بالفارسيّة

بدايته: بعد از اداى ستايش وظائف خالق...

ذكر اوّلاً سندها إلى الشيخ الحسين بن روح النوبختي

وأسلوبه في هذا الكتاب أنّه ذكر الإعراب أوّلاً، ثمّ ثنّىٰ باللغة، وانتهىٰ إلىٰ الترجمة والمعنىٰ.

ألّفه في مشهد سنة ١٠٨٧هـ.

وتوجد نسخة منه عند الشيخ نصر الله الشبستري في تبريز، تاريخ كتابتها سنة ١٠٩٧هـ[2].

٧. «شرح الصحيفة السجّاديّة»

وتوجد عدّة نسخ منه في المكتبات الآتية:

مكتبة الإمام الرضا عليه السلام برقم ١٠٢٠.

مكتبة السيد آية الله المرعشي برقم ٢٥٢٢.

المكتبة المركزيّة لجامعة طهران برقم ٣٧.

مكتبة مجلس الشورى الإسلامي برقم ٤٧٤٤.

---

١. الذريعة ١٧٤/٢١.

٢. أنظر: الذريعة ٧٩/١٢ و٣٠٦/١٣.

ونسخة منه في مكتبة السيّد محمّد المحيط في طهران كما ذكرها الشيخ آغا بزرگ(١).

قال الشارح في مقدّمته:

«امّا بعد فيقول الفقير إلى الله الغني ميرزا محمّد بن محمّد رضا المشهدي: هذه فوائد اتفقت منّي على الصحيفة الكاملة السجاديّة الملقبة بزبور أهل البيت وانجيل آل محمّد عليهم السلام. كتبتها تذكرة للخلّان والاخوان وتبصرة لذوي الأفهام والأذهان ...»

وفي نهايته:

«قد وقع الفراغ من تسويد هذه الأوراق يوم الجمعة ثامن شوّال بعد الشروع فيه في أوّل شهر رمضان المبارك بعد مضي ألف وتسعين سنة من الهجرة النبويّة في مشهد ثامن الائمّة على مشرفها ألف ألف سلام وتحية، على يد مؤلفه الفقير المفتاق إلى الله العزيز الغني ميرزا محمّد بن محمّد رضا بن اسماعيل بن جمال الدين القمّي، راقمة العبد القاصر إلى رحمة ربّه الغافر ابن محمّد تقى شهمرزادى محمّد باقر ...»(٢).

٨. **«الفوائد الشارحة لمشكلات المنظومة الصرفيّة»** الموسوم بـ **«شرح الترصيف المنظوم في علم التصريف»** فرغ من تأليفها ظهيرة يوم الثلاثاء الخامس من شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٩٠ هـ.

بدايتها:

«الحمد لمصّرف الأمور والصلاة على من أرسله لنظم الدهور وآله الشفعاء يوم النشور ...» وقد رأىٰ الشيخ آغابزرگ الطهراني نسخة منه في مكتبة الحاج محمّد حسن كُبّة بسامرّاء بعنوان «شرح الترصيف»(٣).

---

١. الذريعة ٣٠٦/١٣ والكواكب المنتشرة ٢٠٨/.

٢. هذا الكاتب هو محرّر النسخة الأصل من نسخ «كنز الدقائق» وقد اعتمد عليها عند تصحيح التفسير.

٣. أنظر: الذريعة ١٤٥/١٣ و ١٦٩/٤ و ٣٤٣/١٦ والكواكب المنتشرة ٢٠٨/.

٩. **«معاد وحشر اجساد»** بالفارسيّة يبيّن فيه حقيقة المعاد وحشر الأرواح والأجساد ومعنى الايمان والكفر.

ألّفه باسم السلطان سليمان الصفوي (١٠٧٧ ـ ١١٠٥).

يحتوي على ملاحظة ومطلب فيه أربعة أركان وفصول وتكملة تشتمل علىٰ عدد من الفصول أيضاً. ونقل فيه من كتاب «شرح حكمة الإشراق» للحلّي ﷺ.

بدايته:

زيباترين كلام و دُرّ هر مرام ذكر ملك علام است كه رشحهاى از بحر رحمت او ...

توجد نسخة منه في مكتبة الشورى الإسلامي برقم ٥٦٧٣[١].

١٠. **«التحفة الحسينيّة»** بالفارسيّة، في آداب الصلاة ومقدّماتها وتعقيباتها ونوافلها الليليّة والنهاريّة، وآداب الوصيّة، وأحكام الأموات، وأعمال الأسبوع والشهر والسنة، وآداب السفر، وأدعية الأعراض والأمراض.

ألّفه باسم السلطان حسين الصفوي، ورتّبه على مقدّمة وأبواب فيها سبعة فصول، وخاتمة فيها ثلاث وعشرون فائدة.

رأى صاحب «الذريعة» نسخة منه عند السيّد محمّد الواعظ الخوانساري الاصفهاني بالكاظميّة[٢].

١١. **«سلّم درجات الجنّة في معرفة فضائل أبي الأئمّة»** بالفارسيّة، ترجم فيه أربعين حديثاً في فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام وشرحها. توجد نسخة منه في مكتبة ملك بطهران ورقمها (٥٩٢٠)، وخطّها نسخيّ جيّد. ويحتمل أن يكون كاتبها هو أحمد النيريزي.

---

١. انظر: الذريعة ١٧٤/٢١، الكواكب المنتثرة /٢٠٢.

٢. الذريعة ٤٢٩/٣ و ٤٣٠ والكواكب المنتثرة /٢٠٨.

قال المؤلّف في مقدّمته:

(و بعد، چنين گويد اقلّ عباد الله ميرزا محمّد بن محمّد رضا بن اسماعيل بن جمال الدين القمي كه اين رسالهايست در ترجمه بعض احاديث مشتمل بر فضائل أبي الائمّة اميرالمؤمنين مسمّى به «سلّم درجات الجنّة في معرفة فضائل أبي الائمّة» و بعد از اتمام تحفه مجلس شهنشاه سليمان بارگاه... شاه سلطان حسين بهادرخان... كه طبع شريف او و نزديكانش در نشر فضائل ائمه اهتمام عظيم دارند خواهند نمود و اين رساله مشتمل است بر مقدمه وچهل حديث وخاتمه).

وفي نهايته:

تمّت ١٠٥٥، وليس فيها خاتمة.

ورأى صاحب «الذريعة» نسخة منه في مجموعة من كتب الشيخ قاسم محيى الدين في النجف، تاريخ كتابتها (١١١٧)[١].

١٢. **«ستة ضروريّة»** بالفارسيّة وهو في الإمامة يحتوى على ستّ مقدّمات يقوم عليها الإيمان. ويجب على المكلّف أن يتعلّمها.

قال المصنّف في بدايتها:

«امّا بعد، چنين گويد فقير حقير ميرزا محمّد بن محمّد رضا القمي أصلاً المشهدي مولداً ومسكناً كه اين چند مسأله است كه به اعتقاد فقير مبناى ايمان است وبه گوش خاصّ وعام رسانيدنِ آن لازم به واسطهٔ بعضى موانع در بيان آن متقاعد بود تا در زمان دولت پادشاه جمجاه سلطان بارگاه كيوان مكان قضا توأمان مروّج الحقّ واليقين ناهج مناهج آبائه المعصومين الخاقان بن الخاقان بن الخاقان السلطان بن السلطان بن السلطان شاه سلطان حسين الموسوي الحسيني بهادرخان...

وآن بيان مشتمل است بر شش مقدّمه كه در هر مقدّمه بيان شده امرى كه مبناى

---

١. الذريعة ٢٢٠/١٢ والكواكب المنتشرة /٢٠٨.

بسیاری از قواعد دین است وضرور است که هر مکلّف او را بداند و از این جهت به رسالهٔ ستّه ضروریّه مسمّی گردید والله الموفّق والمعین».

والمقدّمات الستّ المذكورة هي كما يأتي:

مقدّمة اولی: نصب امام معصوم که هر چه در دین ودنیا ضرور شود مردم از او بپرسند واو از روی علم جواب گوید وبر مردم حجّت باشد در هر زمان بعد از پیغمبر ﷺ بر خدای ﷻ واجب است واین قول نزد شیعهٔ اثنیعشری اتّفاقی است و هیچ یك از ایشان در آن خلافی ندارند ...

مقدّمة ثانیه: در بیان آن که در زمان حضور ماکه امام ؑ غایب است سبب غیبت آن امام یا مقتضی غیبت و وجود مانع از ظهور است یا وجود مقتضی غیبت یا وجود مانع از ظهور وسببیت وجود مقتضی باطل است زیراکه آنچه مقتضی غیبت باشد مقتضی عدم نصب است و معلوم شد که نصب مقتضی دارد پس عدم نصب مقتضی نمیتواند داشت ...

مقدّمة ثالثه: در بیان آن که مانع از ظهور امام ؑ چه چیز است ؟

مقدّمة رابعه: متفرّع بر این قاعده پس لازم باشد بر هر کسی که آن قدر سعی نماید که کتاب خدا واحادیث رسول وائمّه را تتبّع نماید به قدری که علم به کیفیّت عمل از کلام ایشان حاصل نماید وبه آنچه علم بهم رساند عمل نماید ...

مقدّمة خامسة: از تقریر سابق معلوم شد که بر هر مکلّف لازم است که سعی نماید که قول خدا ورسول را بفهمد وبه آن عمل کند وتقلید غیر معصوم نکند واگر سعی نکند مؤاخذ واعمال او باطل خواهد بود ...

مقدّمة سادسه: در نتایج تقریرهای سابق. بدان که از مقدّمات مذکوره لازم آمد که بر همه کس لازم باشد که طلب آن نماید که علم به خدا ورسول وائمّه که اوصیای رسولند به هم رساند وعلم به کیفیّت اعمال که بر او واجب است از قول ایشان بهم رساند واین

واجب عينى است ...

١٣. **«كتاب الصيد والذبائح»**: كبير استدلالي[١].

١٤. **«مراصد العصمة والضلالة»**. ذكره المصنّف في مقدّمة «كاشف الغمّة»[٢].

١٥. **«حاشية على كشّاف الزمخشري»**[٣].

أشار المؤلّف إليها في بداية «كنز الدقائق».

١٦. **«حاشية على حاشية البهائي على تفسير البيضاويّ»**[٤].

ذكرها المؤلّف في بداية «كنز الدقائق» أيضاً.

١٧. **«تصحيح نسخة من شرح شواهد ابن الناظم»** في سنة ١٠٨٧.

أهداه المؤلّف إلى الشيخ لطف الله المشهدي.

والنسخة المذكورة موجودة عند السيّد محمّد الموسوي الجزائري كما قال المرحوم الشيخ آغا بزرگ الطهراني[٥].

«كنز الدقائق وبحر الغرائب»:

قال مؤلّفه في تعريفه: قد رقمت [تعليقات] على التفسير المشهور للعلّامة الزمخشري، وأجلت النظر فيه ثمّ على الحاشية للعلّامة النحرير والفاضل المهرير الشيخ الكاملي بهاء الدين العاملي، ثمّ سنح لي أن أؤلّف تفسيراً يحتوي على دقائق أسرار التنزيل ونكات أبكار التأويل مع نقل ما روي في التفسير والتأويل عن الائمّة الأطهار والهداة الأبرار إلّا أنّ قصور بضاعتي يمنعني عن الإقدام ويثبّطني عن الانتصاب في هذا المقام حتّى وفّقني ربّي للشروع في ما قصدته والإتيان بما أردته.

---

١. الذريعة ١٠٧/١٥.

٢. فهرس مكتبة المجلس ٩(٢)/٧٠٤.

٣. الذريعة ٤٦/٦.

٤. أعيان الشيعة ٣٢٨/٤٥.

٥. أنظر: الكواكب المنتشرة /١٦٩.

(كنز الدقائق ٢/١)

قال السيّد محمّد باقر الخوانساري: وله كتاب كبير في التفسير ... لم يسبقه إلى وضعه أحد من العلماء قديماً وجديداً وذلك لأنّ تفسير (نور الثقلين) الذي مرّت الإشارة إلى ... وإن سبقه إلى إعمال هذه الرويّة إلّا أنّه أسقط أسانيد الأخبار الموردة فيه بالكليّة ولم يتكلّم فيه على ربط ألفاظ القرآن وحلّ مشكلاته ووجوه أعاريبه ولغاته وقراءاته، ولم يوجد النقل فيه أيضاً عن كتاب تفسير الآيات الباهرة في شأن العترة الطاهرة وبعض آخر من التفاسير النادرة كما ينقل عنهما جميعاً في هذا الكتاب وإن لم يحط مع ذلك كلّه بجميع الأحاديث المتعلّقة بأطراف الأبواب (روضات الجنّات ١١٠/٧).

قال الميرزا حسين النوريّ: «... من أحسن التفاسير وأجمعها وأتمّها وهو أنفع من (الصافي) وتفسير (نور الثقلين). (الفيض القدسي) المطبوع في (بحار الانوار ١٠٥/).

وبالجملة فالتفسير للذكور كتب علله العلّامة محمّد باقر المجلسي تقريظاً سنة ١١٠٢هـ، وكذلك قرّظه المحقّق آغا جمال الخوانساري سنة ١١٠٧هـ. وهو يتألّف من أربعة مجلّدات كبار، قمنا بتحقيقه ولله الحمد على ذلك. وبذلنا الجهد الممكن في الحصول على النسخ التي تسعفنا في تحقيقه، وظفرنا منها بما يأتي:

* نسخة محفوظة بالمكتبة المركزيّة في جامعة طهران برقم (١٤) وقد رمزنا لها بالحرف «أ».

* نسخة إلى آخر سورة المائدة مكتوبة في زمن المؤلّف بل في سنة التأليف. وهي كانت للأستاذ الفقيد شانه‌چي (الأُستاذ في جامعة مشهد) وانتقلت ضمن مخطوطاته إلى المكتبة الرضويّة بمشهد. ورمزنا لها بـ «اصل». وجدير بالذكر أنّ هذه النسخة هي نفسها النسخة (أ) إلّا أنّ بعض الألفاظ والموضوعات قد شطب وأضيف مكانه روايات ومطالب في الهامش. وثمّ توقيع هذه الهوامش بألفاظ نحو: بألفاظ «منه».

«منه سلّمه الله»، «منه دام ظلّه العالي»، «منه أدام الله بقاءه»، «صحَ»، «بلغ»، «بلغ قبالاً».

❁ نسخة إلى آخر سورة المائدة مكتوبة في سنة التأليف، محفوظة في المكتبة المركزيّة بجامعة طهران برقم (٧٣٥٣) وقد رمزنا لها بالحرف «ر» ولايخفى أنّ هذه النسخة هي النسخة السابقة إلّا أنّه قد أدخلت التصحيحات والهوامش في المتن وحذفت العبارات المشطوبة. ويظهر من اختلاف النسخ المذكورة أنّ النسخة الأصل كانت نسخة «أ» وقد صحّحها المفسّر بعد إتمامها ولكنّ المستنسخين استنسخوا منها قبل تصحيح المفسّر وأصبحت في متناول أيدي القرّاء. وإنّما جعلنا النسخة الثانية أصلاً لوجود تصحيح المفسّر وتكملته فيها.

و استبان من النظر والتنقيب في سائر النسخ الموجودة من الربع الأوّل أنّ النسخة المرقّمة «٢٣٤٨» المحفوظة في مكتبة السيّد المرعشيّ مطابقة لنسخة الجامعة المرقّمة (١٤) ولبقيّة النسخ نظراً إلى المتن والحاشية.

واعتمدنا في رفع الإشكالات الموجودة في النسخة الأصل على النسخة المحفوظة في مكتبة مجلس الشورىٰ الإسلامي برقم «١٢٠٧٣» ورمزنا لها بـ«ج».

وفي ما يأتي الخطوات التي اتبعناها في التصحيح:

١. ضبط النصّ وتقويمه بالاعتماد على النسخ المتقدّمة.

٢. تخريج الروايات ومقابلتها مع المتن.

٣. التعرّض للاختلافات المهمّة بين النسخ وبينها وبين المصادر.

٤. تخريج الأقوال[1].

---

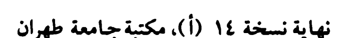
١. استفدنا كثيراً في هذه المقدّمة مِن: مجلّة «تراثنا» العدد (٤)/٢١٠ و ٢١١ والعدد (٢٥)/١٤٣ـ١٥٦. روضات الجنّات ١١٠/٧ وريحانة الادب ٣٢٠/٥ و ٣٢١. معجم المؤلّفين ٢١٧/١١. الفوائد الرضويّة /٦١٨، أمل الآمل ٢٧٢/٢، الفيض القدسي المطبوع مع بحار الأنوار، ١٠٠/١٠٥. أعيان الشيعة ⇐

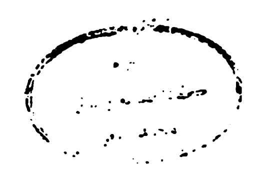
وفي نهاية المطاف أقدّم شكري الجزيل إلى الإخوة الأعزّاء الذين آزروني في إنجاز هذا المشروع وإحيائه وطبعه بهذه الصورة القشيبة، سيّما أخي الفاضل المحقق السيّد حسن القمي نجل المرحوم حجة الاسلام والمسلمين السيّد ماجد الحسيني القمي، وصديقي الفاضل الأديب صباح صالح الهنداوي، والعلّامة المحقّق السيّد عبدالعزيز الطباطبائي ﷺ، وصديقي المكرّم آقا احمد مسجد جامعي لجدّه الحريّ وهمّته البالغة في إحياء التراث الديني في الأعوام الأخيرة، كما أشكر الأخ الفاضل المحقّق عبد الله الغُفراني لتصحيحه تمام الكتاب وإشرافه على الشؤون الفنيّة، وفّقه الله تعالى لمرضاته، والحمد لله ربّ العالمين.

حسين درگاهي
١٠ ربيع الثاني ١٤٢٠هـ
طهران

⇐ ٣٢٨/٤٥ ـ ١٣٢٩ و٩/١٠٧ ـ ٤٠٨. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ١٢/١٥١ ـ ١٥٢ و١٣/١٤٥ و٢٣/١٣٦ و٢/٣٦٣. الكواكب المنتثرة في القرن الثاني بعد العشرة (المخطوط) /١٦٩.

بداية نسخة ١٤ (أ)، مكتبة جامعة طهران


نهاية نسخة ١٤ (أ)، مكتبة جامعة طهران



قال الاخر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان القرآن اربع ارباع ربع فينا اهل البيت خاصة وربع في
اعدائنا وربع حلال وحرام وربع فرائض واحكام وان الله انزل فينا كرائم القرآن حدثنا احمد بن
الحسن بن اسماعيل بن صبيح والحسن بن علي بن الحسن بن عبيدة بن عقبة بن نزار بن سالم السلولي قالا حدثنا
محمد بن الحسن بن مطهر قال حدثنا صالح يعني ابن ابي الاسود عن [illegible] بن عبد الله [illegible] النخعي عن زكريا بن ميسرة
عن اصبغ بن نباتة قال قال علي بن ابي طالب عليه السلام انزل القرآن اربعة ارباع ربع فينا وربع في
اعدائنا وربع سنن وامثال وربع فرائض واحكام ولنا كرائم القرآن وقد اخبرنا حدثنا ابو الحسين
مقداد بن علي المدني الحجازي قال حدثنا ابو القسم عبد الرحمن العلوي الحسني قال حدثنا محمد بن سعيد بن
رحيم الهمداني ومحمد بن عيسى بن زكريا قالا حدثنا عبيد بن كثير [illegible] قال حدثنا حماد بن اعين عن الحسن بن
عبد الرحمن عن الاصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام قال نزل القرآن اربعة ارباع ربع
فينا وربع في اعدائنا وربع فرائض واحكام وربع حلال وحرام ولنا كرائم القرآن واعلم ان للقرآن
بطنا وللبطن بطن وعليه ظهر وللظهر ظهر [illegible] صلوات الله عليهم شيء وللباطن فلذلك
لانهم علموا [illegible] ما رواه [illegible] شرح [illegible] عن علي بن محمد بن الفضل عن [illegible] عن
جابر بن يزيد قال سألت ابا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن فاجابني ثم سألته ثانية فاجابني بجواب
اخر فقلت جعلت فداك اجبتني في هذه المسألة بجواب غير هذا فقال لي يا جابر ان للقرآن بطنا و
للبطن بطن وله ظهر وللظهر ظهر وليس شيء ابعد من عقول الرجال من تفسير القرآن وان الاية ينزل اولها
في شيء واخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه ويؤيده ما رواه عن الشيخ ابي جعفر الطوسي
باسناده الى الفضل بن شاذان عن داود بن كثير قال قلت لابي عبد الله عليه السلام انتم الصلوة في كتاب
الله عز وجل وانتم الزكوة وانتم الحج فقال يا داود نحن الصلوة في كتاب الله عز وجل ونحن الزكوة ونحن
الصيام ونحن الحج ونحن الشهر الحرام ونحن البلد الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله ونحن وجه الله قال
الله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله ونحن الايات ونحن البينات وعدونا في كتاب الله عز وجل الفحشاء
والمنكر والبغي والخمر والميسر والانصاب والازلام والاصنام والاوثان والجبت والطاغوت والميتة والدم
ولحم الخنزير يا داود ان الله خلقنا فاكرم خلقنا وفضلنا وجعلنا امناءه وحفظته وخزانه على ما في

بداية نسخة ٧٣٥٣ (ر)، مكتبة جامعة طهران

نهاية نسخة ٧٣٥٣ (ر)، مكتبة جامعة طهران

رب يسر وتمم بالخير



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وجعله للناس بشيرا ونذيرا وبين فيه لاولى الالباب بينات
وجعله تبيانا لكل شيء وسراجا منيرا انزله بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتب وانطقه بالصدق
لما يعول عليه من الترتيب بتعين لم يتصف بالقدم كل شيء بجوهر ذاته يقتضي الى الحكم بسرمدية حدوث
معلولاته وسماواته فيا له من حكيم بما له من قدرته في كل ما دبر واتقن من افعاله ابت حكمته ان يخص
خلقه بالسوء والفحشاء وارتفعت قدرته ان يجري في ملكه الا ما شاء والصلوة والسلام والتحية
من كل الانام على خير الانبياء وخير الاصفياء المدعو بحبيب الله في الارض والسماء محمد المصطفى على
البرية بالخلق والفضائل المرضية المبعوث بكتاب ازعج بفصاحته مصاقع الخطباء وابكم ببلاغته
شقاشق البلغاء وعلى الائمة الهادين من عترته الراشدين صلوة نامية دائمة توازي غناءهم وتجازي
عناءهم وسلم تسليما كثيرا ... فيقول الفقير الى رحمة ربه الغني ميرزا محمد المشهدي بن محمد
رضا بن اسمعيل بن جمال الدين القمي ان اولى ما صرفت في تحصيله كنوز الاعمار وانفقت في نيله
المهج والافكار علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية وراسها ومبنى قواعد الشرع واساسها
الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه الا من فاق في العلوم الدينية كلها والصناعات الادبية
بانواعها وقد كنت فيما مضى قد رقمت تعليقات على التفسير المشهور للعلامة الزمخشري واجلت
النظر فيه ثم على الحاشية للعلامة النحرير والفاضل المعرير شيخ الكاملين بهاء الدين العاملي ثم
سنح لي ان اؤلف تفسيرا يحتوي على دقائق اسرار التنزيل ونكات ابكار تحملها التأويل مع نقل ما روي
في التفسير والتأويل عن الائمة الاطهار والهداة الابرار الا ان قصور بضاعتي يمنعني عن الاقدام
ويثبطني عن الانتصاب في هذا المقام حتى وفقني ربي للشروع في ما قصدته والاتيان بما اردته
ومن علي ان اسميه بعد تمامه بكنز الدقائق وبحر الغرائب ليطابق اسمه ما احتواه ولفظه
معناه ... في مجمع البيان روى جعفر بن محمد عن ابيه عن ابائه عن النبي صلى الله عليه واله
لما اراد الله عز وجل ان ينزل فاتحة الكتاب واية الكرسي وشهد الله وقل اللهم مالك الملك
قوله بغير حساب تعلقن بالعرش وليس بينهن وبين الله حجاب وقلن يا رب تهبطنا دار الذنوب و

بداية نسخة الأصل، مكتبة الامام الرضا عليه السلام

نهاية نسخة الأصل، مكتبة الامام الرضا عليه السلام

مجالس شيخ اي علي

رب يسر ولا تعسر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وجعله للناس بشيرا ونذيرا وبين فيه لاولي الالباب تبيانا وجعله

بداية نسخة ۱۲۰۷۳، مكتبة مجلس الشورى الاسلامي

[illegible] ولاصحابه [illegible] بالإرادة [illegible]

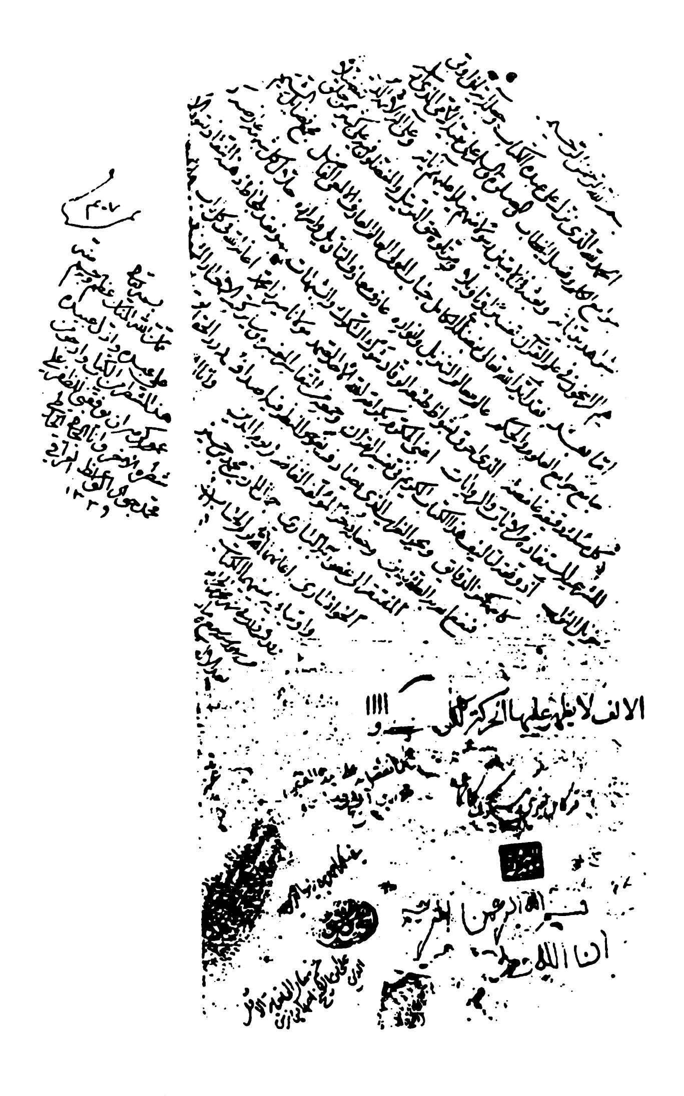
[illegible] بعون الله وحسن توفيقه على يد مؤلفه الفقير الى الله الغني ميرزا محمد بن محمد رضا بن اسمعيل بن جمال الدين القمي في منتصف ليلة

يوم الخميس السابع من جميلالاخر بعد مضي اربع وتسعين سنة بعد الالف

من الهجرة النبوية ويتلوه تفسير سورة

الانعام في الربع الثالث

والحمد لله اولاً وآخراً



تقريظ العلّامة الفيلسوف جمال الدين محمّد الخوانساري، بخطّه

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ العلاّمة الأكبر المولى محمّد باقر المجلسي، بخطّه.

ربّ يسّر وتمّم بالخير[1]

بسم الله الرحمن الرحيم[2]

مقدّمة المؤلّف

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وجعله للنّاس بشيراً ونذيراً، وبيّن فيه لأُولى الألباب بيّنات، وجعله تبيان كلّ شيء وسراجاً منيراً، أنزله بالحقّ مصدّقاً لما بين يديه من الكتب، وأنطقه بالصدق لما يعول عليه من السرب. يقضي له بصفة القدم كلّ شيء بجوهر ذاته، يقضي إلى الحكم بسرمديّته حدوث معلولاته وسماته، فيا له من حكيم بما له من قدرته في كلّ ما دبّر وأتقن من أفعاله، أبت حكمته أن يرضى لخلقه السوء والفحشاء، وارتفعت قدرته أن يجرى في ملكه إلّا ما شاء.

والصلاة والسلام والتحيّة من كلّ الأنام على خير الأنبياء ونيّر الأصفياء، المدعو بحبيب الله في الأرض والسماء، محمّد المصطفى على البرية بالخلق والفضايل المرضية، المبعوث بكتاب أزعج بفصاحته مصاقع الخطباء، وأبكم ببلاغته شقاشق البلغاء، وعلى الأئمّة الهادين من عترته الراشدين، صلاة تامة دائمة توازي غناءهم وتجازي عناءهم وسلّم تسليماً كثيراً كثيراً.

أمّا بعد: فيقول الفقير إلى رحمة ربّه الغني؛ **ميرزا محمّد المشهدي ابن محمّد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي:**

---

١. في ج: ربّ يسّر ولا تعسّر.

٢. في ج: إضافة: وبه نستعين.

إنّ أولى ما صرفت في تحصيله كنوز الأعمار، وأنفقت في نيله المهج والأفكار علم التفسير، الذي لايتمّ لتعاطيه وإجالة النظر فيه إلّا من فاق في العلوم الدينية كلّها والصناعات الأدبية بأنواعها.

وقد كنت فيما مضى، قد رقمت تعليقات على التفسير المشهور للعلّامة الزمخشري، وأجلت النظر فيه. ثمّ على الحاشية للعلّامة النحرير والفاضل المهرير الشيخ الكاملي؛ بهاء الدّين العاملي. ثمّ سنح لي أن أؤلّف تفسيراً يحتوي على دقائق أسرار التنزيل ونكات أبكار التأويل، مع نقل ما روي في التفسير والتأويل، عن الائمة الأطهار والهداة الأبرار، إلّا أنّ قصور بضاعتي يمنعني عن الإقدام، ويثبّطني عن الانتصاب في هذا المقام، حتى وفّقني ربّي للشروع في ما قصدته، والإتيان بما أردته. ومن نيتي أن أسمّيه بعد تمامه **بكنز الدقائق وبحر الغرائب**، ليطابق اسمه ما احتواه، ولفظه معناه.

فرات بن إبراهيم الكوفيّ، أستاذ المحدّثين في زمانه، قائل في تفسيره[١]: حدثنا أحمد بن موسى، قال: حدثني الحسن بن ثابت، قال: حدثني أبي، عن شعبة بن الحجّاج، عن الحكم، عن ابن عبّاس رضي الله عنه[٢] قال: أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد[٣] عليّ عليه السلام فقال: إنّ القرآن أربع[٤] أرباع: ربع فينا أهل البيت خاصة، وربع في أعدائنا، وربع حلال وحرام، وربع فرائض وأحكام، وأنزل[٥] لنا كرائم القرآن.

وقال[٦] أيضاً: حدثنا أحمد بن [موسى، قال: حدثنا] الحسن[٧] بن إسماعيل بن صبيح، والحسن بن عليّ بن الحسن بن عبيدة بن عقبة[٨] بن نزار بن سالم السلولي، قالا: حدثنا محمّد بن الحسن بن مطهرة، قال: حدثنا صالح؛ يعني: ابن الأسود، عن

---

١. تفسير فرات، ٤٨.

٢. إلى هنا ليس في أ.

٣. النسخ: يد، والمثبت من المصدر.

٤. المصدر: أربعة.

٥. ليس في المصدر.

٦. تفسير فرات، ٤٨.

٧. النسخ: حدثنا أحمد بن الحسن.

٨. المصدر: عتبة.

جميل بن عبدالله النخعي، عن زكريا بن ميسرة، عن الأصبغ بن نباتة، قال: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أنزل[١] القرآن أربع أرباع: فربع فينا، وربع في أعدائنا[٢]، وربع سنن و[٣] أمثال، وربع فرائض وأحكام، ولنا كرائم القرآن.

وقال[٤] أيضاً: حدثنا أبوالخير مقداد بن علي الحجازي المدني، قال: حدثنا أبوالقاسم[٥] عبدالرحمن العلوي الحسيني، قال: حدثنا «الفاضل أستاذ المحدثين في زمانه؛ فرات بن إبراهيم الكوفي رحمة الله عليه قال: حدثني»[٦] محمّد بن سعيد بن وخيم[٧] الهمداني ومحمّد بن عيسى بن زكريا، قالا[٨]: حدثنا عبدالرحمن بن سراج، قال: حدثنا حماد بن أعين، عن الحسن[٩] بن عبدالرحمن، عن الأصبغ بن نباتة، عن أميرالمؤمنين[١٠] عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام قال: القرآن أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في أعدائنا[١١]، وربع فرائض وأحكام، وربع حلال وحرام، ولنا كرائم القرآن.

واعلم أنّ للقرآن بطناً وللبطن بطن، وله ظهر، وللظهر ظهر. فإذا جاءك عنهم صلوات الله عليهم شيء وله باطن، فلا تنكره، لأنّهم أعلم به.

يدلّ على هذا، مارواه صاحب شرح الآيات الباهرة[١٢]: عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن الفضل[١٣]، عن شريس، عن جابر بن يزيد، قال: سألت أباجعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن، فأجابني. ثمّ سألته ثانية، فأجابني بجواب آخر.

فقلت: جعلت فداك، أجبتني[١٤] في هذه المسألة بجواب غير هذا؟!

فقال لي: يا جابر! إنّ للقرآن بطناً. وللبطن بطن، وله ظهر وللظهر ظهر. وليس شيء

---

١. المصدر: نزل.
٢. المصدر: عدونا.
٣. ليس في المصدر.
٤. تفسير فرات، ٤٧.
٥. في ج: و. والأظهر أنّها زائدة.
٦. لا يوجد في المصدر.
٧. المصدر: رحيم.
٨. النسخ: قال.
٩. المصدر: الحسين.
١٠. المصدر: علي أميرالمؤمنين.
١١. المصدر: عدونا.
١٢. تأويل الآيات الباهرة، ٢/٩.
١٣. المصدر: الفضيل.
١٤. المصدر: كنت أجبتني.

أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن. وإنّ الآية ينزل أوّلها في شيء وآخرها في شيء، وهو كلام متصل، يتصرّف عن[١] وجوه.

ويؤيّده: مارواه[٢] عن الشيخ أبي جعفر الطوسي، بإسناده إلى الفضل بن شاذان، عن داود بن كثير، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام أنتم الصلاة في كتاب الله عزّ وجلّ؟ وأنتم الزكاة؟ [وأنتم الصيام؟][٣] وأنتم الحج؟

فقال: يا داود! نحن الصلاة في كتاب الله عزّ وجلّ. ونحن الزكاة. ونحن الصيام. ونحن الحج. «ونحن الشهر الحرام»[٤]. ونحن البلد الحرام. ونحن كعبة الله. ونحن قبلة الله. ونحن وجه الله. قال الله تعالى: «فأينما تولّوا فثمّ وجه الله»[٥]. ونحن الآيات. ونحن البينات. وعدونا في كتاب الله الفحشاء والمنكر والبغي والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والأصنام والأوثان والجبت والطاغوت والميتة والدم ولحم الخنزير.

يا داود! إنّ الله خلقنا، فأكرم خلقنا، وفضّلنا، وجعلنا أمناءه وحفظته وخزّانه على ما في السماوات وما في الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءً، فسمّانا في كتابه، وكنى عن[٦] أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبّها إليه، تكنية عن العدد. وسمّى أضدادنا وأعداءنا في كتابه. وكنى عن أسمائهم، وضرب لهم الأمثال[٧] في كتابه في أبغض الأشياء[٨] إليه وإلى عباده المتقين.

---

١. في ج: من. والمصدر: على.
٢. نفس المصدر، ٢/١.
٣. من المصدر.
٤. ليس في المصدر.
٥. البقرة / ١١٥.
٦. المصدر: في.
٧. المصدر: الأسماء مثال.
٨. المصدر وج: الأسماء.

سورة

فاتحة الكتاب

سورة فاتحة الكتاب

في مجمع البيان[1]: روى جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه، عن النبي ﷺ [أنّه قال][2]: لمّا أراد الله ﷻ أن ينزل فاتحة الكتاب وآية الكرسي، وشهد الله، وقل اللّهمّ مالك الملك ـ إلى قوله ـ بغير حساب، تعلّقن بالعرش ـ وليس بينهن وبين الله حجاب ـ وقلن: يا ربّ! تهبطنا إلى دار الذنوب وإلى من يعصيك، ونحن معلّقات بالطهور والقدس؟[3]

فقال: وعزتي وجلالي! ما من عبد قرأكنّ في دبر كلّ صلاة[4]، إلّا أسكنته حظيرة القدس على ماكان فيه. ونظرت إليه[5] بعيني المكنونة، في كلّ يوم سبعين نظرة. وإلّا قضيت له في كلّ يوم سبعين حاجة، أدناها المغفرة. وإلّا أعذته من كلّ عدوّ ونصرته عليه. ولا يمنعه من دخول الجنّة إلّا الموت[6].

وفي كتاب ثواب الأعمال[7] بإسناده: قال أبو عبدالله عليه السلام: اسم الله الأعظم مقطّع في أمّ الكتاب.

وفي كتاب الخصال[8]: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: رنّ إبليس أربع رنات: أوّلهنّ يوم لعن، وحين أهبط إلى الأرض، وحين بُعث محمّد ﷺ على حين فترة من الرسل، وحين أُنزلت أمّ الكتاب.

---

١. مجمع البيان، ١/٤٢٦.
٢. من المصدر.
٣. المصدر: بالعرش.
٤. المصدر: صلاة مكتوبة.
٥. المصدر: وإلّا نظرت اليه.
٦. المصدر: أن يموت.
٧. ثواب الأعمال، ١٣٢.
٨. الخصال ٢٦٣، ح ١٤١ وله تتمة.

وعن الحسن بن علي عليه السلام في حديث طويل[١]، قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله أعلمهم عن أشياء، فكان فيما سأله: أخبرنا عن سبع خصال أعطاك الله من بين النبيّين، وأعطى أمّتك من بين الأمم. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أعطاني الله فاتحة الكتاب.

إلى قوله: صدقت يا محمّد! فما جزاء من قرأ فاتحة الكتاب؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قرأ فاتحة الكتاب، أعطاه الله تعالى بعدد كل آية نزلت من السماء ثواب تلاوتها.

وعن جابر، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث طويل[٢]، يقول فيه عليه السلام حاكياً عن الله تعالى: وأعطيت أمّتك كنزاً من كنوز عرشي؛ فاتحة الكتاب.

وفي أصول الكافي[٣]: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد ابن إسماعيل بن بزيع، عن عبدالله بن الفضل النوفلي ـ رفعه ـ قال: ما قرأت الحمد على وجع سبعين مرة، إلّا سكن.

محمّد بن يحيى[٤]، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن سلمة بن محرز، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من لم يبرئه الحمد، لم يبرئه شيء.

عليّ بن ابراهيم[٥]، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لو قرأت الحمد على ميّت سبعين مرة، ثمّ رُدّت فيه الروح، ما كان عجباً[٦].

وفي عيون الأخبار[٧]: حدثنا محمّد بن القاسم المفسّر المعروف بأبي الحسن الجرجاني رضي الله عنه قال: حدثنا يوسف بن محمّد بن زياد وعليّ بن محمّد بن سيار، عن أبويهما، عن الحسن بن علي، عن أبيه عليّ بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه

---

١. نفس المصدر ٣٥٥، ضمن ح ٣٦.
٢. نفس المصدر ٤٢٥ـ٤٢٦ ضمن ح ١.
٣. الكافي ٦٢٣/٢، ح ١٥.
٤. نفس المصدر ٦٢٦/٢، ح ٢٢.
٥. نفس المصدر ٦٢٣/٢، ح ١٦.
٦. المصدر: ذلك عجباً.
٧. عيون الأخبار ٣٠١/١ـ٣٠٢. مع اختصار في السند واسقاط في صدر الحديث.

الرضا، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام أنّه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الله تبارك وتعالى قال لي: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم»[١] فأفرد عليّ الامتنان[٢] بفاتحة الكتاب، وجعلها بإزاء القرآن العظيم. وإنّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش. وإنّ الله عزّ وجلّ خصّ[٣] محمّداً وشرّفه بها، ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه، ما خلا سليمان عليه السلام فإنّه أعطاه منها «بسم الله الرحمن الرحيم». ألا ترى[٤] يحكي عن بلقيس حين قالت: «(إنّي)[٥] ألقي إليّ كتاب كريم. إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم»؟[٦]

ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمّد صلّى الله عليه وآله الطيبين [وعليّ]، منقاداً لأمرهما[٧]، مؤمناً بظاهرهما وباطنهما، أعطاه الله تعالى بكل حرف منها حسنة، كلّ واحدة منها أفضل له من الدنيا وما فيها، من أصناف أموالها وخيراتها. ومن استمع إلى قارئ يقرأها، كان له قدر[٨] ما للقارئ. فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرض لكم، فإنّه غنيمة لايذهبنّ أوانه. (فيبقى في قلوبكم)[٩] الحسرة.

وفي تفسير الإمام أبي محمّد الحسن العسكري[١٠] عليه وعلى آبائه السلام قال: ألا فمن قرأها ـ إلى آخر ما نقلنا عن العيون ـ بأدنى تغيير.

وفي تفسير العياشي[١١]: عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزه البطائني، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: اسم الله الأعظم مقطّع في أمّ الكتاب.

عن محمّد بن سنان[١٢]، عن أبي الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: قال لأبي حنيفة: ما سورة أولها تحميد وأوسطها إخلاص وآخرها دعاء؟

---

١. الحجر / ٨٧.
٢. المصدر: الامتنان على.
٣. ر: شرف.
٤. «ألا ترى» ليست في المصدر.
٥. ليس في المصدر.
٦. النمل / ٣٠.
٧. المصدر: لأمرها.
٨. المصدر: بقدر.
٩. المصدر: فيبقى قلوبكم في.
١٠. تفسير العسكري عليه السلام، ٢٩؛ تأويل الآيات، ٢٣/١.
١١. تفسير العياشي، ١٩/٢.
١٢. تفسير العياشي، ١٩/١.

فبقي متحيّراً، ثمّ قال: لا أدري!

فقال أبو عبدالله عليه السلام: السورة التي أولها تحميد وأوسطها إخلاص وآخرها دعاء. سورة الحمد.

عن اسماعيل بن أبان[١]، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجابر بن عبدالله: يا جابر! ألا أعلّمك أفضل سورة أنزلها الله[٢] في كتابه؟

قال: فقال جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله[٣]! علّمنيها.

قال: فعلّمه الحمد لله أم الكتاب.

قال: ثمّ قال[٤]: يا جابر! ألا أخبرك عنها؟

قال: بلى بأبي أنت وأمي فأخبرني.

قال: هي شفاء من كل داء إلّا السام. يعني: الموت.

عن أبي‌بكر الحضرمي، [قال:][٥] قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا كانت لك حاجة فاقرأ المثاني وسورة أخرى، وصلِّ ركعتين، وادع الله.

قلت: أصلحك الله، وما المثاني؟

قال: فاتحة الكتاب[٦].

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ (١) ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢): مكية قيل[٧]، ومدنية أيضاً. لأنّها نزلت بمكّة حين فُرضت الصلاة، وبالمدينة لمّا حُوّلت القبلة إليها[٨].

سبع آيات بالاتفاق.

إلّا أنّ بعضهم عدّ «بسم الله الرحمن الرحيم» آية، دون «أنعمت عليهم»، وهم

---

١. نفس المصدر، ٢٠/١.

٢. في ج: الله تعالى.

٣. في ج: يا رسول الله صلى الله عليه وآله.

٤. المصدر: قال له.

٥. من المصدر.

٦. تفسير العياشي، ٢١/١.

٧. أنوار التنزيل ٥/١.

٨. مجمع البيان، ١٨/١؛ أنوار التنزيل، ٥/١. وفي مجمع البيان الجزء الأوّل صفحة ٣٥: مكّية عن ابن عباس وقتادة، ومدنية عن مجاهد.

الإماميّة وقرّاء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي.

ومنهم من عكس، وعليه قرّاء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والأوزاعي.

واستدلّت الإمامية بما روي في تفسير أبي محمّد العسكري عليه السلام[١] عنه، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ «بسم الله الرحمن الرحيم»، آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات، تمامها ببسم الله الرحمن الرحيم[٢].

وفي تفسير العياشي[٣]: عن يونس بن عبدالرحمن، عمّن رفعه، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم»؟ قال: هي سورة الحمد، وهي سبع آيات، منها «بسم الله الرحمن الرحيم». وإنّما سُمّيت «المثاني»، لأنّها تثنّى في الركعتين.

وعن أبي حمزة[٤]، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سرقوا أكرم آية في كتاب الله: «بسم الله الرحمن الرحيم».

وفي تهذيب الأحكام[٥]: محمّد بن عليّ بن محبوب، عن العبّاس، عن محمّد ابن[٦] أبي أيوب، عن محمّد بن مسلم، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن «السبع المثاني والقرآن العظيم»[٧]، هي الفاتحة؟

قال: نعم.

قلت: «بسم الله الرحمن الرحيم» من السبع المثاني[٨]؟

قال: نعم، هي أفضلهنّ.

---

١. تفسير العسكري عليه السلام، ٢٩.

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: بسم الله الرحمن الرحيم.

٣. تفسير العياشي، ١٩/١.

٤. تفسير العياشي، ١٩/١.

٥. تهذيب الأحكام ٢٨٩/٢، ح ١١٥٧.

٦. في ج: أبي عمير، عن.

٧. الحجر /٨٧.

٨. ليس في المصدر.

وفي عيون الأخبار[١] ـ بإسناده إلى أميرالمؤمنين عليه السلام [في] حديث طويل، وفيه: قيل لأميرالمؤمنين عليه السلام: يا أميرالمؤمنين! أخبرنا عن «بسم الله الرحمن الرحيم»، أهي آية من فاتحة الكتاب؟

فقال: نعم. كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأها، ويعدّها آية منها، ويقول: فاتحة الكتاب هي السبع المثاني.

وبإسناده[٢]: عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن عليّ عليه السلام أنّه قال: إنّ «بسم الله الرحمن الرحيم»، آية من فاتحة الكتاب. وهي سبع آيات، تمامها «بسم الله الرحمن الرحيم».

وفيه[٣] عن الرضا عليه السلام قال: والإجهار بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» في جميع الصلوات سنّة.

وعن الرضا عليه السلام[٤] أنّه كان يجهر بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» في جميع صلواته بالليل والنهار.

وفي الكافي[٥]: عليّ بن ابراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن معاوية بن عمار، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام إذا قمت للصلاة، أقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» في فاتحة الكتاب؟[٦]

قال: نعم.

قلت: فإذا قرأت فاتحة الكتاب، أقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» مع السورة؟

قال: نعم.

محمّد بن يحيى[٧]، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن مهزيار، عن يحيى ابن أبي عمران الهمداني، قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك. ما تقول في رجل ابتدأ

---

١. عيون الأخبار، ٣٠١/١، ذيل ح ٥٩.
٢. نفس المصدر ٣٠٣/١، صدر ح ٦٠.
٣. نفس المصدر، ١٢٣/٢.
٤. نفس المصدر، ١٨٢/٢ ـ ١٨٣.
٥. الكافي ٣١٢/٣، ح ١.
٦. المصدر: فاتحة القرآن.
٧. نفس المصدر ٣١٣/٣، ح ٢.

بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» في صلاته وحده في أمّ الكتاب، فلمّا صار إلى غير أمّ الكتاب من السورة، تركها؟

فقال العبّاسيّ: ليس بذلك بأس!

فكتب بخطه: يعيدها مرّتين، على رغم أنفه. يعني: العبّاسي.

محمّد بن يحيى[١]، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمّد، عن صفوان الجمّال، قال: صلّيت خلف أبي عبدالله عليه السلام أيّاماً. فكان إذا كانت صلاة لا يجهر فيها، جهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم». وكان يجهر في السورتين، جميعاً.

وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[٢]: عن ابن أذينة، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم» أحقّ ما أجهر به. وهي الآية التي قال الله عزّ وجلّ: «وإذا ذكرت ربّك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً[٣]».

وفي مجمع البيان[٤]: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى منّ عليّ بفاتحة الكتاب من[٥] كنز الجنة، فيها «بسم الله الرحمن الرحيم» الآية التي يقول الله (تعالى)[٦]: «وإذا ذكرت ربّك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً»[٧].

وفي تفسير العيّاشي[٨]: عن أبي بصير[٩]، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم». ويرفع بها صوته. فإذا سمعها المشركون ولّوا مدبرين. فأنزل الله: «وإذا ذكرت ربّك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً»[١٠].

---

١. نفس المصدر ٣١٥/٣، ح ٢٠.
٢. تفسير القمي، ٢٨/١.
٣. الإسراء/ ٤٦.
٤. مجمع البيان، ٣١/١.
٥. النسخ: فيها من.
٦. المصدر: الله فيها.
٧. الإسراء/ ٤٦.
٨. تفسير العياشي، ٢٠/١، ح ٦.
٩. المصدر: أبي حمزة.
١٠. الإسراء/ ٤٦.

وفيه[١]: عن عيسى بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه، عن علي عليه السلام قال: إنّ أناساً ينزعون «بسم الله الرحمن الرحيم»! فقال: هي آية من كتاب الله، أنساهم إيّاها الشيطان.

عن خالد بن المختار[٢]، قال: سمعت جعفر بن محمّد عليهما السلام يقول: ما لهم قاتلهم الله[٣] عمدوا[٤] إلى أعظم آية في كتاب الله، فزعموا أنّها بدعة إذا أظهروها، وهي «بسم الله الرحمن الرحيم».

وفي كتاب الخصال[٥]: عن الأعمش، عن جعفر بن محمّد عليهما السلام أنّه قال: والإجهار بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة واجب.

واعلم: أنّ بعض تلك الأخبار يدلّ على أنّها آية، وبعضها يؤيده.

وأمّا فضلها:

ففي تفسير العياشي[٦]: عن صفوان الجمّال، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ما أنزل الله من السماء كتاباً إلّا وفاتحته «بسم الله الرحمن الرحيم»، وإنّما كان يعرف انقضاء السورة بنزول «بسم الله الرحمن الرحيم» ابتداءً للأخرى.

وفي الكافي[٧]: محمّد بن يحيى، عن عليّ بن الحسين بن علي، عن عباد بن يعقوب، عن عمرو بن مصعب، عن فرات بن أحنف[٨]، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: أول كلّ كتاب نزل من السماء «بسم الله الرحمن الرحيم»، فإذا قرأت «بسم الله الرحمن الرحيم» فلا تبال ألّا[٩] تستعيذ. وإذا قرأت «بسم الله الرحمن الرحيم» سترتك فيما بين السماء والأرض.

---

١. تفسير العياشي ٢١/١، ح ١٢.
٢. تفسير العياشي ٢١/١، ح ١٦.
٣. ليس في المصدر.
٤. في النسخ: وعمدوا.
٥. الخصال ٦٠٤، ضمن ح ٩.
٦. تفسير العياشي ١٩/١، ح ٥.
٧. الكافي ٣١٣/٣، ح ٣.
٨. المصدر وج: أخنف.
٩. المصدر: فلا تبالي ألّا.

ويمكن الجمع بين هذين الخبرين وخبر سليمان السابق، أنّ غير سليمان أُعطي البسملة بغير العربية، وسليمان أعطيها بالعربية.

وفي أصول الكافي[١]: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عمر بن عبدالعزيز، عن جميل بن دراج، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: لا تدع «بسم الله الرحمن الرحيم» وإن كان بعده شعر.

عدة من أصحابنا[٢] عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن محمّد بن عليّ، عن الحسن ابن عليّ، عن يوسف بن عبدالسلام، عن سيف بن هارون مولى آل جعدة، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: أُكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» من أجود كتابك، ولا تمدّ الباء حتّى ترفع السين[٣].

عنه[٤] عن عليّ بن الحكم، عن الحسن بن السري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: [لا[٥]] تكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» لفلان. ولا بأس أن تكتب على ظهر الكتاب لفلان.

عدة من أصحابنا[٦]، عن سهل بن زياد، عن ادريس الحارثي[٧]، عن محمّد بن سنان، عن المفضل[٨] بن عمر، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: احتجبوا[٩] من الناس كلّهم بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» وبـ «قل هو الله أحد»، اقرأها عن يمينك، وعن شمالك، ومن بين يديك، ومن خلفك، ومن فوقك، ومن تحتك. وإذا دخلت على سلطان جائر، فاقرأها حين تنظر إليه ثلاث مرات، واعقد بيدك اليسرى. ثمّ لا تفارقها حتّى تخرج من عنده.

---

١. الكافي ٦٧٢/٢، ح ١.
٢. نفس المصدر ٦٧٢/٢، ح ٢.
٣. قال الفيض رحمه الله في الوافي: ولا تمدّ الباء؛ يعني: إلى الميم، كما وقع التصريح به في حديث أميرالمؤمنين عليه السلام، ورفع السين تضرّ به. (انتهى)
وقيل: استحباب رفع السين قبل مدّ الباء يحتمل اختصاصه بالخطّ الكوفيّ.
٤. نفس المصدر ٦٧٢/٢، ح ٣.
٥. يوجد في ج. وهو الصحيح.
٦. نفس المصدر ٦٢٤/٢، ح ٢٠.
٧. في ج: عن الحارث.
٨. في ج: الفضل.
٩. نفس المصدر: يا مفضل، احتجز.

وفي كتاب التوحيد[١] بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من حزنه أمر يتعاطاه[٢] فقال «بسم الله الرحمن الرحيم» وهو يخلص[٣] لله ويقبل بقلبه إليه، لم ينفك من احدى اثنين: إمّا بلوغ حاجته في الدنيا، وإمّا يعدّ له عند ربّه، ويدّخر لديه. وما عند الله خير وأبقىٰ للمؤمنين.

وفيه[٤] عن الصادق عليه السلام حديث طويل، وفيه: ولربّما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره «بسم الله الرحمن الرحيم». فيمتحنه الله عزّ وجلّ بمكروه لينبّهه على شكر الله تبارك وتعالى والثناء عليه، ويمحق عنه وصمة[٥] تقصيره عند تركه قول «بسم الله الرحمن الرحيم».

وفي تهذيب الأحكام[٦]: محمّد بن عليّ بن محبوب، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن حماد بن زيد، عن عبدالله بن يحيى الكاهلي، عن أبي عبدالله، عن أبيه عليهما السلام قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها.

وفي مهج الدعوات[٧]: بإسناده إلى محمّد بن الحسن الصفّار، من كتاب فضل الدعاء، بإسناده إلى معاوية بن عمار، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» اسم الله الأكبر. أو قال: الأعظم.

وبرواية ابن‌عبّاس[٨]: قال صلى الله عليه وآله: «بسم الله الرحمن الرحيم» اسم من أسماء الله الأكبر. وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلّا كما بين سواد العين وبياضها.

وفي عيون الأخبار[٩]: بإسناده إلى محمّد بن سنان، عن الرضا[١٠] عليه السلام قال: إنّ «بسم الله الرحمن الرحيم» أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها.

---

١. التوحيد ٢٣٣، ذيل ح ٥.
٢. المصدر: تعاطاه.
٣. المصدر: مخلص.
٤. نفس المصدر ٢٣١، ضمن ح ٥.
٥. محق الشيء: أبطله ومحاه، والوصمته: العار والعيب.
٦. تهذيب الأحكام ٢/٢٨٩، ح ١١٥٩.
٧. مهج الدعوات، ٣١٦.
٨. مهج الدعوات، ٣١٩.
٩. عيون الأخبار، ٢/٥.
١٠. المصدر: الرضا عليّ بن موسى.

وفي كتاب علل الشرائع[١]: بإسناده إلى الصادق عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام بعد أن حكى عن النبي صلى الله عليه وآله ما رأى إذ عرج[٢] به وعلّة الأذان والافتتاح: فلمّا فرغ من التكبير والافتتاح قال الله عزّ وجلّ: الآن وصلت إليّ، فسمّ باسمي!

فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم.»

فمن ذلك جعل «بسم الله الرحمن الرحيم» في أوّل السورة[٣].

ثمّ قال له: احمدني.

فقال: «الحمد لله ربّ العالمين».

وقال النبي صلى الله عليه وآله في نفسه: شكراً.

فقال الله: يا محمّد! قطعت حمدي. فسمّ باسمي.

فمن [أجل][٤] ذلك جُعل في «الحمد لله»، «الرحمن الرحيم» مرّتين.

فلمّا بلغ «ولا الضالّين»، قال النبي صلى الله عليه وآله: «الحمد لله ربّ العالمين» شكراً.

فقال العزيز الجبّار: قطعت ذكري. فسمّ باسمي.

[فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم»][٥].

فمن [أجل][٦] ذلك جُعل «بسم الله الرحمن الرحيم»، بعد الحمد، في استقبال السورة الأخرى.

وفي تفسير العياشي[٧] قال الحسن بن خرزاد: وروي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا أمّ الرجل القوم، جاء شيطان إلى الشيطان الذي هو قريب الإمام، فيقول: هل ذكر الله؟ يعني: [هل][٨] قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ فإن قال: نعم. هرب منه، وإن قال: لا.

---

١. علل الشرائع، ٣١٥.
٢. في ج: أعرج.
٣. المصدر: كلّ سورة.
٤. من المصدر.
٥. من المصدر.
٦. من المصدر.
٧. تفسير العياشي، ٢٠/١.
٨. من المصدر.

ركب عنق الإمام، ودلّىٰ رجليه في صدره. فلم يزل الشيطان أمام القوم حتّى يفرغوا من صلاتهم.

وفي الكافي[١]: عليّ بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير ومحمّد بن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير وصفوان بن يحيى ـ جميعاً ـ عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: فإذا جعلت رجلك في الركاب فقل: «بسم الله الرحمن الرحيم» بسم الله، والله أكبر.

﴿بِسْمِ اللهِ﴾: «الباء» متعلّقة بمحذوف. تقديره: بسم الله أقرأ، لأنّ الذي يتلوه مقروء. وكذلك يضمر كلّ فاعل ما يجعل التسمية مبدءاً له، دون «أبدأ» لعدم ما يطابقه، أو «ابتدائي» لزيادة إضمار فيه.

وتقديم المفعول هنا، كما في «بسم الله مجريها ومرسيها»[٢]، لأنّه أهمّ. لكونه أدلّ على الاختصاص، وأدخل في التعظيم، وأوفق للوجود[٣].

فإنّ اسمه تعالى متقدّم على القراءة، من حيث أنّه جعل آلة لها، من أجل أنّ الفعل لايتمّ ولايعتدّ به شرعاً ما لم يصدر باسمه تعالى[٤].

«فالباء» للاستعانة.

وقيل[٥]: للمصاحبة. والمعنى: متبرّكاً باسم الله أقرأ.

وهو أحسن[٦] لرعاية الأدب. ولم يزد في هذا المقام على هذين الاحتمالين.

وهذا وما بعده مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يُتبرَّك باسمه، ويُحمَد على نعمه.

---

١. الكافي ٢٨٥/٤، ضمن ح ٢.
٢. هود / ٤١.
٣. في أنوار التنزيل ٥/١: وتقديم المفعول هاهنا أوقع: كما في قوله: «بسم الله مجراها» وقوله: «إيّاك نعبد» لأنّه أهمّ وأدلّ ... الخ (وهو أظهر).
٤. أنوار التنزيل، ٥/١.
٥. نفس المصدر.
٦. في ج: وهو حسن.

ويحتمل أنّه تعالى صدّر كتابه به للإشعار بأنّ التصدير به في كلّ فعل وتأليف أمر واجب، وإن كان مؤلفه هو الله سبحانه.

والتعبير بلفظ الغائب للتعظيم؛ كقول بعض الخلفاء: الأمير بأمرك بكذا.

وكسر الباء ولام الأمر ولام الإضافة، داخلاً على المظهر. وحق الحروف المفردة الفتح لاختصاصها بلزوم الجرّ والامتياز عن لام الابتداء. وإنّما كان حقها ذلك؛ لأنّه أخت السكون في الخفّة.

و«الاسم»: عند أهل البصرة من الأسماء المحذوفة الأعجاز لكثرة الاستعمال المبنيّة أوائلها على السكون. وهي عشرة: اسم واست وابن وابنة وابنم واثنان، واثنتان وامرؤ وامرأة وأيمن في القسم عند البصرية، أدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل، لأنّ من دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن.

ومنهم: من ابتدأ بتحريك الساكن، فقال: سم وسم. فقال: «بسم» الذي في كلّ سورة، سمه. واشتقاقه من السموّ، لأنّه رفعة للمسمّى، وإشارة إليه. ويدلّ عليه تصريفه على أسماء وأسامي وسمي وسميت. ومجيء سمي كهدي. قال:

والله أسماك سمى مباركاً　　آثرك الله به تباركا

ومن المقلوبة الأوائل عند الكوفيين، أصله «وسم»، قلبت واوه همزة.

وقيل[1]: حذفت واوه، وعوضت عنها همزة الوصل ليقلّ إعلاله.

ورُدّ: بأنّ الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم.

ورُدّ: بأنّ كلمة «أنصر» قد حذفت منها التاء وأدخلت عليها الهمزة.

ورُدّ ذلك بأنّ غير المعهود ما حذف صدره، وأدخلت عليه الهمزة، وهو ليس كذلك.

---

١. أنوار التنزيل ٦/١.

وأجيب بكلمة «أكرم» فإنّه حذف الهمزة التي صدره، وأدخل عليه همزة المتكلّم. فتأمل!

والمراد منه اللفظ المغاير[١] للمسمّى، الغير المألف من الأصوات، المتحد باختلاف الأمم والأعصار. وإرادة المسمّى منه بعيد لعدم اشتهاره بهذا المعنى.

وقوله تعالى: «سبّح اسم ربّك الأعلى»[٢] المراد منه: تنزيه اللفظ. أو هو مقحم فيه كقوله:

إلى الحول ثمّ اسم السلام عليكما

قيل[٣]: [و][٤] رأي أبي الحسن الأشعري أنّ المراد بالاسم: الصفة. وهي تنقسم عنده إلى ما هو نفس المسمّى، وإلى ما هو غيره، وإلى ما ليس هو ولا غيره.

قيل: وهو عند أهل الظاهر من الألفاظ.

فعلى هذا لا يصحّ قوله[٥]: الاسم عين المسمّى.

وعند الصوفية: عبارة عن ذات الحق، والوجود المطلق، إذا اعتبرت مع صفة معيّنة وتجلٍّ خاص. «فالرحمن» مثلاً هو[٦] الذات الإلهيّة مع صفة الرحمة. «والقهّار» مع صفة[٧] القهر.

فعلى هذا، الاسم عين المسمّى بحسب التحقّق والوجود، وإن كان غيره بحسب التعقّل. والأسماء الملفوظة هي أسماء هذه الأسامي.

وإضافته إلى «الله» ـ على التقديرين ـ لاميّة، والمراد به: بعض أفراده الذي من جملتها «الله» و«الرحمن الرحيم»[٨]. ويمكن أن يراد به هذه الأسماء بخصوصها، بقرينة التصريح بها.

---

١. من أوّل الكتاب إلى هنا ليس في نسخة أ.
٢. الأعلى / ١.
٣. أنوار التنزيل، ٦/١.
٤. من ج.
٥. في ج: قولهم.
٦. في غير نسخة ج من نسخنا: هو مع!
٧. في ج: مع صفة معيّنة.
٨. في ج: والرحيم.

ويحتمل أن تكون الإضافة بيانية. أمّا على التقدير الثاني، فظاهرة. وأمّا على الأول، فبأن يراد بالأسماء الثلاث أنفسها، لا معانيها. ويكون «الرحمن الرحيم» جاريين على الله على سبيل الحكاية عمّا أريد به من المعنى، والاستعانة والتبرّك بالألفاظ بإجرائها على اللسان وإخطار معانيها بالبال، وبالمعاني بإخطارها بالبال وإجراء أساميها على اللسان.

وأقحم الاسم لكون التبرّك والاستعانة باسمه، والفرق بين اليمين والتيمّن. ولم يكتب الألف لكثرة الاستعمال، وتطويل الباء عوض عنه.

و«الله» أصله: «الإله» فحذفت الهمزة وعوضت عنها حرف التعريف. ولذلك قيل: يا الله ـ بالقطع ـ عَلَم للذات[1] الواجب المستحقّ لجميع المحامد.

وقد يستعمل في المعبود بالحق، مجازاً.

والدليل على الأوّل: أنّ كلمة «لا إله إلّا الله» تفيد التوحيد، من غير اعتبار عهد وغلبة ضرورة، وبالاتفاق من الثقات. فلو لم يكن علماً لم يكن مفيداً. وهو الظاهر[2].

وعلى الثاني: قوله تعالى: «وهو الله في السماوات».

قيل: لو لم يكن علماً، فالمراد بكلمة «إله» الواقعة اسم «لا»: إمّا مطلق المعبود، فيلزم الكذب. أو المعبود بالحق، فيلزم استثناء الشيء عن نفسه.

ورُدَ بأنّ المراد: المعبود بالحق، ولا يلزم استثناء الشيء عنه؛ لأنّ كلمة «الله» صارت بالغلبة مختصّة بفرد من مفهومها.

وقيل[3]: لأنّه يوصف ولا يوصف به. ولأنّه لابدّ له من اسم يجري عليه صفاته، ولا يصلح له ممّا يطلق عليه سواه.

ورُدّ بأنّه يمكن أن يقال: إنّه كان في الأصل وصفاً، لكنّه لما غلب عليه بحيث

---

١. في ج: بالذّات.

٢. في ج: ظاهر.

٣. أنوار التنزيل، ٦/١.

لا يستعمل في غيره، وصار كالعلم مثل: الثريا والصعق، أجري مجراه في إجراء الوصف عليه.

واستدلّ الذاهبون إلى أنّه كان في الأصل وصفاً فغلّب، بأنّ ذاته ـ من حيث هو ـ بلا اعتبار أمر حقيقي أو غيره، غير معقول للبشر. فلايمكن أن يدلّ عليه بلفظ، وبأنّه لو دلّ على مجرّد ذاته المخصوصة، لما أفاد ظاهر قوله تعالى: «وهو الله في السماوات»[1] معنى صحيحاً. وبأنّ معنى الاشتقاق هو كون أحد اللفظين مشاركاً للآخر في المعنى والتركيب، وهو حاصل بينه وبين بعض الألفاظ.

والجواب عن الأول: أنّه يكفي في الوضع ملاحظة الذات المخصوصة[2] بوجه، أو هو[3] معقول للبشر.

وعن الثاني: بأنّا قد بيّنا أنّه قد يطلق على مفهوم المعبود، مجازاً.

وعن الثالث: بأنّ اشتقاقه من لفظ آخر لاينافي عَلَميّته، لجواز اشتقاق لفظ من لفظ، ثمّ وضعه لشيء مخصوص.

واشتقاقه من «أله» و«آلهة» و«ألوهة» و«ألوهية» بمعنى: «عبد» ومنه «تأله» و«استأله» فالإله: المعبود.

أو من أله: إذا تحيّر، إذ العقول تحيّر[4] في معرفته.

أو من ألهت «فلاناً»، أي: سكنت إليه. لأنّ القلوب تطمئنّ بذكره، والأرواح تسكن إلى معرفته.

أو من «أله»: إذا فزع من أمر نزل عليه.

أو «آلهه»: أجاره، إذ العابد[5] يفزع إليه[6]. أو هو يجيره حقيقة، أو بزعمه إذا أطلق

---

١. الأنعام/٣.
٢. في ج: المخصوص.
٣. في ج: و.
٤. في ج: تتحيّر.
٥. في ج: العائذ.
٦. في ج: عليه.

على غير[1] الله ؛ كإطلاقهم الإله على الصبح .

أو من « أله الفصيل » : إذا ولع[2] بأمّه ، إذ العباد يولعون بالتضرّع إليه في الشدائد .

أو من « وله » : إذا تحيّر وتـخبّط عـقله . وكـان أصـله « ولاه » فـقلبت الواو هـمزة . لاستثقال الكسرة عليها ، استثقال الضمة في وجوه . فقيل « أله » ، كأعاد وأشاح .

ويردّه الجمع على « آلهة » دون « أولهة . »

وقيل : أصله « لاه » مصدر « لاه ، يليه ، ليهاً ، ولاهاً » : إذا احتجب وارتفع[3] لأنّه تعالى محجوب عن إدراك الأبصار ، ومرتفع على كلّ شيء وعمّا لا يليق به . ويشهد له قول الشاعر :

كحلفة من أبي ربـاح　　يسمعها لاهه الكـبار

وقيل : أصله « لاها » بالسريانيّة . فعرّب بحذف الألف الأخيرة ، وإدخال اللّام عليه .

وقيل[4] : تفخيم لامه ، إذا انفتح ما قبله ، أو انضمّ ، سنّة .

وقيل : مطلقاً ، وحذف ألفه لحن يفسد به الصلاة ، ولاينعقد به صريح اليمين . وقد جاء لضرورة الشعر :

ألا لا بارك الله في سـهيل　　إذا ما بارك الله في الرجال

هذا أصله . ثمّ وضع علماً للذات المخصوصة[5] .

قيل : وهو اسم الله الاعظم ، لأنّه لايخرج بالتصرّف فيه ما أمكن عن معنى .

(وفى عيون الأخبار[6] ، حديث ذكرته في شرح « قل هو الله أحـد » وفـيه : قـلت : « الأحد الصمد » وقلت : لايشبه شيئاً . والله واحد ، والأنسان واحد . أليس قد تشابهت الوحدانية ؟

---

١ . ليس في أ .
٢ . في ج : أولع .
٣ . في ج : أو ارتفع .
٤ . في ج : قيل .
٥ . أنوار التنزيل ، ٦/١ .
٦ . عيون الأخبار ١٢٧/١ ، ح ٢٣ .

قال: يا فتح! أحلت ـ ثبّتك الله ـ إنّما التشبيه في المعاني، فأمّا في الأسماء فهي واحدة، وهي دلالة على المسمّىٰ.

وبإسناده[1] إلى محمّد بن سنان، قال: سألت الرضا عليه السلام عن الاسم، ما هو؟ قال: صفة لموصوف.

وبإسناده[2] إلى الحسن بن عليّ بن فضال، عن أبيه، قال: سألت الرضا عليه السلام عن «بسم الله»؟ قال: معنى قول القائل «بسم الله» أي: أَسِمُ على نفسي بسمة من سمات الله عزّ وجلّ وهي العبادة[3].

قلت له: ما السمة؟

قال: العلامة[4].

وفي كتاب التوحيد[5]: عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل، وقد سأله[6] بعض الزنادقة عن الله عزّ وجلّ وفيه: قال السائل: فما هو؟

قال: أبو عبدالله عليه السلام: هو الربّ، وهو المعبود، وهو الله. وليس قولي: «الله» إثبات هذه الحروف: أ، ل[7] ه. ولكن راجع[8] إلى معنى: هو[9] خالق الأشياء وصانعها، وقعت عليه هذه الحروف. وهو المعنى الذي سُمّي به «الله» و«الرحمن» و«الرحيم» و«العزيز» وأشباه ذلك من أسمائه، وهو المعبود جلّ وعزّ.

وبإسناده[10] إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال ـ وقد سئل ما الفائدة في حروف الهجاء ـ: ما من حرف إلّا وهو اسم من أسماء الله عزّ وجلّ.

---

١. نفس المصدر ٢٩/١، ح ٢٥.
٢. نفس المصدر ٢٦٠/١، ح ١٩.
٣. المصدر: العبودية.
٤. في ج: العلامة له.
٥. التوحيد ٢٤٥، ح ١.
٦. في ج: ألف، لام.
٧. في ج: سأل.
٨. المصدر: لكني أرجع.
٩. المصدر: هو شيء.
١٠. نفس المصدر ٢٣٥، ح ٢.

وبإسناده[١] إلى هشام بن الحكم أنّه سأل أبا عبدالله عليه السلام عن أسماء الله عزّ وجلّ واشتقاقها.

فقال: «الله» هو[٢] مشتقّ من «أله»، و«أله» يقتضي مألوهاً. والاسم غير المسمّى. فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً. ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد اثنين. ومن عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد. أفهمتَ يا هشام؟

قال: قلت: زدني.

قال: لله عزّ وجلّ تسعة وتسعون اسماً. فلو كان الاسم هو المسمّى، لكان كلّ اسم منها هو إلهاً، ولكن الله عزّ وجلّ معنى يدلّ عليه هذه الأسماء، وكلّها غيره.

يا هشام! الخبز اسم للمأكول. والماء اسم للمشروب. والثوب اسم للملبوس. والنار اسم للمحرق. أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتنافر به أعداءنا والملحدين في الله والمشركين مع الله عزّ وجلّ غيره؟

قلت: نعم.

قال: نفعك الله به وثبّتك، يا هشام.

قال هشام: فو الله، ما قهرني أحد في التوحيد [حينئذ][٣]، حتّى قمت مقامي هذا.

وبإسناده[٤] إلى عبدالأعلى، عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل، قال عليه السلام في آخره: والله يسمّى بأسمائه. وهو[٥] غير أسمائه. والأسماء غيره.

وفيه: واسم الله غير الله. وكلّ شيء وقع عليه اسم شيء، فهو مخلوق، ما خلا الله.

وبإسناده[٦] إلى الحسن بن راشد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: سألته عن معنى «الله»؟

قال: استولى على ما دقّ وجلّ.

---

١. نفس المصدر ٢٢١، ح ١٣.
٢. في ج: وهو.
٣. من المصدر.
٤. نفس المصدر، ١٤٣ـ١٤٢، ح ٧.
٥. المصدر: فهو.
٦. نفس المصدر ٢٣٠، ح ٤.

وفي كتاب معاني الأخبار[١]، بإسناده إلى أبي إسحاق الخزاعي، عن أبيه، قال: دخلت مع أبي عبدالله عليه السلام على بعض مواليه، يعود، فرأيت الرجل يكثر من قول: «آه»!

فقلت له: يا أخي! اذكر ربك، واستغث به.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ «آه» اسم من اسماء الله عزّ وجلّ، فمن قال «آه» فقد استغاث بالله تبارك وتعالى)[٢].

(وفي تهذيب الاحكام[٣]: محمّد بن عليّ بن محبوب، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن حماد بن زيد، عن عبدالله بن يحيى الكاهلي، عن أبي عبدالله، عن أبيه عليهما السلام قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها.

وفي مهج الدعوات[٤]: بإسنادنا إلى محمّد بن الحسن الصفّار، من كتاب فضل الدعاء بإسناده إلى معاوية بن عمار، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» من[٥] اسم الله الأكبر.

أو قال: الأعظم.

وبرواية ابن‌عبّاس[٦] قال صلى الله عليه وآله: «بسم الله الرحمن الرحيم» اسم من أسماء الله الأكبر. وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلّا كما بين سواد العين وبياضها)[٧].

﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾﴿٣﴾: صفتان للمبالغة. من «رحم» بالضمّ[٨]؛ كالغضبان من غضب. والعليم من علم، بعد نقله إلى فعل. وهي انعطاف[٩] للقلب. يصير سبب الإحسان. ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها.

---

١. معاني الأخبار ٣٥٤، ح ١.
٢. ما بين القوسين ليس في أ.
٣. تهذيب الأحكام ٢٨٩/٢، ح ١١٥٩؛ مجمع البيان ١٨/١؛ عيون الأخبار ٥/٢.
٤. مهج الدعوات، ٣١٧.
٥. ليس في المصدر.
٦. نفس المصدر، ٣١٩.
٧. ما بين القوسين من «ر» و«أ».
٨. ليس في ج.
٩. ر وج. وهي بالضم. والرحمة انعطاف ... الخ إلّا أنّ كلمة «هي» ليس في ج.

وأسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي الأفعال، دون المبادئ التي هي الانفعالات.

في نهج البلاغة[١]: رحيم لا يوصف بالرّقة.

وفي كتاب الأهليلجة[٢]: قال الصادق عليه السلام: إنّ الرحمة وما يحدث لنا، منها شفقة ومنها جود. وإنّ رحمة الله ثوابه لخلقه. والرحمة من العباد شيئان:

أحدهما: يحدث في القلب الرأفة والرقّة، لما يرى بالمرحوم من الضرر[٣] والحاجة وضروب البلاء.

والآخر: ما يحدث منّا بعد[٤] الرأفة واللطف على المرحوم. والرحمة[٥] منّا بما نزلت به.

وقد يقول القائل: انظر إلى رحمة فلان، وإنّما يريد الفعل الذي أحدث[٦] عن الرأفة[٧] التي في قلب فلان. وإنّما يضاف إلى الله عزّ وجلّ من فعل ما عنى[٨] من هذه الأشياء.

وأمّا المعنى الذي في[٩] القلب، فهو منفي عن الله، كما وصف عن نفسه، فهو رحيم، لا رحمة[١٠] رقّة.

وفي «الرحمن» من المبالغة، ما ليس في «الرحيم»؛ لأنّ زيادة البناء يكون لزيادة المعنى كما يكون للإلحاق والتزيين. ويكون ذلك باعتبار الكميّة، أو الكيفية.

فعلى الأوّل: يقال: رحمان الدنيا، لأنّه يعمّ المؤمن والكافر. ورحيم الآخرة، لأنّه يخصّ المؤمن.

---

١. نهج البلاغة، ط ١٧٩.
٢. بحار الأنوار، ٣/١٦٩.
٣. في ج: الضرّ.
٤. أ: يحدث منّا ما بعد الرأفة. المصدر: ما يحدث منّا من بعد الرأفة.
٥. في ج: والمعرفة.
٦. المصدر: حدث.
٧. المصدر: الرقة.
٨. أ: ما حدث بحال. المصدر: ما حدث عنا.
٩. المصدر: هو في.
١٠. أ: ليس للرحمة في.

وعلى الثاني: رحمان الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا، لأنّ النعم الأخروية كلّها جسام. وأمّا الدنيوية فجليلة وحقيرة.

و [إنّما][1] قُدِّم، والقياس يقتضي الترقّي من الأدنى إلى الأعلى[2]، لأنّه صار كالعلم، من حيث أنّه لايوصف به غيره.

أو، لأنّ «الرحمن» لمّا دلَّ على أصول النعم، ذكر «الرحيم» ليشمل ما يخرج منها، فيكون كالتتمّة له.

أو، للمحافظة على رؤوس الآي.

أو، لتقدّم نعم الدنيا.

أو، لما ذهب إليه الصوفية، من أنّ «الرحمة» هي الوجود.

فإن اعتبرت من حيث وحدتها وإطلاقها، نظراً إلى وحدتها[3]، اشتقّ منه «الرحمن»، وإن اعتبرت من حيث تخصّصها وتخصّصها باعتبار متعلّقاتها، اشتقّ منه «الرحيم».

ولا شكّ أنّ الحيثية الأولى متقدمة على الثانية، وهو غير منصرف، حملا على نظيره في بابه، وإن منع اختصاصه بالله، أن يكون له مؤنث على فعلى أو فعلانة.

(وفي مجمع البيان[4]: وروى أبوسعيد الخدري، عن النبيّ ﷺ: أنّ عيسى بن مريم قال: «الرحمن» رحمن الدنيا. و«الرحيم» رحيم الآخرة.

وروي عن الصادق عليه السلام[5]: «الرحمن» اسم خاصّ، بصفة عامّة. و«الرحيم» اسم عامّ، بصفة خاصّة.

وفي عيون الأخبار[6]، بإسناده: عن الرضا عليه السلام أنّه قال في دعائه: رحمان الدنيا

---

١. من تفسير البيضاوي ٧/١ ووجودها هو الصحيح.

٢. في أنوار التنزيل ٧/١: لتقدّم رحمة الدنيا و.

٣. في ج: محتدها.

٤. مجمع البيان، ٢١/١.

٥. في ج: أنّه قال.

٦. عيون الأخبار ١٦/٢، ح ٣٧.

والآخرة ورحيمهما. صلّ على محمّد وآل محمّد.

وفي شرح الآيات الباهرة: وذكر في تفسير الإمام الحسن العكسري عليه السلام[1] قال: وتفسير قوله عزّ وجلّ: «الرحمن» أنّ «الرحمن» مشتقّ من الرحمة.

وقال: قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قال الله تعالى: أنا الرحمن، وهي من[2] الرحم. شققت لها اسماً من اسمي، من وصلها وصلته، ومن قطعها بتتّه[3].

ثمّ قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ الرحم التي اشتقّها الله تعالى من اسمه[4] بقوله: «أنا الرحمن» هي رحم محمّد[5] صلى الله عليه وآله. وإنّ من إعظام الله إعظام محمّد صلى الله عليه وآله، وإنّ من إعظام محمّد صلى الله عليه وآله إعظام رحم محمّد. وإنّ كل مؤمن ومؤمنة من شيعتنا هو من رحم محمّد[6]. وإنّ إعظامهم من اعظام محمّد صلى الله عليه وآله. فالويل لمن استخفّ بشيء من حرمة رحم محمّد صلى الله عليه وآله[7]، وطوبى لمن عظّم حرمته، وأكرم رحمه، ووصلها.

وقال الإمام عليه السلام: وأمّا قوله: «الرحيم»، فإنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال: رحيم بعباده المؤمنين. ومن رحمته أنّه خلق مائة رحمة، وجعل منها رحمة واحدة في الخلق كلّهم، فبها تتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها[8]، وتحنّ الأمهات من الحيوان على أولادها. فإذا كان يوم القيامة، أضاف هذه الرحمة الواحدة[9] إلى تسع وتسعين رحمة، فيرحم بها أمّة محمّد صلى الله عليه وآله ثمّ يشفعهم فيمن يحبّون له الشفاعة من أهل الملّة، حتى أنّ الواحد ليجيء إلى مؤمن من الشيعة، فيقول له[10]: اشفع لي!

فيقول له[11]: أيّ حقّ لك عليّ؟

---

١. تفسير العسكري عليه السلام، ٣٤.
٢. ليس في المصدر.
٣. المصدر: قطعته.
٤. المصدر: رحمته.
٥. المصدر: آل محمّد.
٦. المصدر: آل محمّد.
٧. المصدر: حرمته.
٨. المصدر: لولدها.
٩. ليس في المصدر.
١٠. ليس في المصدر.
١١. ليس في المصدر.

يقول: سقيتك يوماً ماءً.

فيذكر ذلك، فيشفع له، فيشفع فيه.

ويجيء آخر فيقول: أنا[١] لي عليك حق [فاشفع لي!][٢].

فيقول: [و][٣] ما حقك؟

فيقول: استظللت بظلّ جداري ساعة في يوم حارّ.

فيشفع له[٤] فيشفع فيه. فلا يزال يشفع حتى يشفع في جيرانه وخلطائه ومعارفه. وإنّ المؤمن أكرم على الله تعالى ممّا يظنّون.

وفي كتاب التوحيد[٥]: بإسناده إلى عبدالله بن سنان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن «بسم الله الرحمن الرحيم»؟

فقال: «الباء» بهاء الله، و«السين» سناء الله، و«الميم» مجد الله ـ وروى بعضهم: ملك الله ـ، و«الله» إله كل شيء، «والرحمن» بجميع خلقه، و«الرحيم» بالمؤمنين خاصة.

وفي أصول الكافي[٦] مثله، سواء.

وفي كتاب التوحيد[٧] أيضاً بإسناده إلى صفوان بن يحيى، عمن حدّثه، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سئل عن «بسم الله الرحمن الرحيم».

فقال: «الباء» بهاء الله. و«السين» سناء الله. و«الميم» ملك الله.

قال: قلت: «الله»؟

قال: «الألف» آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا، و«اللام» إلزام الله خلقه ولايتنا.

---

١. المصدر: إنّ.

٢. من المصدر.

٣. من المصدر.

٤. ليس في المصدر.

٥. التوحيد، ٢٣٠.

٦. الكافي، ١١٤/١.

٧. التوحيد، ٢٣٠.

قلت: فالهاء؟

قال: هوان لمن خالف محمّداً وآل محمّد صلوات الله عليهم.

قلت: «الرحمن»؟

قال: بجميع العالم.

قلت: «الرحيم»؟

قال: بالمؤمنين خاصة.

وفيه[١] أيضاً: حدثنا محمّد بن القاسم الجرجاني المفسّر ﵀ قال: حدثنا أبو يعقوب يوسف بن[٢] محمّد، بن زياد، وأبو الحسن عليّ بن محمّد بن سيار - وكانا من الشيعة الإمامية - عن أبويهما، عن الحسن بن عليّ بن محمّد ﵉ في قول الله ﷻ «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال: «الله» هو الذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد، كلّ مخلوق عند انقطاع الرجاء من كلّ من دونه[٣]، وتقطّع الأسباب عن[٤] جميع ما سواه. يقول: بسم الله أي: أستعين على أموري كلّها بالله الذي لاتحقّ العبادة إلّا له. المغيث إذا استغيث، المجيب إذا دعي.

وهو ما قال رجل للصادق ﵇: يا ابن رسول الله! دلّني على الله، ما هو؟ فقد كثر[٥] عليَّ المجادلون وحيّروني.

فقال له: ياعبدالله! هل ركبت سفينة قط؟

قال: نعم.

قال: فهل كسر بك حيث لاسفينة تنجيك ولاسباحة تعينك؟[٦]

قال: نعم.

قال: فهل تعلق قلبك هنالك، أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟

---

١. نفس المصدر، ٢٣٠ - ٢٣٢.

٢. في ج: بن يوسف.

٣. المصدر: من هو.

٤. المصدر: من.

٥. المصدر: أكثر.

٦. المصدر: تغنيك.

قال: نعم.

قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله، القادر على الإنجاء حيث لامنجي، وعلى الإغاثة حيث لامغيث.

[ثمّ قال الصادق][1]: وقام رجل إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام فقال: أخبرني ما[2] معنى «بسم الله الرحمن الرحيم»؟

فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام: حدثني أبي، عن أخيه الحسن، عن أبيه أميرالمؤمنين عليه السلام أنّ رجلاً قام إليه، فقال يا أميرالمؤمنين! أخبرني عن «بسم الله الرحمن الرحيم» ما معناه؟

فقال: [إنّ][3] قولك: «الله» أعظم اسم من أسماء الله عزّ وجلّ وهو الاسم الذي لاينبغي أن يسمّى به غير الله، ولم يتسمَّ به مخلوق.

فقال الرجل: فما تفسير قول[4] «الله»؟

فقال: هو الذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء، من جميع من [هو][5] دونه، وتقطّع الأسباب من كلّ من سواه. وذلك أنّ كل مترائس في هذه الدنيا[6] ومتعظّم فيها، وإن عظم غناؤه وطغيانه وكثرت حوائج من دونه إليه، فإنّهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعاظم. وكذلك هذا المتعاظم يحتاج حوائج لا يقدر عليها، فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته، حتى إذا كفى همّه عاد إلى شركه. أما تسمع الله عزّ وجلّ يقول: «قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين. بل إيّاه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون»[7].

---

١. من المصدر. وفي ج «قال» بدل «ثمّ قال الصادق».

٢. المصدر: عن.

٣. من المصدر.

٤. المصدر: قوله.

٥. من المصدر.

٦. ليس في ج؛ أعني: الواو.

٧. الأنعام/ ٤١.

فقال الله ﷻ لعباده: أيها الفقراء إلى رحمتي! إنّي قد ألزمتكم الحاجة إليّ في كل حال، وذلّة العبودية في كل وقت.

قال: فافزعوا في كل أمر تأخذون فيه وترجون تمامه وبلوغ غايته، فإنّي إن أردت أن أعطيكم لم يقدر غيري على منعكم، وإن أردت أن أمنعكم لم يقدر غيري على إعطائكم. فأنا أحق من سئل، وأولى من تضرّع إليه. فقولوا عند افتتاح كل أمر صغير أو عظيم: «بسم الله الرحمن الرحيم» أي: أستعين على هذا الأمر بالله الذي لاتحقّ العبادة لغيره، المغيث إذا استغيث، المجيب إذا دعي، الرحمن الذي يرحم، ويبسط[1] الرزق علينا، الرحيم بنا في أدياننا ودنيانا وآخرتنا، وخفّف علينا الدين، وجعله سهلاً خفيفاً، وهو يرحمنا بتمييز من أعدائه)[2].

(وفي الحديث[3]: إذا قال العبد: «بسم الله الرحمن الرحيم» قال الله ﷻ: بدأ عبدي باسمي، حقّ عليَّ أن أتمم[4] أموره، وأبارك له في أحواله.

وفي الكافي[5]: محمّد بن يحيى، عن عليّ بن الحسين بن علي، عن عباد بن يعقوب، عن عمر بن مصعب، عن فرات بن أحنف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: أول كتاب نزل من السماء: «بسم الله الرحمن الرحيم» فإذا قرأت «بسم الله الرحمن الرحيم» فلا تبالِ ألّا تستعيذ. إذا قرأت «بسم الله الرحمن الرحيم» سدّتك فيما بين السماء والأرض.

وفي أصول الكافي[6]: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عمر بن عبدالعزيز، عن جميل بن دراج، قال أبو عبدالله عليه السلام: لا تدع «بسم الله الرحمن الرحيم» وإن كان بعده شعر.

---

١. ليس في ج.

٢. ما بين القوسين ليس في أ.

٣. تفسير العسكري عليه السلام، ٥٨.

٤. المصدر: أتمم له.

٥. الكافي ٣١٣/٣، ح ٣.

٦. نفس المصدر ٦٧٢/٢، ح ١.

عدة من أصحابنا[١]، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن محمّد بن علي، عن الحسن بن علي، عن يوسف بن عبدالسلام، عن سيف بن هارون مولى آل جعدة، قال: لاتكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» لفلان، ولابأس أن تكتب على ظهر الكتاب لفلان.

عدة من أصحابنا[٢]، عن سهل بن زياد، عن ادريس الحارثي، عن محمّد بن سنان، عن مفضل بن عمر، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» من أجود كتابك، ولاتمدّ الباء حتّى ترفع السين.

عنه[٣]: عن عليّ بن حكم، عن الحسن بن السري، عن أبي عبدالله عليه السلام: احتجبوا[٤] من الناس كلّهم «ببسم الله الرحمن الرحيم» و«بقل هو الله أحد»، اقرأها عن يمينك، وعن شمالك [ومن بين يديك][٥] ومن خلفك، ومن فوقك، ومن تحتك، وإذا[٦] دخلت على سلطان جائر فاقرأها حين[٧] تنظر إليه ثلاث مرات، واعقد بيدك اليسرى، ثمّ لاتفارقها حتّى تخرج من عنده.

وفي كتاب التوحيد[٨]: بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل، فيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من حزنه أمر يتعاطاه، فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم» وهو مخلص لله ويقبل بقلبه إليه، لم ينفكّ من احدى اثنتين: إمّا بلوغ حاجته في الدنيا، وأمّا يُعَدّ له ويدّخر لديه. وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين.

وفيه[٩]: عن الصادق عليه السلام في حديث طويل، فيه: ولربّما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره «بسم الله الرحمن الرحيم» فيمتحنه الله عزّ وجلّ بمكروه لينبّهه على شكر الله

---

١. نفس المصدر ٦٧٢/٢، والسند سند ح ٢، والمتن متن ح ٣.
٢. نفس المصدر، والسند سند ح ٢٠، ٦٢٤/٢ والمتن متن ح ٢، ٦٧٢/٢.
٣. نفس المصدر، والسند سند ح ٣، ٦٧٢/٢ والمتن متن ح ٢٠، ٦٢٤/٢.
٤. المصدر: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا مفضل! احتجز. وهو الصحيح كما مرّ.
٥. من المصدر.
٦ـ المصدر: فإذا.
٧. في النسخ: حتّى، والمثبت من المصدر.
٨. التوحيد، ٢٣٢.
٩. نفس المصدر، ٢٣١.

تبارك وتعالى والثناء عليه، ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه قول: «بسم الله [الرحمن الرحيم][١]».

وفي عيون الأخبار[٢]، في تأويل «بسم الله الرحمن الرحيم»: بإسناده إلى الحسن ابن عليّ بن فضال، عن أبيه، قال: سألت الرضا عليه السلام عن «بسم الله الرحمن الرحيم»؟

قال: معنى قول القائل: «بسم الله»: أَسِمُ على نفسي بسمة من سمات الله عزّ وجلّ وهي العبادة.

قلت له: ما السمة؟

قال: العلامة.

وبالإسناد[٣]، إلى عبدالله بن سنان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن[٤] «بسم الله الرحمن الرحيم»؟

فقال[٥]: «الباء» بهاء الله. و«السين» سناء الله. و«الميم» مجد الله ـ وروى بعضهم: ملك الله[٦] ـ و«الله» إله كلّ شيء، «الرحمن» بجميع خلقه، و«الرحيم» بالمؤمنين خاصة.

وفي كتاب التوحيد[٧] بإسناده إلى صفوان بن يحيى، عمّن حدثه، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سئل عن «بسم الله الرحمن الرحيم»؟

فقال: الباء بهاء الله. و«السين» سناء الله. و«الميم» ملك الله.

قال: قلت: الله؟

قال: «الألف» آلاء الله على خلقه من النعيم بولائنا[٨]. و«اللام» إلزام الله خلقه ولايتنا.

---

١. من المصدر.

٢. عيون الأخبار، ٢٦/١.

٣. الكافي ١١٤/١، ح ١.

٤. المصدر: عن تفسير.

٥. المصدر: قال.

٦. المصدر: الميم ملك الله.

٧. التوحيد، ٢٣٠.

٨. المصدر: بولايتنا.

قلت: فالهاء؟

قال: هوان لمن خالف محمّداً وآل محمّد صلوات الله عليهم.

قلت: الرحمن؟

قال: بجميع العالم.

قلت: الرحيم؟

قال: بالمؤمنين خاصة.

وبإسناده[١] إلى الحسن بن أبي راشد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألته عن معنى «الله»؟

قال: استوى على ما دقّ وجلّ. وخصّ التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف أنّ الحقيق لِأَن يستعان به في جميع الأمور هو المعبود الحقيقي، الذي هو مولى النعم كلها، عاجلها وآجلها، جليلها وحقيرها، فيتوجّه بشراشره إلى جنابه)[٢].

﴿الحَمْدُ للهِ﴾: «الحمد» هو الثناء باللسان، على الجميل الاختياري، من نعمة أو غيرها.

و«المدح»: هو الثناء على الجميل، مطلقاً.

وفي الكشّاف[٣]: إنّهما أخوان لتخصيصه المدح أيضاً بالجميل الاختياري. وقد صرّح به في تفسير قوله تعالى: «ولكن الله حبّب إليكم الايمان»[٤].

لا يقال: إذا خصّ «الحمد» بالجميل الاختياري، لزم أن لا يحمد الله تعالى على صفاته الذاتية، كالعلم والقدرة والإرادة، بل اختصّ بأفعاله الصادرة عنه باختياره؛ لأنّا نقول: تجعل تلك الصفات، لكون ذاته كافية فيها بمنزلة أفعال اختيارية، يستقلّ بها فاعلها.

---

١. نفس المصدر، ٢٣٠.

٢. ما بين القوسين يوجد في أ.

٣. لم نعثر عليه في الكشاف، ولكنه موجود في أنوار التنزيل، ٧/١.

٤. الحجرات / ٧.

ولا يخفى على المتأمل أنّ ذلك الجعل لا يقتضي صحة «الحمد» على الصفات الذاتية، بل يقتضي صحّة إطلاق لفظ «الحمد» على الثناء على صفاته تجوّزاً. وأين أحدهما عن الآخر؟

وحقيقته عند العارفين: إظهار كمال المحمود ـ قولاً أو فعلاً أو حالاً ـ سواء كان ذلك الكمال اختيارياً، أو غير اختياري.

والشكر، مقابلة النعمة قولاً وعملاً واعتقاداً. قال:

أفـادتكم النـعماء مـنّي ثـلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجب

فهو أعمّ منها من وجه، وأخصّ من آخر. ولمّا كان «الحمد» من شعب «الشكر» أشيع للنعمة وأدلّ على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال، جعل رأس الشكر والعمدة فيه.

فقال ﷺ: «الحمد لله» رأس الشكر، ما شكر الله من لم يحمده.

«والذم» نقيض «الحمد».

و«الكفران» نقيض «الشكر».

ورفعه بالابتداء. وخبره «لله»، وأصله النصب، وقد قرئ به[1].

وإنّما عدل به إلى الرفع، دلالة على الدوام والثبات.

وقرئ: «الحمد لله» باتباع الدال اللام، وبالعكس ـ تنزيلاً لهما ـ لكثرة استعمالهما معاً بمنزلة كلمة واحدة، كقولهم: منحدر[2] الجبل ومغيره.

و«اللام» فيه لتعريف الجنس. وهو الإشارة إلى ما يعرفه كلّ أحد من معنى «الحمد» بناءً على أنّ الاختصاص يكون حينئذ مستفاداً من جوهر الكلام من غير استعانة بالأمور الخارجة، ويكون مستلزماً لاختصاص جميع الافراد.

أو للاستغراق[3] بناءً على أنّ المتبادر إلى الذهن من المحلّى بلام الجنس في

---

١. أنوار التنزيل، ١/٧.

٢. ر: ظهر.

٣. أي: اللام فيه للاستغراق.

المقامات الخطابية، هو الاستغراق. وهو الشائع في الاستعمال. وحينئذ يكون اختصاص الأفراد مصرّحاً به.

فإن قلت: لايصحّ تخصيص جنس الحمد ولاتخصيص أفراده به. فإنّ خلق الأفعال إن كان من عند الله فللكسب فيه مدخل فيرجع إليه بهذا الاعتبار. وأمّا عند المعتزلة: فلأنّ خالق الأفعال هو العبد، وبمجرّد تمكين الله وإقداره عليها، لايختصّ «الحمد» به، بل يرجع إليه سبحانه ـ أيضاً ـ كلّ باعتبار. وهو لايفيد التخصيص، بل الاشتراك.

قلت: لايبعد أن يقال: أنّه جعل الجنس في المقام الخطابي، منصرفاً إلى الكامل، كأنّه كلّ الحقيقة. فاختص الجنس من حيث هو أو أفراده به سبحانه.

فإنّ قلت: كيف يصحّ قصد تخصيص الجنس أو أفراده، والحال أنّ قوله تعالى: «الحمد لله» كان في الأصل: أحمد الله حمداً، أو نحمده حمداً. فلا يكون المراد إلّا الحمد المستند إلى المتكلّم الواحد، أو مع الغير. فبعد إفادة الكلام التخصيص لايفيد إلّا تخصيص المخصوص، لامطلقاً.

قلت: كما أنّه في صورة الرفع يتجرّد الكلام عن التجدّد والحدوث، كذلك يتجرّد عن[1] النسبة إلى فاعل مخصوص. وأيضاً يمكن أن يكون صيغة المتكلم مع الغير على ألسنة جميع الحامدين، حقّاً وخلقاً.

ثمّ قيل: اعلم! أنّه إذا كان الحامد في مقام الجمع، فالمناسب أن يحمل اللّام على الجنس. وإن كان في مقام الفرق قبل الجمع، فالمناسب الاستغراق، ولكن بالتأويل. وإن كان في مقام الفرق بعد الجمع، فالمناسب الاستغراق، ولكن بلا تأويل. وإن كان في مقام جمع الجمع، فالمناسب الجنس والاستغراق ـ معاً ـ من غير احتجاب بأحدهما عن الآخر.

ثمّ اعلم! أنّه يمكن أن يراد «بالحمد» الحامدية والمحمودية ـ جميعاً ـ بناءً على أنه

---

١. أ: من.

مشترك معنوي، فإنّه فعل واحد بين الحامد والمحمود. وإذا اعتبر نسبته[١] إلى الحامد، يكون حامدية. وإن اعتبر إلى المحمود، يكون محمودية.

أو لفظي[٢].

ويجوز استعمال المشترك في معنيَيْه أو معانيه؛ كما ذهب إليه المحقّقون. أو يكون مجازاً عن معنى مشترك بين المعنيين.

(وفي كتاب الخصال[٣]: بإسناده إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: ومن قال: «الحمد لله»، فقد أدّى شكر كلّ نعمة لله تعالى.

وفي أصول الكافي[٤]: محمّد [بن يحيى][٥] عن أحمد، عن عليّ بن الحكم، عن صفوان الجمال، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي: ما أنعم الله على عبده[٦] بنعمة، صغرت أو كبرت، فقال: «الحمد لله» إلّا أدّى شكرها.

وبإسناده[٧] إلى حماد بن عثمان، قال: خرج أبوعبدالله عليه السلام من المسجد، وقد ضاعت دابته.

فقال: لئن ردّها الله عليّ لأشكرنّ الله حقّ شكره.

قال: فما لبث أن أتي بها.

فقال: الحمد لله.

فقال قائل له[٨]: جعلت فداك، أليس قلت: لأشكرنّ الله حقّ شكره؟

فقال أبو عبدالله عليه السلام: ألم تسمعني قلت: الحمد لله؟)[٩]

﴿**رَبِّ الْعٰالَمِينَ**﴾: الرَّب في الأصل هو المالك.

---

١. أ: نسبة.

٢. أي: أو على أنّه مشترك لفظي.

٣. الخصال ٢٩٩/١، ح ٧٢.

٤. الكافي ٩٦/٢، ح ١٤.

٥. من المصدر.

٦. المصدر: عبد.

٧. نفس المصدر ٩٧/٢، ح ١٨.

٨. المصدر: له قائل.

٩. ما بين القوسين ليس في أ.

فهو إمّا صفة مشبّهة، من فعل متعدّ لكن بعد جعله لازماً، من «ربه» «يربه» بفتح العين في الماضي، وضمّها في الغابر.

وإمّا وصف بالمصدر للمبالغة. كما وصف بالعدل. وهو مفرد لا يطلق على غير الله، إلّا نادراً.

وقرئ بالنصب على المدح، أو النداء، أو بالفعل الذي دلّ عليه الحمد.

قيل: هذا الاسم يفيد إثبات خمسة أحكام للحق سبحانه وتعالى؛ وهي: الثبات والسيادة والإصلاح والملك والتربية. لأن «الرب» في اللغة هو المصلح والسيد والمالك والثابت والمربي. ففيه دليل على أنّ الممكنات كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها، مفتقرة إلى المبقي حال بقائها.

«والعالم»: اسم لما يعلم به؛ كالخاتم لما يختم به. غلب فيما يعلم به، الصانع مما سوى الله من الجواهر والأعراض. فإنّها لإمكانها وافتقارها إلى مؤثر واجب لذاته، تدلّ على وجوده.

وقيل: اسم [وضع][1] لذوي العلم، من الملائكة والثقلين، وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع.

وقيل: عني به «الناس» هنا[2]. فإنّ كلّ واحد منهم عالم، من حيث أنّه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير (من جنس واحد ممّا سمّي به، أو إلى حقيقة القدر)[3] من الجواهر والأعراض، يعلم بها الصانع. كما يعلم بما أبدعه في العالم. ولذلك سوّى بين النظر فيهما. وقال[4]: «وفي أنفسكم أفلا تبصرون»[5].

وإنّما جمعه لئلّا يتوهّم أنّ القصد إلى استغراق أفراد جنس واحد ممّا سمي به. أو إلى حقيقة القدر المشترك.

---

١. من المصدر (أنوار التنزيل).
٢. المصدر: ههنا.
٣. ما بين القوسين في أ، وليس في المصدر.
٤. الذاريات / ٢١.
٥. أنوار التنزيل، ٨/١.

فلمّا جمع وأشير بصيغة الجمع إلى تعدّد الأجناس وبالتعريف إلى استغراق أفرادها، أزال التوهّم بلا شبهة.

وإنّما جمعه بالواو والنون، مع أنّه مختص بصفات العقلاء أو ما في حكمها من أعلامهم، لمشابهته الصفة في دلالته على الذات، باعتبار معنى هو كونه يعلم أو يعلم به.

واختصاصه بأولي العلم، حقيقة أو تغليباً.

وقيل: وصفيّة «العالمين» إنّما هي بتقدير ياء النسبة. يعني العالميين، كالأعجمين بمعنى الأعجميين، واختصاصه بأولي العلم على سبيل التغليب.

ويمكن أن يجعل جمعه بالواو والنون، إشارة إلى سريان الصفات الكمالية من العلم والحياة وغيرهما في كلّ موجود من الموجودات، فالكلّ أولو العلم. وقد ذهب إليه بعض كما يعلم من عبارة بعض.

(وفي كتاب التوحيد[١] كلام للرضا عليه السلام في التوحيد، وفيه: وربّ إذ لامربوب.

وفيه[٢]، عن عليّ عليه السلام مثله)[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام في[٤] حديث طويل[٥] وفيه: لعلّك[٦] ترى أنّ الله إنّما خلق هذا العالم الواحد، أو[٧] ترى أنّ الله لم يخلق بشراً غيركم! بلى والله لقد خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين.

وفي كتاب الخصال[٨]: بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال ـ في حديث طويل ـ: إنّ [علم][٩] عالم المدينة[١٠] ينتهي إلى حيث لايقفو الأثر ويزجو[١١] الطير. ويعلم في

---

١. التوحيد ٥٧، ضمن حديث طويل.

٢. نفس المصدر، ٤٢ ضمن خطبة طويلة.

٣. ما بين القوسين ليس في أ.

٤. ليس في ج.

٥. نفس المصدر ٢٧٧، ضمن ح ٢.

٦. في ج: ولعلّك.

٧. المصدر: و.

٨. الخصال، ٢/٤٩٠.

٩. من المصدر.

١٠. أ: المديّنة. ج: المدنيّة: والصحيح ما في المتن. والمراد نفسه عليه السلام. والمدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وآله.

١١. المصدر وج: يزجر.

اللحظة الواحدة مسيرة الشمس تقطع اثني عشر (برجاً، واثني عشر برّاً، واثني عشر بحراً، واثني عشر عالماً)[١].

وبإسناده[٢] إلى العباد[٣] بن عبدالخالق، عمن حدّثه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أنّ لله عزّ وجلّ اثني عشر ألف عالم، كلّ عالم منهم[٤] أكبر من سبع سماوات وسبع أرضين. ما يرى[٥] عالم منهم أنّ لله عزّ وجلّ عالماً غيرهم، وأنا الحجّة عليهم.

وفي عيون الأخبار[٦] حدثنا محمّد بن القاسم الإسترآبادي المفسّر رضي الله عنه قال: حدثني[٧] يوسف بن محمّد بن زياد وعليّ بن محمّد بن سيار، عن أبويهما، عن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي‌طالب[٨]، (عن أبيه عن جده)[٩] عليهم السلام، قال: جاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال له: يا ابن رسول الله! أخبرني عن قول الله تعالى: «الحمد لله ربّ العالمين» ما تفسيره؟

فقال: لقد حدثني أبي، عن جدي، عن الباقر، عن زين العابدين، عن أبيه عليهم السلام: أنّ رجلاً جاء إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: أخبرنى عن قول الله تعالى: «الحمد لله ربّ العالمين» ما تفسيره؟

فقال: «الحمد لله» هو أن عرّف عباده بعض نعمه عليهم جملاً، إذ لايقدرون على معرفة جميعها بالتفصيل؛ لأنّها أكثر من أن تحصى أو تعرف، فقال لهم: قولوا: «الحمد لله» على ما أنعم به علينا «ربّ العالمين» وهم الجماعات من كل مخلوق من الجمادات والحيوانات.

---

١. مابين القوسين ليس في أ.
٢. نفس المصدر، ٦٣٩/٢.
٣. أ: العبازى. ج: عباد.
٤. ليس في أ.
٥. المصدر: ما ترى.
٦. عيون الأخبار ٢٨٤/١، ح ٣٠.
٧. المصدر: حدثنا.
٨. في ج: عليهم السلام.
٩. ليس في أ.

فأمّا[١] الحيوانات، فهو يقلّبها في قدرته ويغذوها من رزقه ويحوطها بكنفه ويدبر كلّاً منها بمصلحته. وأمّا الجمادات، فهو يمسكها بقدرته ويمسك المتّصل منها أن يتهافت، ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، ويمسك الأرض أن تنخسف إلا بأمره، أنّه بعباده رؤوف[٢] رحيم.

[و][٣] قال عليه السلام: و« ربّ العالمين » مالكهم وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون ومن حيث لايعلمون. فالرزق مقسوم، وهو يأتي ابن آدم على أيّ سيرة سارها من الدنيا، ليس تقوى متّقٍ بزائده، ولافجور فاجر بناقصه، وبينه وبينه ستر وهو طالبه. فلو أنّ أحدكم يفرّ من رزقه لطلبه رزقه كما يطلبه الموت. فقال الله جلّ جلاله: قولوا: « الحمد لله » على ما أنعم به علينا، وذكرنا به من خير في كتب الأوّلين قبل أن نكون[٤].

ففي هذا إيجاب على محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم وعلى شيعتهم، أن يشكروه بما فضّلهم.

وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لمّا بعث الله عزّ وجلّ موسى بن عمران عليه السلام واصطفاه نجيّاً وفلق له البحر ونجّى بني أسرائيل وأعطاه التوراة والألواح، رأى مكانه من ربّه عزّ وجلّ فقال: يا ربّ! لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي.

فقال الله جلّ جلاله: يا موسى! أما علمت أنّ محمّداً أفضل عندي[٥] من جميع ملائكتي وجميع خلقي؟

قال موسى: ياربّ! فإن كان محمداً صلى الله عليه وآله أكرم عندك من جميع خلقك، فهل في آل الأنبياء أكرم من آلي؟

قال الله جلّ جلاله: يا موسى! أما علمت أنّ فضل آل محمّد على جميع آل النبيين كفضل محمّد على جميع المرسلين؟

---

١. المصدر: وأمّا.

٢. المصدر: لرؤوف.

٣. من المصدر.

٤. أ: يكون، ر وج: تكون.

٥. المصدر: أنّ محمّداً عندي أفضل.

فقال موسى: يا ربّ! فإن كان آل محمّد كذلك، فهل في أمم الأنبياء أفضل عندك من أمّتي؛ ظلّلت عليهم الغمام، وأنزلت عليهم المنّ والسلوى، وفلقت لهم البحر؟

فقال الله ﷻ: يا موسى! أما علمت أنّ فضل أمة محمّد على جميع الأمم كفضله على جميع خلقي؟

فقال موسى عليه السلام: يا ربّ! ليتني كنت أراهم.

فأوحى الله ﷻ إليه: يا موسى! إنّك لن تراهم، وليس هذا أوان ظهورهم. ولكن سوف تراهم في الجنات؛ جنات عدن والفردوس بحضرة محمّد، في نعيمها يتقلّبون، وفي خيراتها يتبحبحون[١]. أفتحبّ أن أسمعك كلامهم؟

قال[٢]: نعم الهي!

قال الله ﷻ: قم بين يديّ واشدد مئزرك! قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل.

ففعل ذلك موسى عليه السلام فنادى ربّنا ﷻ: يا أمّة محمّد!

فأجابوه كلّهم، وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمّهاتهم: لبيك، اللّهمّ لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة والملك لك، لاشريك لك لبيك[٣].

قال: فجعل الله ﷻ تلك الإجابة شعار الحجّ[٤].

ثمّ نادى ربّنا ﷻ: يا أمّة محمّد! إنّ قضائي عليكم أنّ رحمتي سبقت غضبي، وعفوي قبل عقابي. فقد استجبت لكم من قبل أن تدعوني، وأعطيتكم من قبل أن تسألوني، من لقيني منكم بشهادة أنّ لا إله إلّا الله وحده لاشريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، صادق في أقواله، محقّ في أفعاله، وأنّ عليّ بن أبي‌طالب أخوه ووصيه من بعده ووليه، ويلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمّد، وأنّ أولياءه المصطفين الطاهرين،

---

١. تبحبح الرجل: تمكّن في المكان والحلول به. ويمكن أن يكون من قولهم: تبحبح الدار؛ أي توسطها. وقيل: أي يتوسّطون في أوساط الجنان لا في أطرافها، لأنّ الوسط خير من الطرف.

٢. المصدر: فقال.

٣. ليس في أو في المصدر أيضاً.

٤. المصدر وأ: الحاج.

المطهرين المنبئين[1] بعجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدهما أولياؤه، أدخلته جنتي وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر.

قال عليه السلام: فلمّا بعث الله عزّ وجلّ نبينا محمّداً صلى الله عليه وآله قال: يا محمّد! وما كنت بجانب الطور إذ نادينا أمّتك بهذه الكرامة.

ثمّ قال الله عزّ وجلّ لمحمّد صلى الله عليه وآله قل: «الحمد لله ربّ العالمين» على ما اختصّني به من هذه الفضيلة. وقال لأمّته: قولوا أنتم: «الحمد لله ربّ العالمين» على ما اختصّنا به من هذه الفضائل.

(وفي شرح الآيات الباهرة: قال الإمام أبو محمّد الحسن العسكري[2] عليه السلام: حدثني أبي، عن جدي، عن الباقر، عن زين العابدين عليهم السلام: أنّ رجلاً أتى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ «الحمد لله ربّ العالمين» ما تفسيره؟

فقال: «الحمد لله» هو أنّ الله قد[3] عرّف عباده بعض نعمه[4] عليهم جملاً، إذ لايقدرون على معرفة جميعها بالتفصيل؛ لأنّها أكثر من أن تحصى أو تعرف.

فقال لهم: قولوا: «الحمد لله»[5] على ما أنعم به علينا، وذكرنا به من خير في كتب الأوّلين، من قبل أن نكون.

ففي هذا إيجاب على محمّد وآل محمّد لما فضلهم به[6]، وعلى شيعتهم أن يشكروه بما فضلهم به على غيرهم.

وفي كتاب الخصال[7]: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربع من كنّ فيه كان في نور الله الأعظم.

---

١. أ: المبانين.

٢. تفسير العسكري عليه السلام، ٣٠. مع تفاوت في النقل، تأويل الآيات، ٢٥/١.

٣. ليس في ج.

٤. في ج: نعمته.

٥. في ج: الحمد لله ربّ العالمين.

٦. المصدر: بما فضله وفضلهم.

٧. الخصال ٢٢٢/١، ح ٤٩.

إلى قوله: ومن أصاب خيراً قال: «الحمد لله ربّ العالمين».

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم[١]: في الموثّق عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «الحمد لله»، قال: الشكر لله.

وفي قوله: «ربّ العالمين»، قال: خالق[٢] المخلوقين.

وفي [كتاب] من لايحضره الفقيه[٣]: وفيما ذكره الفضل من العلل، عن الرضا عليه السلام أنّه قال: «الحمد لله» إنّما هو أداء لما أوجب الله عزّ وجلّ على خلقه من الشكر، وشكر[٤] لما وفّق عبده من الخير.

«ربّ العالمين»، توحيد له وتحميد[٥] وإقرار بأنّه هو الخالق المالك لاغيره.

وفي مجمع البيان[٦]: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنّ الله تعالى منّ عليّ بفاتحة الكتاب.

إلى قوله: «الحمد لله ربّ العالمين» دعوى أهل الجنّة، حين شكروا الله حسن الثواب.

وفي أصول الكافي[٧]، بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: من قال أربع مرات إذا أصبح: «الحمد لله ربّ العالمين» فقد أدّى شكر يومه. ومن قالها إذا أمسى، فقد أدّى شكر ليلته.

وبإسناده[٨] إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أصبح قال: «الحمد لله ربّ العالمين» كثيراً على كلّ حال، ثلاثمائة وستين مرة. وإذا أمسى قال مثل ذلك.

عليّ بن إبراهيم[٩]، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، قال: عطس رجل عند

---

١. تفسير القمي، ٢٨/١.
٢. في ج: خلق.
٣. من لا يحضره الفقيه ٣١٠/١، ضمن ح ٩٢٦؛ عيون الأخبار ١٠٧/٢، ح ١.
٤. في ج: والشكر.
٥. المصدر: تمجيد.
٦. مجمع البيان، ٣١/١.
٧. الكافي ٥٠٣/٢، ح ٥.
٨. نفس المصدر ٥٠٣/٢، ح ٤.
٩. نفس المصدر ٦٥٤/٢، ح ١٤. في ج علي بن إبراهيم عن أبيه ....

أبي جعفر عليه السلام فقال: «الحمد لله» فلم[1] يسمّته أبو جعفر عليه السلام وقال: نقصنا حقنا. ثمّ قال: إذا عطس أحدكم فليقل: «الحمد لله ربّ العالمين» وصلّى الله على [نبيه][2] محمّد وأهل بيته.

قال: فقال الرجل، فسمّته أبو جعفر عليه السلام.

وبإسناده[3] إلى مسمع بن عبدالملك، قال: عطس أبو عبدالله عليه السلام فقال: «الحمد لله ربّ العالمين» ثمّ جعل أصبعه على أنفه، فقال: رغم أنفي لله رغماً داخراً.

وبإسناده[4] إلى محمّد بن مروان رفعه، قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: من قال إذا عطس: «الحمد لله ربّ العالمين» على كلّ حال، لم يجد وجع الأذنين والأضراس.

وبإسناده[5] إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: من عطس ثمّ وضع يده على قصبة أنفه، ثمّ قال: «الحمد لله ربّ العالمين» [حمداً][6] كثيراً[7] كما هو أهله، وصلّى الله على محمّد النبي وآله وسلم، خرج من منخره الأيسر طائر أصغر من الجراد وأكبر من الذباب، حتى يصير تحت العرش، يستغفر الله له إلى يوم القيامة)[8].

(وفي الحديث[9]: إذا قال العبد: «الحمد لله ربّ العالمين»، قال الله: حمدني عبدي، وعلم أنّ النعم التي له من عندي، وأنّ البلايا التي اندفعت[10] عنه بتطوّلي. أشهدكم أنّي أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا)[11].

﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾: قد مرّ تفسيرهما. وكرّرهما للتفصيل.

وقيل: يحتمل أن يكون المراد «بالرحمن الرحيم»[12] في البسملة، هو المتجلّي

---

١. في ج: ولم.
٢. في ر.
٣. نفس المصدر ٦٥٥/٢، ح ٩.
٤. نفس المصدر ٦٥٥/٢، ح ١٥.
٥. نفس المصدر ٦٥٧/٢، ح ٢٢.
٦. من المصدر.
٧. ليس في ر.
٨. ما بين القوسين ليس في أ.
٩. عيون الأخبار ٣٠٠/١.
١٠. المصدر: دفعت.
١١. ما بين القوسين يوجد في أ.
١٢. في ج: والرحيم.

بصور الأعيان الثابتة بفيضه الأقدس، فإنّه تعالى باعتبار عموم هذا الفيض وإطلاقه هو «الرحمن»، وباعتبار تخصّصه، وتخصّصه[١] هو «الرحيم». والمراد بهما فيما بعدها، هو المتجلّي بصور الأعيان الوجودية بالاعتبارين المذكورين.

وقيل: ذكر الرحمة بعد ذكر «العالمين» وقبل ذكر «ملك يوم الدين» ينطوي على فائدتين عظيمتين في تفصيل مجاري الرحمة:

إحداهما: تنظر إلى الرحمة في خلق العالمين، وأنّه خلقه على أكمل أنواعها وأتاها كلّما احتاجت اليه.

وأخراهما: تشير إلى الرحمة في المعاد، يوم الجزاء، عند الإنعام بالملك المؤبّد في مقابلة كلمة وعبادة.

وهو يلائم ما ورد من قولهم: يا رحمان الدنيا ورحيم الآخرة، حيث قورن «الرحمن» «بربّ العالمين» المشير إلى المبدأ، و«الرحيم» «بملك يوم الدين» المشير إلى المعاد.

وفي [كتاب] من لا يحضره الفقيه[٢]: فيما ذكره الفضل من العلل عن الرضا عليه السلام أنّه قال ـ بعد أن شرح «ربّ العالمين»: «الرحمن الرحيم» استعطاف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم[٣]: في الموثّق، عن أبي‌عبدالله عليه السلام أنّه قال بعد أن شرح «الحمد لله ربّ العالمين»: «الرحمن» بجميع خلقه. «الرحيم» بالمؤمنين خاصة.

(وفي الحديث[٤]: إذا قال العبد: «الرحمن الرحيم» قال الله تعالى: شهد لي بأنّي «الرحمن الرحيم»، أشهدكم لأوفرنّ من رحمتي حظّه، ولأجزلنّ من عطائي نصيبه)[٥].

---

١. في ج: وتخصيصه.

٢. من لا يحضره الفقيه ٣١٠/١، مقطع من ح ٩٢٦؛ عيون الأخبار ١٠٧/٢.

٣. تفسير القمي، ٢٨/١.

٤. عيون الأخبار، ٣٠٠/١.

٥. بين القوسين غير موجود في ر وج.

﴿مٰلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ﴾④: وقرئ «مالكِ» و«مَلْكِ» ـ بتخفيف اللام ـ، و«مَلَكَ» بصيغة الفعل، ونصب «اليوم»، وملكَ ومالكَ، بالنصب على المدح والحال، ويحتمل النداء. و«مالك» بالرفع، منوّناً ومضافاً على أنّه خبر مبتدأ محذوف.

ويعضّد قراءته على اسم الفاعل قوله تعالى: «يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله»[1]. وعلى الصفة المشبّهة قوله تعالى: «لمن الملك»[2]، وهي أولى؛ لأنّه قراءة أهل الحرمين، ولأنّ بعض معاني «الرب» هو المالك.

فَذِكْره ثانياً لا يخلو عن تكرار. ولأنّ الآخر، وهو سورة الناس، نظير الأول. والمذكور فيها بعد ذكر «الرب» هو «الملك» لا «المالك». ولأنّ للملك زيادة عموم ليست للمالك. لأنّ ما تحت حياطة الملك من حيث أنّه ملك، أكثر ممّا تحت حياطة المالك، فإنّ الشخص يوصف بالمالكية، نظراً إلى أقلّ قليل. ولايوصف بالملكية إلّا بالنظر إلى أكثر كثير، وللتناسب الحاصل بينه وبين الآيتين الأوّلتين[3].

و«يوم الدِّيْن»: يوم الجزاء.

وقيل[4]: زمان الجزاء. ومنه: كما تدين تدان. وبيت الحماسة:

ولم يبق سِوى العُدْوا ... نِ دَنّاهم كما دانوا

وفي اختياره على سائر الأسامي رعاية للفاصلة[5]، وإفادة للعموم. فإنّ الجزاء يتناول جميع أحوال القيامة إلى السرمد.

و«للدين» معان أخر؛ مثل العبادة والطاعة والشريعة والشأن.

و«دانه» ـ في اللغة ـ: أذلّه واستعبده وساسه وملّكه.

ويمكن حمله على كلّ واحد، بل على الكل بالمرة. وقد يظهر وجهه بصدق التأمّل.

وأمّا إضافة «ملك يوم الدين»، فمن قبيل إضافة الصفة المشبّهة إلى غير معمولها؛

---

١. الانفطار / ١٩.
٢. غافر / ١٦.
٣. في ج: الأوليتين.
٤. الكشاف ١١/١؛ أنوار التنزيل ٨/١.
٥. حاشية ج: تعليل واحد، فإنّ الجزاء ـ أيضاً ـ يفيد العموم ولا يحصل به رعاية الفاصلة. (منه دام عزّه).

كما في «ربّ العالمين»، فتكون حقيقية لالفظية، فإنّ اللفظية إضافتها إلى الفاعل لا غير، فيصحّ جعله صفة «لله».

وأمّا إضافة «مالك يوم الدين» [فمن قبيل إضافة اسم الفاعل إلى الظرف، على سبيل التجويز[١]، وهي ـ أيضاً ـ حقيقية؛ لأنّ المراد به الاستمرار. أو الماضى لا الحال، أو[٢] الاستقبال. ويصحّ جعل مالكية اليوم مستمرة، مع أنّ يوم الدين][٣] وما فيه ليس مستمرّاً في جميع الأزمنة، لكونه لتحقّق وقوعه وبقائه أبداً كالمتحقّق المستمر، كما يصحّ جعله لتحقّق وقوعه كالماضي. وتخصيص «اليوم» بالإضافة إمّا لتعظيمه أو لتفرّده تعالى بنفوذ الأمر فيه.

ولمّا دلّ بلامَي التعريف والاختصاص على أنّ جنس الحمد مختصّ به وحقّ له. أجريَ عليه تلك الأوصاف العظام ليكون حجّة قاطعة على انحصار الحمد فيه واستحقاقه إيّاه.

فذكر أوّلاً: ما يتعلّق بالابداء، من كونه ربّاً مالكاً للأشياء كلّها، بإفاضة الوجود عليها وأسباب الكمالات لها.

وثانياً: ما يتعلّق بالبقاء من إسباغه عليها نعماً ظاهرة وباطنة جليلة ودقيقة.

وثالثاً: ما يتعلّق بالإعادة، من كونه مالكاً للأمر كلّه يوم الجزاء، فلا يستأهل غيره أن يحمد فضلاً عن أن يعبد.

(وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[٤]: في الموثق، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه بعد أن شرح «الحمد لله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين» قال: يوم الحساب.

وفي مجمع البيان[٥]: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى منّ عليّ بفاتحة الكتاب إلى قوله[٦]: «مالك يوم الدين».

---

١. في ج: التجوّز.
٢. في ج: و.
٣. ليس في أ.
٤. تفسير القمي، ٢٨/١.
٥. مجمع البيان، ٣١/١.
٦. النسخ: قول.

قال جبرئيل[١]: ما قاله[٢] مسلم إلّا صدّقه الله[٣] وأهل سمائه.

وفيه[٤]: وقيل «الدين» الحساب. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام.

وفي أصول الكافي[٥]: بإسناده إلى الزهري، قال: كان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا قرأ «مالك يوم الدين» يكرّرها حتى كاد[٦] أن يموت.

وفي من لايحضره الفقيه[٧]: وفيما ذكره الفضل من العلل، عن الرضا عليه السلام أنّه قال: «مالك يوم الدين» إقرار له بالبعث [والحساب][٨] والمجازاة، وإيجاب ملك الآخرة له كإيجاب ملك الدنيا.

وفي شرح الآيات الباهرة: قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام[٩]: قال أميرالمؤمنين صلوات‌الله عليه: «يوم الدين» هو يوم الحساب. سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ألا أخبركم بأكيس الكيّسين وأحمق الحمقى؟

قالوا: بلى، يا رسول الله!

قال: أكيس الكيّسين من حاسب نفسه، وعمل لما بعد الموت. وإنّ أحمق الحمقى من اتّبع نفسه هواها، وتمنّى على الله تعالى الأماني.

فقال الرجل: يا أميرالمؤمنين! فكيف يحاسب الرجل نفسه؟

قال: إذا أصبح ثمّ أمسى رجع إلى نفسه، فقال: يا نفس! إنّ هذا يوم مضى عليك، لايعود إليك أبداً، والله تعالى يسألك عنه[١٠] بما أفنيته وما الذي عملت فيه، أذكرت الله؟ أحمدته[١١]؟ أقضيت حقّ أخ[١٢] مؤمن؟ أنفّست عنه كربته؟ أحفظته بظهر الغيب

---

١. في المصدر: جبرئيل عليه السلام.
٢. في المصدر: ما قالها.
٣. في المصدر: الله تعالى.
٤. نفس المصدر، ٢٤/١.
٥. الكافي ٦٠٢/٢، ح ١٣.
٦. النسخ: يكاد، والمتن موافق المصدر.
٧. من لا يحضره الفقيه ٣١٠/١؛ ضمن ح ٩٢٦؛ عيون الأخبار ١٠٧/٢.
٨. من المصدر.
٩. تفسير العسكري عليه السلام، ٣٨؛ تأويل الآيات، ٢٦/١.
١٠. أ: منه.
١١. المصدر: حمدته.
١٢. المصدر وأ: حوائج، وهو الظاهر.

في أهله وولده ؟ أحفظته بعد الموت في مخلفيه ؟ أكففت عن غيبة أخ مؤمن بفضل جاهك ؟ أأعنت مسلماً؟ ما الذي صنعت فيه ؟ فيذكر ماكان منه . فإن ذكر أنّه جرى منه خير ، حمد الله تعالى وشكره[1] على توفيقه . وإن ذكر معصية أو تقصيراً استغفر الله تعالى وعزم على ترك معاودته ، ومحى ذلك عن نفسه بتجديد الصلاة على محمّد وآله الطيّبين ، وعرض بيعة أميرالمؤمنين علي عليه السلام على نفسه وقبولها[2] لها ، وإعادة لعن أعدائه وشانئيه ودافعيه عن حقوقه . فإذا فعل ذلك ، قال الله تعالى عزّ وجلّ: لست أناقشك في شيء من الذنوب ، مع موالاتك أوليائي ومعاداتك أعدائي .

وفي تفسير العياشي[3]: عن محمّد بن عليّ الحلبي ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه كان يقرأ: « ملك[4] يوم الدين ». عن فرقد[5] ، قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقرأ ما لا أحصي : « ملك يوم الدين ».

[وفي الحديث[6]: إذا قال العبد : « مالك يوم الدين » قال الله تعالى : أشهدكم كما اعترف بأنّي مالك يوم الدين ، لأُسهّلنّ يوم الحساب حسابه ، ولأُثقلنّ حسناته ، ولأتجاوزنّ عن سيّئاته)[7]][8].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾: ذهب الزجاج إلى أنّ « إيّا » مظهر مبهم ، أضيف إلى الشيء بعده ، إزالة لإبهامه . وكان « إيّاك » بمعنى : نفسك .

والخليل ، إلى أنّه مضمر مضاف إلى ما بعده . واحتجّ بما حكاه عن بعض العرب : إذا بلغ الرجل الستّين ، فإيّاه وإيّا الشواب .

ورُدّ بأنّ الضمير لايضاف ، وما نُقل عن بعض العرب شاذّ لا يُعتمد عليه .

---

١. المصدر : كبّره.
٢. المصدر : قبوله.
٣. تفسير العياشي ، ٢٢/١ . وهو ليس في أ.
٤. في ج ونور الثقلين ج ١ ح ٧٩ ص ١٩ : مالك.
٥. في ج ونور الثقلين ج ١ ح ٨٠ ص ١٩ : عن داود بن فرقد.
٦. عيون الأخبار ، ٣٠١/١.
٧. ما بين القوسين مشطوب في المتن وغير موجود في ر.
٨. ما بين المعقوفتين ليس في ج.

وابن كيسان وبعض الكوفيّة، إلى أنّ «الكاف» وأخواته هي الضمائر التي كانت متّصلة، و«إيّا» دعامة لها لتصيّرها منفصلة.

والأخفش، إلى أنّ «إيّا» ضمير منفصل، ولواحقه حروف لامحلّ لها من الإعراب، تدلّ على أحوال ما أريد به من الخطاب والتذكير والإفراد وما يقابلها[1].

وقرئ: «إياك» بتخفيف الياء. و«أيّاك» بفتح الهمزة، وتشديد الياء. و«هيّاك» بقلبها هاء.

و «العبادة» هي أقصى غاية الخضوع والتذلّل. ومنه: طريق معبد؛ أي: مذلل. وثوب ذو عبدة: إذا كان في غاية الصفاقة. ولذلك لايستعمل إلّا في الخضوع لله.

«والاستعانة» طلب المعونة. وهي إمّا ضرورية أو غير ضروريّة.

والضروريّة ما[2] لايتأتّى الفعل بدونه؛ كاقتدار الفاعل وتصوّره وحصول آلة ومادّة يفعل بها فيها. وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح أن يُكلَّف بالفعل.

وغير ضروريّة يسهل الفعل به، كالراحلة في السفر للقادر على المشي، أو يقرّب الفاعل إلى الفعل ويحثّه عليه. وهذا القسم لا يتوقّف عليه صحّة التكليف. هكذا قيل[3].

يقال: استعانه واستعان به، بمعنى وإنّما اختير استعماله بلا واسطة الحرف، إشارة إلى أنّ العبد ينبغي أن لايرى بينه وبين الحق سبحانه واسطة في الاستعانة، بأن يقصر نظره عليه أو يرى الوسائط منه.

وتقديم المفعول لقصد الاختصاص. وتكريره ليكون نصّاً في اختصاص كلّ من العبادة والاستعانة به سبحانه.

وفي إيراد «إيّاك» دون «إيّاه» كما هو مقتضى الظاهر، التفات من الغيبة إلى الخطاب.

---

١. الكشاف ١٣/١؛ مجمع البيان، ٢٥/١.

٢. يوجد في أنوار التنزيل ٩/١.

٣. أنوار التنزيل ٩/١.

ومن النكتة الخاصّة في الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في هذا المقام، بعد اشتماله على فائدة عامة من جهة المتكلّم، وهي التصرف والافتنان في وجوه الكلام وإظهار القدرة عليها، ومن جهة المخاطب، وهي تطرية نشاطه في سماع الكلام، وإيقاظه للإصغاء إليه. إنّه لما قيل: «إيّاك» بدل «إيّاه» فقد نزل الغائب بواسطة أوصافه المذكورة التي أوجب تميّزه وانكشافه، حتّى صار كأنّه تبدل خفاء غيبته بجلاء حضوره منزلة المخاطب في التمييز والظهور. ثمّ أُطلق عليه ما هو موضوع للمخاطب. ففي إطلاقه ملاحظة لتلك الأوصاف، فصار الحكم مرتّباً على الأوصاف؛ كأنّه قيل: أيّها الموصوف المتميّز بهذه الأوصاف! نخصّك بالعبادة والاستعانة. فيفهم منه عرفاً أنّ العبادة والاستعانة، لتميزه بتلك الصفات.

ومنها: التنبيه على أنّ القراءة إنّما يُعتدّ بها، إذا صدرت عن قلب حاضر وتأمّل وافر يجد القارئ في ابتداء قراءته محرّكاً نحو الإقبال على منعمه الذي أجرى حمده على لسانه. ثمّ يزداد قوّة ذلك المحرك بحسب إجراء تلك الصفات العظام، حتّى إذا آل الأمر إلى خاتمتها أوجب إقباله عليه وخطابه بحصر العبادة والاستعانة فيه.

ومنها: الإعلام بأنّ «الحمد» «والثناء» ينبغي أن يكون على وجه يوجب ترقّي الحامد[١] من حضيض بعد الحجاب والمغايبة، إلى ذروة قرب المشاهدة والمخاطبة.

ومنها: الإشارة إلى أنّ العبادة المستطابة والاستعانة المستجابة في مقام العبودية، إنّما يليق بهما أن تعبد ربّك كأنّك تراه وتخاطبه.

ومنها: الإشارة إلى أنّه ينبغي أن يكون تالي كلامه سبحانه بحيث يتجلّى له المتكلّم فيه ويصير مشهوداً له، فيخاطبه بتخصيص العبادة والاستعانة به؛ كما روي عن الصادق عليه السلام[٢] أنّه قال: لقد تجلّى الله تعالى لعباده[٣] في كلامه، ولكن لا يبصرون.

---

١. في ج: الحامدين.

٢. المحجة البيضاء ٢٤٧/٢؛ نقلاً عن أسرار الصلاة للشهيد ٢٠٤؛ مفتاح الفلاح، ٢٩٢.

٣. المصدر: لخلقه.

وعنه[١] ـ أيضاً ـ: أنّه خرّ مغشياً عليه، وهو في الصلاة ـ، فسئل عن ذلك.

فقال: ما زلت أردّد الآية، حتّى سمعتها من المتكلّم بها.

والضمير المستكن في الفعلين، للقارئ ومن معه؛ من الحفظة أو حاضري الجماعة، أو له ولسائر الموحّدين، أو له ـ فقط ـ لاستجماعه القوى والحواس. فكان[٢] لكلّ منها عبادةً واستعانة، (أو لأنّ العبادة وسيلة)[٣].

قيل: أو لوصوله إلى مقام الجمع، فيرى العبادات والاستعانات كلّها صادرة عنه.

وتقديم العبادة على الاستعانة لرعاية الفاصلة، أو لأنّ العبادة وسيلة إلى الاستعانة إن كان المراد بها الاستعانة على ما عدا العبادة من المهمّات.

ولاشك أنّ تقديم الوسيلة أدخل في استيجاب الإجابة، وإن كان المراد بها الاستعانة على العبادة، أو الاستعانة مطلقاً بحيث يدخل فيه العبادة أيضاً.

فوجه تقديمها ظاهر أيضاً؛ لأنّها مقصودة بالنسبة إلى الاستعانة، وإن كان طلب المعونة على الشيء مقدّماً عليه.

وقيل: لايبعد أن يجعل العبادة إشارة إلى الفناء في الله؛ لأنّ غاية الخضوع هي الرجوع إلى العدم الأصلي، والاستعانة إشارة إلى طلب البقاء بعد الفناء لتيسّر[٤] السير في الله. وحينئذ وجه التقديم ظاهر كما لايخفى، وفيه ما لايخفى.

وإنّما أطلق الاستعانة ولم يقيّدها بكلّ مستعان فيه ولابعض ليحتمل الكلّ، ويحمله القارئ على ما يناسب حاله.

وقرئ: «نستعين» بكسر النون، وهي لغة تميم. فإنّهم يكسرون حروف المضارعة، سوى الياء، إذا لم ينضمّ ما بعدها»[٥].

---

١. بحار الأنوار ٢٤٧/٨٤، ح ٣٩. نقلاً عن فلاح السائل.

٢. ر: فكأنّه.

٣. ما بين القوسين يوجد في أ.

٤. في ج: لتيسير.

٥. أنوار التنزيل، ٩/١.

وقيل: «الواو» للحال. والمعنى: نعبدك مستعينين بك[١].

فأقول: لمّا نسب المتكلّم العبادة إلى نفسه، أوهم ذلك تبجّحاً واعتداداً منه بما صدر عنه، فعقّبه بقوله: «وإيّاك نستعين» ليدلّ على أنّ العبادة أيضاً ممّا لاتتمّ ولاتستتب، إلّا بمعونة الله.

(وفي من لايحضره الفقيه[٢]: وفيما ذكره الفضل من العلل عن الرضا عليه السلام: «إيّاك نعبد» رغبة وتقرّب إلى الله تعالى ذكره وإخلاص له بالعمل دون غيره. و«إيّاك نستعين» استزادة من توفيقه وعبادته، واستدامة لما أنعم الله عليه ونصره.

وفي مجمع البيان[٣]: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى منّ عليّ بفاتحة الكتاب. إلى قوله: «إيّاك نعبد» إخلاص للعبادة. «وإيّاك نستعين» أفضل ما طلب به العباد حوائجهم.

وفي تفسير العياشي[٤]: عن الحسن بن محمّد الجمّال، عن بعض أصحابنا، قال: بعث عبدالملك بن مروان إلى عامل المدينة أن وجّه إليّ محمّد بن عليّ بن الحسين ولاتهيّجه ولاتروّعه، واقض له[٥] حوائجه. وقد كان ورد على عبدالملك رجل من القدرية، فحضر جميع من كان بالشام، فأعياهم جميعاً.

فقال: ما له[٦] إلّا محمّد بن علي.

فكتب إلى صاحب المدينة، أن يحمل محمّد بن علي إليه. فأتاه صاحب المدينة بكتابه.

فقال له أبوجعفر عليه السلام: إنّي شيخ كبير لا أقوى على الخروج. وهذا جعفر ابني، يقوم مقامي. فوجّهه إليه.

---

١. نفس المصدر.

٢. من لا يحضره الفقيه ٣١٠/١، ضمن ح ٩٢٦؛ عيون الأخبار ١٠٧/٢.

٣. مجمع البيان، ٣١/١.

٤. تفسير العياشي ٢٣/١، ح ٢٤.

٥. ليس في ج.

٦. المصدر: لهذا.

فلمّا قدم على الأموي ازدراه[١] لصغره، وكره أن يجمع بينه وبين القدري مخافة أن يغلبه. وتسامع الناس بالشام بقدوم جعفر لمخاصمة القدري[٢]. فلمّا كان من الغد، اجتمع الناس لخصومتهما[٣].

فقال الأموي لأبي عبدالله عليه السلام إنّه قد أعيانا أمر هذا القدري. وإنّما كتبت إليك لأجمع بينك وبينه، فإنّه لم يدع عندنا أحداً إلّا خصمه.

فقال: إنّ الله يكفيناه.

[قال:][٤] فلمّا اجتمعوا، قال القدري لأبي عبدالله عليه السلام: سل عمّا شئت!

فقال له: اقرأ سورة الحمد!

قال: فقرأها.

فقال الأموي ـ و[٥] أنا معه ـ: ما في سورة الحمد علينا. إنّا لله وإنّا إليه راجعون. [قال:][٦] فجعل القدري يقرأ سورة الحمد، حتّى بلغ قول الله تبارك وتعالى: «إيّاك نعبد وإيّاك نستعين».

فقال له جعفر عليه السلام: قِف! بمن تستعين؟ وما حاجتك إلى المعونة؟ إنّ الأمر إليك. «فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين»[٧].

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي[٨] رحمه الله حديث عن النبي صلى الله عليه وآله، وفيه: يقول لأصحابه: قولوا: «إيّاك نعبد» أي: [نعبد][٩] وحدك[١٠]، ولا نقول كما قالت الدهرية: إنّ الأشياء لابدء لها، وهي دائمة. ولا كما قالت[١١] الثنوية (الذين قالوا)[١٢]: إنّ النور والظلمة هما

---

١. المصدر: اذدراه.
٢. في ج: لخصومتها.
٣. في ج: لخصومتها.
٤. من المصدر.
٥. الواو موجودة في نور الثقلين ج ١، ح ٨٣، ص ٢٠. والأظهر وجودها.
٦. من المصدر.
٧. البقرة / ٢٥٨.
٨. الاحتجاج ٢٥/١.
٩. من المصدر.
١٠. المصدر: واحداً.
١١. في ج: قال.
١٢. ليس في المصدر.

المدبّران. ولا كما قال مشركو العرب: إنّ أوثاننا آلهة. فلا نشرك بك شيئاً، ولاندعو من دونك إلهاً كما يقول هؤلاء الكفار، ولا كما تقول النصارى واليهود[١] إنّ لك ولداً، تعاليت عن ذلك علوّاً كبيراً)[٢].

وفي شرح الآيات الباهرة: قال الإمام[٣] عليه السلام: «إيّاك نعبد وإيّاك نستعين». قال: قال الله تعالى: قولوا أيّها الخلق المنعم عليهم: «إيّاك نعبد» أيّها المنعم علينا. ونطيعك مخلصين مع التذلّل والخضوع، بلا رياء ولاسمعة. «وإيّاك نستعين» منك نسأل المعونة على طاعتك، لنؤدّيها كما أمرت، ونتّقي من دنيانا ما عنه نهيت[٤]، ونعتصم من الشيطان [الرجيم][٥] ومن سائر مردة [الجنّ و][٦] الإنس المضلّين و [من][٧] المؤذين الظالمين بعصمتك)[٨].

(وفي الحديث[٩]: إذا قال العبد: «إيّاك نعبد» قال الله: صدق عبدي، إيّاي يعبد. أشهدكم لأثيبه على عبادته ثواباً يغبطه كلّ من خالفه في عبادته لي.

فإذا قال: «وإيّاك نستعين» قال الله: بي استعان، وإليّ التجأ. أشهدكم لأعيننّه في شدائده[١٠] ولآخذنّ بيده يوم نوائبه)[١١].

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾: بيان للمعونة المطلوبة، أو إفراد لما هو المقصود الأعظم.

و «الهداية»: دلالة بلطف. ولذلك يستعمل في الخير. فقوله تعالى: «فاهدوهم إلى

---

١. المصدر: لا نقول كما قالت اليهود والنصارى.
٢. ليس في المصدر.
٣. تفسير العسكري عليه السلام، ٣٩؛ تأويل الآيات، ١/٢٧.
٤. المصدر: نهيت عنه.
٥. من المصدر.
٦. من المصدر.
٧. من المصدر.
٨. ما بين القوسين ليس في أ.
٩. عيون الأخبار، ١/٣٠١.
١٠. المصدر: لأعيننّه على أمره ولأغيثنّه في شدائده.
١١. ما بين القوسين مشطوب في المتن وليس في ر.

صراط الجحيم »[١] على التهكّم. ومنه « الهدية »، و« هوادي الوحش » لمقدّماتها.

والفعل منه هدى. وأصله أن يُعدّى باللام و[٢] إلى فعومل معه[٣] معاملة « اختار » في قوله تعالى: « واختار موسى قومه »[٤].[٥]

ومن هنا يظهر أن لافرق بين المتعدّي بنفسه والمتعدّي بالحرف.

لكن نقل عن صاحب الكشاف: أنّ هداه لكذا وإلى كذا، إنّما يقال إذا لم يكن في ذلك فيصل بالهداية إليه. وهداه كذا، لمن يكون فيه (فيزداد أو يثبت، ولمن لايكون فيصل. وقد يقال: لا نزاع في الاستعمالات الثلاث، إلّا أنّ منهم من فرّق بأنّ معنى المتعدّي بنفسه: هو الإيصال إلى المطلوب، ولايكون إلّا فعل الله. فلا يسند إلّا إليه. كقوله: « لنهدينّهم سبلنا »[٦] ومعنى المتعدّي بحرف الجرّ: هو الدلالة على ما يوصل إليه، فيسند تارة إلى القرآن وأخرى إلى النبي ﷺ.

« قيل »[٧]: وهداية الله تعالى تتنوّع أنواعاً لايحصيها عدّ، لكنّها تنحصر في أجناس مترتّبة:

الأوّل ـ إفاضة القوى التي يتمكّن بها من العبد الاهتداء[٨] إلى مصالحه؛ كالقوى العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة.

والثاني ـ نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل، والصلاح والفساد.

والثالث ـ الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

الرابع ـ أن يكشف على قلوبهم السرائر، ويريهم الأشياء كما هي، بالوحي[٩]

---

١. الصافات / ٢٣.

٢. في أنوار التنزيل: « أو » بدل « و. » وهو الأظهر.

٣. ليس في أنوار التنزيل.

٤. الأعراف / ١٥٥.

٥. أنوار التنزيل، ٩/١.

٦. العنكبوت / ٦٩.

٧. أنوار التنزيل، ١٠/١ـ٩.

٨. أنوار التنزيل وج: يتمكّن بها العبد من الاهتداء. وهو إلّا أنّه في أنوار التنزيل. الصحيح: بها يتمكّن المرء.

٩. أنوار التنزيل: بالوحي أو الإلهام. ج: بالوحي أو الإلهام.

والمنامات الصادقة. وهذا القسم[١] يختصّ بنيله الأنبياء والأولياء.

وطلب الهداية وغيرها من المطالب قد يكون بلسان القول، وقد يكون بلسان الاستعداد. فما يكون بلسان الاستعداد لايتخلّف عنه المطلوب، وما يكون بلسان القول ووافقه الاستعداد استجيب، وإلّا فلا.

فإن قلت: فعلى هذا لاحاجة إلى لسان القول.

قلت: يمكن أن يحصل في بعض استعداد المطلوب، من الطلب بلسان القول. فالاحتياط أن لايترك الطالب الطلب بلسان القول. فبالنسبة إلى بعض المراتب يطلب بلسان الاستعداد، وفي بعضها بلسان القول ـ انتهى كلامه.

وطلب الهداية بعد الاهتداء. فإنّ من خصّص «الحمد» بالله سبحانه وأجرى عليه تلك الصفات العظام، وحصر العبادة والاستعانة فيه، كان مهتدياً، محمول على طلب زيادة الهداية أو الثبات عليها.

وقيل: إذا كان السالك في مقام السير إلى الله، ولم يصل إلى مطلوبه، فلا شكّ أنّ بينه وبين مطلوبه مسافة ينبغي أن يقطعها حتّى يصل إليه، فلا بدّ له من طلب الهداية ليقطع تلك المسافة.

وإذا كان في السير في الله، فليس لمطلوبه نهاية. ولا ينتهي سيره أبد الآبدين، فلا بدّ له أيضاً من طلب الهداية[٢].

ولا يخفى عليك، أنّ هذا وما سبق من التأويل وما سيأتي منه، مبني على ما ذهب إليه الصوفية من الأصول الفاسدة. والغرض من نقله الاطّلاع على فساده.

[فبالجملة، لابدّ من طلبها، وإن كانت حاصلة في بعض المراتب][٣]. وهذه الصيغة، موضوعة لطلب الفعل مطلقاً، لكنه من الأعلى أمر ومن الأدنى دعاء ومن

---

١. أنوار التنزيل: وهذا قسم.

٢. في ج بعد كلمة «الهداية»: وبالجملة لابدّ من طلبها، وإن كانت حاصلة في بعض المراتب.

٣. ما بين القوسين ليس في ج.

المساوي التماس. واعتبر بعضهم في الأمر الاستعلاء، وفي الدعاء التضرّع، وفي الالتماس عدمهما.

و«السراط»: الجادّة. سمّي به على ما توهّم أنّه يبتلع سالكه، أو يبتلعه سالكه؛ كما يقال: أكلته المفازة: إذا أضمرته، أو أهلكته. وأكل المفازة: إذا قطعها. ولذلك سمّي باللقم؛ لأنّه يلتقمهم أو يلتقمونه.

وقيل: يناسب ابتلاع الصراط السالك السير إلى الله، فإنّ هذا السير ينتهي إلى فناء السالك، وذلك هو ابتلاع الصراط إيّاه.

وابتلاع السالك الصراط، يناسب السير في الله، فإنّ السالك حينئذ يبقى ببقاء الله سبحانه ويسير في صفاته، ويتحقّق بها، فكأنّه يبتلعها ويتغذّى بها.

و«الصراط» من قلب السين صاداً لأجل الطاء؛ لأنّها مستعلية، فتوافقها الصاد، لكونها أيضاً من المستعلية، بخلاف السين، فإنّها من المنخفضة. ففي الجمع بينهما بعض الثقل، ويشم الصاد صوت الزاي، ليكتسى بذلك نوع جهر فيزداد قربها من الطاء.

وقيل: ليكون أقرب إلى المبدل عنه.

وقرئ بهن، جميعاً. والأفصح، اخلاص الصاد. وهي لغة قريش. والجمع، سُرُط؛ ككُتُب.

و«الصراط» يذكّر ويؤنّث؛ كالطريق، والسبيل[1].

وقرأ ابن مسعود: أرشدنا.

قيل: المراد «بالمستقيم»: ما يؤدّي إلى المقصود، سواء كان أقرب الطرق أم لا. فغير المستقيم ما لا يؤدّي إلى المقصود أصلاً.

أو المراد أقرب الطرق إلى المقصود، فإنّ أقرب خطّ وصل بين نقطتين هو

---

١. أنوار التنزيل، ١/١٠.

المستقيم. فغير المستقيم ـ على هذا ـ لا يجب أن يكون من طرق الضلال المطلق، بل يكون أعم.

أو المراد به أعدل الطرق، وهو غير المائل عنه يمنة ويسرة.

قيل: فطلب الهداية إلى الأول يناسب أهل السعادة مطلقاً.

وإلى الثاني، يناسب المتوجّهين إليه بالوجه الخاصّ، فإنّه أقرب الطرق.

وإلى الثالث، يناسب طالبي مرتبة الجمع بين الجمع والفرق. فإنّ طريقهم غير مائل إلى يمين الجمع، ولا إلى يسار الفرق.

وقيل[١]: المراد به: ملّة الإسلام.

وفي من لا يحضره الفقيه[٢]: وفي ما ذكره الفضل من العلل، عن الرضا عليه السلام أنّه قال: «اهدنا الصراط المستقيم» استرشاد لدينه، واعتصام بحبله، واستزادة في المعرفة لربّه عزّ وجلّ ولعظمته وكبريائه.

وفي مجمع البيان[٣]: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى منّ عليّ بفاتحة الكتاب. إلى قوله: «اهدنا الصراط المستقيم» صراط الأنبياء، وهم الذين أنعم الله عليهم.

وفيه[٤]: قيل في معنى «الصراط» وجوه: أحدها أنّه كتاب الله. وهو المرويّ عن النبي صلى الله عليه وآله وعن علي عليه السلام.

وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[٥]: في الموثّق، عن أبي عبدالله عليه السلام «اهدنا الصراط المستقيم» قال: الطريق ومعرفة الإمام.

وبإسناده[٦]، إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: والله! نحن الصراط المستقيم.

وفي كتاب معاني الأخبار[٧]: بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ:

---

١. الكشاف ١٥/١؛ أنوار التنزيل ١٠/١.

٢. من لا يحضره الفقيه ٣١٠/١، ح ٩٢٦.

٣. مجمع البيان، ٣١/١.

٤. نفس المصدر.

٥. تفسير القمي، ٢٨/١.

٦. نفس المصدر، ٦٦/٢.

٧. معاني الأخبار ٢٨، ح ٣.

«وإنّه[١] في أمّ الكتاب لدينا لعلي حكيم»[٢]، وهو أميرالمؤمنين عليه السلام في أمّ الكتاب في قوله عزّ وجلّ[٣]: «اهدنا الصراط المستقيم».

وبإسناده[٤] إلى المفضّل بن عمر، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن «الصراط»؟

فقال: هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجلّ. وهما صراطان، صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة.

فأمّا الصراط [الذي][٥] في الدنيا، فهو الإمام المفترض الطاعة. من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه، مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا، زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة، فتردى في نار جهنّم.

وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[٦]: أيضاً بإسناده إلى حفص بن غياث، قال: وصف أبو عبدالله عليه السلام «الصراط»، فقال: ألف سنة صعود، وألف سنة هبوط، وألف سنة حدال[٧].

وإلىٰ سعدان بن مسلم[٨]، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن «الصراط»؟

قال: هو أدقّ من الشّعر، وأحدّ من السيف. فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق، ومنهم من يمرّ عليه مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرّ عليه ماشياً، ومنهم من يمرّ عليه حبواً ومنهم من يمرّ عليه متعلّقاً، فتأخذ النار منه شيئاً وتترك منه شيئاً.

وفي كتاب معاني الأخبار[٩]: بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: «الصراط المستقيم» أميرالمؤمنين[١٠].

---

١. في «ج» والمصدر وفي نور الثقلين ج ١ ح ٩٠، ص ٢١ بعد قول الله عزّ وجلّ هكذا: «اهدنا الصراط المستقيم». قال: هو أميرالمؤمنين ومعرفته. والدليل على أنّه أميرالمؤمنين قول الله عزّ وجلّ ... وهو الصحيح.

٢. من المصدر، وهي في الزخرف، ٤.

٣. ليس في ج.

٤. نفس المصدر ٢٨، ح ١.

٥. من المصدر.

٦. تفسير القمي، ٢٩/١.

٧. في النسخ: حذاك، والمثبت من المصدر وهو الأظهر. وحَدِل: شي في ميل إلى أحد جانبيه.

٨. تفسير القمي، ٢٩/١.

٩. معاني الأخبار ٢٨، ح ٢.

١٠. في المصدر: أميرالمؤمنين علي عليه السلام.

حدثنا[١] محمّد بن القاسم الإسترآبادي المفسر، قال: حدثني يوسف بن محمّد بن زياد وعليّ بن محمّد بن سيار[٢] عن أبويهما، عن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام في قوله: «اهدنا الصراط المستقيم»، قال: أدم لنا توفيقك الذي به أطعناك في ما مضى من[٣] أيّامنا، حتّى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا.

و«الصراط المستقيم» هو صراطان[٤]: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة.

فأمّا الطريق المستقيم[٥] في الدنيا، فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام، فلم يعدل إلى شيء من الباطل.

و[٦] الطريق الآخر، [فهو][٧] طريق المؤمنين إلى الجنة، الذي هو مستقيم، لايعدلون عن الجنة إلى النار، ولا إلى غير النار سوى الجنة.

قال: وقال جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «اهدنا الصراط المستقيم»، قال: يقول: أرشدنا الصراط المستقيم. أرشدنا للزوم الطريق المؤدّي إلى محبّتك، والمبلغ دينك، والمانع من أن نتّبع هوانا[٨] فنعطب أو نأخذ بآرائنا فنهلك.

وبإسناده[٩] إلى محمّد بن سنان، عن المفضل بن عمر، قال: حدثني ثابت الثمالي، عن سيّد العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: نحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم.

وبإسناده[١٠] إلى سعد بن طريف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا علي! إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط، فلم يجز أحد إلّا من كان معه كتاب فيه براءة بولايتك.

---

١. نفس المصدر ٣٣، ح ٤.

٢. المصدر: يسار.

٣. ليس في المصدر.

٤. المصدر: وأمّا الصراط المستقيم.

٥. المصدر: وأمّا الصراط المستقيم.

٦. المصدر: وأمّا.

٧. من المصدر.

٨. المصدر: أهواءنا.

٩. نفس المصدر ٣، ح ٥.

١٠. نفس المصدر ٣، ح ٦.

وفي أصول الكافي[١]: بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى نبيّه صلى الله عليه وآله: «فاستمسك بالّذي أوحي إليك إنّك على صراط مستقيم»[٢].

قال: إنّك على ولاية عليّ عليه السلام، وعليّ عليه السلام هو الصراط المستقيم.

عليّ بن محمّد[٣]، عن بعض أصحابنا، عن ابن محبوب، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: قلت: «أفمن يمشي مكبّاً على وجهه أهدى أم من يمشي سويّاً على صراط مستقيم»[٤].

قال: إنّ الله ضرب مثل من حاد عن ولاية علي، كمثل[٥] من يمشي على وجهه لايهتدي لأمره. وجعل من تبعه سويّاً على صراط مستقيم، و«الصراط المستقيم» أميرالمؤمنين عليه السلام.

وفي شرح الآيات الباهرة[٦]: قال الإمام عليه السلام: قال جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام فقوله عزّ وجلّ: «اهدنا الصراط المستقيم»: يقول: أرشدنا الصراط المستقيم، للزوم الطريق المؤدّي إلى محبّتك والمبلغ [إلى][٧] جنّتك، والمانع من أن نتّبع أهواءنا فنعطب، أو نأخذ بآرائنا فنهلك.

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل، عن الله عزّ وجلّ أنّه قال: يا عبادي! كلّكم ضالّ إلّا من هديته. فسلوني الهدى أهدكم.

ومنه: يا عبادي! اعملوا أفضل الطاعات وأعظمها لأسامحكم، وإن قصرتم فيما سواها. واتركوا أعظم المعاصي وأقبحها، لئلّا أناقشكم في ركوب ما عداها. إنّ أعظم الطاعات توحيدي وتصديق نبيّي والتسليم لمن نصبه بعده، وهو عليّ بن أبي طالب والأئمة الطاهرون عليهم السلام من نسله. وإنّ أعظم المعاصي عندي الكفر بي وبنبيّي ومنابذة

---

١. الكافي ٤١٦/١، ح ٢٤.
٢. الزخرف / ٤٣.
٣. الكافي، ٤٣٣/١.
٤. الملك / ٢٢.
٥. المصدر: كمن.
٦. تأويل الآيات الباهرة /٥.
٧. من المصدر.

وصيّ محمّد من بعده عليّ بن أبي‌طالب وأوليائه بعده. فإن أردتم أن تكونوا عندي في المنظر الأعلى والشرف الأشرف، فلا يكوننّ أحد من عبادي آثر عنده من محمّد. وبعده من أخيه عليّ، وبعدهما من أبنائهما القائمين بأمور عبادي بعدهما. فإنّ من كانت تلك عقيدته، جعلته من أشراف ملوك جنّاتي.

واعلموا أنّ أبغض الخلق إليّ، من تمثّل بي وادّعى ربوبيّتي. وأبغضهم إليّ بعده، من تمثّل بمحمّد ونازعه نبوّته وادّعاها. وأبغضهم إليّ بعده، من تمثّل بوصيّ محمّد عليه السلام ونازعه محلّه وشرفه وادّعاهما. وأبغض الخلق إليّ من بعد هؤلاء، المدّعين لما به لسخطي يتعرّضون من كان لهم على ذلك من المعاونين. وأبغض الخلق إليّ بعد هؤلاء، من كان بفعلهم من الراضين وإن لم يكن لهم من المعاونين.

وكذلك أحبّ الخلق إليّ، القوّامون بحقي. وأفضلهم لديّ وأكرمهم عليّ محمّد سيّد الورى. وأكرمهم وأفضلهم بعده عليّ أخو المصطفى، المرتضى. ثمّ بعدهما القوّامون بالقسط من[1] أئمة الحق. وأفضل الناس بعدهم مَنْ أعانهم على حقهم. وأحبّ الخلق إليّ[2] بعدهم مَنْ أحبّهم وأبغض أعداءهم، وإن لم يمكنه معونتهم.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: بدل من الأوّل، بدل الكلّ، لفائدتين:

احداهما: التأكيد بذكر «الصراط» مرّتين لفظاً، وتكرير العامل تقديراً. ويلزمهما تكرير النسبة.

وثانيتهما: الايضاح بتفسير المبهم. وفيه ـ أيضاً ـ نوع تأكيد، فإنّ ذكر الشيء مبهماً وتفسيره يفيد تقريره وتأكيده.

وقرئ: «من أنعمت عليهم». و«عليهم» في محل النصب على المفعولية.

و «الإنعام» إيصال النعمة. وهي في الأصل الحالة التي يستلذّها الانسان. فأطلقت على ما يستلذّه من النعمة، وهي التنعّم.

---

١. ليس في المصدر.
٢. ليس في المصدر.

ونعم الله وإن كانت لاتحصى؛ كما قال: «وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها»[١]. تنحصر في جنسين: دنيوي وأخروي.

والأول قسمان: موهبي، وكسبي.

والموهبي قسمان: روحاني كالروح، وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق. وجسماني كالبدن والقوى الحالّة فيه والهيئات العارضة[٢] له من الصحة وكمال الأعضاء.

والكسبي: تزكية النفس عن الرذائل، وتحليتها بالأخلاق والملكات الفاضلة، وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة، وحصول الجاه والمال.

والثاني: أن يغفر ما فرط منه، ويرضى عنه، ويبوّأه في أعلى علّيين، مع الملائكة المقرّبين، أبد الآبدين.

والمراد هو القسم الأخير وما يكون وصلة إلى نيله من القسم الآخر. وما عدا ذلك، يشترك فيه المؤمن والكافر.

فالمراد بالمنعم عليهم، هم المؤمنون مطلقاً. وأطلق الإنعام ولم يقيّد بنعمة خاصة، ليشمل كلّ إنعام. ووجه صحة الشمول هو ادّعاء أنّ من أنعم الله عليه بنعمة الإسلام، لم يبق نعمة إلّا أصابته.

وقيل: الأنبياء عليهم السلام.

وقيل: أصحاب موسى)[٣] وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ.

وفي كتاب معاني الأخبار[٤]: بإسناده إلى جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: قول الله عزّ وجلّ في «الحمد»: «صراط الذين أنعمت عليهم» يعني: محمّداً وذريّته صلوات الله عليهم.

حدثنا[٥] محمّد بن القاسم الإستراآبادي [المفسر][٦] [قال:][٧] حدثني يوسف بن

---

١. ابراهيم / ٤٣.

٢. في ج: العارضيّة.

٣. ما بين القوسين ليس في أ.

٤. معاني الأخبار ٣٦، ح ٧.

٥. نفس المصدر ٣٦، ح ٩.

٦. من ر وج.

(المتوكل، عن)[٨] محمّد بن زياد وعليّ بن محمّد بن سيار، عن أبويهما، عن الحسن ابن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام في قول الله تعالى: «صراط الذين أنعمت عليهم» أي: قولوا: اهدنا صراطِ الذين أنعمت عليهم، بالتوفيق لدينك وطاعتك. وهم الذين قال الله عزّ وجلّ: «ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً»[٩].

وحكى هذا بعينه عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: ثمّ قال: ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحة البدن، وإن كان كلّ هذا نعمة من الله ظاهرة. ألا ترون أنّ هؤلاء قد يكونون[١٠] كفّاراً أو فسّاقاً. فما ندبتم إلى أن تدعوا بأن ترشدوا إلى صراطهم. وإنّما أمرتم بالدعاء إلى أن[١١] ترشدوا إلى صراط الذين أنعم عليهم بالإيمان بالله وتصديق رسوله وبالولاية لمحمّد وآله الطيّبين وأصحابه الخيّرين المنتجبين[١٢]، وبالتقيّة الحسنة التي يسلم بها من شرّ أعداء[١٣] الله ومن الزيادة في آثام أعداء الله وكفرهم، بأن تداريهم[١٤] ولا تغريهم[١٥] بأذاك وأذى المؤمنين، وبالمعرفة بحقوق الإخوان من المؤمنين.

(حدثنا الحسن بن محمّد بن سعيد الهاشمي، قال: حدثنا فرات بن ابراهيم، قال: حدثني عبيد بن كثير، قال: حدثنا[١٦] محمّد بن مروان، قال: حدثنا عبيد بن يحيى بن مهران العطار، قال: حدثنا محمّد بن الحسين، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في قول الله عزّ وجلّ: «صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا

---

٧. من ج. ووجودها الأصحّ.
٨. ليس في المصدر.
٩. النساء / ٦٩.
١٠. في ج: يكون. وهو خطأ.
١١. المصدر: بأن.
١٢. ليس في المصدر.
١٣. المصدر: عباد.
١٤. أ: تداويهم.
١٥. المصدر: ولا تعزيهم.
١٦. المصدر: حدثني.

الضالين ». قال: شيعة علي عليه السلام الذين أنعمت عليهم بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لم يغضب عليهم ولم يضلّوا)[١].

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة[٢]: بإسناده إلى خيثمة الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل، وفيه يقول عليه السلام: ونحن الطريق الواضح، و« الصراط المستقيم » إلى الله عزّ وجلّ. ونحن من نعمة الله على خلقه.

(وفي شرح الآيات الباهرة: ذكر أبوعلي الطبرسي رحمه الله في تفسيره[٣]: إنّهم النبيّ والأئمة صلوات الله عليهم، بدليل قوله: « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين »[٤]. (الآية)

ويؤيّد ذلك ما جاء في تفسيره[٥] عليه السلام. قال الإمام صلوات الله عليه: « صراط الذين أنعمت عليهم »؛ أي: قولوا: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك، وهم الذين قال الله: « ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ». وليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال والولد وصحة البدن. وإن كان كل ذلك[٦] نعمة من الله ظاهرة. ألا ترون أن هؤلاء قد يكونون كفاراً أو فساقاً؟ فما ندبتم إلى[٧] أن تدعوا بأن ترشدوا إلى صراطهم، وإنّما أمرتم بالدعاء أن ترشدوا إلى صراط الذين أنعم عليهم بالإيمان بالله وتصديق رسوله والولاية[٨] لمحمّد وآله الطيبين وأصحابه الخيّرين المنتجبين، وبالتقيّة الحسنة التي تسلم بها من شر أعداء[٩] الله، ومن الزيادة[١٠] في آثام[١١] أعداء الله

---

١. ما بين القوسين مشطوب في المتن وليس في ر.
٢. كمال الدين وتمام النعمة ٢٠٥/١، ح ٢٠.
٣. مجمع البيان، ٣٠/١.
٤. النساء / ٦٩.
٥. تفسير العسكري عليه السلام، ٤٧؛ تأويل الآيات، ٢٩/١.
٦. المصدر: هذا.
٧. ليس في المصدر.
٨. المصدر: بالولاية.
٩. المصدر: عباد.
١٠. المصدر: شر الزنادقة.
١١. المصدر: أيّام.

وكفرهم[١]، بأن تداريهم ولا تغريهم[٢] بأذاك ولا أذى المؤمنين، وبالمعرفة بحقوق الإخوان من المؤمنين. فإنّه ما من عبد ولاأمة والى محمّداً وآل محمّد وأصحاب محمّد، وعادى أعداءهم[٣]، إلّا كان قد اتّخذا[٤] من عذاب الله حصناً منيعاً وجنة حصينة)[٥].

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: بدل من «الذين أنعمت عليهم»[٦].

أو صفة له مبيّنة، بناءاً على إجراء الموصول مجرى النكرة؛ كقوله:

ولقد أمر على اللئيم يسبّني

أو على جعل «غير المغضوب عليهم» معرفة، بناءاً على اشتهار المنعم عليهم بمغايرة «المغضوب عليهم»؛ كما في قولك: عليك بالحركة[٧]، غير السكون.

أو مقيّدة[٨] على معنى أنّ المنعم عليهم، هم الذين جمعوا بين النعمة المطلقة، وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من الغضب والضلال.

وقرئ بالنصب على الحال. وذوي[٩] الحال، الضمير في «عليهم»، والعامل «أنعمت». أو بإضمار أعني أو بالاستثناء، إن فُسّر النعم بما يعمّ القبيلين[١٠].

و«الغضب»: ثوران النفس، إرادة الانتقام. فإذا أسند إلى الله أريد الانتهاء والغاية.

و «عليهم» في محل الرفع على الفاعلية. وإنّما جاء الإنعام مبيّناً للفاعل، ليدلّ على

---

١. المصدر: بكفرهم.
٢. المصدر: فلا تعزيهم.
٣. المصدر: من عاداهم.
٤. النسخ: كانا قد اتّخذا.
٥. ما بين القوسين ليس في أ.
٦. ليس في أ ور. وفي ج فقط كلمة «عليهم» غير موجودة.
٧. ليس في أ.
٨. يعني: أو صفة له مقيّدة. فمبيّنة، إذا كان المراد من «الذين أنعمت عليهم» المسلمين الكاملين، تكون الصفة مبيّنة؛ لأنّ الكاملين منهم آمنون من الغضب والضلال مطلقاً. وإذا أريد المؤمنون من غير تقييده بالكمال كانت هذه الصفة مقيّدة، لأنّها مختصّة ببعضهم.
٩. في ج: وذو.
١٠. في ج: القبيلتين.

ثبوت إنعام الله عليهم. وبالغضب[١]، مبيّناً للمفعول، لأن من[٢] طلبت منه الهداية ونُسِب إليه الإنعام، لايناسبه نسبة الغضب إليه. لأنّ المقام مقام تلطف وترضي[٣]، لطلب الإحسان، فلا يحسن مواجهته بصفة الانتقام.

وفي كتاب الإهليلجة[٤]: قال الصادق عليه السلام: وأمّا الغضب، فهو منّا إذا غضبنا، تغيرت طبائعنا وترتعد أحياناً مفاصلنا، وحالت[٥] ألواننا. ثمّ نجيء[٦] من بعد ذلك بالعقوبات. فسمي غضباً، فهذا كلام الناس المعروف.

والغضب شيئان: أحدهما في القلب، وأمّا المعنى: الذي هو في القلب، فهو منفي عن الله جلّ جلاله. وكذلك رضاه وسخطه ورحمته على هذه الصفة.

(وفي كتاب الاحتجاج[٧]، للطبرسي رحمه الله: وروينا بالأسانيد المقدم ذكرها، عن أبي الحسن العسكري عليه السلام أنّ أبا الحسن الرضا قال: إنّ من تجاوز بأميرالمؤمنين العبودية، فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين)[٨].

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ۝: وقرئ «وغير الضالين».

و«لا» هذه هي المسماة بالمزيدة عند البصريين. وهي إنّما[٩] تقع بعد الواو في سياق النفي للتأكيد والتصريح بتعلّق النفي بكل من المعطوفين، لئلّا يتوهم أنّ المنفي هو المجموع من حيث هو، فيجوز حينئذ ثبوت أحدهما. والنفي الذي وقعت «لا» بعد الواو في سياقه هو ما يتضمنه «غير». تقول: أنا زيداً غير ضارب. مع امتناع قولك: أنا زيداً مثل ضارب؛ لأنّه بمنزلة قولك: أنا زيداً لاضارب.

وقال الكوفيون: هي بمعنى «غير»، وهذا قريب من كونها زائدة، فإنّه لو صرّح

---

١. أي: وإنّما جاء بالغضب.
٢. أ: الا من.
٣. أ: ترقي. وج: ترَفق.
٤. بحار الأنوار، ١٩٦/٣.
٥. أ: مالت.
٦. أ: يجيء.
٧. الاحتجاج ٢٣٣/٢؛ تفسير الإمام، ٥٠.
٨. يوجد في أ.
٩. ر: وإنما هي.

« بغير » كان للتأكيد أيضاً.

(وقرئ : « ولا الضالّون » بالرفع . « ولا الضالين » بالهمزة[١]، على لغة من جدّ في الهرب عن التقاء الساكنين)[٢].

و« الضلال »: العدول عن الطريق السويّ عمداً أو خطأً . وله عرض عريض . والتفاوت ما بين أدناه وأقصاه كثير .

قيل[٣]: « المغضوب عليهم » اليهود ، لقوله تعالى : « لعنه الله وغضب عليه »[٤].

و« الضالين » النصارى ، لقوله تعالى : « قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً »[٥] [وقد روي مرفوعاً][٦].

وقيل[٧]: يتّجه أن يقال : « المغضوب عليهم » العصاة ، « والضالّون » الجاهلون بالله ؛ لأنّ المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به . فكان[٨] المقابل له ، من اختلّ احدى قوّتيه العاقلة والعاملة . والمخل بالعمل فاسق فمغضوب[٩] عليه ، لقوله تعالى في القاتل عمداً : « وغضب الله عليه »[١٠]، والمخل بالعلم[١١] جاهل ضالّ ، لقوله تعالى : « فماذا بعد الحق إلّا الضلال »[١٢].

وأقول : يحتمل أن يكون المراد « بالمغضوب عليهم »: الكفار الذين غضب عليهم ، فلم يهتدوا إلى طريق من طرق الحق أصلاً . و« بالضالين »: الذين منّ الله عليهم بالإسلام وأدخلهم في زمرة أهل الإيمان ، فضلّوا الطريق ولم يتفطّنوا لما هو المرام .

وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[١٣]: حدثني أبي ، عن حماد ، عن حريز ، عن أبي

---

١. أي : وقرئ : وإلّا الضالين ....

٢. ما بين القوسين ليس في أ.

٣. انظر : أنوار التنزيل ، ١١/١.

٤. المائدة / ٦٠. في المصدر : فيهم « من لعنه الله وغضب عليه ». وفي ج : منهم « من لعنه الله وغضب عليه »، وهو الأصحّ.

٥. المائدة / ٧٧.

٦. من المصدر .

٧. ليس في المصدر .

٨. المصدر : وكان.

٩. المصدر : مغضوب.

١٠. النساء / ٩٢.

١١. في المصدر : بالعقل.

٢٢. يونس / ٣٢.

١٣. تفسير القمي ، ٢٩/١.

عبدالله عليه السلام[1] «اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين[2] أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم وغير الضالين»، قال: «المغضوب عليهم» النصّاب. «والضالين» اليهود والنصارى.

وعنه[3]: عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «غير المغضوب عليهم وغير الضالين» قال: «المغضوب عليهم» النصّاب. «والضالين» الشكّاك الذين لايعرفون الإمام.

وفي كتاب معاني الأخبار[4]: حدثنا الحسن بن محمّد بن سعيد الهاشمي، قال: حدثنا فرات بن ابراهيم، قال: حدثنا عبيد بن كثير، قال: حدثنا محمّد بن مروان، قال: حدثني عبيد بن يحيى بن مهران العطار، قال: حدثنا محمّد بن الحسين، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قول الله عزّ وجلّ: «صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين». قال: شيعة علي عليه السلام الذين أنعمت عليهم بولاية عليّ ابن أبي طالب عليه السلام. لم يغضب عليهم، ولم يضلّوا.

وفي من لايحضره الفقيه[5]: وفيما[6] ذكره الفضل من العلل عن الرضا عليه السلام أنّه قال: «صراط الذين أنعمت عليهم» توكيد في السؤال والرغبة، وذكر لما قد تقدّم[7] من نعمه على أوليائه، ورغبة في مثل تلك النعم.

«غير المغضوب عليهم» استعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين، المستخفّين به وبأمره ونهيه.

«ولا الضالين» اعتصام من أن يكون من الذين ضلّوا عن سبيله من غير معرفة، وهم

---

١. في نور الثقلين ج ١، ح ١٠٦، ص ٢٤: أنّه قرأ....
٢. في نور الثقلين: «من» بدل «الذين» وهو الأظهر.
٣. نفس المصدر.
٤. معاني الأخبار ٣٦، ح ٨.
٥. من لا يحضره الفقيه ٣١٠، ح ٩٢٦؛ عيون الأخبار ١٠٧/٢، ح ١.
٦. في ج: وفيمن.
٧. ليس في ج.

يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً.

وفي مجمع البيان[1]: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى منّ عليّ بفاتحة الكتاب ـ إلى قوله ـ: «غير المغضوب عليهم» اليهود. «ولا الضالين» النصارى.

وفي كتاب الاحتجاج[2] للطبرسي رحمه الله: وروينا بالأسانيد المقدّم ذكرها، عن أبي الحسن العسكري عليه السلام: أنّ أبا الحسن الرضا عليه السلام قال: إنّ من تجاوز بأمير المؤمنين العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين.

وفي الاستبصار[3]: روى الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن معاوية بن وهب، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام أقول آمين إذا قال الإمام: «غير المغضوب عليهم ولا الضالين»؟

قال: هم اليهود والنصارى.

وفي تهذيب الأحكام[4]: محمّد بن أحمد بن يحيى، عن الحسين[5] بن موسى الخشاب، عن غياث بن كلوب، عن اسحاق بن عمار، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام: أنّ رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله اختلفا في صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله. فكتبا إلى أُبيّ بن كعب: كم كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله من سكتة؟

فقال[6]: كانت له سكتتان: إذا فرغ من أمّ القرآن، وإذا فرغ من السورة.

وفي شرح الآيات الباهرة: قال الإمام[7] عليه السلام: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أمر الله عزّ وجلّ عباده أن يسألوه[8] طريق المنعم عليهم، وهم النبيّون والصدّيقون والشهداء والصالحون. وأن يستعيذوا به من طريق «المغضوب عليهم» وهم اليهود [الذين][9]

---

١. مجمع البيان، ٣١/١.
٢. الاحتجاج، ٢٣٣/٢.
٣. الاستبصار ٣١٩/١، ح ١١٨٨.
٤. تهذيب الأحكام ٢٩٧/٢، ح ١١٩٦.
٥. المصدر: الحسن.
٦. المصدر: قال.
٧. تفسير العسكري عليه السلام، ٥٠؛ تأويل الآيات، ٣٠/١.
٨. النسخ: يسألوا.
٩. من المصدر.

قال الله تعالى فيهم[1]: «قل هل أنبّئكم بشرّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه (وجعل منهم القردة والخنازير)[2]» وأن يستعيذوا به من طريق «الضالين» وهم الذين قال الله تعالى فيهم: «قل يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولاتتّبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل» وهم النصارى.

وفي عيون الأخبار[3]: حدثنا محمّد بن القاسم المفسر الإستراآبادي رضي الله عنه قال: حدثنا يوسف بن محمّد بن زياد وعليّ بن محمّد بن سيار، عن أبويهما، عن الحسن بن عليّ (بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب)[4]، عن أبيه عليّ بن محمّد، عن أبيه محمّد بن علي، عن أبيه عليّ بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن آبائه، عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عزّ وجلّ: قسّمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل.

إذا قال العبد: «بسم الله الرحمن الرحيم». قال الله جلّ جلاله: بدأ عبدي باسمي، وحق عليَّ أن أتمّم له أموره، وأبارك له في أحواله.

فإذا قال: «الحمد لله ربّ العالمين». قال الله جلّ جلاله: حمدني عبدي، وعلم أنّ النعم التي له من عندي، وأنّ البلايا التي دفعت[5] عنه فبتطوّلي[6]. أشهدكم أنّي أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا.

وإذا[7] قال: «الرحمن الرحيم». قال الله جلّ جلاله: شهد لي عبدي أنّي الرحمن الرحيم. أشهدكم لأوفّرنّ من رحمتي حظّه، ولأجزلنّ من عطائي نصيبه.

فإذا قال: «مالك يوم الدين». قال الله تعالى: أشهدكم كما اعترف أنّي أنا الملك يوم

---

١. المائدة / ٦٠.
٢. ليس في المصدر.
٣. عيون الأخبار.
٤. ما بين القوسين ليس في المصدر.
٥. في ج: اندفعت.
٦. المصدر: فبطولي.
٧. المصدر: فإذا.

الدين، لأسهلنّ يوم الحساب حسابه، ولأتجاوزنّ عن سيئاته.

فإذا قال العبد[١]: «ايّاك نعبد». قال الله عزّ وجلّ: صدق عبدي، إيّاي يعبد، أشهدكم لأثيبنّه على عبادته ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي.

فاذا قال: «وإيّاك نستعين». قال الله تعالى: بي (استعان عبدي)[٢]. و(إليّ التجأ[٣]). أشهدكم لأعيننّه على أمره، ولأغيثنّه في شدائده، ولآخذنّ بيده يوم نوائبه.

فاذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم» ـ إلى آخر السورة ـ قال الله جلّ جلاله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل. فقد استجبت لعبدي، وأعطيته ما أمل، وأمنته ما منه وجل)[٤].

(وقرئ: «ولا الضالون» بالرفع. «ولا الضألين» بالهمزة، على لغة من جدّ في الهرب عن التقاء الساكنين.

وفي الحديث[٥]: إذا قال العبد: «اهدنا الصراط المستقيم» ـ إلى آخرها ـ قال الله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل. قد استجبت لعبدي، وأعطيه ما أمل، وأمنته ما منه وجل.

وروى عليّ بن ابراهيم[٦] بإسناده، عن عليّ بن عقبة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ ابليس رنّ رنّتين[٧]، لمّا بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله على حين فترة من الرسل، وحين نزلت أمّ الكتاب.

وروي عن أبي محمّد العسكري، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ «بسم الله الرحمن الرحيم» آية من فاتحه الكتاب، وهي سبع آيات، تمامها «بسم الله الرحمن الرحيم». سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الله عزّ وجلّ قال لي[٨]: يا محمّد «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم». فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب، وجعلها بإزاء القرآن العظيم. وإنّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش. وأنّ الله عزّ وجلّ خصّ

---

١. ليس في المصدر.
٢. ليس في ج.
٣. المصدر: التجأ إلي.
٤. ما بين القوسين ليس في أ.
٥. عيون الأخبار، ٣٠١/١.
٦. تفسير القمي، ٢٩/١.
٧. المصدر: أنيناً.
٨. الحجر / ٨٧.

محمّداً وشرّفه بها، ولم يشرك معه فيه[١] أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان. فإنّه أعطاه منها «بسم الله الرحمن الرحيم». ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمّد وآله الطاهرين، منقاداً لأمرهم، مؤمناً بظاهرهم وباطنهم[٢]، أعطاه الله ﷻ بكلّ حرف منها حسنة، كلّ حسنة[٣] منها أفضل من الدنيا وما فيها، من أصناف أموالها وخيراتها. ومن استمع قارئاً يقرأها، كان له ما للقارئ. فليكثر أحدكم من هذا الخير المعرض لكم، فإنّه غنيمة لايذهبنّ أوانه فيبقى في قلوبكم الحسرة[٤])[٥].

واعلم أنّ «آمين» ليس من القرآن، ولايجوز قراءته بعد فاتحة الكتاب[٦] عند الشيعة، لا للإمام ولا للمأموم ولا للمنفرد. وعليه الآثار الواردة عن الأئمة رضوان الله عليهم.

روي في الصحيح[٧]، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: إذا كنت خلف إمام، فقرأ «الحمد» وفرغ من قراءتها، فقل أنت[٨]:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ولاتقل: آمين.

وروي[٩] ـ أيضاً ـ: أنّ (محمّد بن علي الحلبي)[١٠] قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام: أقول إذا فرغت من فاتحة الكتاب: آمين؟

قال: لا.

(وفي عيون الأخبار[١١]، باب[١٢] ذكر أخلاق الرضا ووصف عبادته: وكان إذا فرغ

---

١. المصدر: فيها.
٢. المصدر: لأمرهما، مؤمناً بظاهرهما وباطنهما.
٣. المصدر: كل واحدة.
٤. المصدر: فيبقى قلوبكم في الحسرة.
٥. ما بين القوسين يوجد في أ، ومشطوب في المتن.
٦. في ج: الفاتحة.
٧. الكافي ٣١٣/٣، ح ٥؛ تهذيب الأحكام ٧٤/٢، ح ٢٧٥.
٨. ليس في أ.
٩. تهذيب الأحكام ٧٤/٢، ح ٢٧٦.
١٠. أ: محمّد بن الحلبي، المصدر: محمّد الحلبي.
١١. عيون الأخبار، ١٨٣/٢.
١٢. في ج: في باب.

من الفاتحة، قال: الحمد لله ربّ العالمين)[١].

لكن المتسنّنة ذهبوا إلى أنّ قراءته بعد فاتحة الكتاب للمأموم مستحبة، لكنه ليس عندهم من القرآن، إلّا عند مجاهد. وذكروا في ذلك أحاديث تدلّ على تأكّد استحبابها، لانعرفها.

قالوا[٢]: قال عليه السلام: علّمني جبرئيل «آمين» عند فراغي من قراءة الفاتحة!

وقال: إنّه كالختم على الكتاب!

وفي معناه، قول علي عليه السلام: «آمين» خاتم ربّ العالمين، ختم به دعاء عبده؛ يعني: كما أنّ الختم يحفظ الكتاب عن فساد ظهور مضمونه على غير المكتوب إليه، كذلك يحفظ قول: «آمين» دعاء العبد عن فساد ظهور الخيبة وعدم الإجابة فيه.

وعن النبي[٣] ـ أيضاً ـ قال: إذا قال الإمام: «غير المغضوب عليهم ولاالضالين» قال الملائكة: آمين. فقولوا: آمين. فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له ما تقدّم من ذنبه.

وأحاديثنا[٤] الصحيحة تدلّ على وضع تلك الأخبار كما مرّ.

وبالجملة، هو اسم فعل، معناه: استَجِبْ. مبنيّ على الفتح. وفيه[٥] لغتان: المد والقصر.

وقيل: تشديد الميم خطأ. لكنه يجوز التشديد، من أمّ، إذا قصد؛ أي: حال كوننا قاصدين نحوك.

---

١. ما بين القوسين ليس في أ. وفي ج بعد كلمة «العالمين» كلمة «انتهى».
٢. أنوار التنزيل، ١١/١.
٣. نفس المصدر.
٤. في ج: وأحاديثها.
٥. في ج: وفيها.



سورة البقرة

سورة البقرة

أي: سورة يذكر فيها قصة البقرة. وإنّما سمّيت بها لغرابة قصّتها وامتياز هذه السورة بها عن سائر السور.

(وهي مدنية)[١] بل أول سورة نزلت بالمدينة. إلّا آية نزلت يوم النحر بمنى، في حجة الوداع: «واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله»[٢] الآية.

وآيها، مائتان وسبع وثمانون.

بسم الله الرحمن الرحيم[٣]

في كتاب ثواب الأعمال[٤]، بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: من قرأ سورة البقرة وآل عمران جاء[٥] يوم القيامة، تظلّانه على رأسه مثل الغيابتين[٦].

وفيه[٧]: عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قرأ أربع آيات من أول البقرة وآية الكرسيّ وآيتين بعدها وثلاث آيات من آخرها، لم ير في نفسه وماله شيئاً يكرهه، ولايقربه الشيطان، ولاينسى القرآن.

وفي مجمع البيان[٨]: وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله: أيّ سور القرآن أفضل؟

قال: البقرة.

قال: أيّ آية[٩] آي[١٠] القرآن[١١] أفضل؟

---

١. ليس في ج.

٢. البقرة / ٢٨١.

٣. ليس في أ.

٤. ثواب الأعمال، ١٣٠.

٥. المصدر: جاءتا.

٦. الغيابة من كلّ شيء: ما سترك منه.

٧. نفس المصدر.

٨. مجمع البيان، ٣٢/١.

٩. ليس في ر وفي المصدر.

١٠. ليس في أ و ر.

١١. المصدر: آي البقرة.

قال: آية الكرسيّ.

وفي تفسير العياشي[1]: عن سعد الاسكاف، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أعطيت الطوال مكان التوراة، وأعطيت المائين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور. وفضّلت بالمفصّل، سبع وستّين سورة.

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ[2] * الم ﴾[3]: وسائر الألفاظ التي يُتهجّى بها أسماء، مسمّياته[4] الحروف المبسوطة التي رُكّبت منها.

وقد روعيت[5] في هذه[6] التسمية لطيفة، وهي أنّ المسمّيات لمّا كانت كأساميها، وهي حروف وحدان، والأسامي عدد حروفها مرتق إلى الثلاثة، اتّجه لهم طريق إلى أن يدلّوا في التسمية على المسمّى فلم يغفلوها. وجعلوا المسمّى صدر كل اسم كما ترى[7] إلّا في «الألف» فإنّهم استعاروا الهمزة مكان مسمّاها؛ لأنّه لايكون إلّا ساكناً. وإنّما كانت أسماء لدخولها في حدّ الاسم واعتوار ما يختص به من[8] التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها. وبه صرّح الخليل وأبو علي.

وما روى ابن مسعود أنّه عليه السلام قال: من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لاأقول: «الم» حرف. بل «ألف» حرف، و«لام» حرف، و«ميم» حرف[9].

فالمراد فيه من الحرف، الكلمة. فيحتمل أنّه سبحانه أراد بها الحروف الملفوظة[10] على قصد تعديدها، أو تسمية بعض السور أو القرآن أو ذاته سبحانه بقسم أو غير قسم.

---

١. تفسير العياشي، ٢٥/١.
٢. «بسم الله الرحمن الرحيم» ليس في ج.
٣. مشطوبة في المتن وغير موجودة في ر.
٤. في ج وأنوار التنزيل ١١/١: وهو الصحيح.
٥. في ج: رويت.
٦. ليس في أ.
٧. ليس في أ.
٨. ليس في أ.
٩. أنوار التنزيل، ١٢/١.
١٠. الأصل: الملفوظ.

فالنكتة في ذلك التعديد أو التسمية على هذا الوجه أمران:

الأوّل: أنّه لمّا كانت مسمّيات هذه الأسماء بسائط الكلام التي يتركّب منها، افتتحت السور بطائفة منها على وجه التعديد أو التسمية بها، تنبيهاً لمن تحدّى بالقرآن، على أنّ المتلوّ عليهم كلام منظوم ممّا ينظمون منه كلامهم. فلو كان من عند غير الله، لما عجزوا عن الإتيان بما يدانيه.

والثاني: أن يكون أول ما يقرع[1] الأسماع مستقلاً بنوع من الإعجاز.

فإنّ النطق بأسماء الحروف مخصوص بمن خطّ ودرس. فأمّا الأمّيّ الذي لم يخالط أهل الكتاب، فمستبعد مستغرب خارق للعادة؛ كالتلاوة والكتابة. وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الأديب الأريب الفائق في فنّه من إيراد نصف أسماء الحروف بحيث ينطوي على انصاف مسمّياتها، تحقيقاً وتقريباً، في تسعة[2] وعشرين سورة، على عدد الحروف، مع نكات أخر.

قيل[3]: ويمكن أن يكون تلك الحروف الملفوظة باعتبار مخارجها، إشارة إلى معان دقيقة لطيفة، كما يشيرون «بالألف» باعتبار مخرجها الذي هو أقصى الحلق، إلى مرتبة الغيب، و«بالميم» باعتبار مخرجها الذي هو الشفة، إلى مرتبة الشهادة، وبمخرج «اللام» الواقع بينهما، إلى ما يتوسّط من المراتب.

فالمشار إليه بقوله[4]: «الم» مرتبة الغيب والشهادة وما بينهما. وذلك المشار إليه، هو الكتاب الوجودي الذي لايخرج منه شيء.

ويمكن حملها على معانيها الحسابية، إشارة إلى مدد أقوام وآجال، أو غير ذلك بحساب ذلك (يدل عليه)[5].

---

١. أ: تقرع.

٢. في ج: تسع. وهو الصحيح.

٣. أنظر أنوار التنزيل، ٣٢/١.

٤. ليس في أ.

٥. ليس في ج.

(وروي[١]: أنّه عليه السلام لمّا أتاه اليهود، تلا عليهم « آلم ـ البقرة ». فحسبوا، وقالوا: كيف ندخل في دين مدّته احدى وسبعون سنة؟

فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقالوا: وهل غيره؟

فقال: « آلمص » و« آلر » و« آلمر ».

فقالوا: خلطت علينا، فلا ندري بأيّها نأخذ! فإنّ تلاوته إيّاها بهذا الترتيب وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك)[٢].

وقيل[٣]: يمكن حمله على الإشارة بصورها الكتابية الرقمية إلى معان أخر؛ كما يشيرون « بالألف » إلى الوجود النازل من علوّ غيب الإطلاق إلى مراتب التقييد من غير انعطاف. و« باللام » (إليه، مع انعطاف من غير أن يتم دائرته. [و][٤] « بالميم » إلى تمام دائرته، فيعمّ مراتب الوجود.

وقيل: يمكن أن يجعل تلك الحروف إشارة إلى كلمات، هي منها اقتصر عليها)[٥].

« فالألف » آلاء الله. « واللام » لطفه. « والميم » ملكه.

وروي: أنّ « الم » معناه: أنا الله أعلم. وأنّ « الألف » من الله. « واللام » من جبرئيل. و« الميم » من محمّد؛ أي[٦]: القرآن منزل من الله، على لسان جبرئيل، إلى محمّد صلى الله عليه وآله.

(عن أبي[٧] محمّد الحسن العسكري عليه السلام قال[٨]:) قال الصادق عليه السلام: [ثمّ][٩] « الألف » حرف من حروف قولك: « الله »، دلّ « بالألف » على قولك: « الله » ودلّ « باللام » على قولك: « الملك العظيم القاهر للخلق أجمعين » ودلّ « بالميم » على أنّه

---

١. معاني الأخبار، ٢٢. في باب (معنى الحروف المقطّعة في أوائل السور من القرآن).

٢. ما بين القوسين مشطوب في الأصل وغير موجود في ر، و ج.

٣. أنوار التنزيل، ١٣/١.

٤. يوجد في ج: ووجوده هو الصحيح.

٥. ما بين القوسين ليس في أ.

٦. ليس في أ.

٧. في ج: وعن.

٨. تفسير العسكري عليه السلام، ٦٣.

٩. ليس في ج.

«المجيد المحمود في كل أفعاله».

(وفي شرح الآيات الباهرة[١])[٢]: روى[٣] عليّ بن ابراهيم ﷺ عن أبيه، عن محمّد ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن المفضل، عن جابر، عن أبي جعفر ﷺ [قال][٤]: «الم» وكلّ حرف في القرآن منقطعة[٥] من حروف اسم الله الأعظم. الذي يؤلّفه الرسول والإمام ﷺ، فيدعو [به][٦] فيجاب.

(وفي كتاب معاني الأخبار[٧]: بإسناده إلى أحمد[٨] بن زياد بن جعفر [الهمداني][٩] عن[١٠] عليّ [بن ابراهيم][١١]، عن أبيه، عن يحيى بن [أبي][١٢] عمران، عن يونس [بن عبدالرحمن][١٣]، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله ﷺ قال: «الم» هو حرف من حروف اسم الله الأعظم، المقطّع في القرآن الذي يؤلّفه النبي ﷺ والإمام، فإذا دعا به أجيب.

وبإسناده[١٤] إلى سفيان بن سعيد الثوري، عن الصادق ﷺ حديث طويل، يقول فيه ﷺ: أمّا «الم» في أول البقرة، فمعناه: أنا الله الملك.

وبإسناده[١٥] إلى محمّد بن قيس، قال: سمعت أباجعفر ﷺ يقول: إنّ حيياً وأبا ياسر ابني أخطب، ونفراً من يهود أهل نجران أتوا رسول الله ﷺ فقالوا له: أليس فيما تذكر فيما أنزل الله عليك «الم»؟

قال: بلى.

قالوا: أتاك بها جبرئيل من عند الله؟

---

١. تأويل الآيات الباهرة، ٣١/١.

٢. ما بين القوسين ليس في أ.

٣. المصدر: قال.

٤. من المصدر.

٥. وفي المصدر: مقطّعة.

٦. من المصدر.

٧. معاني الأخبار، ٢٣.

٨. في ج: محمد.

٩. يوجد في المصدر. وبعد «الهمداني»: ﷺ.

١٠. المصدر: قال حدثنا.

١١. من المصدر.

١٢. من المصدر.

١٣. من المصدر.

١٤. نفس المصدر ١٩، ضمن ح ١.

١٥. نفس المصدر، ٢٣، ح٣.

قال: نعم.

قالوا: لقد بعثت[١] أنبياء قبلك، وما نعلم نبياً منهم أخبر ما[٢] مدّة ملكه وما أجل أمّته غيرك!

قال: فأقبل حييّ بن أخطب على أصحابه، فقال لهم: «الألف» واحد. و«اللام» ثلاثون، و«الميم» أربعون. فهذه احدى وسبعون سنة. فعجب ممّن[٣] يدخل في دين مدّة ملكه وأجل أمته احدى وسبعون سنة!

قال: ثمّ أقبل على رسول الله ﷺ فقال له: يا محمّد! هل مع هذا غيره؟

قال: نعم.

قال: فهاته[٤]!

قال: «المص».

قال: هذه أثقل وأطول. «الألف» واحد، «واللام» ثلاثون، و«الميم» أربعون، و«الصاد» تسعون. فهذه مائة واحدى وستون سنة.

ثمّ قال لرسول الله ﷺ: فهل مع هذا[٥] غيره؟

قال: نعم.

قال: هاته!

قال: «الر».

قال: هذه أثقل وأطول. «الألف» واحد، و«اللام» ثلاثون، و«الراء» مائتان.

ثمّ قال [لرسول الله ﷺ][٦]: فهل مع هذا[٧] غيره؟

قال: نعم.

---

١. النسخ: بعث.
٢. المصدر: أخبرنا.
٣. النسخ: أن.
٤. المصدر: هاته.
٥. في ج: هذه.
٦. مابين المعقوفتين ليس في ج.
٧. في ج: هذه.

قال: هاته!

قال: «المر».

قال: هذه أثقل وأطول، «الألف» واحد، و«اللام» ثلاثون، و«الميم» أربعون، و«الراء» مائتان.

ثمّ قال له: فهل[1] مع هذا غيره؟

قال: نعم.

قالوا: قد التبس علينا أمرك، فما ندري ما أعطيت!

ثمّ قاموا عنه.

ثمّ قال أبو ياسر لحييّ[2] أخيه: ما يدريك لعلّ محمّداً قد جمع له هذا كله وأكثر منه.

قال: فذكر أبو جعفر عليه السلام: أنّ هذه الآيات أنزلت فيهم: «منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات[3]». قال: وهي تجري في وجه آخر على غير تأويل حييّ وأبي ياسر وأصحابهما.

وفيه[4]: في حديث طويل، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام: وجعل هذا القول حجّة على اليهود. وذلك أنّ الله تعالى[5] لما بعث موسى بن عمران ثمّ مَن بعده مِن الأنبياء إلى بني إسرائيل، لم يكن فيهم قوم[6] إلّا أخذوا عليهم العهود والمواثيق ليؤمننّ بمحمّد العربي الأمّي المبعوث بمكة، الذي يهاجر إلى المدينة، يأتي بكتاب بالحروف[7] المقطّعة افتتاح بعض سوره. يحفظه أمته، فيقرؤونه قياماً وقعوداً ومشاة وعلى كلّ الأحوال. يسهّل الله عزّ وجلّ حفظه عليهم [و][8] يقرنون بمحمّد صلى الله عليه وآله أخاه ووصيه عليّ بن

---

١. المصدر: هل.
٢. المصدر: للحيي.
٣. آل عمران / ٧.
٤. نفس المصدر ٢٤ـ٢٨، ح ٤.
٥. ليس في المصدر وج.
٦. المصدر: أحد.
٧. المصدر: من الحروف.
٨. من المصدر.

أبي طالب عليه السلام، الآخذ عنه علومه التي علمها، والمتقلّد عنه الأمانة التي قلّدها[١]، ويذلّل[٢] كلّ من عاند محمّداً بسيفه الباتر، ويفحم كلّ من حاوله[٣] وخاصمه بدليله القاهر[٤]، يقاتل عباد الله على تنزيل كتاب الله، حتّى يقودهم إلى قبوله طائعين وكارهين. ثمّ إذا صار محمّد إلى رضوان الله عزّ وجلّ ارتدّ[٥] كثير ممن كان أعطاه ظاهر الإيمان، وحرّفوا تأويلاته، وغيّروا معانيه، ووضعوها على خلاف وجوهها. قاتلهم بعد ذلك على تأويله، حتى يكون ابليس الغاوي لهم، هو الخاسئ[٦] الذليل المطرود المغلول.

قال: فلمّا بعث الله محمّداً وأظهره بمكة، ثمّ سيّره منها إلى المدينة وأظهره بها، ثمّ أنزل عليه[٧] الكتاب، وجعل افتتاح سورته[٨] الكبرى «بألم» يعني: «الم، ذلك الكتاب» وهو ذلك الكتاب الذي أخبرت الأنبياء[٩] السالفين أنّي سأنزله عليك، يا محمّد «لا ريب فيه»، فقد ظهر كما أخبرهم به أنبياؤهم أنّ محمّداً ينزل عليه كتاب مبارك لا يمحوه الباطل، يقرؤه هو وأمّته على سائر أحوالهم. ثمّ اليهود يحرّفونه عن جهته ويتناولونه[١٠] على غير وجهه، ويتعاطون التوصّل إلى علم ما قد طواه الله عنهم من حال آجال هذه الأمّة وكم مدّة ملكهم.

فجاء إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله جماعة منهم[١١]، فولّى رسول الله صلّى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام مخاطبتهم[١٢].

فقال قائلهم: إن كان ما يقول محمّد حقاً، لقد علمناكم قدر ملك أمّته، هو احدى[١٣]

---

١. المصدر: قدرها.
٢. المصدر: مذلل.
٣. المصدر: جادله.
٤. المصدر: الظاهر.
٥. المصدر: وارتدّ.
٦. المصدر: الخاسر.
٧. المصدر: إليه.
٨. النسخ: سوره.
٩. المصدر: أنبيائي.
١٠. المصدر: يتأولونه.
١١. المصدر: منهم جماعة.
١٢. المصدر: فخاطبهم.
١٣. النسخ: أحد.

وسبعون سنة. «الألف» واحد، و«اللام» ثلاثون، و«الميم» أربعون.

فقال علي عليه السلام: فما تصنعون «بالمص»، وقد أنزلت[١] عليه؟

فقالوا[٢]: هذه احدى وستون ومائة سنة.

قال[٣]: فماذا تصنعون «بالر»، وقد أنزلت عليه؟

فقالوا: هذه أكثر. هذه مائتان واحدى وثلاثون سنة.

فقال علي عليه السلام: فما تصنعون بما أنزل عليه «المر»؟

قالوا: هذه مائتان واحدى وسبعون سنة.

فقال علي عليه السلام: فواحدة من هذه له، أو جميعها له؟

فاختلط كلامهم. فبعضهم قال: له واحدة منها. وبعضهم قال: بل يجمع[٤] له كلها وذلك سبعمائة وأربع [وثلاثون سنة][٥] ثمّ يرجع الملك إلينا؛ يعني: إلى اليهود.

فقال علي عليه السلام: أكتاب من كتب الله عزّ وجلّ نطق بهذا، أم آراؤكم دلّتكم عليه؟

فقال[٦] بعضهم: كتاب الله نطق به. وقال آخرون منهم: بل آراؤنا دلّت عليه.

فقال علي عليه السلام: فائتوا بالكتاب من عند الله ينطق بما تقولون.

فعجزوا عن إيراد ذلك.

وقال[٧] للآخرين: فدلّونا على صواب هذا الرأي.

فقالوا: صواب رأينا دليله أنّ هذا حساب الجمل.

فقال علي عليه السلام: كيف دلّ على ما تقولون، وليس في هذه الحروف إلّاما اقترحتم بلا بيان؟ أرايتم إن قيل لكم: أنّ هذه الحروف ليست دالة على هذه المدة لملك أمّة محمّد صلى الله عليه وآله ولكنّها دالة على أنّ كل واحد منكم قد لعن بعدد هذا الحساب، أو أنّ عدد

---

١. المصدر: أنزل.
٢. المصدر: قالوا.
٣. في ج: قال علي عليه السلام.
٤. في ج: قال عليّ عليه السلام.
٥. من المصدر وهو الصواب، وفي النسخ: سبعمائة وأربع سنين.
٦. المصدر: قال.
٧. المصدر: فقال.

ذلك لكل واحد منكم ومنا بعدد هذا الحساب دراهم[١] أو دنانير. أو أنّ لعلي [على][٢] كل واحد منكم دين[٣]، عدد ماله مثل عدد هذا الحساب!

فقالوا: يا أبا الحسن! ليس شيء مما ذكرته منصوصاً عليه في «الم» و«المص» و«الر» و«المر».

فقال علي عليه السلام: ولاشيء مما ذكرتموه منصوصاً عليه في «الم» و«المص» و«الر» و«المر». فإنّ بطل قولنا لما قلنا، بطل قولك لما قلت.

فقال خطيبهم ومنطيقهم: لا تفرح يا علي! بأن عجزنا عن إقامة حجة [فيما نقول][٤] على دعوانا. فأي حجة لك في دعواك إلّا أن تجعل عجزنا حجتك، فإذا مالنا حجة فيما نقول، ولا لكم حجة فيما تقولون.

قال علي عليه السلام: لا سواء[٥]، إنّ لنا حجة هي المعجزة الباهرة.

ثمّ نادى جمال اليهود: يا أيتها[٦] الجمال! اشهدي لمحمّد ولوصيه.

فتبادرت[٧] الجمال: صدقت صدقت، يا وصيّ محمّد! وكذب هولاء اليهود.

فقال علي عليه السلام: هولاء جنس من الشهود. يا ثياب اليهود الّتي عليهم! اشهدي لمحمد ولوصيه.

فنطقت ثيابهم ـكلّها ـ[٨]: صدقت صدقت، يا علي! نشهد أنّ محمّداً رسول الله[٩] حقاً وأنّك يا علي وصيّه حقاً. لم يثبت محمّد[١٠] قدماً في مكرمة، إلّا وطئت على موضع قدمه بمثل مكرمته. فأنتما شقيقان، من أشرف[١١] أنوار الله تميز تما[١٢] اثنين. وأنتما في الفضائل شريكان، إلّا أنّه لا نبي بعد محمّد صلى الله عليه وآله.

---

١. ليس في المصدر.
٢. من المصدر.
٣. النسخ: ديناً.
٤. من المصدر.
٥. النسخ: لا سواه.
٦. يوجد في المصدر والنسخ: أيها.
٧. المصدر: فتبادر.
٨. النسخ: كلّهم!
٩. في ج بعد «رسول الله» صلى الله عليه وآله.
١٠. من ج ونور الثقلين ج ١ ح ٧، ص ٣٠: محمد.
١١. المصدر: اشراق.
١٢. المصدر: فميز تما.

فعند ذلك خرست اليهود، وآمن بعض النظارة منهم برسول الله ﷺ وغلب[١] الشقاء على اليهود وسائر النظارة الآخرين. فذلك ما قال الله تعالى: «لاريب فيه» أنّه كما قال محمّد[٢] ووصي محمّد، عن قول محمّد ﷺ عن قول ربّ العالمين.

وفي مجمع البيان[٣]: اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتتحة[٤] بها السور. فذهب بعضهم إلى أنّها من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها. ولا يعلم تأويلها إلّا هو. وهذا هو المروي عن أئمتنا عليهم السلام.

وروت[٥] العامة عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجّي.

وروى أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره حديثاً مسنداً[٦] إلى عليّ بن موسى الرضا عليه السلام أنّه قال: سئل جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن قوله: «الم»؟

فقال: في «الألف» ستّ صفات من صفات الله عزّ وجلّ:

الابتداء، فإنّ الله عزّ وجلّ ابتداء[٧] جميع الخلق، و«الألف» ابتداء الحروف.

والاستواء، فهو عادل غير جائر، و«الألف» مستوٍ في ذاته.

والانفراد، فالله فرد، و«الألف» فرد.

واتصال الخلق بالله. والله لا يتّصل بالخلق. وكلهم يحتاجون إليه[٨]، والله غني عنهم. والألف كذلك[٩] لا يتّصل بالحروف، والحروف متصلة به، وهو منقطع عن[١٠] غيره.

والله تعالى بائن بجميع صفاته من خلقه.

---

١. المصدر: فغلب.

٢. في المصدر: محمد ﷺ.

٣. مجمع البيان، ١/٣٢ـ٣٣.

٤. كذا المصدر والنسخ: المفتح.

٥. كذا المصدر والنسخ: روى.

٦. كذا المصدر و«ج» والنسخ: سنداً.

٧. المصدر: ابتدأ.

٨. المصدر: محتاجون إلى الله.

٩. المصدر: كذلك الالف.

١٠. المصدر: من.

ومعناه من الألفة، وكان[1] الله ﷻ سبب ألفة الخلق، فكذلك الألف عليه تألفت الحروف، وهو سبب ألفتها)[2].

وأقول[3]: ويحتمل أن يكون الكل، مع احتمالات أخر، لاينافي الشرع. ليس هاهنا موضع ذكرها مراداً[4]. والله أعلم بحقيقة الحال.

وهذه الأسماء معربة. وإنّما سُكّنت سكون زيد وعمر وبكر، حيث لا يمسّها إعراب لفقد مقتضيه. والدليل على أنّ سكونها وقف، أنّه يقال: «ص» و«ق» و«ن» مجموعاً فيها بين الساكنين. وإذا وقف على آخرها قصرت؛ لأنّها في تلك الحالة خليقة بالأخفّ الأوجز، ومُدّت في حال الإعراب. وهي إمّا مفردة كـ«ص» أو على زنة مفرد كـ«حم». فإنّه كهابيل، أو لا.

الأول: يجوز فيه الإعراب والحكاية.

والثاني: ليس فيه إلّا الثاني.

فقوله: «الم» في محل النصب، على حذف حرف القسم، وإعمال[5] فعله. أو الجرّ على تقديره. أو الرفع على أنّه مبتدأ ما بعده خبره، أو خبر محذوف المبتدأ.

﴿ ذٰلِكَ ﴾: اسم إشارة، مركّب من اسم وحرفين.

فالاسم «ذا» للمذكر الواحد.

أمّا ذكورة المشار إليه، فلتأثيره في نفس المخاطب، وانتاجه فيها معرفة الحقّ وصفاته سبحانه.

وأمّا افراده، فلأنّ المشار إليه وإن كان متعدّداً في نفسه لكنه ملحوظ من حيث أحدية الجمعية؛ كما تدل عليه الاخبار عنه «بالكتاب» المنبئ عن الجمعية أو توصيفه به.

---

١. المصدر: فكما أنّ. وج: فكان.
٢. ما بين القوسين ليس في أ.
٣. ليس في أ.
٤. أ: مراراً.
٥. أ: اعماله.

وأحد الحرفين «اللام» الدال بتوسطه بين اسم الإشارة والمخاطب، على بعد المسافة بينه وبين المشار إليه. ووجد البعد عدم إمكان إحاطة فهم المخاطب بما يقصد به.

والآخر «الكاف»، الدالّ على ذكورة المخاطب وإفراده.

وأمّا ذكورة المخاطب فلأنّ المخاطب أوّلاً هو النبي ﷺ بحسب حقيقة مرتبة الأبوة، بالنسبة إلى جميع أفراد الآدميين؛ كما قيل بلسان مرتبته:

وإني وإن كنت ابن آدم صورة ... فلي فيه معنى شاهد بأبوّتي

وأمّا إفراده، فلانمحاء كثرته النسبية في الواحدة الحقيقيّة.

﴿**الْكِتَابُ**﴾: الكتب، الجمع.

يقال: كتبت القربة؛ أي: جمعتها[1]. ومنه الكتيبة للجيش. والكتاب بمعناه سمّي به المفعول مبالغة.

وقيل: فعال[2]، بني للمفعول كاللباس. ثمّ أطلق على العبارات المنظومة قبل الكتابة، لأنّ من شأنها أن تكتب. والحقائق العلمية إن كانت معتبرة لابأحوالها تسمّىٰ حروفاً غيبية، ومع أحوالها كلمات غيبيه، والوجودية بلا أحوالها حروفاً وجودية، ومع أحوالها كلمات وجودية. والدالّة على جملة مفيدة آية. والبعض الجامع لتلك الجمل سورة. ومجموع تلك المعقولات والموجودات «كتاباً» و«فرقاناً» و«قرآناً» ـ أيضاً ـ باعتباري التفصيل والجمع.

وفي تركيب قوله: «الم» مع ما بعده، أوجه:

أن جعلت «الم» اسماً للسورة أو للقرآن، إن يكون «الم» مبتدأ، و«ذلك» مبتدأ ثانياً، «والكتاب» خبره، والجملة خبر المبتدأ الأول. ومعناه: أنّ ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل، كان ما عداه من الكتب في مقابلته[3] ناقص. وأنّه الذي يستأهل أن يسمّى كتاباً؛

---

١. النسخ: جمعته.
٢. ليس في أ.
٣. أ: مقابله.

كما تقول: هو الرجل؛ أي: الكامل في الرجولية، الجامعة لما يكون في الرجال من مرضيّ الخصال.

وأن يكون «الم» خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذه الم. ويكون «ذلك» خبراً ثانياً، أو بدلاً على أن «الكتاب» صفة.

وأن يكون[١] «هذه الم» جملة، و«ذلك الكتاب» جملة أخرى.

وأن جعلت «الم» بمنزلة الصوت، كان «ذلك» مبتدأ، خبره «الكتاب»؛ أي: ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل.

أو «الكتاب» صفته[٢] وما بعده خبره. أو قدر مبتدأ محذوف؛ أي: هو؛ يعني: المؤلَف من هذه الحروف «ذلك الكتاب».

وقرأ عبدالله: «الم تنزيل الكتاب». وتأليف هذا ظاهر.

وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين. وأمّا عندهم «فالم» في مواقعها[٣]. والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم، آية. وحم عسق، آيتان. والبواقي ليست بآيات[٤].

قيل: إنّ المفسّرين متّفقون على أنّ «ذلك» في موضع الرفع. فإمّا أن يكون خبراً عن «الم»، أو عن محذوف، أو مبتدأ وخبره «الم».

وأقول: المبتدأ والخبر إذا كانا معرفتين، وجب تقديم المبتدأ. فالخبر في هذه الصورة مع كونه معرفة، كيف يجوز تقديمه؟

﴿لَارَيْبَ فِيهِ﴾: «الريب» في الأصل مصدر رابني الشيء: إذا حصل فيه الريبة، وهي قلق[٥] النفس واضطرابها[٦].

---

١. أ: كان.

٢. أ: صفة.

٣. في ج: مواقعتها.

٤. أنوار التنزيل، ١٤/١.

٥. أ: فلق.

٦. مجمع البيان، ٣٧/١. وأنوار التنزيل ١٤/١. إلّا أنّ في أنوار التنزيل «فيك» بدل «فيه».

قال عليه السلام : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإنّ الشك ريبة ، والصدق طمأنينة[١].

أي : كون الأمر مشكوكاً فيه ، مما ينقلق[٢] النفس له ولا يستقر ، وكونه صحيحاً صادقاً مما يطمئنّ له ويسكن . ومنه « ريبة الزمان » لما يقلق[٣] النفوس من نوائبه . فالمراد به الشك ، لا معناه المصدري .

وضمير « فيه » ، راجع إلى الحكم السابق ، إن كان هناك حكم . أو إلى « الكتاب » ، أو إلى « ذلك » .

وإنّما نفى الريب مع كثرة المرتابين ؛ لأن الريب مع وضوح مزيحه[٤] ، كلا ريب .

ويحتمل أن يكون المراد أنّ القرآن ليس مظنة للريب . بمعنى : أنّ العاقل إذا رجع إلى عقله وترك العناد ، ظهر حقيّته وصدقه عليه غاية الظهور ، ولم يبق معه شك وريب ، أصلاً .

وأن يكون أنّ « لاريب فيه » « للمتقين » ، و« هدى » ، حالاً عن الضمير المجرور .

وأن يكون الريب المنفي هو الريب بمعناه المصدري ؛ أي : ليس فيه إيقاع شك ، بأن يكون فيه شيء يوقع في الشك ؛ كالاختلاف المذكور في قوله تعالى[٥] : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » .

وأن يكون أنّه لا ريب فيه ، في الواقع ، وإن كانوا مظهرين للريب ؛ كما روي عن أبي محمّد العسكري[٦] ، أنّه قال عليه السلام : « لا ريب فيه » لا شك فيه لظهوره عندهم ؛ كما أخبرهم أنبياؤهم : أنّ محمّداً نزل[٧] عليه كتاب لا يمحوه الماء ، يقرؤه[٨] هو وأمّته على سائر أحوالهم .

---

١. أنوار التنزيل ، ١/١٥.

٢. أ : ينفلق .

٣. في أ : يطلق .

٤. أ : مزيجه .

٥. النساء / ٨٢.

٦. تفسير العسكري عليه السلام ، ١/٦٢.

٧. المصدر : ينزل .

٨. المصدر : يقرء .

ولم يقدّم الظرف، كما قدّم في قوله: «لا فيها غول»[1] لأنّه لم يقصد ـ هنا ـ انحصار نفي الريب فيه، كما قصد ـ هناك ـ انحصار نفي الغول في خمور الجنة.

وقرأ أبو الشعثاء[2] «لا ريب فيه» بالرفع. والفرق (الأول ونظيره)[3] بينها وبين القراءة المشهورة، أنّ المشهورة توجب الاستغراق، وهذه تجوّزه[4]. والوقف على ـ فيه ـ هو المشهور.

وعن نافع وعاصم: أنّهما وقفا على «لاريب»، ولابدّ للواقف من أن ينوي خبراً ليتمّ الكلام الأول. ونظيره قوله تعالى: «قالوا لا ضير»[5]، وقول العرب: «لا بأس». وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز. والتقدير: «لاريب فيه» فيه.

فعلى التقدير الأول، يحتمل أن يكون «فيه» صفة «للريب»، والخبر محذوفاً. وأن يكون هو الخبر، والمجموع جملة وقعت مؤكّدة «لذلك الكتاب»، أو خبراً بعد خبر «لذلك»، أو لقوله: «الم».

وعلى التقدير الثاني، يحتمل ـ أيضاً ـ تلك الاحتمالات، وأن يكون «فيه» الثاني خبر «الهدى» مقدّماً عليه.

(وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[6]: حدثني أبي، عن يحيى بن أبي عمران، عن يونس، عن سعدان بن مسلم، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «الكتاب» علي عليه السلام لا شك فيه)[7].

﴿**هُدًى**﴾: هو مصدر على فُعل؛ كالسُرى والبُكى. وهو الدلالة الموصلة إلى البغية، بدليل وقوع الضلالة في مقابلته. قال الله تعالى: «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى»[8].

---

١. الصافات /٤٧.
٢. أ: الشعشعاء.
٣. من أ.
٤. في ج: المشهورة.
٥. الشعراء /٢٦.
٦. تفسير القمي، ٣٠/١.
٧. ما بين القوسين يوجد في أ.
٨. البقرة / ١٧٥.

ويقال: «مهدي» في موضع المدح، كمهتد. ولأن «اهتدى» مطاوع «هدى»، ويكون[١] المطاوع في خلاف معنى أصله. ألا ترى إلى قولهم[٢]: غمّه فاغتمّ، وكسره فانكسر. وأشباه ذلك؟

وهو إمّا مبتدأ، خبره مقدّم عليه أو محذوف. وعلى التقديرين فهو على حقيقته[٣]، أو خبر مبتدأ محذوف، أو خبر بعد خبر، أو حال كما سبق. إمّا على المبالغة، كأنّه نفس الهدى. أو على حذف المضاف، أي: ذو هداية. أو على وقوع المصدر، بمعنى اسم الفاعل.

(قال أبو جعفر[٤] عليه السلام: «الكتاب» أمير المؤمنين، لاشك فيه أنّه إمام هدى)[٥].

﴿**لِلْمُتَّقِينَ**﴾ ②: «المتقي» اسم فاعل، من قولهم: وقاه[٦]، يقي، والوقاية: فرط الصيانة وشدّة الاحتراس من المكروه. ومنه فرس واق: إذا كان يقي حافره أذى شيء يصيبه.

وهو في عرف الشرع، اسم لمن يقي نفسه عما يضرّه في الآخرة.

وله ثلاث مراتب:

الأُولى ـ التوقّي عن الشرك المفضي إلى العذاب المخلد. وعليه قوله تعالى: «وألزمهم كلمة التقوى»[٧].

والثانية ـ التجنّب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك، حتى الصغائر عند قوم.

وقيل: الصحيح أنّها لا يتناولها؛ لأنّها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر.

والثالثة ـ أن يتنزّه عما يشغل سرّه عن الحق. ويتبتّل إليه بكليّته. وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى: «واتقوا الله حقّ تقاته»[٨].

---

١. أ و ر: وأن يكون.
٢. أ: نحو.
٣. أ: حقيقة.
٤. تفسير القمي، ١/ ٣٠.
٥. ما بين القوسين مشطوب في الأصل وغير موجود في ر و ج.
٦. في ج: وقى.
٧. الفتح/ ٢٦.
٨. آل عمران/ ١٠٢.

قيل[1]: ومن جملة معاني باب «الافتعال» الاتخاذ. فمعنى «اتّقى» على هذا: اتخذ الوقاية. ولهذا قال بعض العلماء في قوله تعالى: «يا أيها الناس اتقوا ربكم»[2]: اجعلوا ما ظهر منكم وقاية لربكم، واجعلوا ما بطن منكم وهو ربّكم وقاية. فإنّ الأمر ذمّ وحمد. فكونوا وقايته في الذم. واجعلوه وقايتكم في الحمد، تكونوا أدباء عالمين. فإنّ توحيد الأفعال يقتضي إسناد المحامد والمذامّ إلى الله. فالسالك إذا أسندهما إليه قبل زكاء[3] النفس وطهارتها، يقع في الإباحة. وبعد طهارتها يكون مسيئاً للأدب بإسناد القبائح إليه. فعلى هذا «المتقون»، هم الذين يتخذون ربّهم وقاية لأنفسهم. وينسبون الكمالات إلى ربّهم، لا إلى أنفسهم، ليكون لهم الخلاص[4] من ظهور نيّاتهم[5]، ويتخذون أنفسهم وقاية ربّهم، وينسبون النقائص إلى أنفسهم لا إلى ربّهم، ولو كانت في حقيقة التوحيد منسوبة إلى الله تعالى[6] لئلا يسيئون الأدب إليه سبحانه.

وإنّما قال: «هدى للمتّقين»، مع أنّ المتّقين مهتدون، إمّا بناء على أنّ المراد بالمتقين: المشارفون على التقوى، أو المقصود زيادة هدايتهم، بأن يراد بالهدى زيادة الهدى إلى مطلب آخر، أو التثبّت على ما كان حاصلاً لهم.

ويحتمل أن يراد بالمتّقي: الموحّد مطلقاً.

روى الصدوق في كتاب التوحيد[7]: بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «هو أهل التقوى وأهل المغفرة»[8] قال: قال الله تبارك وتعالى: أنا أهل أن اتّقى، ولا يشرك بي عبدي[9] شيئاً. وأنا أهل إن لم يشرك بي عبدي شيئاً[10] أن أدخله الجنة.

---

١. في ج: وقيل: من.
٢. النساء / ١.
٣. أ: تكاء.
٤. أ: إخلاص.
٥. أ: أمنياتهم.
٦. في ج: «إليه» بدل «إلى الله».
٧. التوحيد / ٢٠.
٨. المدثر / ٥٦.
٩. ليس في أ.
١٠. ليس في ج.

قال صاحب الكشف[١]: الأظهر، أنّه لا يحتاج إلى أحد التجوّزين، من حمل «الهدى» على الازدياد، «والمتقي» على المشارف؛ لأنّه إذا قيل: السلاح عصمة للمعتصم أو عصام له، والمال غنىً للغنيّ ـ على معنى سبب غنائه ـ لم يلزم أن يكونا سببي عصمة وغنى، حادثين غير ما هما؛ أي: المعتصم والغني فيه، إذ لا دلالة له[٢] على الزمان.

وأجيب: بأنّ المتبادر إلى الفهم من تعلّق الفعل بشيء، هو اتصاف ذلك المتعلق بما عبّر عنه عند اعتبار المتعلّق[٣]، حتى يقال فيه: شفاء للمريض، ومرض للصحيح. ولو عكس لم يصح إلّا بتأويل.

وعن أبي محمّد العسكري[٤] عليه السلام: أنّ معناه: بيان وشفاء للمتقين، من شيعة محمّد وعلي عليهما السلام. اتقوا أنواع الكفر فتركوها، واتقوا الذنوب الموبقات فرفضوها، واتقوا إظهار أسرار الله تعالى وأسرار أزكياء عباده الأوصياء بعد محمّد صلوات الله عليهم فكتموها، واتقوا ستر العلوم عن أهلها المستحقّين لها ففيهم[٥] نشروها.

(وفي شرح الآيات الباهرة[٦]: ـ في الحديث المنقول سابقاً ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: قوله: «ذلك الكتاب لا ريب فيه».

قال[٧]: «الكتاب» أمير المؤمنين عليه السلام لا شك فيه أنّه إمام «هدى للمتقين».

وفي كتاب معاني الأخبار[٨]: حدثنا محمّد بن القاسم الإسترآبادي المعروف بأبي الحسن الجرجاني المفسر رحمه الله قال: حدثني أبو يعقوب يوسف بن محمّد بن زياد، وأبو الحسن عليّ بن محمّد بن سيار، عن أبويهما، عن الحسن بن عليّ بن محمّد بن

---

١. الكشف والبيان، مخطوط والنسخة التي عثرنا عليها ناقصة الأول.
٢. ليس في أ.
٣. ر: التعلق.
٤. تفسير العسكري عليه السلام، ٦٧.
٥. المصدر: وفيهم.
٦. تأويل الآيات الباهرة، ٣١/١.
٧. المصدر: فقال.
٨. معاني الأخبار، ٢٤ـ٢٥.

عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي‌طالب صلوات الله عليهم أجمعين أنّه قال: كذّبت قريش واليهود بالقرآن، وقالوا: سحر مبين [تقوّله][1].

فقال الله: «الم، ذلك الكتاب» أي: يا محمّد! هذا الكتاب الذي أنزلته[2] عليك هو بالحروف المقطّعة، التي منها «الف، لام، ميم»، وهي بلغتكم وحروف هجائكم، فائتوا بمثله إن كنتم صادقين، واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم. ثمّ بيّن أنّهم لا يقدرون عليه بقوله[3]: «قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً».

ثمّ قال الله: «الم»، هو القرآن الذي افتتح بـ«الم» هو «ذلك الكتاب» الذي أخبرت به موسى، فمَن بعده مِن الأنبياء. فأخبروا بني إسرائيل أنّي سأنزله عليك يا محمّد! كتاباً عزيزاً «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»[4]، «لا ريب فيه» لا شك فيه لظهوره عندهم؛ كما أخبرهم [به][5] أنبياءهم، أنّ محمّداً ينزل عليه كتاب لا يلحقه[6] الباطل، يقرؤه هو وأمّته على سائر أحوالهم. «هدى» بيان من الضلالة «للمتقين» الذين يتّقون الموبقات، ويتّقون تسليط السفه على أنفسهم، حتى إذا علموا ما يجب عليهم علمه، عملوا بما يوجب لهم رضا ربّهم)[7].

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾: يحتمل الرفع والنصب والجرّ. والظاهر الجرّ، على أنّه صفة «للمتقين»، كما هو الظاهر، أو بدل، أو عطف بيان.

فأمّا الرفع، فإمّا على أنّه خبر مبتدأ محذوف، أي: هم الذين يؤمنون. أو مبتدأ، خبره «أولئك على هدى».

---

١. من المصدر.
٢. المصدر: أنزلناه.
٣. الإسراء / ٨٨.
٤. فصلت / ٤٢.
٥. من المصدر.
٦. المصدر: يمحوه.
٧. ما بين القوسين ليس في أ.

وأمّا النصب، فعلى المدح بتقدير: أعني.

وإذا كان صفة، فهي إمّا مقيّدة إن فُسّر التقوى: بترك ما لاينبغي؛ كما هو المناسب لمعناه اللغوي، وهو الاحتراز، فحينئذ يراد بالمتّقي: من يحترز عن المعاصي، أي: فعل القبائح والمنهيات. سواء يمتثل الأوامر ويأتي بالحسنات، أم لا. فعلى هذا تكون الصفة مقيّدة مخصّصة.

فإن قلت: اجتناب المعاصي كلّها يستلزم الإتيان بالطاعات؛ لأنّ ترك الطاعة معصية.

قلت: إنّ المراد بالمعاصي، كما هو المتبادر، ما يتعلق به صريح النهي، وترك المأمور به منهيّ عنه ـ ضمناً. أو أنّ مبنى هذا الكلام على أنّ المعصية فعل ما نهي عنه، وأنّ الترك ليس بفعل. وكذا إن أريد بالتقوى الأولى من مراتبها الثلاث، فإنّ المراد بالمتقين حينئذ: من يجتنبون عن الشرك. فتوصيفهم «بالّذين يؤمنون» لا يكون إلّا تقييداً وتخصيصاً، أو كاشفة إن فسّر بما يعمّ فعل الحسنات وترك السيئات، وحمل «الذين يؤمنون» ـ إلى آخره ـ على ما يساويه، والتقوى بهذا المعنى: بعينه، هو المرتبة الثانية من مراتبه. وهو حقيقة معناه عند الجمهور.

وأمّا إذا أريد به المرتبة الثالثة التي لا يتحقّق بها إلّا الخواص، فيمكن أن يكون ـ أيضاً ـ صفة[1] كاشفة يظهر وجهه للمتأمل الصادق فيما سيأتي من بعض بطون الآية.

أو مادحة، ذكرت لمجرّد المدح والثناء. وتخصيص ما ذكر، إظهاراً لفضله على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى.

وقد فرّق بين المدح صفة والمدح اختصاصاً، بأنّ الوصف في الأول أصل والمدح تبع. وفي الثاني بالعكس. وبأنّ المقصود الأصلي من الأول إظهار كمال الممدوح والاستلذاذ بذكره، ومن الثاني إظهار أنّ تلك الصفة أحقّ باستقلال المدح من باقي

---

١. ليس في أ.

صفاته الكمالية، إمّا مطلقاً أو بحسب ذلك المقام.

و«الإيمان»: إفعال، من الأمن. المتعدّي إلى مفعول واحد.

والهمزة للتعدية إلى مفعولين. تقول: أمنت عمروٌ أو آمنينه زيد، أي: جعلني آمناً منه.

وقيل: الهمزة للصيرورة، نحو: أعشب المكان، بمعنى: صار ذا عشب. فمعنى أمن: صار ذا أمن.

وقيل: المطاوعة، نحو: كبّه فأكبّه[١]، أي: أمنه فأمن. ثمّ نقل إلى التصديق ووضع له لغة. ثمّ إنّك إذا صدقت زيداً، فقد اعترفت بكلامه. فعدّى بالباء على تضمين معنى الاعتراف.

وفي عرف الشرع: هو التصديق بما علم بالضرورة، من دين محمّد صلى الله عليه وآله: كالتوحيد والنبوّة والإمامة والبعث والجزاء ـ كما هو ظاهر.

وقيل: مجموع ثلاثة أمور: اعتقاد الحق، والإقرار به، والعمل بمقتضاه. وهذا مذهب المعتزلة والخوارج. فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق. ومن أخل بالإقرار فكافر. ومن أخل بالعمل ففاسق وفاقاً، وكافر عند الخوارج، خارج عن الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة[٢].

واختلف القائلون بأنّ الإيمان هو التصديق وحده، في أنّ مجرّد التصديق بالقلب هل هو كاف في المقصود، أو لابدّ من انضمام الإقرار للمتمكّن[٣] منه؟

ولعلّ الحق هو الثاني؛ لأنّه تعالى ذمّ المعاند أكثر من ذم الجاهل المقصّر، وللمانع أن يجعل الذمّ للإنكار لا لعدم الإقرار.

ولابأس علينا أن نذكر معنى «التضمين» هنا، فإنّه يناسبه. فنقول: «التضمين» أن يقصد بفعل معناه الحقيقي، ويلاحظ معه فعل آخر يناسبه ويدلّ عليه بذكر شيء من

---

١. تفسير البحر المحيط، ٣٨/١.
٢. أنوار التنزيل، ١٦/١.
٣. أ: للتمكن.

متعلّقات الآخر ؛ كقولك : أحمد إليك فلاناً. فإنّك لمّا جعلت فيه مع الحمد معنى الإنهاء، ودللت عليه بذكر صلته ؛ أعني : كلمة «إلى» كأنّك قلت : أنهى حمده إليك . ثمّ إنّهم اختلفوا .

فذهب بعضهم إلى أنّ اللفظ مستعمل في معناه الحقيقي فقط، والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدلّ عليه ذكر ما هو من متعلّقاته . فتارة يجعل المذكور أصلاً والمحذوف قيداً على أنّه حال، وتارة يعكس .

وذهب آخرون إلى أنّ كلا المعنيين مراد بلفظ واحد على طريق الكناية، إذ يراد بها معناه الأصلي، ليتوسل بفهمه إلى ما هو المقصود الحقيقي . فلا حاجة إلى تقدير إلّا لتصوّر المعنى .

وفيه ضعف ؛ لأنّ المعنى : المكنّى به في الكناية قد لايقصد ثبوته، وفي «التضمين» يجب القصد إلى ثبوت كل من المضمن والمضمن فيه . والأظهر أن يقال : اللفظ مستعمل في معناه الأصلي، فيكون هو المقصود أصالة . لكن قصد بتبعيّته[1] معنى آخر، يناسبه من غير أن يستعمل فيه ذلك اللفظ ويقدّر لفظ آخر . فلا يكون من باب الكناية، ولا من الإضمار، بل من قبيل الحقيقة التي قصد بمعناها الحقيقي معنى آخر يناسبه ويتبعه في الإرادة . فاحفظ هذه المسألة، فإنّها مفيدة[2] .

﴿بِالْغَيْبِ﴾ : «الغيب» مصدر غاب غيباً، حمل على «الغائب» مبالغة، أو على حذف مضاف، أو على جعل المصدر، بمعنى اسم الفاعل . وإمّا مخفّف فيعل ؛ كهيّن وهين وأمثاله .

ورُدّ ذلك بأنّ هذا لا يدعى إلّا فيما يسمع مثتقلاً[3] كنظائره . وذلك ليس من هذا القبيل . والمراد به الخفي الذي لا يكون محسوساً ولا في قوّة المحسوس كالمعلومات ببديهة العقل . وذلك كذاته سبحانه وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وأحوال الآخرة،

---

١ . أ : بتبعية . ٢ . أ : مقيدة .

٣ . أ : منتقلا . وج : مثقلاً .

إلى غير ذلك من كل ما يجب على العبد أن يؤمن به، وهو غائب عنه، لا يشاهده ولا يعاينه. فالإيمان لا يكون عن المؤمن إلّا عن غيب، سواء كان تقليداً أو نظراً أو استدلالاً.

قيل[١]: فإذا ارتفع عن درجة الإيمان، كان عارفاً مشاهداً. ولهذا فرّق جبرئيل بين درجة الإيمان وما فوقه عند سؤاله النبي[٢] ﷺ حيث قال: يا محمّد! أخبرني ما الإيمان وما فوقه؟

قال ﷺ: «الإيمان» أن تؤمن بالله والملائكة والكتب والنبيّين، وتؤمن بالقدر كلّه.

ثمّ قال: يا محمّد! أخبرني ما الإحسان؟

قال: أن تعبد الله كأنّك تراه، (فإن لم تكن تراه)[٣] فإنّه يراك.

فقوله: «أن تعبد الله كأنّك تراه»، أي: تعبده حين تراه بعين بصيرتك وقوة يقينك، كأنّك تراه. فكما أنّ المبصر بعين البصر لا يحتاج إلى الاستدلال، فكذلك بعين البصيرة وقوّة اليقين لا يحتاج إليه. فهو بالنسبة إليك بمنزلة المشهود المحسوس.

فدرجة الإحسان فوق درجة الإيمان، وإنّما سمّي ذلك إحساناً لأنّه إنعام من الله تعالى وفضل، ليس للعبد فيه تسبب، بخلاف الإيمان فإنّه مكتسب.

ويمكن أن يراد «بالغيب» غيب الغيوب، الذي هو ذاته المطلقة وهويّته الغيبية السارية في الكل، علماً وعيناً.

و«الباء» على هذه التقادير[٤] للتعدية[٥]، متعلّقة المضمن للإيمان.

ويمكن أن تكون للمصاحبة، متعلّقة بمحذوف يقع حالاً. و«الغيب» بمعناه المصدري، أي: يؤمنون حال كونهم متلبّسين بغيبتهم عن المؤمن به، أو بغيبة المؤمن

---

١. ليس في أ.

٢. سنن الترمذي ١٢٠/٤، ضمن حديث طويل مع بعض الاختلاف.

٣. ليس في ج.

٤. في ج: التقدير.

٥. ليس في ج.

به عنهم. أو المعنى: أنّهم يؤمنون غائبين عنكم، لا كالمنافقين الذين «إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم[١]».

وأن تكون للاستعانة، أي: يؤمنون باستعانة غيوبهم التي هي نفوسهم الناطقة وأرواحهم المجرّدة، التي هي غيب وجوداتهم. فإنّ نسبة الحق سبحانه إلى العالم كنسبة النفس الناطقة إلى البدن، فبالقياس إليها يعرفون الحق سبحانه ويؤمنون به وبصفاته الكمالية. وعلى هذا، حمل بعضهم قوله عليه السلام: من عرف نفسه فقد عرف ربّه.

وقيل: المراد «بالغيب» القلب، أي[٢]: يؤمنون بقلوبهم، لا كمن يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم»[٣].

ومفعول «يؤمنون» على هذه التقادير، محذوف يعمّ جميع ما يجب أن يؤمن به.

ويحتمل أن يكون المراد «بالغيب» قيام القائم عليه السلام.

(وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[٤]: حدثني[٥] أبي، عن يحيى بن أبي عمران، عن يونس، عن سعدان بن مسلم، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «الذين يؤمنون بالغيب»، قال: يصدّقون بالبعث والنشور والوعد والوعيد.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة[٦]: بإسناده إلى عمر بن عبدالعزيز، عن غير واحد [من أصحابنا][٧] عن داود بن كثير الرقي، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب». قال: من أقرّ بقيام القائم عليه السلام أنّه حق.

وبإسناده[٨] إلى عليّ بن أبي حمزة، عن يحيى بن أبي القاسم، قال: سألت الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب».

---

١. البقرة / ١٤.
٢. المصدر: لأنّه مستور والمعنى.
٣. أنوار التنزيل، ١٧/١.
٤. تفسير القمي، ٣٠/١.
٥. في ج: حدثنا.
٦. كمال الدين وتمام النعمة ٣٤٠/٢، ح ١٩.
٧. من المصدر.
٨. نفس المصدر ٣٤٠/٢، ح ٢٠.

فقال: «المتقون» شيعة علي عليه السلام و«الغيب» هو الحجّة الغائب. وشاهد ذلك قول الله عزّ وجلّ: «ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنّما الغيب لله فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين»[١].

فأخبر عزّ وجلّ أنّ «الآية» هي «الغيب»، و«الغيب» هو «الحجة». وتصديق ذلك قول الله عزّ وجلّ: «وجعلنا ابن مريم وأمّه آية»[٢]، يعني: حجّة.

وفي مجمع البيان[٣]: «يؤمنون بالغيب» قيل: بما غاب عن العباد علمه، عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة. وهذا أولى لعمومه. ويدخل فيه ما رواه أصحابنا من [زمان][٤] غيبة المهدي [عليه السلام][٥] ووقت خروجه)[٦].

(ويدلّ عليه ما روي[٧] عن داود [بن كثير] الرقي، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «(هدى للمتقين)[٨] الذين يؤمنون بالغيب» قال: من أقرّ بقيام القائم عليه السلام أنّه حق.

وروى[٩] ـ أيضاً ـ: بإسناده عن يحيى بن أبي القاسم، قال: سألت الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب».

فقال: «المتقون»، شيعة عليّ عليه السلام و«الغيب» هو الحجّة الغائب)[١٠].

﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: «القيام» في الأصل: الانتصاب. وإقامة الشيء: جعله منتصباً. فكأنّهم يجعلون الصلاة منتصبة من حضيض ذلّ العدم أو النقصان، إلى ذروة عزّ الوجود أو الكمال، أي: يحصّلونها أو يأتون بها على ما ينبغي. و ـ أيضاً ـ «قيام الشيء» وجوده. ومنه قولهم: أنّه قائم بنفسه أو بغيره. وقولهم: القيّوم؛ هو القائم

---

١. الأعراف / ٧١.
٢. المؤمنون / ٥٠.
٣. مجمع البيان، ٣٨/١.
٤. من المصدر.
٥. من المصدر.
٦. ما بين القوسين ليس في أ.
٧. كمال الدين وتمام النعمة ٣٤٠، ح ١٩؛ ج ١٧/١.
٨. ما بين القوسين ليس في المصدر.
٩. نفس المصدر.
١٠. ما بين القوسين مشطوب في المتن وغير موجود في ر وج.

بنفسه، المقيم لغيره. والقوام؛ لما يقام به الشيء، أي: يحصل. فعلى هذا، معنى «إقامة الصلاة»: تحصيلها وإيجادها كما في الوجه الأول من الإقامة بمعنى: الانتصاب.

ويلائم الوجه[١] الثاني، جعله مِن أقام العود: إذا قوّمه، أي: سوّاه، على أن يستعار من تسوية الأجسام كالعود ونحوه لتعديل الأركان، نقلاً من المحسوس إلى المعقول.

ويحتمل أن يجعل من «قامت السوق»: إذا نفقت، أي: راجت. وأقامها، أي: جعلها نافقة رائجة، ويقصد بها الدوام والمحافظة عليها؛ لأنّها إذا حوفظت عليها، كانت كالشيء النافق الذي يتوجّه إليه الرغبات. وإذا عطّلت وأضيعت، كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه.

وأن يجعل من قولهم: قام بالأمر، أي: تجلّد وتشمّر له. فإقامة الصلاة على هذا، جعلها متجلّدة متشمّرة[٢] لإخراج المصلّي عن عهدة أدائها، أو إنقاذها عن تبعة تركها، ولا يتيسّر ذلك إلّا بتجلّد المصلّي وتشمّره لها، فَجُعل كناية عنه.

وبالجملة، فالمراد بإقامتها: تحصيلها الذي هو أداؤها مطلقاً، أو تعديل أركانها الظاهرة، وتقويم حقائقها الباطنة، أو الدوام والمحافظة عليها، أو التجلّد والتشمّر لأدائها.

و«الصلاة» فعلة، من «صلى»، كالزكاة من زكى، كتبت بالواو، على لفظ المفخم اسم الفاعل. والتفخيم هنا إمالتها نحو الواو.

وقيل: للدلالة على أنّها واوية.

والمشهور أنّها في اللغة، بمعنى: «دعا» وورود «الصلاة» بمعنى «الدعاء» في كلام العرب، قبل شرعية الصلاة المشتملة على الأركان المخصوصة، وفي كلام من لا يعرفها، دليل على ذلك. ثمّ نُقلت إلى ذات الأركان لاشتمالها على الدعاء.

أو لأنّها دعاء بتمامها، بالألسنة الثلاثة: القول والفعل والحال. ووجه إطلاق المصلّي على الداعي ظاهر.

---

١. أ: الوجود.

٢. في «ج» بعد «متشمّرة»: أي: كالمتجلّدة المتشمّرة.

وقيل: إنّها من «صلى» بمعنى: حرك الصلوين[١]، أي: طرفي الأليتين، وذلك لأنّ أول ما يشاهد من أحوال الصلاة إنّما هو تحريك الصلوين للركوع، فإنّ القيام لا يختصّ بالصلاة، وإنّما سمّي الداعي مصلياً، تشبيهاً له في تخضّعه بالراكع والساجد. وإقامة الصلاة أعمّ من المفروضات والمسنونات.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾③: «الرزق» في الأصل: الاخراج؛ لأنّ التركيب وقلبه ـ أعني زرق ـ يدلّان عليه.

وشاع في اللغة أوّلاً على إخراج حظّ إلى آخر ينتفع به. وهذا يلائم ما يذهب إليه بعضهم، حيث يجعلون الرزق عاماً بحيث يتناول كل غذاء جسماني كالأطعمة والأشربة وغيرهما، وروحاني كالعلوم والمعارف.

ثمّ شاع ـ استعمالاً وشرعاً ـ على إعطاء الحيوان ما ينتفع به، ويستعمل بمعنى المرزوق كثيراً.

والمعتزلة لمّا استحالوا من الله أن يمكّن من الحرام؛ لأنّه منع من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه، قالوا: الحرام ليس برزق. وأسند الرزق هنا[٢] إلى نفسه إيذاناً بأنّهم ينفقون الحلال [المطلق][٣]، فإنّ إنفاق الحرام لايوجب المدح، وذمّ المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله: «قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً[٤]»[٥].

والأشعرية جعلوا الإسناد للتعظيم والتحريص على الإنفاق، والذمّ لتحريم ما لم يحرم. واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة. وتمسّكوا في شمول الرزق له بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قرّة: لقد رزقك الله طيّباً، فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله. وبأنّه لو لم يكن رزقاً، لم يكن المغتذي به طول

---

١. أنوار التنزيل، ١/١٧.

٢. في المصدر: ألا ترى أنّه تعالى أسند الرزق ها هنا....

٣. من المصدر.

٤. يونس/ ٥٩.

٥. أنوار التنزيل، ١/١٧.

عمره مرزوقاً. وليس كذلك لقوله تعالى: «وما من دابة في الأرض إلّا على الله رزقها»[١].

وأنفق الشيء وأنفده، أخوان. وكذا كلّ ما كان فاؤه نوناً وعينه فاء، يدلّ على معنى الذهاب والخروج.

والمراد من «إنفاق ما رزقهم الله»: صرف المال في سبيل الخير، من الفرض والنفل[٢]. ومن فسّره بالزكاة، ذكر أفضل أنواعه، والأصل فيه[٣]، أو خصّصه بها لاقترانه بما هو شقيقها.

وتقديم المفعول للاهتمام. أو لتخصيص الإنفاق ببعض المال الحلال، تأكيداً لما يفيده[٤] «من» التبعيضية، أو للمحافظة على رؤوس الآي.

و«ما» المجرورة موصولة، أو موصوفة، والعائد محذوف، والتقدير: رزقناهموه، أو رزقناهم إيّاه. وإنّما حذف العائد الذي هو كناية عن الرزق لا العائد إلى المرزوقين، ليكون الوجود اللفظي على طبق الوجود العيني؛ لانطواء الرزق في المرزوق واختفائه فيه.

ويحتمل أن يكون «ما» مصدرية، ويكون المصدر بمعنى المفعول، وأن يكون «من» لابتداء الغاية، لا للتبعيض.

أقول: إنّما كنّى بضمير الجمع عن نفسه، وهو واحد لا شريك له؛ لأنّه خطاب الملوك وهو مالك الملوك.

ووجه ذلك عند بعضهم، أنّ ما يصدر عن الله سبحانه من الأفعال إنّما هو بوساطة[٥]

---

١. هود/٦.

٢. أ: النقل.

٣. قوله: «ذكر أفضل أنواعه والأصل فيه» كون الزكاة أفضل أنواع الإنفاق، لأنّ الأفضلية باعتبار أكثرية الثواب فإنّ ثواب الفرض أكثر من ثواب النفل. وأمّا كون الزكاة أصلاً في الإنفاق فباعتبار أنّ الزكاة من أصول الإسلام، بخلاف سائر أنواع الإنفاقات فإنّها من الفروع.

٤. أ: يقيده.

٥ـ أ: بواسطة.

الأسماء. وللاسماء جهتان: وحدة حقيقية من حيث الذات، وجهة كثرة نسبية[١] من حيث النسب والاعتبارات. فإذا اقتضى المقام اعتبار الجهة الأُولى، أتى بما يدلّ على الوحدة[٢]. (وإذا اقتضى المقام اعتبار الجهة الثانية، أتى بما يدلّ على الكثرة)[٣]. ولما اعتبر هنا جانب المرزوقين روعيت الجهة الثانية، فإنّ لكل مرزوق استعداداً خاصاً يطلب رزقه من اسم خاص يناسبه.

قيل: ولا يبعد أن يقال: المراد «بالانفاق» أنّهم يتصدّقون للفطر حين يصومون، ولأداء الزكاة عند وجود النصاب وحولان الحول، وينفقون لأداء الحج للزاد والراحلة لأنفسهم ولرفقائهم. فيكون قوله تعالى: «بالغيب» إشارة إلى أول ركن من أركان الإسلام. وقوله: «ويقيمون» إلى ثانيها. وقوله: «وممّا رزقناهم» إلى الثلاثة الباقية.

وقد[٤] روي[٥] في معنى الآية: أنّ المتقين هم الشيعة الذين يؤمنون بالغيب.

وهو البعث والنشور وقيام القائم والرجعة. و«مما رزقناهم ينفقون»: ممّا علّمناهم من القرآن يتلون.

(وفي مجمع البيان[٦]: «ومما رزقناهم ينفقون» روى محمّد بن مسلم، عن الصادق عليه السلام أنّ معناه: وممّا علّمناهم يبثّون)[٧].

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾: مرفوع، أو منصوب، عطفاً على «الذين يؤمنون بالغيب»، أو مجرور، عطفاً عليه، أو على «المتقين».

فعلى الأوّل، يكون دخوله تحت «المتقين» دخول أخصّين تحت أعمّ. إذ المراد «بأولئك»: «الذين آمنوا» عن شرك وإنكار، وبهؤلاء مقابلوهم. فيكون الآيتان تفصيلاً «للمتقين».

---

١. أ: نسبة.
٢. أ: الكثرة.
٣. ما بين القوسين غير موجود في أ.
٤. ليس في أ.
٥. تفسير العياشي، ٢٦/١.
٦. مجمع البيان، ٣٩/١.
٧. ما بين القوسين ليس في أ.

وعلى الثاني، لا يكون مندرجاً تحت «المتقين»، والمعنى: «هدى للمتقين» عن الشرك، و«الذين آمنوا» من أهل الملل.

فعلى هذا، يكون المراد بالأولين: المؤمنين عن الشرك، وبالأخيرين[١]: المؤمنين من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه.

وعلى التقديرين، يحتمل أن يراد بهم: الأوّلون بأعيانهم.

ووسّط العاطف، كما وسّط في قوله:

إلى الملك القَرْم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

وقوله:

يا كهف[٢] زيابة[٣] للحارث ... الصالح[٤] والغانم[٥] فالايب

والمعنى: أنّهم الجامعون بين الإيمان بما يدركه العقل جملة، والإتيان بما يصدّقه من العبادات البدنية والمالية، وبين الإيمان بما لا طريق إليه غير السمع.

وكرّر الموصول تنبيهاً على[٦] تباين السبيلين، أو طائفة منهم، وهم مؤمنوا أهل الكتاب، ذكرهم مخصّصين عن الجملة، كذكر جبرئيل وميكائيل بعد الملائكة، تعظيماً لشأنهم وترغيباً لأمثالهم[٧].

ويحتمل أن يكون مع ما عطف عليه مبتدأ، و«أولئك» خبره.

و«الإنزال» تحريك الشيء من العلو إلى السفل.

فالمراد بالمنزل، إن كان الكلام الذي هو صفته، فإنزاله: تحريكه بالحركة المعنوية إلى مظاهره السفلية، بعد ظهوره في المظاهر العلوية. فإنّه يظهر أوّلاً في المظاهر العقلية، ثمّ النفسية، ثمّ المثالية، ثمّ الحسّية.

---

١. في ج: الآخرين.
٢. المصدر: يالهف.
٣. في أنوار التنزيل: ذنابه.
٤. في أنوار التنزيل وج: الصانح.
٥. المصدر: فالغانم.
٦. في المصدر: على تغاير القبيلين و....
٧. أنوار التنزيل، ١٨/١.

(وإن كان كلامه الذي هو القرآن المنتظم من الحروف والكلمات ، فإنزاله : تحريكه من المعاني العلمية الإلهية العقلية النفسية[١]، ثمّ إلى صور الحروف والكلمات المثالية ، ثمّ الحسّية)[٢].

وعلى هذا[٣]، يكون الإنزال مستعملاً في معناه المجازي ، فيكون من قبيل المجاز في المفرد . ولك أن تجعله من قبيل المجاز في الاسناد ، بأن يكون الإنزال مستعملاً في معناه الحقيقي ، ويسند إلى القرآن باعتبار حامله الذي هو جبرئيل عليه السلام .

وإنّما جاء بصيغة الماضي ـ وإن كان بعضه مترقباً ـ تغليباً للموجود على ما لم يوجد ، أو تنزيلاً للمنتظر منزلة الواقع . ونظيره قوله تعالى[٤]: « إنّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى » فإنّ الجن لم يسمعوا جميعه ، ولم يكن الكتاب كلّه حينئذ منزلاً .
والمعنى : « الذين يؤمنون بالقرآن الذي أنزل إليك بعد ظهورك » بالوجود الجسماني الشهادي . وإنّما قيّدنا بذلك لأنّه بحسب الوجود الروحاني العيني مقدّم على الكل .
قال صلّى الله عليه وآله : كنت نبياً مبعوثاً[٥] من عند الله في العالم الروحاني إلى الأرواح البشريّين والملكيين ، وآدم بين الماء والطين ، أي : لم يكمل بدنه الجسماني الشهادي بعد ، فكيف من دونه من أنبياء أولاده ؟

والإيمان به جملة فرض عين ، وتفصيلاً[٦]، من حيث إنا متعبّدون بتفاصيله فرض لكن على الكفاية ؛ لأنّ وجوبه على كلّ أحد يوجب الحرج وفساد المعاش .
﴿ **وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ** ﴾: مجرور ، معطوف على « ما أنزل قبله » ، أي : قبل وجودك الجسماني الشهادي . والمراد به : التوراة والانجيل وغيرهما ، والإيمان به جملة فرض عين .

---

١. في ج : إلى العقليّة ثمّ النفسيّة . وهو الأصوب . ٢. ما بين القوسين ليس في أ .
٣. في ج : على . ٤. الأحقاف ، ٤٦.
٥. في ج : أي مبعوثاً .
٦. في أنوار التنزيل ١٨/١ هكذا : والإيمان بهما جملة فرض عين ، وبالأوّل دون الثاني تفصيلاً .

وقرأ يزيد بن قطيب: «بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك» على لفظ ما سُمّي فاعله.

أقول: ومن جملة ما أنزل إلى النبي وإلى الأنبياء قبله عليهم السلام بل العمدة والأصل، خلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام عنه بلا وساطة[١] أحد غيره.

يدلّ على ذلك ما روي في التفسير المنسوب إلى الحسن العسكري[٢] عليه السلام: أنّه قد حضر رجل عند عليّ بن الحسين عليهما السلام فقال[٣]: ما تقول في رجل يؤمن بما أنزل على محمّد وما أنزل [على][٤] من قبله، ويؤمن بالآخرة، ويصلّي ويزكّي، ويصل الرحم، ويعمل الصالحات، لكنه يقول مع ذلك[٥]: لا أدري الحق لعليّ أو لفلان؟

فقال [له][٦] عليّ بن الحسين عليهما السلام: ما تقول أنت في رجل يفعل هذه الخيرات كلها إلّا[٧] أنّه يقول: لا أدري النبي محمّد أو مسيلمة؟ هل ينتفع بشيء من هذه الأفعال؟

فقال: لا.

فقال[٨]: فكذلك[٩] صاحبك هذا. كيف يكون مؤمناً بهذه الكتب (وبالآخرة أو منتفعاً بشيء)[١٠] لا يدري[١١] أمحمّد النبي أو[١٢] مسيلمة [الكذاب]؟[١٣] فكذلك كيف يكون مؤمناً بهذه الكتب وبالآخرة[١٤] أو منتفعاً بشيء[١٥] (من أفعاله)[١٦] من لا يدري أعليّ المحقّ أم فلان؟

(وفي شرح الآيات الباهرة[١٧]، منقول عن التفسير المذكور: قال الإمام عليه السلام: قال

---

١. أ: واسطة.
٢. تفسير العسكري عليه السلام، ٨٩.
٣. في ج: فقال له.
٤. من المصدر.
٥. المصدر: مع ذلك يقول.
٦. من المصدر.
٧. أ: على.
٨. ليس في المصدر. وفي ج: قال.
٩. المصدر: وكذلك.
١٠. ما بين القوسين مشطوب في المتن وغير موجود في ر وج. ويوجد في المصدر.
١١. المصدر: من لا يدري.
١٢. المصدر وأ: أم.
١٣. من المصدر.
١٤. ليس في المصدر.
١٥. المصدر: به بشيء.
١٦. ليس في المصدر.
١٧. تأويل الآيات الباهرة، ٨٨/١.

الحسن بن علي عليه السلام : من دفع فضل أمير المؤمنين عليه السلام فقد كذب بالتوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وبسائر كتب الله المنزلة. فإنّه ما (نزل)[1] شيء منها إلّا وأهمّ ما فيه بعد الأمر بتوحيد الله والإقرار بالنبوة، الاعتراف بولاية علي والطيبين من آله[2])[3].

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾: معطوفة على «يؤمنون»، أي: يوقنون إيقاناً زال معه ما كانوا عليه، من أنّ الجنة لا يدخلها إلّا من كان هوداً أو نصارى. وأنّ النار لم تمسّهم إلّا أيّاماً معدودة، واختلافهم في نعيم الجنة أهو من جنس نعيم الدنيا أو غيره، وفي دوامه وانقطاعه.

و«الآخر» اسم فاعل من «اخر» بالتخفيف، بمعنى: تأخر. إلّا أنّه لم يستعمل. و«الآخرة» تأنيثها. وهي صفة الدار أو النشأة، بدليل قوله: «تلك الدار الآخرة»[4] و«ينشئ النشأة الآخرة»[5]، وهي صفة غالبة على «تلك الدار» أو «النشأة»، كالدنيا على هذه حتى قلّما يستعملان[6] في غيرهما. وقد جرتا[7] مع تلك الغلبة مجرى الأسماء بترك موصوفيهما، حتّى كأنّهما ليستا من قبيل الصفات.

وإنّما سميت «آخرة» لتأخّرها عن الدنيا، كما سمّيت «الدنيا» دنيا لكونها أدنى وأقرب إلينا من الآخرة. أو لكونها أقرب النشئات إلى الآخرة. وذلك لأنّ للنفس[8] الناطقة حالتين: حالة تعلّقها بالبدن، واشتغالها[9] بتدبيره، والإتيان بواسطته بالأعمال الحسنة والسيئة. وحالة انقطاعها عن البدن وعدم التمكّن من الاشتغال بتدبيره وترتّب الأجزية على أعمالها من اللذّات والآلام.

---

١. المصدر: أنزل.

٢. في المصدر وج: من آله عليهم السلام.

٣. ما بين القوسين ليس في أ.

٤. القصص / ٨٣.

٥. العنكبوت / ٢٠.

٦. أ: يستعملون.

٧. في ج: جريا.

٨. في ج: النفس. وهو خطأ.

٩. أ: اشغالها.

ولا شكّ أنّ الانتقال من الحالة الأولى التي هي الدنيا إلى الثانية التي هي الآخرة، آني دفعي، لا زماني تدريجي، بخلاف سائر النشئات، فإنّه يتخلّل بينها وبين الآخرة النشأة الدنيوية.

وعن نافع[١]، أنّه خفّفها بحذف الهمزة، وإلقاء حركتها على اللام.

و«الإيقان»: إتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال. ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى والعلوم الضرورية.

لا يقال: أيقنت أنّ السماء فوقي. يقال: يقنت ـ بالكسر ـ يقيناً.

وأيقنت واستيقنت وتيقّنت ـ كلّه ـ بمعنى، وهو في أصل اللغة ينبئ[٢] عن السكون والظهور. يقال: يقن الماء: إذا سكن، فظهر ما تحته.

وقرئ: «يوقنون» بقلب الواو همزة لضمّ ما قبلها، إجراء لها مجرى المضمومة في وجوه «ووقتت» ونظيره:

لحب المـوقدان[٣] الي مـوسى وجـعدة إذ أضـاءهما الوقـود

وفي هذا الكلام تقديمان، يفيد كل منهما القصر:

أحدهما: تقديم الظرف، أعني: «بالآخرة» للقصر عليه، كما في قوله تعالى: «لَإلى الله تحشرون»[٤]، يعني: إنّهم يوقنون بحقيقة الآخرة، لا بما هو على خلاف حقيقتها، كما يزعم بعض اليهود.

وثانيهما: تقديم المسند إليه، أعني «هم» وبناء الفعل عليه، كما في قولك: أنا سعيت في حاجتك، يعنى: أنّ الإيقان بالآخرة مقصور عليهم، لا يتجاوزهم إلى أهل الكتاب.

وفي هذين القصرين، التعريض ببعض أهل الكتاب، وبما هم عليه من أمر الآخرة.

---

١. أنوار التنزيل ١٨/١.

٢. أ: بنى.

٣. أ: المؤتدان.

٤. آل عمران / ١٥٨.

(وفي شرح الآيات الباهرة[١]: قال الإمام أبو محمّد العسكري عليه السلام: ثمّ وصف هؤلاء الذين يقيمون الصلاة، فقال: «والذين يؤمنون بما أنزل إليك» يا محمّد! «وما أنزل من قبلك» على الأنبياء الماضين، كالتوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وسائر كتب الله[٢] المنزلة على أنبيائه، بأنّها[٣] حق وصدق من عند ربّ العالمين العزيز الحكيم[٤]، «وبالآخرة هم يوقنون» بالدار الآخرة بعد هذه الدنيا يوقنون، لا يشكّون فيها أنّها الدار التي فيها جزاء الأعمال الصالحة بأفضل مما عملوا[٥]، وعقاب الأعمال السيّئة بمثل ما كسبوا[٦])[٧].

﴿**أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ**﴾: الجملة في محل رفع[٨]، إن جعل أحد[٩] الموصولين مفصولاً عن «المتقين»، خبر له. وكأنّه لمّا قيل: «هدى للمتقين»، قيل: ما بالهم خُصّوا بذلك؟ فأجيب بقوله: الذين ـ الخ. وإلّا فاستئناف لا محلّ لها. وكأنّه نتيجة الأحكام والصفات المتقدّمة، أو جواب سائل قال: [ما][١٠] للموصوفين بهذه الصفات: اختصّوا بالهدى.

ويحتمل أن يكون الموصول الأول موصولاً «بالمتقين»، والثاني مفصولاً عنه[١١]. مبتدأ «وأولئك» خبره.

و«أولئك» اسم إشارة، يشترك فيه جماعة الذكور والاناث. وهي هنا إشارة إلى «المتقين» الموصوفين بتلك الصفات، لا إلى ذواتهم المجردة؛ لأنّه مأخوذ في حدّ اسم الإشارة أن يكون المشار إليه محسوساً، أو في حكم المحسوس، وإنّما صار المشار إليه هنا في حكم المحسوس بإجراء هذه الأوصاف عليه وتميّزه بها عمّا عداه.

---

١. تأويل الآيات الباهرة، ٨٨/١.
٢. المصدر: الكتب.
٣. المصدر: فأنّها.
٤. المصدر: ربّ عزيز وصادق حكيم.
٥. في ج: عملوه.
٦. المصدر وج: بما كسبوه.
٧. ما بين القوسين ليس في أ.
٨. في ج: الرفع.
٩. في ج: أوّل.
١٠. أنوار التنزيل ١٨/١. وج. و وجودها هو الصحيح.
١١. أ: منه.

فيجب أن يكون ملحوظة في الإشارة. فإذن يكون قوله: «أولئك على هدى من ربّهم» كالبناء على المشتقّ. ففيه إعلام بأنّ الأوصاف المذكورة قبل اسم الإشارة علّة، لكون المذكورين «على الهدى».

وكلمة «أولئك» يمدّ ويقصر، والمدّ أولى.

وكلمة «على» هذه استعارة تبعية.

وإنّما كانت استعارة لأنّه شبّه تمسّك المتقين بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه في التمكّن والاستقرار. فاستعير له الحرف الموضوع للاستعلاء، كما شبّه استعلاء المصلوب على الجذع باستقرار المظروف في الظرف[١] لجامع[٢]، فاستعير له الحرف الموضوع للظرفية.

وإنّما كانت تبعية لأنّ الاستعارة في الحرف يقع أوّلاً في متعلّق معناه كالاستعلاء والظرفية ـ مثلاً ـ. ثمّ تسرى إليه تبعيّته، كما حقّق في موضعه.

ولك أن تعتبر تشبيه هيئة[٣] منتزعة من «المتقي» و«الهدى» وتمسكه به بالهيئة المنتزعة من الراكب والمركوب واعتلائه عليه، فيكون هناك استعارة تمثيلية تركب كلّ من طرفيها، أو تعتبر تشبيهه بالمركوب على طريقة الاستعارة بالكناية، وتجعل كلمة «على» قرينة لها.

وتنكير «هدى» للتعظيم؛ أي: هدى لا يُبْلَغ كنهه، ولا يقادر قدره، وكيف يبلغ كنهه[٤] وقد منحوه من عند ربّهم، وأوتوه من قبله، أو للنوع[٥].

و«مِن» للابتداء.

وقيل[٦]: إنّما قال: «من ربّهم» لا «من الله» تنبيهاً على أنّ لكل أحد اسماً خاصاً من أحدية جمع الأسماء هو ربّه، ومنه يصل إليه ما يصل، وليس لأحد أحدية جمع

---

١. للظرف.
٢. أ: لمجامع.
٣. أ، ر: هيئته.
٤. ليس في أ.
٥. **يعني: أو وتنكير «هدىً» للنّوع.**
٦. ليس في أ.

الاسماء إلّا للانسان الكامل، فإنّ ربّه الخاص به هو الاسم[١] الجامع. فمعنى قوله: «من ربّهم» أنّ لكل أحدٍ هدىً من ربّه الخاص، لا من غيره.

والنكتة في إضافة «الهدى» إلى «الكتاب» أوّلاً وإلى «ربّهم» ثانياً: أنّ المتقين قبل كشف حجب المظاهر عن نظر شهودهم كانوا يشاهدون «الهدى» عن مظاهر الاسم التي كان «ذلك الكتاب» واحداً منها، فلذلك أضيف إليه «الهدى» أوّلاً. فلمّا تمكّنوا في التقوى وتحقّقوا بالصفات الجارية عليهم، كشف عنهم حجب المظاهر وشاهدوا فيها الظاهر، فلهذا أضيف إليه ثانياً. وهو ـ أي قوله: «من ربّهم» ـ إمّا في محل الجرّ صفة «لهدى»، أو النصب على أنّه حال من «هدى».

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ⁽٥⁾: عطف على الجملة الأولى.

وأصل «الفلاح» القطع والشقّ. ومنه سمّي الزارع[٢] فلّاحاً؛ لأنّه يشقّ الأرض. والزراعة: فلاحة. ومنه المثل: الحديد بالحديد يفلح. بل كلما يشاركه في الفاء والعين يدلّ على ذلك المعنى، نحو: فلق وفلذ وفلا وفلج ـ بالجيم ـ.

و«المفلح» هو الفائز بالمطلوب، كأنّه الذي انفتحت له وجوه الفوز والظفر، ولم تستغلق عليه.

وكرّر اسم الإشارة للتنبيه على أنّ كل واحد من المسندين على انفراده يكفي في إثبات الفضيلة للمسند إليهم، فلا احتياج إلى انضمام الآخر ليعدّ من الفضائل، بخلاف ما لو اقتصر على واحد منهما، فإنّه يمكن أن يتوهّم حينئذ أنّ الفضيلة في الجمع بينهما، لا في كل واحد.

و«هم» فصل. وفيه ثلاث فوائد وثلاث مذاهب.

أمّا الفوائد:

فالأولى منها، الدلالة ابتداء[٣] على أنّ ما بعده خبر، لا نعت. ولذلك سمّي فصلاً.

---

١. أ: اسم.
٢. في ج: الزرّاع.
٣. أ: ابتداءه.

والثانية، تأكيد الحكم لما فيه من زيادة الربط.

وقيل: تأكيد المحكوم عليه؛ لأنّه راجع إليه، فيكون تكريراً له.

والثالثة، إفادة قصر المسند على المسند إليه.

فإن قلت: إنّ هذا إنّما يتمّ إذا ثبت القصر في مثل: «زيد هو أفضل من عمرو» مما[1] الخبر فيه نكرة. وإلّا فتعريف الخبر بلام الجنس يفيد قصره على المبتدأ وإن لم يكن هناك ضمير فصل، مثل: زيد الأمير.

قلت: ندّعي القصر في صورة النكرة أيضاً، فإنّ قولك: «زيد هو أفضل من عمرو» معناه بالفارسية: زيد اوست كه أفضل است از عمرو. فعلى هذا، قد اجتمع في قولك: «زيد هو الأمير»، أمران يدلّان على قصر المسند أحدهما تأكيد للآخر: تعريف المسند. وضمير الفصل[2].

ونوقِشَ: بأنّ تعريف المبتدأ بلام الجنس يفيد قصره على الخبر دون قصر الخبر عليه وإن كان مع ضمير الفصل، كقولك: الكرم هو التقوى، أي: لاكرم إلّا التقوى.

وأجيب بأنّ القول بإفادة الفصل، قصر المسند على المسند إليه إنّما هو على تقدير أن لا يكون هناك معارض، كتعريف المسند إليه لإفادة قصره على المسند في هذه الصورة.

وأمّا المذاهب:

فأحدها، أنّ ضمير الفصل حرف لا محلّ له، وفائدته ما مرّ.

وثانيها، أنّه اسم لا محلّ له، وهو سخيف؛ لأنّه ليس له نظير في كلام العرب من اسم لا يكون له محل.

وثالثها، أنّه اسم مرفوع المحلّ. فعلى هذا يجوز أن يكون «هم» مبتدأ، و«المفلحون» خبره، والجملة خبر «أولئك».

---

١. أ: ومما.

٢. أ: ضمير الفصل من عمرو.

و« اللام » إمّا للعهد ، أي : المتقون هم الذين بلغك أنّهم يفلحون واشتهروا بـذلك ، فإنّهم حصّة معيّنة من جنس المفلحين مطلقاً. وإمّا للجنس ، أي : جنس المـفلحين ، مقصور على المتقين ، لا يتجاوزهم إلى غيرهم .

والمبالغة في الثاني أتمّ ؛ لأنّ قصر الجنس يستلزم قصر الحصّة من غير عكس .

وهاهنا معنى[1] آخر أدقّ وألطف ، ذكرها[2] الشيخ في دلائل الإعـجاز ، وهـو : أن تشير باللام إلى حقيقة ، ثمّ تصوّر تلك الحقيقة في الوهم بصورة تناسب ما يحكم بها عليه ، ثمّ تحكم بالاتّحاد بين تلك الحقيقة المصورة بهذه الصورة الوهمية وبين المبتدأ من غير ملاحظة الحصر من أحد الجانبين ، وإنّما اعتبرت الصورة الوهمية المـناسبة ؛ لأنّ الحقيقة لو تركت على حالها لم يكن ادّعاء كون المبتدأ متّحداً بها مستحسناً مقبولاً .

فالمراد « بالمفلحين » على هذا المعنى : جنس المفلحين ، مصوراً بصورة وهمية يلائم المتقين ، يحكم بالاتحاد بينها وبين المتقين .

لا يقال : على هذا التقدير لم يتصوّر هناك حصر أصلاً ، فكيف يستعمل فيه ضمير الفصل ؟

قلنا : يجرّد حينئذ لتميز الخبر عن النعت ، وتأكيد الحكم دون القصر .

فإن قلت : قوله : « أولئك على هدى من ربّـهم وأولئك هـم المـفلحون » جـملتان مصوغتان لمدح المتقين ، فَلِمَ وقعت إحـداهـما بـطريق القـصر والحكـم بـالاتحاد ، والأخرى بدونه ؟

قلنا : لظهوره التلازم بين مسنديهما ، فقصر أحدهما في قوّة قصر الآخر[3] . وكذلك الحكم بالاتحاد في إحداهما[4] في قوّة الحكم بالاتحاد في الأخرى . وإنّما اختير ذلك في الجملة الأخيرة ، ليقع خاتمة صفاتهم على وجه أبلغ .

---

١. أ : غير معنى.
٢. الأظهر : ذكره.
٣. هكذا في ج : وفي النسخ : الأخرى.
٤. هكذا في ج : وفي النسخ : أحدهما.

وفي التفسير المنسوب إلى أبي محمّد العسكري صلوات الله عليه وعلى آبائه[١]:

قال الإمام عليه السلام: ثمّ أخبر عن جلالة هؤلاء الموصوفين بهذه الصفات الشريفة، فقال: «أولئك» أهل هذه الصفات، «على هدى» بيان[٢] وصواب، «من ربّهم» وعلم بما أمرهم به، «وأولئك هم المفلحون» الناجون مما منه يوجلون، الفائزون بما يؤملون.

قال: وجاء رجل إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين! إنّ بلالاً كان يناظر اليوم فلاناً، فجعل يلحن في كلامه، وفلان يعرب ويضحك من بلال.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: يا عبدالله! إنّما يراد إعراب الكلام وتقويمه لتقويم الأعمال وتهذيبها. ماذا ينفع فلاناً إعرابه وتقويمه لكلامه، إذا كانت أفعاله ملحونة أقبح لحن؟ وما يضرّ بلالاً لحنه في كلامه، إذا كانت أفعاله مقوّمة أحسن تقويم، مهذّبة أحسن تهذيب؟

قال الرجل: يا أميرالمؤمنين! وكيف ذلك؟

قال عليه السلام: حسب بلال من التقويم لأفعاله والتهذيب لها[٣] أنّه لا يرى أحداً نظيراً لمحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ لا يرى أحداً بعد محمّد[٤] نظيراً لعليّ بن أبي طالب عليه السلام. ويرى أنّ كل من عاند علياً فقد عاند الله ورسوله، ومن أطاعه فقد أطاع الله ورسوله. وحسب فلان من الإعوجاج واللحن في أفعاله التي لا ينتفع معها بإعرابه لكلامه بالعربيّة وتقويمه للسانه، أن يقدم الأعجاز على الصدور والأستاه[٥] على الوجوه، وأن يفضل الخلّ في الحلاوة على العسل، والحنظل في الطيب والعذوبة على اللبن. يقدّم على ولي الله عدوّ الله[٦] الذي لا يناسبه بشيء[٧] من الخصال في[٨] فضله، هل هو إلّا

---

١. تفسير العسكري عليه السلام، ٩٠/١.
٢. المصدر: وبيان.
٣. أ: لما، المصدر: بها.
٤. المصدر: بعده.
٥. أ: الاسناء.
٦. ليس في أ.
٧. المصدر: في شيء.
٨. أ: من.

كمن قدّم مسيلمة على محمّد في النبوة في[1] الفضل[2]. ما هو إلّا من الذين قال الله تعالى: «قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضلّ سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً»[3].

قال بعض الفضلاء: وإذا انتهى الكلام إلى هاهنا، فحريّ بنا أن نشير إلى بعض بطون هذه الآيات، فنقول: هذا[4] كلام من باطن الجمع إلى ظاهر الفرق، يخاطب أكمل صورة أوّلاً ومتابعيه آخراً.

فيقول: «الم»، أي أقسم بالأوّل وذي الأمر والخلق، أنّ «ذلك» الموجود المعلوم المشهود، أعني: العالم، هو «الكتاب» الجامع لحروف وكلمات مخطوطة مرقومة في رقّ الوجود المنشور، للدلالة على أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، ولا يزال الكتابة فيه دائمة أبداً لا ينتهى. «لاريب فيه» لأنّ تلك الدلالة قطعية عقلية أو كشفية، لا مجال للريب والشك فيها. «هدى» للمشارفين على الترقّي من الحجب المانعة عن التحقق بشهود الوحدة والكثرة «الذين يؤمنون بغيب» الهوية وسريانها أوّلاً في الصور العلمية الباطنة التي هي الأعيان الثابتة ولها الأوّلية، وثانياً في الصور العينية الظاهرة التي هي الأعيان الخارجية ولها الأخرية، فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن. وبعد الإيمان بها، يسلكون طريق الوصول إلى شهودها في تلك الصور بوحدتها، فـ«يقيمون الصلاة» التي هي العبادة التامّة الجامعة الموصلة إلى شهود الجمعية الإلهية، بتحريك صلاتهم الروحانية والجسمانية، للسير إليها والفناء فيها. «وممّا» أفيض عليهم بعد الفناء من أنوار المعرفة وأسرار الوحدة، يفيضون على من سواهم لجعلهم بالتربية والكمال مستعدّين لفيضانها. و«الذين» يصدّقون، لصفاء استعدادهم «بما أنزل إليك» وبما أُنزل إلى الأنبياء والمرسلين من تلك الأنوار والأسرار، حيث يفهمونها بلسان الإشارة عنك، فيرغبون فيها ويسلكون للوصول إليها. «وبالآخرة» أي: بعاقبة

---

١. المصدر: و.

٢. أ: وظاهر في الفضل.

٣. الكهف / ١٠٤.

٤. في ج: هاهنا.

سلوكهم ومآل أمرهم إلى فيضان تلك الأنوار والأسرار، في أثناء سلوكهم لظهور آثارها متيقّنون. «أولئك على هدى» مشهود «من ربّهم» الظاهر بالاسم الهادي في مظاهره، لا يحتجبون بالمظاهر[1] عن الظاهر. و«أولئك هم المفلحون» الذين خرقوا حجب المظاهر وشقّوها، فيشاهدون مشهودهم كفاحاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: لمّا ذكر خاصّة أوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي أهلتهم لإصابة الزلفى عنده، وبيّن أنّ «الكتاب» هدى ولطف لهم خاصة، قفّى على أثره بذكر أضدادهم، وهم العتاة المردة من الكفار، الذين[2] لا ينفع فيهم الهدى، ولا يجدي عليهم اللطف. «سواء عليهم» وجود الكتاب وعدمه، وإنذار الرسول وسكوته[3].

وروي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام[4] في معنى الآية: أنّه لمّا ذكر المؤمنين ومدحهم، ذكر الكافرين المخالفين لهم في كفرهم. فقال: «إنّ الذين كفروا» بالله وبما آمن به هؤلاء المؤمنون بتوحيد الله تعالى وبنبوة محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وبوصيّة علي أميرالمؤمنين وليّ الله ووصيّ رسوله، وبالأئمة الطيبين الطاهرين خيار عباده الميامين، القوّامين بمصالح خلق الله تعالى، «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم»، أي: خوّفتهم أو[5] لم تخوّفهم، أخبر عن علم بأنّهم لا يؤمنون. انتهى كلامه عليه السلام.

ولم يوسّط العاطف بين الجملتين لتباينهما في الغرض والأسلوب.

أمّا الغرض، فلأنّ الغرض من الأولى، بيان كون الكتاب بالغاً في الهداية حدّ الكمال. ومن الثانية، وصف الكفار بأنّه لا يؤثر فيهم الانذار.

وأمّا في الأسلوب، فلأنّ الطريق الأولى، الحكم على الكتاب بجملة محذوفة المبتدأ موصولة بغيرها، من ذكر المتقين وأحوال المؤمنين. وطريق الثانية، الحكم على الكافرين قصداً بجملة تامّة مصدرة بـ«انّ» المشعرة بالأخذ في فنّ آخر لتجرّد

---

١. ليس في أ.
٢. النسخ: الذي.
٣. أ: وسكونه.
٤. تفسير العسكري عليه السلام، ٩١، باختلاف فيه.
٥. في ج: أم.

الأولى عنها، بخلاف قوله: «إنّ الأبرار لفي نعيم، وإنّ الفجّار لفي جحيم»[1] لتوافقهما في الغرض والأسلوب، وهو ظاهر.

ويحتمل أن يقال: لمّا كانت النسبة بين المؤمنين والكافرين كمال المباينة، وبين الكافرين والمنافقين (على ما هو في شأن المنافقين)[2]، كمال المناسبة، قطع ما كان في شأن الكافرين عمّا كان في شأن المؤمنين، وعطف ما كان في شأن المنافقين على ما هو في شأن الكافرين، تنبيهاً على تينك النسبتين.

و«إنّ» من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف، والبناء على الفتح، ولزوم الأسماء، وإعطاء معانيه والمتعدّي خاصة، في دخولها على اسمين. ولذلك أعملت عمله الفرعي، وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني، إيذاناً بأنّه فرع في العمل.

وقال الكوفيّون: الخبر قبل دخولها كان مرفوعاً بالخبرية، وهي بعدُ باقية مقتضية للرفع قضية[3] للاستصحاب، فلا يرفعه الحرف.

ورُدّ: بأنّ اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر «كان»، وقد زال بدخولها فتعين إعمال الحرف، وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها. ولذلك يُتلقى بها القسم، ويُصدّر بها الأجوبة، وتذكر في معرض الشكّ.

روي: أنّ الكندي المتفلسف ركب (الى المبرّد)[4] وقال: إنّي أجد في كلام العرب حشواً؛ أجد العرب يقول: عبدالله قائم. ثمّ تقول: إنّ عبدالله قائم. ثمّ تقول: إنّ عبدالله لقائم!

فقال المبرّد: المعاني مختلفة، فقولهم: عبدالله قائم، إخبار عن قيامه. وقولهم[5]: إنّ عبدالله قائم، جواب عن سؤال سائل. وقولهم: إنّ عبدالله لقائم، جواب عن إنكار منكر لقيامه.

---

١. الانفطار/١٣ ـ ١٤.

٢. ما بين القوسين ليس في ج.

٣. أ: قضيته.

٤. ليس في أ.

٥. أ: قوله.

و«الكفر» لغة: ستر النعمة. وأصله الكَفر، بالفتح، وهو الستر. ومنه سمّي الليل: كافراً لستره الأشياء بظلمته. والزارع: كافراً؛ لأنّه يستر الحبّ في التراب. وكمام الثمرة: كافوراً، لسترها الثمرة.

وفي الشرع: إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول ﷺ به؛ كوجوب الصوم والصلاة والزكاة وغير ذلك.

وإنّما عُدّ لبس الغيار وشدّ الزنّار كفراً؛ لأنّهما تدلّان على التكذيب، فإنّ من صدّق الرسول ﷺ لا يتجرّأ[1] عليهما[2]، لا لأنّهما[3] كفر في أنفسهما.

واحتجّت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي، على حدوثه، لاستدعائه سابقة مخبر عنه.

وحيث لا يصحّ الحكم على الكافرين مطلقاً باستواء الانذار وتركه لتحقّق الإيمان من بعضهم، فتعريف الموصول إمّا للعهد، والمراد به ناس بأعيانهم؛ كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأحبار اليهود، فإنّ هؤلاء وأضرابهم أعلام الكفرة، فهم كالحاضرين في الذهن. فإذا أطلق اللفظ، التفتَ الخاطر إليهم. أو لاستغراق الجنس، وهو الشائع في الاستعمال، أمّا مطلقاً فيستغرق المصرّين وغير المصرّين، وخُصّ منه غير المصرّين بقرينة الخبر.

أقول: وإمّا[4] مقيّد بالإصرار بهذه القرينة، فإنّه ـ أيضاً ـ جنس، فيستغرق أفراد جنس المصرّين فقط، أو لبعض أفراد الجنس من غير عهد واستغراق، ويكون تعيين المصرّين بقرينة الخبر.

أقول: ويحتمل أن يكون المراد به، مالك بن الضيف، وكعب بن أشرف، وحيي بن أخطب وحدي بن أخطب[5] تابعي[6] أبي لبابة بن المنذر، يدلّ على إرادة ذلك ما روي

---

١. أ: لا تجرء. وفي ج: لا يجترئ.
٢. هكذا في ج: وهو الصحيح.
٣. أ: لأنّها. وهو خطأ.
٤. أ: ويحتمل وأمّا.
٥. ليس في أ.
٦. في ج: وتابعي.

عن محمّد بن علي الباقر عليه السلام[١]: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا قدم المدينة وظهرت آثار صدقه وآيات حقّه وبينات نبوته كادته اليهود أشدّ كيد، وقصدوه أقبح قصد، يقصدون أنواره ليطمسوها، وحججه[٢] ليبطلوها. فكان ممّن قصده للرد عليه وتكذيبه مالك بن الضيف، وكعب بن أشرف[٣]، وحيي بن أخطب[٤]، وحدي بن أخطب[٥]، وأبو لبابة ابن عبدالمنذر[٦] وشيعته.

فقال مالك لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا محمّد! تزعم أنّك رسول الله؟

(قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله:)[٧] كذلك قال الله خالق الخلق أجمعين.

قال: يا محمّد! لن نؤمن أنّك رسوله[٨]، حتى يؤمن لك هذا البساط الذي تحتي، ولن نشهد لك أنّك عن الله جئتنا حتى يشهد لك هذا البساط!

وقال أبولبابة بن عبدالمنذر: لن نؤمن لك [يا محمّد][٩] أنّك رسول الله، ولا نشهد لك به حتّى يؤمن لك[١٠] ويشهد لك[١١] هذا السوط الذي في يدي!

وقال كعب بن أشرف[١٢]: لن نؤمن لك أنّك رسول الله، ولن نصدّقك به، حتّى يؤمن لك هذا الحمار الذي أركبه!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: [إنّه][١٣] ليس للعباد الاقتراح على الله، بل عليهم التسليم لله والانقياد لأمره والاكتفاء بما جعل[١٤] كافياً. أماكفاكم إن نطق التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم بنبوّتي، ودلّ على صدقي، وبيّن فيها ذكر أخي ووصيّ وخليفتي في

---

١. تفسير العسكري عليه السلام، ٩٢.
٢. أ: حجته.
٣. المصدر: الأشرف.
٤. المصدر: الأخطب.
٥. المصدر: وحدي بن الأخطب وأبو ياسر بن الأخطب.
٦. المصدر: المنذر.
٧. ليس في أ.
٨. أ: لرسوله.
٩. من المصدر.
١٠. ليس في المصدر.
١١. المصدر: به هذا.
١٢. المصدر: الأشرف.
١٣. من المصدر.
١٤. المصدر: جعله.

أمّتي وخير من أتركه على الخلائق من بعدي عليّ بن أبي طالب، وأنزل عليَّ هذا القرآن الباهر للخلق أجمعين[١]، المعجز لهم عن أن يأتوا بمثله وأن تكلفوا[٢] شبهه؟ وأمّا[٣] الذي اقترحتموه، فلست أقترحه على ربّي ﷻ، بل أقول: أنّ ما أعطاني[٤] ربّي ﷻ من دلالة[٥] هو حسبي وحسبكم. فإن فعل ﷻ ما اقترحتموه، فذاك زائد في تطوّله علينا وعليكم. وإن منعنا ذلك، فلعلمه[٦] بأنّ الذي فعله[٧] كاف فيما أراده منّا.

قال: فلمّا فرغ رسول الله ﷺ من كلامه هذا، أنطق الله البساط.

والحديث طويل، مضمونه: أنّ كلاً من البساط والسوط والحمار شهد بالوحدانية والنبوة والولاية، وظهر من كلّ منها آيات عجيبة. ولم يؤمن أحدهم إلّا أبولبابة، فإنّه أظهر الإسلام ولم يحسن إسلامه.

ثمّ قال عليه السلام: فلمّا انصرف القوم من عند رسول الله ﷺ ولم يؤمنوا، أنزل الله: يا محمّد! «إنّ الذين كفروا سواء عليهم» في العظة[٨] «ءأنذرتهم» ووعظتهم وخوّفتهم «أم لم تنذرهم لا يؤمنون»، لا يصدّقون بنبوّتك، وهم قد شاهدوا هذه الآيات وكفروا، فكيف يؤمنون [بك عند قولك ودعائك][٩].

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ[١٠]﴾ ⑥: «سواء» اسم مصدر، بمعنى: الاستواء. أجري على ما يتّصف بالاستواء، كما يجري[١١] المصادر على ما يتّصف بها. وهو مرفوع على أنّه خبر «إنّ».

وقوله: «ءأنذرتهم أم لم تنذرهم» بتأويل المصدر مرفوع على الفاعلية، أي: إنّ

---

١. المصدر: أجمع.
٢. أ: تكلفوا.
٣. المصدر: وأمّا هذا.
٤. المصدر: أعطانيه.
٥. المصدر: دلالته و.
٦. أ: فلعلّه.
٧. في ج: كان.
٨. ليس في المصدر.
٩. من المصدر.
١٠. «لا يؤمنون» ليس في ج.
١١. في ج: تجري.

الذين كفروا مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه، أو هو مرفوع بالابتداء، و«سواء» خبره مقدّماً عليه.

والفعل إنّما يمتنع الاخبار عنه، إذا أريد به تمام ما وضع له. أمّا لو أطلق وأريد به اللفظ و[١] مطلق الحدث المدلول عليه ـ ضمناً ـ على الاتّساع، فلا. وإنّما عدل عنه إلى الفعل، لما فيه من إيهام التجدّد وحسن دخول الهمزة.

قيل[٢]: لا يجوز أن يكون «سواء» خبراً؛ لأنّ الجملة لمّا كانت مصدرة بالاستفهام، لا يجوز تقديم ما في حيّزها عليها.

ورُدّ بأنّ «الهمزة» و«أم» دخلتا عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده، فإنّهما جرّدتا عن معنى الاستفهام لمجرّد الاستواء، كما جرّدت حرف النداء عن الطلب لمجرّد التخصيص في قولهم: «اللّهمّ اغفر لنا أيّتها العصابة»[٣]، بل هو أولى من أن يكون فاعلاً للاستواء؛ لأنّه لمّا كان اسماً غير صفة فالأصل أن لا يعمل، وإذا جعله بمعنى اسم الفاعل، فأتت المبالغة المقصودة من الوصف بالمصادر. ووجه افراده على الأول ظاهر، وعلى الثاني لجهة مصدريّته، ولمّا كان الاستواء المستفاد من الحرفين غير الاستواء المفهوم من «سواء»، فلا تكرار.

وذهب بعض النحاة إلى أنّ «سواء» في[٤] مثل هذا المقام خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمران سواء عليهم.

وأنّ الهمزة بما بعدها، بيان للأمرين. والفعلان في معنى الشرط، على أن يكون الهمزة بمعنى أنّ الشائع استعمالها في غير المتيقّن.

و«أم» بمعنى «أو»؛ لأنّ كليهما لأحد الأمرين.

والجملة الاسمية ـ أعني[٥]: «الأمران سواء» ـ دالّة على الجزاء، فعلى هذا يكون

---

١. في ج: أو.
٢. ليس في ج.
٣. أي: أخصّ هذه العصابة بالمغفرة لهم.
٤. «في» من نسخة ج.
٥. ر: يعني.

خبر «إنّ» هو الجملة الشرطية. والمعنى: إنّ الذين كفروا إن أنذرت أو لم تنذر. فهما سواء عليهم.

و«عليهم» متعلّق بالاستواء.

و«الإنذار»: التخويف. أريد به التخويف من عقاب الله، وإنّما اقتصر[١] عليه دون البشارة؛ لأنّه أوقع في القلب وأشدّ تأثيراً في النفس، من حيث أنّ دفع الضرّ أهمّ من جلب النفع، فإذا لم ينفع فيهم، كانت البشارة بعدم النفع أولى.

وقرئ «ءأنذرتهم» بتحقيق الهمزتين، وتخفيف الثانية بين وقلبها ألفاً، وهو لحن؛ لأنّ المتحركة لا تقلب، ولأنّه يؤدّي إلى التقاء الساكنين على غير حدّه، وبتوسيط ألف بينهما محققتين، وبتوسيطها. والثانية بين بين، وبحذف الاستفهامية وبحذفها، وإلقاء حركتها على الساكن قبلها.

«لا يؤمنون» تأكيد أو بيان للجملة التي قبلها ـ أعني: «سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم» ـ وحينئذ يكون محله الرفع، إن جعل ما قبله جملة من مبتدأ وخبر، لا صفة مع الفاعل، فإنّه على هذا التقدير لم يكن لقوله: «يؤمنون» محل، أو خبر بعد خبر، أو جملة مستأنفة، أو حال من مفعول «أنذرتهم»[٢].

قيل: أو خبر.

وقوله: «سواء» الخ، اعتراض بين المبتدأ والخبر.

وردّ بأنّ الإخبار عن المصرّين على الكفر بعدم الإيمان لا فائدة فيه.

واحتجّت المجوّزة لتكليف ما لا يطاق بالآية، بأنّه سبحانه أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون وأمرهم بالإيمان، فلو آمنوا انقلب خبره كذباً، وشمل إيمانهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون، فيجتمع الضدّان!

والجواب: أنّ الإخبار بوقوع الشيء أو عدمه لا ينفي القدرة عليه، كاخباره تعالى

---

١. أ: اقتصرت.

٢. قوله: «أو خبر بعد خبر.... الخ» أي: أو «لايؤمنون» خبر بعد خبر... الخ.

عما يفعله هو العبد باختياره. وفائدة الإنذار بعد العلم بأنّه لا ينجع إلزام الحجة وحيازة الرسول فضل[١] الإبلاغ، ولذلك قال: «سواء عليهم»، ولم يقل «سواء عليك». كما قال لعبدة الأصنام: «سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون» وقد حقّق الكلام في هذا الجواب العلّامة النحرير القزويني[٢] ـ أدام الله ظلّه العالي ـ في حاشيته الشريفة على العدّة.

(وفي أصول الكافي[٣]: عليّ بن ابراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القسم[٤] ابن يزيد، عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عزّ وجلّ.

قال: الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه:

فمنها كفر الجحود، على وجهين، فالكفر[٥] بترك ما أمر الله، وكفر البراءة، وكفر النعم.

فأمّا كفر الجحود، فهو الجحود بالربوبية. وهو قول من يقول: لا ربّ ولا جنة ولا نار. وهو قول صنفين من الزنادقة، يقال لهم: الدهرية. وهم الذين يقولون: «وما يهلكنا إلّا الدهر»[٦]. وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان، فهم على غير تثبت منهم ولا تحقيق لشيء مما يقولون. قال الله عزّ وجلّ[٧]: «إن هم إلّا يظنون» إنّ ذلك كما

---

١. أ: أفضل.

٢. هو العالم الفاضل المدقق المولى خليل بن الغازي القزويني الأصل والمسكن والوفاة. ذكره الشيخ الحر العاملي في أمل الآمل ١١٢/٢ والميرزا عبدالله الأفندي في رياض العلماء، ٢٦١/٢.

كتب وألف العديد من المؤلفات منها: «شرح الكافي» فارسي. وشرح عربي و«رسالة الجمعة» و«حاشية مجمع البيان» و«الرسالة النجفية» و«الرسالة القمية» و«الجمل» في النحو و«رموز التفاسير الواقعة في الكافي والروضة» و«شرح العدة».

كانت وفاته رحمه الله بقزوين، سنة تسع وثمانين بعد الألف، ودفن بها في المدرسة المعروفة به. (عدة الأصول، المقدمة، ٢١ـ٢٢).

٣. الكافي، ٣٨٩/٢.

٤. المصدر: القاسم.

٥. ر وج: والكفر.

٦. الجاثية / ٢٤.

٧. الجاثية / ٢٤.

يقولون. وقال[١]: «إنّ الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون»، يعني بتوحيد الله [تعالى][٢]. فهذا أحد وجوه الكفر. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[٣]: حدثني أبي، عن بكر بن صالح، عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه[٤]. فمنه كفر الجحود[٥]، وهو على وجهين: جحود بعلم، وجحود بغير علم.

فأمّا الذين جحدوا بغير علم، فهم الذين حكى الله عنهم في قوله تعالى[٦]: «فقالوا وما هي إلّا حيوتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا إلّا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلّا يظنون». وقوله[٧]: «إنّ الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون». فهؤلاء كفروا وجحدوا بغير علم. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة)[٨].

﴿خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾: بيان وتأكيد للحكم السابق، أو تعليل له.

و«الختم» قريب من الكتم، لفظاً، لتوافقهما في العين واللام ومعنى؛ لأنّ «الختم» على الشيء يستلزم كتم ما فيه، فيناسبه في اللازم.

و«الغشاوة» فعالة. من غشاه إذا غطاه. بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة. ولا ختم ولا تغشية، ثَمّ[٩]: على الحقيقة، بل على سبيل المجاز والاستعارة.

فإن كان المشبّه به في «ختم الله على قلوبهم» المعنى: المصدري الحقيقي للختم،

---

١. البقرة / ٦.
٢. من المصدر.
٣. تفسير القمي، ٣٢/١.
٤. المصدر: وجوه.
٥. المصدر: بجحود.
٦. الجاثية / ٢٤.
٧. البقرة / ٦.
٨. ما بين القوسين ليس في أ.
٩. ثَمَّ أي: هناك.

والمشبّه إحداث حالة في قلوبهم مانعة من نفوذ الحق فيها، كان طرفا التشبيه مفردين[١]، والاستعارة مصرّحة.

وإن جعل المشبّه به هيئة مركبة منتزعة من الشيء والختم الوارد عليه ومنعه صاحبه من الانتفاع به، والمشبه هيئة منتزعة من القلب والحالة الحادثة فيه ومنعها صاحبها عن الانتفاع به في الأمور الدينية[٢]، كان طرفا التشبيه مركّبين والاستعارة تمثيلية. قد اقتصر فيها من ألفاظ المشبّه به، على ما معناه عمدة في تصوير تلك الهيئة واعتبارها ـ أعني: الختم ـ وباقي الألفاظ منوي مراد وإن لم يكن مقدّراً في نظم الكلام، والاقتصار على بعض الألفاظ للاختصار في العبارة[٣] وتكثير محتملاتها، بأن يحمل تارة على التشبيه وتارة على التمثيلية وأخرى على غيرهما، ولو صرح بالكلّ، تعيّنت التمثيلية. وإن قصد تشبيه قلوبهم بأشياء مختومة، وجعل ذكر «الختم» الذي هو من روادف المشبّه به المسكوت عنه تنبيهاً عليه ورمزاً، كان من قبيل الاستعارة بالكناية. وقس عليه قوله: «وعلى أبصارهم غشاوة».

والمعتزلة لمّا اضطرّت في معنى ظاهر الآية، ذكروا له وجوهاً من التأويل:

منها: أنّ القوم لمّا أعرضوا وتمكّن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم، شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه.

ومنها: أنّ المراد «بالختم»: وسم على[٤] قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة، فيبغضونهم، ويتنفّرون عنهم. وعلى هذا يحمل كلّ ما يضاف إلى الله من طبع وإضلال.

يدلّ[٥] على هذا التأويل ما روي في تفسير الحسن العسكري عليه السلام[٦] عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما دعا هؤلاء المعيّنين[٧] في الآية المقدمة[٨]،

---

١. في ج: منفردين.
٢. أ: الدنيوية.
٣. أ: العبادة.
٤. ليس في أ.
٥. في ج: ويدلّ.
٦. تفسير العسكري عليه السلام، ٩٩.
٧. في النسخ: المعينين، والمثبت من المصدر.
٨. المصدر: المتقدمة.

[في قوله: إنّ الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون][١] وأظهر لهم[٢] تلك الآيات، فقابلوها بالكفر، أخبر الله ﷻ [عنهم][٣] بأنّه «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم» ختماً يكون علامة للملائكة[٤] المقربين القرّاء لما في اللوح المحفوظ من أخبار هؤلاء المذكورين فيه أحوالهم، حتى إذا نظروا إلى أحوالهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم[٥]، شاهدوا ما هنالك[٦] من ختم الله ﷻ عليها ازدادوا بالله معرفة، وعلموا بما يكون قبل أن يكون[٧] يقيناً.

قال[٨]: فقالوا: يا رسول الله! فهل من عباد الله من يشاهد هذا الختم كما يشاهده[٩] الملائكة؟

فقال رسول الله ﷺ: بلى، محمّد رسول الله يشاهده[١٠] بإشهاد[١١] الله ﷻ له[١٢]. ويشاهده من أمّته أطوعهم لله ﷻ وأشدّهم جداً[١٣] في طاعة الله وأفضلهم في دين الله.

فقالوا: من هو، يا رسول الله؟ ـ وكلّ منهم تمنّى أن يكون هو ـ.

فقال رسول الله ﷺ: دعوه يكن من شاء الله. فليس الجلالة في المراتب عند الله ﷻ بالتمني ولا بالتظنّي ولا بالاقتراح، ولكنه فضل من الله ﷻ على من يشاء، يوفّقه للأعمال الصالحة تكرمه لها[١٤]، فيبلغه أفضل الدرجات وأشرف المراتب. إنّ الله سيكرم بذلك من تريكموه[١٥] في غد، فجدوا في الأعمال الصالحة. فمن وفّق الله

---

١. من المصدر.
٢. أ: أظهرهم.
٣. من المصدر.
٤. أ: الملائكة.
٥. ليس في المصدر.
٦. المصدر: هؤلاء.
٧. ليس في المصدر وفيه يوجد كذا: المختومين على جوارحهم يجدون على قروه من اللوح المحفوظ، وشاهدوه في قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم، أزادوا نعم الله بالغائبات.
٨. ليس في المصدر.
٩. النسخ: يشاهدها.
١٠. النسخ: يشاهدها.
١١. أ: بشهادة.
١٢. ليس في أ.
١٣. ليس في أ.
١٤. في ج: بها.
١٥. أ وج: يريكموه.

له[1] ما يوجب عظيم كرامته عليه[2]، فللّه عليه بذلك الفضل العظيم.

قال: فلما أصبح رسول الله ﷺ وغصّ مجلسه بأهله، وقد جدّ بالأمس كل من خيارهم في خير عمله وإحسانه إلى ربّه و[3] قدم يرجو أن يكون هو ذلك الخير الأفضل، قالوا: يا رسول الله! من هذا؟ عرّفناه بصفته، وإن لم تنصّ لنا على اسمه.

فقال رسول الله ﷺ: هذا الجامع للمكارم، الحاوي للفضائل، المشتمل على الجميل. ثمّ بعد ذكر كلام طويل، مشتمل على كرامات ومجاهدات وقعت في تلك الليلة من أميرالمؤمنين عليه السلام ذكر أنّه[4] قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: انظر!

فنظر إلى عبدالله بن أبيّ وإلى سبعة من اليهود، فقال: شاهدت ختم الله على قلوبهم وأسماعهم[5].

فقال رسول الله ﷺ: أنت يا علي! أفضل شهداء الله في الأرض بعد محمّد رسول الله.

قال: فذلك قوله تعالى: «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة» تبصرها الملائكة فيعرفونهم بها، ويبصرها رسول الله محمّد[6]، ويبصرها خير خلق الله بعده عليّ بن أبي‌طالب.

وفي عيون الأخبار[7]: بإسناده إلى ابراهيم بن أبي محمود، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم».

قال: «الختم» هو الطبع على قلوب الكفار، عوقبة على كفرهم، كما قال[8] عزّ وجلّ[9]: «بل يطبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلّا قليلا»[10].

---

١. ليس في المصدر.
٢. ليس في المصدر.
٣. ليس في المصدر.
٤. ليس في أ.
٥. المصدر: على سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة.
٦. في ج بعد رسول الله: ﷺ.
٧. عيون الأخبار، ١٢٣/١.
٨. في ج: قال الله.
٩. النساء/ ١٥٥.
١٠. ليس في أ.

و« على سمعهم » يحتمل أن يكون معطوفاً على « قلوبهم » ومعطوفاً عليه لـ « على أبصارهم ». ورُجّح الأول بقوله[١]: « وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ». وبالوقف « على سمعهم » اتفاقاً، ولأنّهما لما كان إدراكهما من جميع الجوانب، جعل المانع عنه بما يكون كذلك لظهور أنّ الغشاء[٢] يكون بين المرئي والرائي.

وكرّر الجار للدلالة على أنّ الختم يتعلّق بكل واحد منهما بالاستقلال، فيكون أشدّ، ولأن تعلّق فعل بمجموع أمرين لا يستلزم تعلّقه بكل واحد.

وإفراد « السمع » للأمن من اللبس مع الخفة والتفنّن، أو لأنّه في الأصل مصدر، وهو لا يجمع، أو على تقدير مضاف، أي: مواضع سمع، أو لرعاية المناسبة بين المدرِك والمدرَك، فإنّ مدرك السمع واحد، وهو الصوت، ومدركاتهما أنواع.

وقرئ: « وعلى أسماعهم ».

ووجه الترتيب: أنّه تعالى لما ذكر هذه الطائفة أوّلاً بالكفر وثانياً باستواء الإنذار وعدمه عليهم، فالختم على قلوبهم ناظر إلى كفرهم؛ لأنّ الكفر والإيمان من صفات القلب. والختم على سمعهم ناظر إلى ذلك الاستواء؛ لأنّ محل ورود الإنذارات ليس إلّا السمع. ولمّا حكم عليهما بالختم، فصار مكان أن يقال: علمنا وقوع الختم عليهما: ألم يكن لهم أبصار يبصرون بها الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة؟ فقال: « وعلى أبصارهم غشاوة ». ولمّا لم يكن في نظم الكلام ما ينظر إليه التغشية. غيّر الأُسلوب.

و« البصر » قوة أودعت في ملتقى العصبتين المجوفتين، النابتتين[٣] من مقدم الدماغ، وقد يطلق على العضو. وكذلك « السمع »، وهو قوّة أودعت في باطن الصماخ[٤].

و« غشاوة »، مرفوع مبتدأ و« على أبصارهم » خبره عند سيبويه. وفاعل الظرف عند

---

١. الجاثية / ٢٣.

٢. أ: الفناء.

٣. أ: النابتين.

٤. الصماخ: قناة الأذن التي تفضي إلى طلبته.

الأخفش لاعتماده على ما قبله، ويؤيده العطف على الجملة الفعلية.

وقرئ بالنصب، على معنى وجعل على أبصارهم غشاوة. أو على حذف الجار، وإيصال الفعل نفسه إليها، والمعنى: وختم على أبصارهم بغشاوة.

وقرئ بالضم والرفع، وبالفتح والنصب.

و[١]«غشوة» بالكسر، مرفوعة. و(بالفتح، مرفوعة)[٢] ومنصوبة.

و[٣]«عشاوة»، بالعين الغير معجمة[٤]. من العشا، مصدر الأعشى، وهو الذي لا يبصر بالليل.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾﴿٧﴾: وعيد وبيان لما يستحقّونه.

«والعذاب» كالنكال، بناءً ومعنىً. يقال: أعذب عن الشيء ونكل: إذا أمسك عنه. ومنه الماء العذب؛ لأنّه يقمع العطش ويردعه. فسمّي «العذاب» عذاباً؛ لأنّه يردع الجاني عن المعاودة إلى الجناية. ثم اتّسع، فأطلق على كل ألم شديد وإن لم يكن نكالاً، أي: عقاباً يرتدع به الجاني عن المعاودة.

وقيل[٥]: اشتقاقه من التعذيب، الذي هو إزالة العذب[٦] كالتغذية والتمريض».

أو من العذبة، وهي القذاة. وماء ذو عذب، أي: كثير القذى. فكما أنّ القذاة تنغص[٧] الماء كذلك[٨] العذاب ينغص[٩] العيش.

أو من أعذب حوضك، أي: انزع ما فيه من قذى. فكذلك العذاب ينزع[١٠] من الجاني ما فيه من الجناية.

---

١. أي: وقرئ.
٢. ليس في أ.
٣. أي: وقرئ.
٤. في ج: المعجمة.
٥. أنوار التنزيل، ١/٢١ـ٢٢.
٦. أ: العذاب.
٧. أ: تنقص.
٨. في النسخ: وكذلك!
٩. أ: ينقص.
١٠. أ: نزع.

أو من العذوبة ؛ لأن عذاب كلّ أحد مما[1] يستعذبه به ضدّه، فعذاب الكافرين مما يستعذبه المؤمنون.

و« العظيم » ضد الحقير، والكبير ضد الصغير. كما أنّ الحقير دون الصغير، فالعظيم فوق الكبير.

قيل[2]: ومعنى التوصيف به: أنّه إذا قيس بسائر ما يجانسه، قصر عنه جميعه وحقر بالإضافة إليه. ومعنى التنكير في الآية أنّ على أبصارهم غشاء[3] ليس مما يتعارفه الناس، وهو التعامي عن الآيات. ولهم من الآلام العظام نوع [عظيم، لا][4] يعلم كنهه إلّا الله تعالى، أي: في الآخرة.

وقال بعضهم: إنّ لهم عذاباً في الدنيا والآخرة؛ لأنّ عذابهم الأخروي ليس إلّا صور اعتقاداتهم ونتائج أعمالهم من دركات النيران وما فيها من الآلام كانت في الدنيا معاني فصارت في الآخرة صوراً، فهم دائمون فيها. لكنهم لا يتألّمون بها في الدنيا لكثافتهم (وغلظ حجابهم)[5]. والذين صاروا في الدنيا أهل الآخرة يرونهم داخلين في النار، وما فيها من أنواع العذاب.

قال بعض الصوفية: وإذ قد علمت ما بيّن لك من المعاني الظاهرة، فألق سمعك تسمع بطناً من بطونها:

فنقول: « إنّ الذين كفروا » خرجوا[6] من الإيمان الرسمي المنوط بغيبتهم عن المؤمن به، ودخلوا في الكفر الحقيقي بستر وجوداتهم في الفناء في الله. « إن أنذرتهم » بسوء عاقبة ارتدادهم من هذا الكفر إلى ذلك الإيمان، « أم لم تنذرهم » فهما سيّان عليهم[7]؛ لأنّهم « لا يؤمنون »، أي: لا يرجعون إلى الإيمان الرسمي أبداً؛ لأن الفاني

---

١. ليس في أ.
٢. نفس المصدر، ٢٢/١.
٣. في المصدر: « نوع غشاوة » بدل « غشاء ».
٤. من المصدر.
٥. ليس في أ.
٦. أ و ر: أي خرجوا.
٧. أ: لهم عليهم.

لا يردّ. وكأنّه إلى هذا الإيمان والكفر أشار من قال:

كفرت بدين الله والكفر واجب[1] لديّ وعند المسلمين قبيح

«ختم الله على قلوبهم»، فلا يدخل فيها شيء مما سوى الله وإن دخل فيها شيء فهو صورة من صور تجلّياته انخلعت من لباس الغيرية. وختم «على أسماعهم» فلا يسمعون شيئاً مما سواه، فإنّه المتكلم على ألسنة الموجودات. فكلّما يسمعونه بلسان الحال أو المقال، فهو من صور كلامه لا غير.

و«على أبصارهم غشاوة» مانعة من رؤية غيره سبحانه. فكلّما يرونه ليس إلّا من صور تجلّياته، تجلّى به على نظر شهودهم.

«ولهم عذاب» أي: أمر يعدّه[2] المحجوبون عذاباً. وهو استهلاكهم في الوجود الحق، وإمساكهم عن اللذات العاجلة والراحات الآجلة.

«عظيم» أي: جليل قدره، لا يعرفه إلّا من ذاقه[3].

(وفي كتاب الاحتجاج[4] للطبرسي رحمه الله: بإسناده إلى أبي محمّد العسكري عليه السلام أنّه قال في قوله تعالى: «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم»، أي: وسمها بسمة يعرفها[5] من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها، بأنهم الذين لا يؤمنون. «وعلى سمعهم» كذلك بسمات[6] «وعلى أبصارهم غشاوة». وذلك لما أعرضوا عن النظر فيما كلفوه، وقصروا فيما أريد منهم، وجهلوا ما لزمهم من الإيمان [به][7]، فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما أمامه. فإنّ الله عزّ وجلّ يتعالى عن العبث والفساد وعن مطالبة العباد بما منعهم بالقهر منه، فلا يأمرهم بمغالبته ولا بالمصير إلى ما قد صدّهم بالقسر عنه.

---

١. ليس في أ.

٢. أ: بعده.

٣. أ: ذاته.

٤. الاحتجاج، ٢/٢٦٠.

٥. النسخ: يعرف.

٦. في ج: سمات.

٧. من المصدر.

[ثمّ][١] قال: «ولهم عذاب عظيم» يعني: في الآخرة، العذاب المعدّ للكافر، وفي الدنيا ـ أيضاً ـ لمن يريد أن يستصلحه بما نزل[٢] به من عذاب الاستصلاح لينبّهه لطاعته، أو من عذاب الاصطلام[٣] ليصيّره إلى عدله وحكمته)[٤].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا﴾: لإنشاء الإيمان. أو للإخبار بوقوعه فيما مضى.

وإفراد الضمير في «يقول» بالنظر إلى اللفظ، وجمعه فيما بعدُ بالنظر إلى المعنى؛ لأنّهم في قولهم: «آمنا» بمنزلة شخص واحد، لا تفاقهم عليه في[٥] غير اختلاف. وأمّا إتيانهم بما ينافي الايمان، فالتعدد فيه ممكن، بل واقع. فذلك لوحظ فيه جهة كثرتهم بإيراد ضمير الجماعة.

و«الناس» اشتقاقه من الأناس، حذفت همزته تخفيفاً [و][٦] منه انسان وأناس وأنس. وحذفها[٧] مع لام التعريف واجب، لا يكاد يقال: الأناس. وهو مأخوذ من الأنس ـ بالضم ـ ضدّ الوحشة؛ لأنّهم مدنيّون بالطبع، يستأنسون بأمثالهم أشدّ استئناس. أو من الإنس ـ بالكسر ـ بمعنى الايناس، وهو الابصار.

قيل: وهذا أشبه ليناسب المقابل، أعني: الجن؛ لأنّهم سمّوا به لاجتنانهم. ويوافق اسمه الآخر، أعني البشر؛ لأنّه من البشرة[٨] ظاهر الجلد.

وذهب الكسائي إلى أنّه من نون وواو وسين. والأصل: نوس. فقلبت الواو ألفاً، لتحرّكها وانفتاح ما قبلها. والنوس: الحركة.

وقيل[٩]: «من نسي، فقلبت اللام إلى موضع العين فصارت نيس[١٠]». ثمّ قلبت الياء ألفاً. سموا بذلك لنسيانهم. فوزنه على الأول عال، وعلى الثاني فعل، وعلى الثالث فلع.

---

١. من المصدر.
٢. المصدر: ينزل.
٣. الاصطلام. الاستيصال.
٤. ما بين القوسين ليس في أ.
٥. في ج: من.
٦. من ج: ووجوده هو الصحيح.
٧. أي: الهمزة.
٨. أ: البشيرة.
٩. تفسير البحر المحيط، ٥٢/١.
١٠. أ: فصار نيسا.

قيل: لا يجب في كل لفظ أن يكون مشتقّاً من شيء آخر، وإلّا لزم التسلسل. وعلى هذا، لا حاجة إلى جعل لفظ «الانسان» مشتقّاً من شيء آخر.

ورد بأنّ المقصود من ذلك، تقليل اللغات بحسب الوسع، ولا شك أنّ الألفاظ المتعددة إذا ردّت إلى أصل واحد صارت اللغات أقلّ.

و«اللام» فيه لتعريف الجنس. أو العهد، إشارة إلى «الذين كفروا» أي: المصرين على الكفر مطلقاً، أو مقيداً بكونهم غير ماحضين، أو جماعة معهودين منهم. فلها أربع احتمالات.

و«مَن» في «مَن يقول» إمّا موصولة، أو موصوفة[1]. إمّا لتعريف الجنس، أو العهد، إشارة إلى جماعة معهودين؛ كابن أبيّ وأضرابه. ففيها ثلاثة احتمالات، يحصل من ضربها في أربع احتمالات اثنا عشر وجهاً. فعليك بالتأمل حتى يظهر وجهها.

ثمّ المراد «بالّذين كفروا» إن كان ناساً معهودين ماحضين للكفر غير منافقين. أو الجنس المخصوص مما عدا المنافقين، إمّا بقرينة المقابلة، أو لتبادر الفهم إليه من إطلاق المعرّف بلام الجنس. فالمقصود من هذه الآيات استيفاء الأقسام، حيث ذكر أوّلاً المؤمنين[2]، ثمّ الماحضين ثمّ المنافقين.

وإن كان المراد بهم ما يعمّ الماحضين والمنافقين، فذكر المنافقين من قبيل ذكر الخاص بعد العام؛ لكمال الاهتمام بالنداء على تفاصيل صفاتهم الذميمة[3] وأعمالهم الخبيثة، لكونهم أخبث الكفرة وأبغضهم إليه تعالى؛ لأنّهم خلطوا الإيمان بالكفر تمويهاً وتدليساً، وبالشرك استهزاء وخداعاً.

و«القول»: هو التلفظ بما يفيد. ويقال: بمعنى المقول، وللمعنى المتصور في النفس والمعبر عنه باللفظ وللرأي[4] والمذهب مجازاً.

---

١. في ج: إمّا موصوفة أو موصولة.

٢. المتن: للمؤمنين.

٣. أ: الذمية.

٤. هكذا في أنوار التنزيل ٢٢/١، وج. وهو الصحيح. وفي النسخ: والرأي.

وقصة المنافقين، معطوفة على قصة الذين كفروا. وليس ذلك من باب عطف جملة على جملة ليطلب مناسبة الثانية مع السابقة، بل من باب ضمّ جمل مسوقة لغرض إلى آخر مسوقة لآخر، وشرطه المناسبة بين الغرضين. فكلّما كانت المناسبة أشدّ[١] وأمكن، كان العطف بينهما أشدّ وأحسن.

قال بعض المفسرين[٢]: هذه الآية مع الاثني عشر الآيات التي بعدها أنزلت في ذم المنافقين، الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر لمصالح دعتهم إلى ذلك.

ثمّ قال: ودخل فيهم من كان على صفة النفاق حال نزول الآية واشتهر به، أو كان ولم يشتهر، وظهر بعد ذلك نفاقه وخبثه، أو حدث النفاق[٣] بعد ذلك في زمان النبي عليه السلام[٤] أو بعد زمانه. فإنّ كل هؤلاء مصداق هذه الآيات.

ثمّ قال: ولا يتوهّم أنّه يلزم في الدخول تحقّق المخاطبات التي ذكرت في الآيات الآتية، فيخرج من لم يتحقّق فيه تلك الأقوال. فلا يمكن أن يقال: إنّ[٥] الآيات نزلت فيهم؛ لأن الشرطية لا تقتضي وقوع الطرفين.

أقول: يظهر من كلام ذلك الفاضل، أنّ «إذا» الواقعة في تلك الآيات شرطية. ويرد احتمالها التأمل الصادق في تلك الآيات. ويحتمل أن يكون المراد منه الخلفاء الثلاثة مع شيعتهم.

(يدل على ذلك ما روي عن أبي محمّد العسكري عليه السلام[٦])[٧] وفي شرح الآيات الباهرة[٨]: قال العالم[٩] موسى بن جعفر عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما أوقف أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في يوم الغدير موقفه المشهور المعروف، قال[١٠]: يا عباد الله! انسبوني.

---

١. في ج: أشهد.

٢. وهو الزمخشري، انظر الكشاف ٥٤/١.

٣. ليس في ج.

٤. في ج: صلّى الله عليه وآله.

٥. في ج: تلك.

٦. تفسير العسكري عليه السلام، ١١١.

٧. مابين القوسين ليس في ج.

٨. تأويل الآيات الباهرة، ٣٤/١.

٩. في ج بعد «الباهرة»: قال الإمام عليه السلام.

١٠. أ: ثمّ قال.

فقالوا: أنت محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف.

ثمّ قال: أيها الناس! ألست أولى بكم من أنفسكم[١]، وأنا مولاكم وأولى[٢] بكم منكم بأنفسكم؟

قالوا: بلى، يا رسول الله!

فنظر إلى السماء، وقال: اللّهمّ اشهد. يقول هو[٣] ذلك ثلاثاً، ويقولون ذلك ثلاثاً[٤].

ثمّ قال: ألا من[٥] كنت مولاه وأولى به، فهذه علي مولاه وأولى به. اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

ثمّ قال: قم يا أبابكر! فبايع له[٦] بإمرة المؤمنين.

ثمّ قال: قم يا عمر! فبايع له بإمرة المؤمنين[٧][٨].

فقام، فبايع له بإمرة المؤمنين[٩].

ثمّ قال بعد ذلك لتمام التسعة من رؤساء[١٠] المهاجرين والأنصار، فبايعوه كلهم.

فقام من بين جماعتهم عمر بن الخطاب، فقال: بخ بخ يا ابن أبي طالب! أصبحت[١١] مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

ثمّ تفرّقوا عن ذلك. وقد أُكّدت[١٢] عليهم العهود والمواثيق.

ثمّ إنّ قوماً من متمرّديهم وجبابرتهم تواطئوا[١٣] بينهم: لئن كانت لمحمّد صلّى الله عليه وآله[١٤]

---

١. المصدر: ثمّ قال: أيها الناس! ألست أولى بكم من أنفسكم بأنفسكم، قالوا: بلى. قال صلّى الله عليه وآله.

٢. المصدر: مولاكم أولى.

٣. ليس في أ.

٤. المصدر: يقول هؤلاء ذلك وهو يقول.

٥. المصدر: فمن.

٦. ليس في أ.

٧. ليس في أ.

٨. في ج بعد «بإمرة المؤمنين» هكذا: ثمّ قال: قم يا عمر! فبايع له بإمرة المؤمنين. فقام، فبايع له بإمرة المؤمنين. (وأسلوب ج هو الأصحّ).

٩. ليس في أ.

١٠. أ: لرؤساء.

١١. ليس في أ.

١٢. المصدر: وكدت.

١٣. أ: وطئوا.

١٤. ليس في ج. والأظهر عدم وجودها.

كائنة لندفعنّ[١] هذا الأمر عن[٢] علي، ولا نتركه[٣] له.

فعرف الله تعالى ذلك[٤] من قلبهم. وكانوا يأتون رسول الله ﷺ ويقولون: لقد أقمت علينا[٥] أحب الخلق[٦] إلى الله وإليك والينا، فكفيتنا به مؤنة الظلمة لنا والجبارين في سياستنا. وعلم الله تعالى من قلوبهم خلاف ذلك من مواطأة بعضهم لبعض، أنّهم على العداوة مقيمون ولدفع الأمر عن مستحقّه مؤثرون.

فأخبر الله ﷻ محمّداً عنهم، فقال: يا محمّد! «ومن الناس من يقول آمنّا بالله» الذي[٧] أمرك بنصب عليّ إماماً وسائساً[٨] ولأمّتك مدبّراً[٩]، «وما هم بمؤمنين» بذلك، ولكنهم يتواطؤون على إهلاكك وإهلاكه[١٠]، ويوطّئون أنفسهم على التمرّد على عليّ إن كانت بك كائنة.

﴿بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: أي بالمبدأ والمعاد، اللذين هما المقصود الأعظم من الايمان. ولهذا اختصّا بالذكر.

والمراد «باليوم» الذي هو اسم لبياض النهار: زمان ممتدّ من وقت الحشر إلى الأبد، أو إلى زمان استقرار كلّ في مستقره من الجنة والنار. وهذا أشبه باليوم الحقيقي في تحقّق الحد من الطرفين.

وأمّا كونه «آخراً»، فلتأخّر[١١] هذين الزمانين عن الأيّام الدنيوية المنقضية.

وقيل في الثاني: لأنّه آخر الأوقات المحدودة[١٢] الذى لا وقت بعده.

ورد بأنّه لا شك أنّ في كل من الجنة والنار أحوالاً وحوادث كلّية يمكن تحديد

---

١. المصدر: ليدفعن.

٢. المصدر: من.

٣. المصدر: ولا يتركونه.

٤. ليس في أ.

٥. أ: علياً.

٦. المصدر: خلق الله.

٧. ليس في أ.

٨. ليس في المصدر.

٩. المصدر: ومدبراً. وفي ج: هلاكك وهلاكه.

١٠. ليس في المصدر.

١١. ر: فلتأخره من.

١٢. الكشاف ٥٦/١، أنوار التنزيل، ٢٢/١.

الأوقات بها، وقد شهدت الكلمات النبوية بوجودها. اللّهمّ إلّا أن يقال: المنفيّ، هو الحد المشهور غاية الاشتهار.

وفي تكرير «الباء» ادّعاء الإيمان بكل واحد على الأصالة والاستحكام.

﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾: نفي لما ادّعوا. والأصل يقتضي أن يقول: «وما آمنوا» ليطابق قولهم، لكنه قدم المسند إليه وجعل المسند صفة، فصارت الجملة اسمية غير دالة على زمان[١]؛ لأنّ في ذلك سلوكاً لطريق الكناية في ردّ دعواهم الكاذبة. فإنّ انخراطهم في سلك المؤمنين وكونهم طائفة من طوائفهم، من لوازم ثبوت الإيمان الحقيقي لهم. وانتفاء اللازم، دلّ على انتفاء الملزوم. ففيه من التأكيد والمبالغة ما ليس في الملزوم ابتداء. وأيضاً فيه مبالغة في نفي اللازم، بالدلالة على دوامه المستلزم لانتفاء حدوث الملزوم مطلقاً. وأكّد ذلك النفي «بالباء» أيضاً، وأطلق الإيمان لزيادة التأكيد على معنى أنّهم ليسوا من الإيمان في شيء. أو أراد: وما هم بمؤمنين بالله وباليوم الآخر، بقرينة ما أجيب به عنه، ولما اعتبر التأكيد والاستمرار بعد ورود النفي، لم يفد إلّا تأكيد النفي.

واستدلّ من ذهب إلى أنّ الإيمان ليس هو الإقرار فقط بالآية.

وأقول: الآية تدلّ على أنّ من ادّعى الإيمان، وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد، لم يكن مؤمناً. ولا تدلّ على أنّ من تكلّم بالشهادتين بدون الاعتقاد، لم يكن مؤمناً. وهو المتنازع فيه.

(وأيضاً يجوز أن يكون قولهم: «آمنّا» لإخبار الإيمان، لا لإنشائه)[٢].

وقوله: «وما هم بمؤمنين» جملة متعلّق خبره محذوف. والتقدير: وما هم بمؤمنين بالله واليوم الآخر، أو بشيء من الأشياء.

فعلى الأول، وجهه ظاهر.

وعلى الثاني، توجيهه: أنّ نفي الإيمان منهم مطلقاً، مع أنّ منافقي أهل الكتاب كانوا

---

١. أ: على ذات زمان.
٢. ليس في أ.

مؤمنين بالله واليوم الآخر، بناء على أنّ إيمانهم (كلاً إيمانهم)[١] لاعتقاد التشبيه، واتخاذ الولد، وأنّ الجنة لا يدخلها غيرهم، وأنّ النار لا تمسّهم إلّا أيّاماً معدودة. فلو قالوا ما قالوه[٢]، لاعلى وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم هذه لم يكن إيماناً، كيف وقد قالوه تمويهاً على المسلمين وتهكماً بهم، فظهر من ذلك أنّ إطلاق رفع الإيجاب الكلّي والسلب الكلّي في هذه الحملية، مسامحة ارتكبها العلّامة السبزواري، حيث قال في توجيه التقدير الثاني: إنّ قولهم هذا، كناية عن تصديقهم بجميع الشرائع. فإذا لم يؤمنوا ببعض، صدق رفع الإيجاب الكلّي.

مع أنّه يمكن أن يقال: عدم الإيمان بالبعض، كاشف عن عدم الإيمان بالكلّ. فيصحّ السلب الكلّي على أنّه يرد احتمال أن لا يكون قولهم هذا كناية عن الإيمان بالجميع.

وأيضاً، لو قدر المتعلّق خاصاً بقرينة سابقة، كان رفعاً للإيجاب الكلّي، فلا حاجة حينئذ إلى تقدير عمومه. فليتأمّل.

وأقول: يحتمل أن يكون قوله: «بمؤمنين» غير متعدّ إلى شيء أصلاً. والمعنى: ليس لهم وجد حقيقة الإيمان، بل ما وجد لهم من النفاق.

وفي كتاب الخصال[٣]: عن الأصبغ بن نباتة، قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام في حديث طويل: والنفاق على أربع دعائم: على الهوى، والهوينا[٤]، والحفيظة[٥]، والطمع.

فالهوى[٦] على أربع شعب: على البغي، والعدوان، والشهوة، والطغيان. فمن بغى، كثرت[٧] غوائله وعلّاته. ومن اعتدى، لم تؤمن بوائقه ولم يسلم قلبه. ومن لم يعزل نفسه عن الشهوات، خاض في الخبيثات. ومن طغى، ضلّ على غير يقين. ولا حجّة له.

---

١. ليس في أ.
٢. في ج: ما قالوا.
٣. الخصال، ٢٣٤/١.
٤. الهوينا تصغير الهونى، مؤنث الاهوان. والمراد منه التهاون في أمر الدين وترك الاهتمام به.
٥. والحفيظه: الحميّة والغضب.
٦. المصدر: والهوى.
٧. في ج: كثر.

وشعب الهوينا: الهيبة والغرّة[1]، والمماطلة[2] والأمل. وذلك لأنّ الهيبة تردّ على دين الحق، وتفرط المماطلة في العمل حتّى يقدم الأجل. ولو لا الأمل علم الانسان حسب ما هو فيه. ولو علم حسب ما هو فيه، مات من الهول والوجل.

وشعب الحفيظة: الكبر، والفخر، والحمية، والعصبية. فمن استكبر، أدبر. ومن فخر، فجر. ومن حمى، أضرّ. ومن أخذته العصبيّة، جار. فبئس الأمر أمر بين الاستكبار والإدبار، وفجور وجور.

وشعب الطمع أربع: الفرح، والمرح، واللجاجة، والتكاثر. فالفرح مكروه عند الله ﷻ والمرح خيلاء. واللجاجة بلاء لمن اضطرّته إلى حبائل الأنام. والتكاثر لهو وشغل واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير. فذلك النفاق ودعائمه وشعبه.

(وفي أصول الكافي[3]: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن معلّى بن عثمان، عن أبي بصير، قال: قال لي: إنّ الحكم بن عيينة[4] ممّن قال الله تعالى: «ومن الناس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين» فليشرّق[5] الحكم وليغرّب. أما والله! لا يصيب العلم إلّا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السلام)[6].

﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: «الخدع»: أن توهِم صاحبك خلاف ما تريد به من المكروه وتصيبه به، مع خوف واستحياء من المجاهرة به.

وقيل: للإصابة؛ لأنّ مجرّد الإرادة لا يكفي في تحقّق الخدع.

---

١. الغرّة: الغفلة.　　٢. المماطلة: التسويف.

٣. الكافي ٣٩٩/١، ح ٤.

٤. المصدر: عتيبة. الحكم بن عتيبة الكوفي الكندي كان من فقهاء العامّة. وقيل: إنّه كان زيديّاً. وحكي عن ابن فضال أنّه قال: كان الحكم من فقهاء العامّة، وكان أستاذ زرارة وحمران والطيار قبل أن يروا هذا الأمر. وقيل: كان مرجياً. مات حدود سنة ١١٥. و قد ورد في ذمّة روايات كثيرة، منها هذه الرواية. وإن شئت تفصيل الحال فراجع تنقيح المقال وغيره من كتب الرجال.

٥. المتن ور: فليتزق.　　٦. ما بين القوسين ليس في أ.

وقوله: مع خوف أو[1] استحياء ليخرج الاستدراج الذي هو من أفعال الله تعالى، لعدم جواز الخوف[2] والحياء عليه سبحانه.

وهو من قولهم: ضبّ خادع أو خَدِع: إذا أحسّ بالحارش ـ أي: الصائد ـ على باب جحره وأوهمه إقباله عليه من هذا الباب، ثمّ خرج من باب آخر.

وأصله: الاخفاء. ومنه المخدع، على صيغة المفعول، للخزانة. والاخدعان، لعرقين خفيين في العنق.

وصيغة المخادعة، يقتضي صدور الفعل من كل واحد من الجانبين متعلّقاً بالآخر.

وخداعهم مع الله ليس على ظاهره؛ لأنّه لا يخفى عليه خافية، ولأنّهم لم يقصدوا خديعته. بل المراد إمّا مخادعة رسوله، على حذف المضاف، أو على أنّ معاملة الرسول معاملة الله، من حيث أنّه خليفته، كما قال تعالى: «من يطع الرسول فقد أطاع الله[3]». [و] «الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله»[4].

يدلّ على ذلك ما روي في شرح الآيات الباهرة: عن أبي محمّد العسكري عليه السلام[5] عن[6] موسى بن جعفر عليهما السلام: لمّا اتصل ذلك من مواطأتهم وقيلهم[7] في علي وسوء تدبيرهم عليه برسول الله صلى الله عليه وآله، دعاهم[8] وعاتبهم، فاجتهدوا في الإيمان.

فقال[9] أوّلهم: يا رسول الله! والله ما اعتددت بشيء كاعتدادي بهذه البيعة. ولقد رجوت أن يفسح الله بها لي في قصور الجنان، ويجعلني فيها من أفضل النزّال والسكّان.

وقال ثانيهم: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما وثقت بدخول الجنة والنجاة من النار

---

١. في ج: و.
٢. في أ: أو.
٣. النساء / ٨٠.
٤. الفتح / ١٠.
٥. تفسير العسكري، ١١٣.
٦. ليس في أ.
٧. المصدر وأ: قبلهم.
٨. المصدر: فدعاهم.
٩. المصدر: وقال.

إلّا بهذه البيعة. والله ما يسرّني أن نقضتها أو نكثت بعد ما أعطيت من نفسي ما أعطيت، ولو أنّ لي[1] طلاع[2] ما بين الثرى إلى العرش لئالي رطبة وجواهر فاخرة.

وقال ثالثهم: والله[3] يا رسول الله! لقد صرت من الفرح بهذه البيعة والسرور[4] والفسح من الآمال في رضوان الله[5]، وأيقنت أنّه لو كانت ذنوب أهل الأرض كلّها عليَّ، لمحقت[6] عني بهذه البيعة. وحلف[7] على ما قال من ذلك، ولعن من بلّغ عنه رسول الله ﷺ خلاف ما حلف عليه.

ثمّ تتابع بمثل هذا الاعتذار، من بعدهم من الجبابرة والمتمردين.

قال[8] الله ﷻ لمحمّد ﷺ: «يخادعون الله»، يعني: يخادعون رسول الله بأيمانهم خلاف ما في جوانحهم، «والذين آمنوا» لذلك[9] أيضاً، الذين سيّدهم وفاضلهم عليّ ابن أبي طالب عليه السلام.

ويحتمل أن يقال: المقصود أنّ بينهما حالة شبيهة بالمخادعة ـ لا حقيقة المخادعة ـ صورة صنعهم مع الله من إظهار الإيمان واستبطان الكفر، وضع الله معهم بإجراء أحكام المسلمين عليهم ـ وهم عنده أخبث الكفّار ـ استدراجاً[10] لهم، وامتثال الرسول والمؤمنين أمر الله في إخفاء حالهم وإجراء حكم الإسلام عليهم، صورة صنع المخادعين[11]. فشبّهت تلك الصورة بهذه الصورة. فاستعمال لفظ هذه فيها إن وقع كان استعارة تصريحية، واشتقاق «يخادعون» منه استعارة تبعية.

أو[12] يقال: «المخادعة» محمول على حقيقتها، لكنّها ترجمة عن معتقدهم الباطل

---

١. و: أنّ لي.
٢. طلاع الشيء: ملؤه.
٣. ليس في المصدر.
٤. ليس في المصدر.
٥. المصدر: وما.
٦. أ: لمحضت.
٧. أ: خلف.
٨. المصدر: فقال.
٩. في ج: كذلك.
١٠. هكذا في أنوار التنزيل ٢٢/١، وج. وفي النسخ: واستدراجاً.
١١. أ: الخادعين.
١٢. أ: و.

وظنهم الفاسد؛ كأنّه قيل: يزعمون أنّهم يخدعون، وأنّه يخدعهم، وكذلك المؤمنون يخدعونهم.

أو يقال: المراد: يخدعون الذين آمنوا.

وذكر «الله» ليس لتعليق الخدع به، بل لمجرد التوطئة. وفائدتها التنبيه على قوّة اختصاص المؤمنين بالله وقربهم منه، حتّى كان الفعل[١] المتعلق بهم دونه يصحّ أن يعلق به أيضاً. وكذلك الحال في «أعجبني زيد وكرمه»، فإنّ ذكر زيد توطئة وتنبيه على أنّ الكرم قد شاع فيه وتمكّن، بحيث يصحّ أن يسند إليه ـ أيضاً ـ الإعجاب الذي لكرمه. ومثل هذا العطف، يسمّى جارياً مجرى التفسير.

ووجه العدول عن خدع إلى خادع، قصد المبالغة؛ لأنّ المفاعلة في الأصل للمغالبة[٢]، وهي أن يفعل كلّ من الجانبين مثل صاحبه ليغلبه. وحينئذ يقوى الداعي إلى الفعل، ويجيء أبلغ وأحكم.

«ويخادعون» بدل أو بيان «ليقول»؛ لأنّه وإن كان واضحاً في نفسه، ففيه خفاء بالنسبة إلى الغرض. ولمّا كان خفاؤه باعتبار الغرض منه، اكتفى في بيانه بذكره وهو الخداعَ.

ويجوز أن يكون مستأنفاً؛ كأنّه قيل: ولِمَ يَدّعون الإيمان كاذبين؟ فقيل: يخادعون. وكان غرضهم من المخادعة إمّا دفع المضرّة عن أنفسهم كالقتل والأسر، أو جذب المنفعة كأخذ الغنائم، أو إيصال[٣] المضرة إلى المؤمنين كإفشاء أسرارهم إلى أعدائهم من الكفار.

أقول: ويحتمل أن يكون معنى «يخادعون»: يريدون أن يخدعوا. إمّا لدلالة جوهر الصيغة عليه، وإمّا باعتبار أنّ الأفعال التي من شأنها أن تصدر بالإرادة والاختيار، إذا نسبت إلى ذوي الاختيار، فهم إرادتها.

---

١. أ: العقل.
٢. أ: المبالغة.
٣. أ: ابصار.

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾: قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو[١].

والمعنى: أنّ دائرة المخادعة التي سبقت ـ وهي المخادعة المستعارة ـ للمعاملة الجارية بينهم وبين الله والمؤمنين، المشبّهة بمعاملة المخادعين.

أو المخادعة المحمولة على حقيقتها، لكن في ظنّهم الفاسد.

أو المخادعة الواقعة بينهم وبين الرسول.

أو بينهم وبين المؤمنين راجعة إليهم، وضررها يحيق بهم لا يعدوهم.

أو أنّهم في ذلك خدعوا أنفسهم لما غرّوها بذلك، وخدعتهم أنفسهم حيث حدّثتهم بالأماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية.

فعلى الأول، يكون العبارة الدالّة على قصّة المخادعة مجازاً، أو كناية عن انحصار ضررها فيهم. ويحتمل أن يجعل لفظ الخداع مجازاً مرسلاً عن ضرره في المرتبة الأولى أو الثانية.

وعلى الثاني، يكون المخادعة مستعملاً في معناه حقيقة.

وقرأ الباقون: وما يخدعون.

قيل[٢]: لأنّ المخادعة لا يتصوّر إلّا بين اثنين.

أقول: نعم، لكن الاثنين أعمّ من أن يكون اثنين حقيقة أو اعتباراً. اللّهمّ إلّا أن يقال: الاثنينية الحقيقية مشروطة لحسن[٣] المخادعة.

وقرئ: «يُخدّعون» من خدّع. ويَخدعون، بفتح الياء، والأصل يختدعون، بمعنى: يخدعون؛ كيقتدرون، بمعنى: يقدرون، فأدغم. ويخدعون، ويخادعون، على لفظ ما لم يسمّ فاعله. وحينئذ يكون «إلّا أنفسهم» معناه: إلّا عن أنفسهم، على حذف حرف الجرّ. يقال: خدعت زيداً نفسه، أي عن نفسه؛ نحو: «واختار موسى قومه»[٤].

ويحتمل النصب على التميّز عند من يجوّز كونه معرفة.

---

١. أ و ر: أبو عمر.

٢. أنوار التنزيل، ٢٣/١.

٣. أ: بحسن.

٤. الأعراف / ١٥٥.

واستعمال الخدع بناء على تضمينه معنى الصدور، أي: ما يخدعون إلّا خدعاً صادراً عن أنفسهم، منشئاً عنها.

و«النفس»: الذات. ويقال للقلب بمعنى العضو الصنوبري: نفس؛ لأنّ قوام النفس بمعنى الذات بذلك. ولهذا المعنى ـ أيضاً ـ يقال للروح وللدم: نفس. وللماء؛ لفرط حاجتها إليه. وللرأي، في قولهم: فلان يؤامر نفسه، أي: يشاورها؛ لأنّه ينبعث عنها تسمية للمسبّب باسم السبب، أو يشبه ذاتاً تأمره وتشير عليه، فيكون استعارة مبنية على التشبيه.

والمراد بالأنفس ـ هنا ـ ذواتهم. ويحتمل حملها على أرواحهم وآرائهم.

قيل: إنّ المختار عند المحقّقين من الفلاسفة وأهل الإسلام من الصوفية وغيرهم: أنّها ـ أي النفس ـ جوهر مجرّد في ذاته، متعلق بالبدن تعلّق التدبير والتصرف. ومتعلّقه ـ أوّلاً ـ هو الروح الحيواني القلبي، المتكوّن في جوفه الأيسر من بخار الغذاء ولطيفه، ويفيد قوة لها يسري في جميع البدن فيفيد كل عضو قوة بها يتمّ نفعه. وقد يطلق على هذا الجوهر المجرد: القلب والروح ـ أيضاً ـ. فعلى هذا يمكن أن يراد بالأنفس: النفوس المتعلّقة بأبدانهم على سبيل الحقيقة، بأن يكون موضوعاً لهذا الجوهر المجرد؛ كما للذات. [و][١] على تقدير وضعه للذات ـ فقط ـ إطلاقه عليه إمّا بالحقيقة أو المجاز. فإنّ الذات لو كانت عبارة من[٢] مجموع الجثّة والروح المجرد، فإطلاق النفس عليه من إطلاق اسم الكل على الجزء. وإن كانت عبارة عن الجثّة فقط، فإطلاقه عليه لعلاقة واقعة بينهما. وإن كانت عبارة عن الروح المجرد فقط ـ وهو الظاهر ـ فإنّ الذات في الحقيقة ما يعبّر عنه بلفظ «أنا»، وهو الباقي من أول العمر إلى آخره، وما عداه كالعوارض بالنسبة إليه. ولا شكّ أنّ هذا الأمر، هو الروح المجرّد لا الجثة، فإنّها كلّ يوم تتبدّل. فعلى هذا إطلاق النفس ـ بمعنى الذات ـ عليه حقيقة، وفيما عداه مجاز.

---

١. من ج. ووجوده هو الصحيح.
٢. في ج: عن.

وإذا أريد «بأنفسهم» النفوس الناطقة المتعلقة بأبدانهم، أو القلوب، أو الأرواح بمعناه[١]، فلا شكّ أنّ ضرر المخادعة الواقعة بينهم وبين الله والمؤمنين راجع إليها، مقصور عليها، لكن قصراً إضافياً. فإنّ ذلك الضرر يعود إلى جثّتهم وقلوبهم الصنوبرية وأرواحهم الحيوانية أيضاً، فإنّ عذابهم لا يكون روحانياً فقط.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ⑨: معطوف على قوله: «وما يخدعون»، أو على قوله: «يخادعون».

وقيل: معترضة، من الشعور، وهو إدراك الشيء بالحاسّة. مشتقّ من الشعار، وهو ثوب يلي شعر الجسد. ومنه مشاعر الإنسان، أي: حواسّه الخمسة التي يشعر بها؛ لأنّها متلبّسة بجسده كالشعار. أو من الشعر، وهو إدراك الشيء من وجه يدقّ ويخفى.

والأول أبلغ وأنسب بالمقام؛ لأنّ فيه إشعاراً بانحطاطهم عن مرتبة البهائم، حيث لا يدركون أجلى المعلومات ـ أعني المحسوسات ـ التي تدركه البهائم. ولذلك اختاره على ما يعلمون.

ومفعوله محذوف. فإمّا أن يقدّر للعلم به، والمعنى: وما يشعرون أنّ وبال خداعهم[٢] راجع إلى أنفسهم. أو اطّلاع الله عليهم. أو ينزل منزلة اللازم، ولا يقدّر له مفعول. وحينئذ إمّا أن لا يجعل كناية عنه متعلّقاً بمفعول خاص، أو يجعل والثاني أبلغ[٣] من الأوّل، والثالث أبلغ منه.

(وفي شرح الآيات الباهرة[٤] ـ في الحديث السابق ـ: عن موسى بن جعفر عليه السلام: ثمّ قال: و«ما يخدعون إلّا أنفسهم»[٥]، وما يضرّون بتلك الخديعة إلّا أنفسهم، فإنّ الله غني[٦] عن نصرتهم. ولو لا إمهاله لهم[٧]، لما قدروا على شيء من فجورهم

---

١. ليس في ج.
٢. في ج: إخداعهم.
٣. أ: والثاني أبلغ والثالث أبلغ منه.
٤. تفسير العسكري عليه السلام، ١١٤؛ تأويل الآيات، ٣٦/١.
٥. ليس في المصدر؛ أي «يخدعون أنفسهم».
٦. المصدر: غني عنهم.
٧. النسخ: امهالهم.

وطغيانهم. «وما يشعرون» أنّ الأمر كذلك، وأنّ الله يطلع نبيّه على نفاقهم وكفرهم وكذبهم، ويأمره بلعنهم في لعنة الظالمين الناكثين. وذلك اللعن لا يفارقهم في الدنيا، يلعنهم خيار عباد الله. وفي الآخرة يبتلون بشدائد عذاب[1] الله.

وفي كتاب ثواب الأعمال[2]: بإسناده إلى مسعدة بن زياد، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سئل فما[3] النجاة غداً؟

قال: إنّما النجاة في أن لا تخادعوا الله، فيخدعكم. فإنّه من يخادع الله يخدعه ويخلع[4] منه الإيمان، ونفسه يخدع لو يشعر.

قيل به: وكيف[5] يخادع الله؟

قال: يعمل ما أمره الله عزّ وجلّ ثمّ يريد به غيره. فاتّقوا الله والرياء، فإنّه شرك بالله.

وفي مصباح الشريعة[6]: قال الصادق عليه السلام: واعلم! إنّك لا تقدر على إخفاء شيء من باطنك عليه[7]، وتصير مخدوعاً بنفسك. قال الله تعالى: «يخادعون الله ورسوله[8] والذين آمنوا، وما يخدعون إلّا أنفسهم وما يشعرون»[9].

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: جملة مستأنفة لبيان الموجب لخداعهم، وما هم فيه من النفاق. ويحتمل أن يكون مقدّرة[10] لعدم شعورهم.

وقرئ «مَرْض» بسكون الراء، وهو صفة توجب وقوع الخلل في الأفعال الصادرة عن موضع تلك الصفة. ويمكن اتّصاف القلب به، وذلك لأنّ الانسان إذا صار مبتلياً بالحسد والنفاق ومشاهدة المكروه، فإذا دام به ذلك، صار سبباً لتغيّر مزاج القلب وتألّمه. واتصاف قلوب المنافقين بهذا التغيّر[11]، غير معلوم. فالمراد به هنا: المعنى

---

١. المصدر: عقاب.
٢. ثواب الأعمال، ٣٠٣.
٣. المصدر، فبم. وج: فيما.
٤. المصدر: ينزع.
٥. المصدر: فكيف.
٦. مصباح الشريعة، ٢٨١ ـ ٢٨٢.
٧. المصدر: عليك.
٨. ليس في المصدر.
٩. ما بين القوسين ليس في أ.
١٠. في ج: مقرّرة. وهو الأظهر.
١١. أ: التفسير.

المجازي الذي هو آفته؛ كسوء الاعتقاد والكفر، أو هيئة باعثة على ارتكاب الرذائل، كالغلّ والحسد والبغض، أو مانعة عن اكتساب الفضائل، كالضعف أو[1] الجبن والخوف؛ لأنّ قلوبهم كانت متصفة بهذه الأعراض كلّها.

وفي تقديم الخبر فائدتان: تخصيص المبتدأ النكرة، وإفادة الحصر ادّعاء.

﴿فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً﴾: معطوف على الجملة السابقة. والمعنى: أنّه لما كان في قلوبهم مرض واستعداد للمرض، فزيد مرضهم.

والمراد «بالزيادة» الختم على قلوبهم حتّى لا يخرج شيء من هذه النقائص، ولا يدخل شيء ممّا لها[2] من النقائض. وإنّما أتي بالجملة الفعلية في المعطوف دون المعطوف عليه، لتجدّد ذلك التزايد يوماً فيوماً، بخلاف أصل المرض، فإنّه كان ثابتاً مستقراً في قلوبهم.

ويمكن أن يراد «بالزيادة» زيادته بحسب زيادة التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر، فحينئذ يكون إسناد الزيادة إلى الله من حيث أنّه مسبّب من فعله. أو دعائية، والمتعيّن حينئذ هو المعنى الأوّل.

و«الزيادة» يجيء لازماً ومتعدّياً إلى مفعولين؛ كما في الآية أيضاً. فحينئذ يكون مفعوله الثاني «مرضاً»، أو محذوفاً، أي: فزادهم الله مرضهم.

وقيل: الأوّل محذوف. وهو تكلّف.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: قال البيضاوي[3]: أي مؤلم. يقال: ألم فهو أليم، كوجع فهو وجيع[4]. وصف به العذاب للمبالغة، كقوله:

تحيّة بينهم ضرب وجيع

وردّ بأنّ فعيل بمعنى مفعل، اسم فاعل غير ثابت، على ما سيجيء في قوله: «بديع

---

١. في ج: و.

٢. في ج: له.

٣. أنوار التنزيل، ١/٢٤.

٤. أ: كرجع فهو رجيع.

السموات والأرض »[1] فهو بمعنى المؤلم، اسم مفعول، كوجع فهو وجيع بمعنى الموجع. وإنّما أسند إلى العذاب؛ لأنّه من ملابسات فاعله الذي هو المعذب؛ كما أسند الربح إلى التجارة في قوله تعالى[2]: « فما ربحت تجارتهم » لأنّها من ملابسات التاجر. وفيه مبالغة وتنبيه على أنّ الألم بلغ الغاية بحيث عرض لصفة المعذب، كما عرض له. وعلى هذا يكون المجاز في الإسناد.

ولو جعل المؤلم[3] بمعنى ما يلابسه الألم؛ لأنّهما متلاقيان في موصوف واحد، فيكون المجاز في المفرد، لكن يفوت المبالغة.

ووجه أنّه تعالى قال في حقّ المصرّين على الكفر: « ولهم عذاب عظيم »، ولم يذكر له سبباً، وفي حق المنافقين: « ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون »، وبيّن أنّ سببه الكذب: أنّ الكافرين المصرّين هم المطرودون، فينبغي أن يكون عذابهم عظيماً، لكنّهم لا يجدون شدّة ألمه لعدم صفاء قلوبهم؛ كحال العضو الميت أو المفلوج إذا وقع عليه القطع. والمنافقين لثبوت استعدادهم في الأصل وبقاء إدراكهم في الجملة يجدون شدّة الألم، فيكون عذابهم مؤلماً مسبّباً عن الكذب ولواحقه، بخلاف عذاب المصرّين، فإنّه ذاتيّ لهم لا لأمر عارض.

وفي تقديم الخبر هاهُنا ـ أيضاً ـ فائدتان: زيادة تخصيص المبتدأ النكرة، وإفادة الحصر ادّعاء.

﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ ⑩: قراءة عاصم وحمزة والكسائي[4] »[5].

« والكذب »: الإخبار عن الشيء بغير ما هو عليه.

وقرئ « يكذبون » من كذّبه، نقيض صدّقه. أو من كذّب، الذي هو للمبالغة

---

١. البقرة / ١١٧، الأنعام / ١٠١.
٢. البقرة / ١٦.
٣. ليس في أ.
٤. ر. أنوار التنزيل، ٢٤/١.
٥. أي: قراءة عاصم وحمزة والكسائيّ بفتح الياء في « يكذبون » والمعنى: بسبب كذبهم أو ببدله، جزاء لهم، وهو قولهم: « آمنا ».

والتكثير. أو من كذّب الوحشي: إذا جرى شوطاً، ووقف لينظر ما وراءه، فإنّ المنافق متحيّر متردّد.

«والباء» للسببية، أو البدلية المتعلقة[1] بالظرف في قوله: «لهم عذاب أليم» و«ما» مصدرية، ويحتمل الموصولية والموصوفية.

واستدلّ الذاهبون إلى قبح الكذب ـ مطلقاً ـ بالآية بأنّه جعل عذابهم الأليم سبباً[2] لكذبهم. وتخصيصة بالذكر من بين جهات استحقاقهم إيّاها مع كثرتها، مبالغة في قبح الكذب لينزجر السامعون عنه.

وقيل: نمنع قبحه مطلقاً، فإنّه قد يمكن أن يتضمّن عصمة دم مسلم بل نبيّ، ولا يتيسّر التعريض فيحسن.

وردّ بأنّ الحسن العارضي لا ينفي القبح[3] الذاتي. وهو المراد بالقبح هاهنا. فعلى هذا يحرم الكذب، سواء تعلّق به غرض، أو لم يتعلّق. أمّا إذا لم يتعلّق، فظاهر. وأمّا إذا تعلّق، فلأنّ في المعاريض لمندوحة عنه، والتعريض ليس بكذب إذا كان المعرض به مطابقاً للواقع، فإنّ مرجع الصدق والكذب إلى المراد من الكلام الخبري لا إلى مطلق مدلوله. وما ينسب إلى إبراهيم من الكذبات الثلاث:

من قوله: «إنّي سقيم»[4]، [أراد:][5] سأسقم، وقد علمه بأمارة من النجوم. أو إنّي سقيم الآن، بسبب غيظي وحنقي من اتخاذكم الآلهة.

وقوله: «بل فعله كبيرهم»[6]، والمراد به: أنّه إذا لم يقدر على دفع المضرة عن نفسه وغيره، فكيف يصلح إلهاً! أو أنّ تعظيمه كان هو الحامل له على كسرها.

وقوله: لملك الشام: أنّ سارة أُختي. ومراده الأخوّة في الدين.

---

١. في ج: متعلقة.
٢. في ج: مسبّباً.
٣. في ج: القبيح.
٤. الصافات / ٨٩.
٥. من ج.
٦. الأنبياء / ٦٣.

وقيل[1] كذباته الثلاث: قوله: في الكواكب: «هذا ربي»[2] ـ ثلاث مرات ـ وقصد به الحكاية أو الفرض، ليرشدهم إلى عدم صلاحية الألوهية، فمحمول على التعريض. ولكن لمّا كان صورته صورة الكذب، سمّي به.

ووجه إيراد «كان» الدالة على المضي، و«يقولون»[3] و«يخادعون» و«يخدعون» للحال، ووقوع كلام المنافقين قبلها، ليس بمعلوم أنّ كذبهم سبب لثبوت العذاب لهم في الاستقبال أو للحكم به في الحال، فينبغي أن يكون متقدّماً على ما هو سبب له. فالمراد بالمضي هذا التقدّم، سواء كان بالزمان أو بالذات.

قال بعض الفضلاء: وإذ قد أوقعنا المباحث اللفظية في وادي التفرقة، فلابدّ أن نستريح باستشمام روائح رياض الجمعيّة، فنقول:

و«من الناس» الناسين اعترافهم في معهد «ألست بربكم» بربوبية ربّهم، بتجلّيه العلمي ـ أوّلاً ـ بصور أعيانهم الثابتة على نفسه، وتجلّيه الوجودي ـ ثانياً ـ بصور أعيانهم الخارجية، وتربيته[4] إيّاهم، طوراً بعد طور ومرتبة بعد مرتبة إلى أن وصلوا إلى هذه النشأة الجسمانية العنصرية. «من يقولون» بألسنة أقوالهم: «آمنّا بالله» أحدية جمع الأسماء الإلهية السارية بالكل في الكل. فلا فاعل بل لا موجود في الوجود إلّا هو. فهو الفاعل في كل عين، إذ لا فعل للعين، بل الفعل له. ولكن فيها «وباليوم الآخر»، أي بتجلّيه[5] النوري الوجودي آخراً بالاسم المجازي لجزاء[6] الأعمال، فلا مجازي إلّا هو. فهو العامل وهو المجازي على العمل. فهم وإن كانوا مؤمنين بالقول صورة، فما هم بمؤمنين بالحال حقيقة. إذ حقيقة الإيمان بالله سبحانه، يقتضي أن لا يسند الآثار إلّا إليه، بل لا يرى في الوجود إلّا هو. فحيث قالوا: «آمنا» وما قالوا

---

١. الكشاف ٦١/١؛ أنوار التنزيل ٢٤/١.
٢. الأنعام / ٧٨.
٣. في ج: و«يقول» وهو الأظهر.
٤. أ: ترتيبه.
٥. وفي ج: بتجليله.
٦. في ج: بجزاء.

بتجلّى[١] الحق في صورة منوطة باسمه المؤمن، اشتقّوا الإيمان لأنفسهم. وهذا شركة[٢] في التوحيد. «يخادعون الله»، أي يظهرون بألسنة أقوالهم الظاهرة ما لم يتحقّقوا به في بواطنهم، وهو الإيمان بالله، فلا يوافق ظاهرهم باطنهم. وكذلك يخادعون «الذين آمنوا»، أي الذين تجلّى عليهم بالاسم المؤمن، فسوى[٣] هذا التجلي في ظاهرهم وباطنهم، فآمنوا صورة وحقيقة. «وما يخادعون إلّا أنفسهم» إذ الأشياء في حقيقة الوحدة الجمعية إلهيّة[٤]، متحدة بعضها مع بعض، ومع تلك الحقيقة ـ أيضاً ـ، فكلّ شيء نفس الأشياء الآخر ونفس تلك الحقيقة، ـ أيضاً ـ من هذه الحيثية. «و» لكنهم «ما يشعرون» بذلك الاتحاد؛ لاغتشاء مشاعرهم بصورة[٥] التعيّنات الحجابية والتعدّدات المظهرية. «في قلوبهم» التي من صفتها صحة التقلّب مع الشؤون الإلهية، بحيث لا يحجبها شأن من شهوده تعالى «مرض» يضادّ هذه الصحة. ويمنعها عن الظهور. «فزادهم الله مرضاً» على مرض، بازدياد أضداد تلك الصحة وتتابعها. «ولهم عذاب أليم» بسبب كذبهم في قولهم: «آمنا» وتكذيبهم إيّاه بحسب حالهم.

والغرض من نقل أمثال هذه المباحث، الاطّلاع على الآراء الكاسدة والأهواء المضلّة، فإنّ الحق يُعَرف بضّده.

و«في شرح الآيات الباهرة»[٦]: وقد جاء في هذه الآية منقبة عظيمة وفضيلة جسيمة لمولانا أميرالمؤمنين عليه السلام في تفسير الإمام العسكري عليه السلام[٧]: قال: قال موسى ابن جعفر عليهما السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا اعتذر هؤلاء المنافقون[٨] بما اعتذروا، وتكرّم

---

١. أ: تجلى.
٢. النسخ: شركه، والمثبت من ر.
٣. في ج: فسرىٰ.
٤. في ج: الإلهية.
٥. في ج: فصورة.
٦. ليس في أ. تأويل الآيات: ٣٧/١.
٧. تفسير العسكري عليه السلام، ١١٤.
٨. المصدر: لما اعتذر هؤلاء المنافقون إليه.

عليهم بأن قبل ظواهرهم، و«أمّا»[١] بواطنهم إلى ربّهم. لكن جبرئيل عليه السلام أتاه فقال: [يا محمّد][٢] إنّ العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، ويقول: أخرج هؤلاء[٣] المردة الذين اتصل بك عنهم في علي ونكثهم لبيعته وتوطينهم نفوسهم على مخالفته[٤] (ما اتصل، حتى)[٥] يظهر[٦] من عجائب ما أكرمه الله به من طاعة[٧] الأرض والجبال والسماء له وسائر ما خلق الله لما أوقفه موقفك وأقامه مقامك؛ ليعلموا أنّ ولي الله عليّ، غنّى عنهم وأنّه لا يكف عنهم انتقامه[٨] إلّا بأمر الله الذي له فيه وفيهم التدبير الذي هو بالغه، والحكمة التي هو عامل بها وممض لما يوجبها.

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله الجماعة [من الذين اتصل به عنهم ما اتصل في أمر علي عليه السلام والمواطاة على مخالفته][٩] بالخروج.

ثمّ قال[١٠] لعلي عليه السلام لما استقرّ عند سفح بعض جبال المدينة: يا علي! إنّ الله عزّ وجلّ أمر هؤلاء بنصرتك ومساعدتك، والمواظبة على خدمتك والجدّ في طاعتك. فإن أطاعوك فهو خير لهم[١١]، يصيرون في جنان الله ملوكاً خالدين ناعمين. وإن خالفوك فهو شرّ لهم، يصيرون في جهنّم خالدين معذّبين.

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لتلك الجماعة: اعلموا أنّكم إن أطعتم علياً، سعدتم. وإن خالفتموه[١٢] شقيتم، وأغناه الله عنكم بمن سيريكموه[١٣].

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ياعلي! سل ربك بجاه محمّد وآله الطيبين، الذين أنت بعد محمّد سيّدهم، أن يقلب لك هذه الجبال ما شئت.

---

١. المصدر: وكل.
٢. من المصدر.
٣. المصدر: بهؤلاء.
٤. المصدر: في نعتهم علياً.
٥. ليس في المصدر.
٦. في النسخ: ليظهر.
٧. المصدر: طواعية.
٨. المصدر: انتقامه منهم.
٩. من المصدر.
١٠. المصدر: عليه فقال.
١١. في ج: لكم.
١٢. في ج: خالفتموهم.
١٣. المصدر: عن سيريكموه وبما سيريكموه.

فسأل ربه(١)، فانقلبت الجبال فضّة. ونادته الجبال: يا علي! يا وصي رسول ربّ العالمين! إنّ الله قد أعدّنا لك. فإن أردت إنفاقنا في أمرك، فمتى دعوتنا أجبناك، لتمضي فينا حكمك وتنفذ(٢) فينا قضاءك.

ثمّ انقلبت(٣) ذهباً(٤) كلّها، فقالت مثل مقالة الفضة.

ثمّ انقلبت مسكاً وعنبراً وعبيراً وجواهر ويواقيت.

وكل شيء ينقلب منها، يناديه(٥): يا أبا الحسن! يا أخا رسول الله!(٦) نحن المسخّرات لك. ادعنا متى شئت لتنفقنا فيما شئت، نجبك، ونتحوّل لك إلى ما شئت.

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي! سل الله بمحمّد وآله الطيبين، الذين أنت سيّدهم(٧)، أن يقلب لك أشجارها رجالاً شاكين الأسلحة، وصخورها أسوداً ونموراً أفاعي.

فدعى الله عليّ عليه السلام بذلك. فامتلأت الجبال والهضبات وقرار الأرض من الرجال الشاكين(٨) الأسلحة، الذين لا يفي(٩) الواحد منهم عشرة آلاف من الناس المعنودين(١٠). ومن الأسود والنمور والأفاعي(١١). وكل ينادي: يا علي! يا وصي رسول الله! ها(١٢) نحن قد سخّرنا الله لك، وأمرنا بإجابتك كلّما دعوتنا إلى اصطلام كل من سلّطتنا(١٣) عليه فسمّنا ما شئت وادعنا(١٤) نجبك، وآمرنا(١٥) نطعك.

يا علي! يا وصي رسول الله! إنّ لك عند الله من الشأن، إن سألت الله أن يصير لك أطراف الأرض وجوانبها هذه صرة واحدة كصرة كيس، لفعل. أو يحط لك السماء إلى

---

١. المصدر: ربّه ذلك.
٢. النسخ: أنفذ.
٣. أ: أنقلب.
٤. المصدر: ذهباً أحمر.
٥. المصدر: ولكنها نادته.
٦. في ج: رسول الله صلى الله عليه وآله.
٧. المصدر: سيدهم بعد محمّد رسول الله.
٨. المصدر: الشاكي.
٩. المصدر: لايفي.
١٠. المصدر: المعهودين.
١١. المصدر: والأفاعي حتى طبقت تلك الجبال والأراضي والهضبات بذلك.
١٢. ليس في المصدر.
١٣. المصدر: سلطنا.
١٤. المصدر: فادعنا... فأمرنا به.
١٥. المصدر: فادعنا... فأمرنا به.

الأرض لفعل، ويرفع لك الأرض إلى السماء لفعل. أو يقلب لك ما في بحارها أجاجاً ماء عذباً أو زئبقاً أو باناً أو ما شئت من أنواع الأشربة والأدهان، لفعل. ولو شئت أن يجمد البحار ويجعل سائر الأرض مثل البحار، لفعل. ولا يحزنك تمرّد هؤلاء المتمردين وخلاف هؤلاء المخالفين، فكأنّهم بالدنيا وقد[١] انقضت عنهم، وكأن لم يكونوا فيها، وكأنّهم بالآخرة إذا وردوا عليها[٢] لم يزالوا[٣] فيها.

يا علي! إنّ الذي[٤] أمهلهم مع كفرهم وفسقهم في تمردهم عن طاعتك، هو الذي أمهل فرعون ذا الأوتاد ونمرود وكنعان[٥] ومن ادّعى الإلهية من ذوي الطغيان، وأطغى الطغاة إبليس رأس الضلالات. وما خلقت أنت ولا هم لدار الفناء، ولكن[٦] خلقتم لدار البقاء، ولكنكم تنقلون من دار إلى دار، ولا حاجة لربّك إلى من يسوسهم ويرعاهم، ولكنّه[٧] أراد تشريفك عليهم وإبانتك بالفضل فيهم[٨]. ولو شاء لهداهم أجمعين[٩].

قال: فمرضت قلوب القوم لما شاهدوا من ذلك، مضافاً إلى ما كان في قلوبهم من مرض[١٠]. فقال الله عند ذلك: «في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون».

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوْا فِي الْأَرْضِ﴾: معطوف على «يكذبون»، أو على «يقول آمنا»، ورُجّح الأول بقربه وبإفادته تسبّب الفساد. فيدلّ على وجوب الاحتراز عنه كالكذب.

وفيه بحثٌ؛ لأنّه يفيد تسبّب هذا القول منهم في جواب «لا تفسدوا» للعذاب، لا تسبّب الفساد له. والثاني، تكون الآيات حينئذ على نمط تعديد قبائحهم وبإفادتها اتصافهم بكل من تلك الأوصاف استقلالاً، وبدلالتها على أنّ لحوق العذاب الأليم

---

١. المصدر: فقد.
٢. المصدر: وردت عليهم.
٣. أ والمصدر: وكان لم يزالوا.
٤. أ: الذين.
٥. المصدر: نمرود بن كنعان.
٦. أ والمصدر: بل.
٧. في ج: ولكنّهم.
٨. المصدر: منهم.
٩. ليس في المصدر.
١٠. المصدر: مرض أجسامهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

بسبب كذبهم الذي هو أدنى أحوالهم في كفرهم ونفاقهم، فما ظنّك بسائرها.

ويحتمل أن تكون معطوفة على قوله: «ومن الناس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر» إلى آخره، لكنه بعيد لعدم دلالته على اندراج هذه الصفة وما بعدها في قصّة المنافقين وبيان أحوالهم. إذ لا يحسن حينئذ عود الضمائر التي فيها إليهم.

ويخطر بالبال، احتمال أن يكون معطوفاً على قوله: «يخادعون الله» إلى آخره.

و«إذا» ظرف زمان. ويلزمها معنى الشرط غالباً. ولا يكون إلّا في الأمر المحقق، أو المرجّح وقوعه. ويختصّ بالدخول على الجملة الفعلية، ويكون الفعل بعدها ماضياً كثيراً، ومضارعاً دون ذلك.

و«الفساد»: خروج الشيء عن كونه منتفعاً به. والصلاح ضدّه.

وكان من جملة فسادهم في الأرض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين ومعاونة الكفار عليهم، بإفشاء[1] أسرارهم إليهم.

ومنها: الإخلال بالشرائع ـ التي برعايتها ينتظم العالم ـ بإظهار المعاصي.

ومنها: الدعوة في السرّ إلى تكذيب المسلمين، وجحد الإسلام، وإلغاء السنّة.

والقائل، هو الله سبحانه، بلسان الرسول. أو الرسول. أو بعض المؤمنين.

﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (١١): جواب «إذا»، ورد للناصح على سبيل المبالغة؛ لأنّ «إنّما» هي كلمة «إنّ» التي لإثبات المسند للمسند إليه، ثمّ اتصلت بها «ما» الكافّة، لزيادة التأكيد، فقصدوا بها قصر ما دخلته على ما بعده. فهذا من باب المسند على المسند، لكن قصر إفراد؛ لأنّهم لمّا سمعوا قول المسلمين لهم: «لا تفسدوا في الأرض» توهّموا أنّهم يجعلونهم مصلحين تارة، ومفسدين أخرى؛ لاستبعادهم إن يجعلوهم مفسدين في جميع الأحوال.

فأجابوا بأنّهم مقصّرون على الإصلاح، لا يتجاوزونه إلى الإفساد. فإصلاحهم غير مشوب بإفساد.

---

١. في ج: وافشاء.

وكلمة «إنّما» دالة على أنّ ذلك أمر مكشوف لا ينبغي أن يشك فيه. فإنّ الشرط فيها أن يدخل على حكم يكون بيّناً في نفس الأمر، أو بحسب الادّعاء. وإنّما قالوا ذلك لأنّهم ممّن زيّن له سوء عمله، فرآه حسناً.

وروي[1] (في تفسير أبي محمّد العسكري عليه السلام[2])[3]: عن[4] العالم موسى [بن جعفر][5] عليه السلام في تفسير الآية: «إذا قيل» لهؤلاء الناكثين للبيعة في يوم الغدير: «لا تفسدوا في الأرض» بإظهار نكث البيعة لعباد الله المستضعفين، فتشوّشون عليهم دينهم. وتحيّرونهم في مذاهبهم «قالوا إنّما نحن مصلحون»؛ لأنّا لا نعتقد دين محمّد ولا غير دين محمّد، ونحن في الدين متحيّرون. فنحن نرضى في الظاهر محمّداً، بإظهار قبول دينه وشريعته، ونفضي في الباطن إلى شهواتنا[6]، فنمتنع ونتركه[7] ونعتق أنفسنا من رقّ محمّد ونفكّها من طاعة ابن عمه عليّ، لكي لا[8] نذلّ[9] في الدنيا، كنا[10] قد توجّهنا عنده، وإن اضمحلّ أمره كنا[11] قد سلمنا على[12] أعدائه.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾: «ألا، وأمّا» مركّبتان من همزة الاستفهام وحرف النفي؛ لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها. فإنّ الاستفهام إذا كان للإنكار ودخل على النفي، أفاد تحقيقاً؛ لأنّ نفي النفي إثبات وتحقيق؛ كقوله: «أليس ذلك بقادر».

والأكثرون على أنّهما حرفان موضوعان لذلك المعنى لا تركيب فيهما.

ويدخلان على الجملتين، ويشاركهما في الدلالة على معنى التنبيه «الهاء»، لكنّها تختصّ بالدخول على أسماء الإشارة والضمائر غالباً.

---

١. ليس في ج.
٢. ليس في أ.
٣. تفسير العسكري عليه السلام، ١١٤.
٤. في ج: وروي عن....
٥. من المصدر.
٦. في ج: شهوتنا.
٧. المصدر: فنتمتع ونترفه. أ: فنمتنع ونسترقه.
٨. ليس في المصدر وأ.
٩. المصدر وأ: أديل.
١٠. أ: لنا.
١١. أ: لنا.
١٢. المصدر: من سبى. أ: من بين.

ولما بالغ المنافقون في إظهار الإصلاح، بولغ في إفسادهم من جهات متعدّدة الاستئناف. فإنّه[١] يقصد به زيادة تمكّن الحكم في ذهن السامع لوروده عليه بعد[٢] السؤال والطلب، وما في كل واحدة من كلمتي «ألا» و«إنّ» من تأكيد الحكم وتحقيقه، وتعريف الخبر المفيد[٣]، وحصر المسند على المسند إليه قصر قلب، وتوسيط الفعل[٤] المؤكّد لهذا الحصر.

وقوله: «لا يشعرون» لدلالته على أنّ كونهم[٥] مفسدين قد ظهر ظهور المحسوس، لكن لا حسّ لهم ليدركوه.

وقيل المبالغة في تعريف المفسدين، على قياس ما مرّ في «المفلحين». أنّه إن حصلت صفة المفسدين وتحقّقوا وتصوّروا بصورتهم الحقيقة، فالمنافقون هم[٦] هم لا يعدون تلك الحقيقة، فيكون الفصل مؤكّداً لنسبة الاتحاد الذي هو أقوى من القصر في إفادة المطلوب.

وروي في تفسير (أبي محمّد العسكري عليه السلام[٧] عن موسى بن جعفر في تفسير)[٨] تلك الآية: «ألا إنّهم هم المفسدون» بما يغفلون أموراً لنفسهم[٩]؛ لأنّ الله يعرّف نبيّهم[١٠] نفاقهم، فهو يلعنهم، ويأمر المسلمين بلعنهم. ولا يثق[١١] بهم - أيضاً[١٢] - أعداء المؤمنين؛ لأنّهم يظنّون أنّهم ينافقونهم - أيضاً[١٣] - كما ينافقون أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله فلا يرتفع[١٤] لهم عندهم منزلة، ولا يحلّون[١٥] عندهم محلّ أهل الثقة[١٦].

---

١. في ج: بأنّه.
٢. أ: بعض.
٣. الواو ليس في ج.
٤. في ج: الفصل. وهو الأظهر.
٥. في ج: كونه.
٦. ليس في أ.
٧. تفسير العسكري عليه السلام، ١١٨.
٨. ليس في أ.
٩. المصدر: من أمور أنفسهم.
١٠. المصدر: نبيه. أ. بينهم.
١١. أ: فهم.
١٢. ليس في أ.
١٣. ليس في أ.
١٤. المصدر وأ: يرفع.
١٥. أ: يحل لهم. ر: يخلون.
١٦. أ: أهل النعمة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا﴾: هذا من تمام النصح والإرشاد، فإنّ الإيمان مجموع أمرين: الإعراض عمّا لا ينبغي، وهو المقصود بقول[١] «لا تفسدوا». والإتيان بما ينبغي، وهو المطلوب بقوله: «آمنوا».

وأمرهم بالإيمان بعد نهيهم عن الإفساد؛ لأنّ التحلية لا تتيسّر إلّا بعد التخلية[٢].

﴿كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾: «ما» في «كما» إمّا كافة، كما في قوله: «فبما رحمة من الله لنت لهم»[٣]. أو مصدرية، كما في قوله تعالى: «واذكروا الله كما هداكم»[٤]. فإن كانت كافة للكفّ[٥] عن العمل مصحّحة لدخولها على الجملة، كان التشبيه بين مضموني الجملتين، أي: حقّقوا إيمانكم، كما حقق الناس إيمانهم. وإن كانت مصدرية، فالمعنى: آمنوا إيماناً كإيمانهم.

وعلى التقديرين، قوله: «كما آمن الناس» في موضع النصب، على المصدرية.

و«اللام» للعهد، أي: كما آمن رسول الله ﷺ ومن معه؛ وهم ناس معهودون على الإطلاق عندهم. أو من آمن من أهل بلدتهم؛ كابن سلام وأصحابه، وهم ناس معهودون عندهم.

أو للجنس. والمراد به: الكاملون في الانسانية، العاملون بقضية العقل. فإنّ اسم الجنس، كما يستعمل لمسمّاه[٦] مطلقاً، يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه. ولذلك يسلب عن غيره، فيقال: زيد ليس بإنسان.

وقد جمع الاستعمالين [في][٧] قول الشاعر:

إذا الناس ناس والزمان زمان

---

١. في ج: بقوله.

٢. في ج: التحلية.

٣. آل عمران / ١٥٩.

٤. البقرة / ١٩٨. والصحيح: «واذكروه كما هداكم».

٥. في ج: للكاف.

٦. أ: المسماه.

٧. ليس في ج. ووجودها خطأ. فإن كان لابدّ من وجودها فيجب أن نقول: وقد جمع الاستعمالان في قول الشاعر.

واستدلّ به على مطلبين: أحدهما، أنّ توبة الزنديق مقبولة. وثانيهما، أنّ الإقرار باللسان إيمان.

تقرير الأول: أنّ الكافرين مأمورون بالإيمان. فلو لم يكن توبتهم مقبولة، لم يكونوا مكلّفين. ضرورة أنّ كونهم مكلفين مع عدم قبول توبتهم جبر. وهذا إنّما يتمّ لو كان دعوة بعض المؤمنين إلى الإيمان تكليفاً. ولو سلّم، فإنّما يدلّ على ذلك لو كان قولهم ذلك بطريق دعوة[١]. والحقّ، أنّ توبة الزنديق عن غير فطرة مقبولة مطلقاً[٢]، غير مقبولة ظاهراً. لكن لا بدلالة الآية، بل بدلالة الآيات الأُخر والأحاديث المروية.

وتقرير الثاني: أنّه لو لم يكن إيماناً، لم يفد التقييد بقوله: «كما آمن الناس»، والتالي باطل، فالمقدّم مثله. والملازمة ممنوعة. والمستند أنّ ذلك مبنّي على أن يكون المراد من الناس: المنافقين المذكورين سابقاً، وليس كذلك، بل المراد: المؤمنون.

وفائدة التقييد، التحريص. ونظيره قوله: أكرم أخاك، كما أكرمه عمرو.

(وبعض استدل من قوله: «ومن الناس من يقول آمنّا وما هم بمؤمنين» على أنّ الإقرار فقط ليس بإيمان. وهو ـ أيضاً ـ باطل، لجواز أن يكون قولهم: «آمنّا» لإخبار الإيمان، لا إنشائه)[٣].

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾: «الهمزة» فيه للإنكار مجازاً. إذ الأصل فيها[٤] الاستفهام، استعملت فيه لعلاقة عدم اعتقاد الثبوت فيهما. وإذا كانت للاستفهام، يطلب بها التصور والتصديق؛ (كما يطلب بهل التصديق)[٥] وبباقي أدوات الاستفهام التصور. والحقّ أنّ الكلّ لطلب التصور في المآل. ومعنى الإنكار فيه أنّ ذلك لا يكون أصلاً.

و«اللام» للعهد، إشارة إلى «الناس» المذكور سابقاً.

---

١. في: الدعوة. ٢. ليس في أ.

٣. ما بين القوسين مشطوب في المتن وليس في ر وج.

٤. أ: فيه. ٥. مابين القوسين ليس في ج.

أو الجنس. وهم مندرجون تحت مفهومه، على زعمهم وتسفيههم، إمّا لجعل الإيمان سفهاً، أو لجعل المؤمنين المشهورين به، أو ليجعلونهم مشهورين به، أو لاعتقادهم فساد رأيهم، أو لتحقير شأنهم، فإنّ أكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالي كصهيب وبلال. أو للتجلّد وعدم المبالاة لهم بمن آمن منهم، إن فسر الناس بعبد الله بن سلام وأشياعه.

و«السفه» خفّة العقل وقلّته. ويقابله الحلم ـ بالكسر ـ وهو الأناة. وكأنّ هذا الكلام مقولاً فيما بينهم، لا في وجوه المؤمنين؛ لأنّهم كانوا منافقين، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم. فأخبر سبحانه بذلك نبيّه، وردّ عليهم أبلغ ردّ وقال:

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ⑬: تفصيل هذه الآية «بلا يعلمون» والتي قبلها «بلا يشعرون» لأنّه أكثر طباقاً لذكر السفه، ولأنّ الوقوف على أمر الدين والتميّز بين الحق والباطل ممّا يفتقر إلى نظر وتفكر، وأمّا النفاق وما فيه من النقص والفساد فممّا[1] يدرك بأدنى تفطّن وتأمل فيما يشاهد من أقوالهم وأفعالهم.

وروي في تفسير تلك الآية (في تفسير أبي محمّد العسكري عليه السلام)[2][3] عن موسى عليه السلام: إذا قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة، قال لهم خيار[4] المؤمنين كسلمان والمقداد وأبي‌ذر وعمار: «آمنوا» برسول الله وعلي[5] عليهما السلام الذي أوقفه موقفه، وأقامه مقامه، وأناط[6] مصالح الدين والدنيا كلّها به، و«آمنوا» بهذا النبي، وسلّموا لهذا الإمام، وسلّموا له ظاهرة[7] وباطنة، «كما آمن الناس» المؤمنون[8]، قالوا في الجواب (لمن يفيضون إليهم[9] لا لهؤلاء المؤمنين، فإنّهم لا يجرؤون على مكاشفتهم بهذا

---

١. أ: فلما.
٢. ما بين القوسين ليس في أ.
٣. تفسير العسكري عليه السلام، ١١٩.
٤. أ: خيارهم.
٥. المصدر: بعلي.
٦. النسخ: ناط.
٧. المصدر: ظاهر الأمر.
٨. أ: المتقدمون، المصدر: المؤمنون، كسلمان والمقداد وأبي ذر وعمار.
٩. المصدر، اليه.

الجواب)[١]. ولكنهم يذكرون لمن يفيضون إليهم[٢] من أهليهم[٣] الذين يثقون بهم [من المنافقين ومن المستضعفين، أو المؤمنين الذين هم بالستر عليهم واثقون بهم][٤]، يقولون لهم: «أنؤمن كما آمن السفهاء»! يعنون سلمان وأصحابه، لما أعطوا عليّاً خالص دينهم وودّهم، ومحض طاعتهم، وكشفوا رؤوسهم لموالاة[٥] أوليائه ومعاداة أعدائه (حتى إن اضمحلّ أمر محمّد، طحطحهم أعداؤه وأهلكهم بسائر[٦] الملوك والمخالفين لمحمّد، أي: فهم بهذا التعرض لأعداء محمّد جاهلون سفهاء. قال الله تعالى: «ألا إنّهم هم السفهاء» الأخفّاء العقول والآراء)[٧].

(فردّ الله عليهم)[٨] الذين لم ينظروا في أمر محمّد[٩] حق النظر، فيعرفوا نبوّته ويعرفوا به صحة ما ناطه بعلي عليه السلام من أمر الدين والدنيا، حتى بقوا لتركهم تأمل حجج الله جاهلين، وصاروا خائفين وجلين من محمّد وذريّته[١٠] (ومن مخالفيهم، لا يؤمنون أنّهم يغلبون[١١] فيهلكون معه[١٢]. فهم السفهاء حيث لا يسلم لهم بنفاقهم هذا جنبة[١٣] جنبة[١٤] محمّد والمؤمنين، ولاجنبة اليهود وسائر الكافرين؛ لأنّهم[١٥] يظهرون لمحمّد صلى الله عليه وآله من موالاته وموالاة أخيه علي، ومعاداة أعدائهم اليهود والنصارى[١٦] والنواصب، كما[١٧] يظهرون لهم من معاداة محمّد وعلي صلّى الله عليهما وآلهما وموالاة أعدائهم. فهم يقدّرون[١٨] أنّ نفاقهم معهم كنفاقهم مع محمّد

---

١. ما بين القوسين ليس في أ.
٢. المصدر: إليه.
٣. المصدر: أهلهم.
٤. من المصدر.
٥. أوالمصدر: بموالاة.
٦. في ج: سائر.
٧. ما بين القوسين ليس في أ.
٨. ما بين القوسين، مشطوب في المتن وموجود في أ.
٩. ر: الذين ينظرون أوامر محمّد.
١٠. ليس في أ.
١١. المصدر: أيّهم يتغلب.
١٢. المصدر: منه.
١٣. المصدر: لا جنبة وج: جنبته.
١٤. ليس في ج.
١٥. المصدر: لأنّه به وبهم.
١٦. ليس في المصدر.
١٧. المصدر: وهو كما.
١٨. المصدر: يقدرون فيهم.

وعلي عليه السلام)[١]. « ولكن لا يعلمون » أنّ الأمر كذلك، وأنّ الله يطّلع نبيه صلى الله عليه وآله على أسرارهم، فيخسئهم[٢] ويلعنهم ويسفّههم[٣].

قال بعض الفضلاء: وإذا سمعت شطراً من الأحكام اللفظية، فاسمع نبذاً من المعاني البطنية. فنقول:

« وإذا قيل » لهؤلاء المتوسّمين بالإيمان الرسمي، المدّعين التوحيد الحقيقي: « لا تفسدوا في أرض » استعدادكم لذلك التوحيد، ولا تبذروا فيها بذر فساد الشرك بإضافة الأفعال إلى أنفسكم. « قالوا إنّما نحن مصلحون » لها، بارتكاب الأعمال الصالحة واكتساب الأفعال الحسنة. ليترتّب عليها الأجزية[٤] الأخروية، من الجنات وما فيها من أنواع النعيم المقيم. فقيل في ردهم: « ألا إنّهم هم المفسدون » لها، فإنّ ترتّب تلك الأجزية لا يتوقّف إلّا على نفس الأعمال، لا على إضافتها إلى أنفسهم. بل بهذه الإضافة يبقون محرومين عن التوحيد، ولا يتحقّقون به أصلاً. وكيف يتحقّقون وهم لا يصلون إلى توحيد الأفعال، فكيف بتوحيد الصفات والذات. فلا يحظون بما يترتّب عليه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ولكنهم « لا يشعرون » بذلك الإفساد؛ لأنّه من قبيل الشرك الخفي، الذي هو أخفى من دبيب النمل. « وإذا قيل لهم آمنوا » إيمانا حقيقياً « كما آمن الناس » المتحققون بحقائق الحقيقة الانسانية الكمالية، الباذلون وجودهم بالفناء[٥] في الله. « قالوا » أنؤمن كما آمن السفهاء ؟ فإنّ من السفه بذل الوجود الذي هو رأس مال الحظوظ[٦] العاجلة والآجلة. فقيل في ردّهم: « ألا إنّهم هم السفهاء ». فإنّ من يبذل وجوده الفاني يبقى ببقاء الحق سبحانه. وأين الوجود الفاني من البقاء بالحق ؟ « ولكنهم لا يعلمون » ذلك؛ لأنّ هذا العلم لا يحصّل بالحجة والبرهان، بل بالذوق والوجدان.

---

١. ما بين القوسين ليس في أ.
٢. المصدر: فيخسهم.
٣. المصدر: يسقطهم.
٤. أ: الأجرية.
٥. في ج: بالغناء.
٦. أ: الخطوط.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾: وقرئ «ولاقوا».

هذه الجملة مع ما عطف عليها في حكم كلام واحد، مساقة لبيان معاملتهم مع المؤمنين وأهل دينهم وتنافي قولَيهم لهما. بخلاف صدر قصّتهم، فإنّه مسوق[1] لبيان أصل نفاقهم من غير تعرّض للقائهم المؤمنين وقولهم معهم، ولخلوّهم مع شياطينهم وقولهم لهم فيما يتوهّم في أجزاء الشرطية الأولى من التكرر[2]، مضمحلّ بالكلية.

تقول: لقيته ولاقيته: إذا استقبلته قريباً منه. ومنه ألقيته: إذا طرحته؛ لأنّك بطرحه جعلته بحيث يلقى.

﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾: من خلوت بفلان وإليه: إذا انفردت معه، أي: إذا انفردوا مع شياطينهم. أو من خلاك ذم، أي: عداك ومضى عنك. ومنه القرون الخالية، أي: الماضية، أي: إذا مضوا عن المؤمنين إلى شياطينهم.

واستعمال «خلا» بـ«إلى» على هذين المعنيين، ظاهر.

أو خلوت به: إذا سخرت منه[3]. وحينئذ يحتاج في استعماله بـ«إلى» إلى تضمين معنى الإنهاء، أي: إذا سخروا من المؤمنين، منهين هذه السخرية إلى شياطينهم. وهذا كما تقول: أحمد إليك فلاناً، أي: أحمده منهياً ذلك الحمد إليك.

و«شياطينهم»: أصحابهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم، منافقين كانوا أو مشركين. فيكون من قبيل الاستعارة.

وجعل سيبويه تارة نونه أصليّة، على أنّه من شطن[4]: إذا بعد، فهو بعيد عن الصلاح، ويشهد له قولهم: «تشيطن». وأخرى زائدة، على أنّه من شاط: إذا بطل، ومن أسمائه الباطل.

﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾: في عدم الإيمان بمحمّد ﷺ.

وخاطبوا المؤمنين المنكرين بالفعلية مجرّدة عن التأكيد، وشياطينهم الذين

---

١. أ: مسبوق.
٢. في ج: التكرار.
٣. أ: ومنه.
٤. في ج: شيطن.

لا ينكرون[١] بالاسمية مؤكدة. والقياس العكس؛ لأنّهم كانوا مع المؤمنين بصدد[٢] الاخبار بحدوث الإيمان منهم، وتركوا التأكيد لعدم الباعث عليه[٣] من بواطنهم من صدق رغبة[٤] ووفور اعتقاد، أو لعدم رواجه عنهم عند المخاطبين الذين هم أرباب فهم وكياسة بلفظ التأكيد، بخلاف مخاطبتهم مع شياطينهم، فإنّهم فيما أخبروهم[٥] به على صدق رغبة ووفور نشاط، وهو رائج عنهم متقبّل منهم على لفظ التأكيد.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾: تأكيد لسابقه. إذ معنى «إنّا معكم»: هو الثبات على اليهودية. وقوله: «إنّما نحن مستهزؤون» وإن لم يكن بظاهره تأكيداً لهذا المعنى، لكن له لازم، وهو أنّه ردّ ونفي للإسلام يؤكّده؛ لأنّ دفع نقيض الشيء تأكيد لثباته.

أو بدل. وتقريره: أنّه لمّا كان قصدهم إلى إظهار تصلّبهم[٦] في دينهم، وكان في الكلام الأول قصور عن إفادته، إذ كانوا يوافقون المؤمنين في بعض الأحوال، فاستأنفوا القصد إلى ذلك بأنّهم يعظّمون كفرهم بتحقير الإسلام وأهله، فهم أرسخ قدماً من شياطينهم.

أو استئناف. كأنّ الشياطين قالوا: إن صحّ ذلك، فما بالكم توافقون المؤمنين؟ فأجابوا بذلك. وهو أوجه لزيادة الفائدة، وقوّة المحرك للسؤال.

وهذه الوجوه الثلاثة بيان لترك العاطف في كلامهم. وأمّا تركه في حكايته، فللموافقة فيما هو بمنزلة كلام واحد[٧].

و«الاستهزاء»: السخرية والاستخفاف. يقال: هزأت واستهزأت، بمعنىً؛ كأجبت واستجبت.

وأصله: الخفة، من الهزء ـ بالفتح ـ وهو القتل السريع. وهزأ يهزأ ـ بالفتح فيهما ـ:

---

١. أ: يذكرون.
٢. أ: بصدر.
٣. أ: إليه.
٤. أ: وفيه.
٥. أ: جزائهم.
٦. أ: تصليهم.
٧. أ: وواحد.

مات على المكان. وناقته تهزأ به، أي: تسرع وتخف.

(وفي مجمع البيان[١]: وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: انّهم قالوا: «إنّا معكم»، أي على دينكم. «إنّما نحن مستهزؤون»، أي: نستهزئ بأصحاب محمّد ونسخر بهم في قولنا: «آمنّا»[٢]).

﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: المراد باستهزاء الله: مجازاته إيّاهم على استهزائهم بالمؤمنين، لما بين الفعل وجزائه ملابسة قوية ونوع سببية، مع المشاكلة المحسنة[٣] من مقابلة اللفظ باللفظ والمماثلة في القدر، فيكون من قبيل المجاز المرسل.

وقد روى رئيس المحدثين، في كتاب التوحيد[٤]، بإسناده عن عليّ بن الحسين[٥] بن فضال، عن أبيه، عن الرضا عليّ بن موسى عليهما السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: «يسخر الله منهم»، وعن قوله عزّ وجلّ: «الله يستهزئ بهم»، وعن قوله: «ومكروا ومكر الله»، وعن قوله: «يخادعون الله وهو خادعهم».

فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لا يسخر ولا يستهزئ ولا يمكر ولا يخادع، ولكنه عزّ وجلّ يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة، تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

(وفي عيون الأخبار[٦]، بإسناده عن[٧] الحسن بن عليّ بن فضال، قال: سألت الرضا عليه السلام إلى أن قال: فقال: إنّ الله تعالى لا يسخر ولا يستهزئ ولا يمكر ولا يخادع. لكنه تعالى يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً)[٨] انتهى.

---

١. مجمع البيان، ٥١/١.

٢. ما بين القوسين ليس في أ.

٣. في ج المستحسنة.

٤. التوحيد، ١٦٣.

٥. في ج: الحسن.

٦. عيون الأخبار، ١٢٦/١.

٧. في ج: إلى.

٨. ما بين القوسين ليس في أ.

أو[١] إنزال الهوان والحقارة بهم؛ لأنّه الغرض من[٢] الاستهزاء. فهذا أيضاً من المجاز المرسل، لعلاقة السببية في التصور والمسبّبية في الوجود. وفي هذا التوجيه تنبيه على أنّ مذهبهم حقيق بأن يسخر منه ويستهزئ به لأجله.

أو معاملته سبحانه، معاملة المستهزئ بمن يستهزئ به. واستعمل لفظ المشبّه به في المشبّه، فيكون استعارة. وهي في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالإمهال والزيادة في النعمة مع تماديهم في الطغيان، وفي الآخرة فبأن يفتح ـ وهم في النار ـ باب إلى الجنّة فيسرعون إليه، فإذا قربوا منه سُدّ عليهم.

أو إرجاع وبال الاستهزاء إليهم، فيكون كالمستهزئ بهم. فيكون استعارة أيضاً.

أو لازم معناه. وهي إظهار خفة عقل المستهزأ به وقلّته، فيكون سبحانه مستهزئ بهم في عين استهزائهم بالمؤمنين. فإنّ من استهزائهم بهم، مع ظهور أمرهم، يظهر خفة عقولهم وقلّتها.

وهو استئناف[٣]. فإنّهم لمّا بالغوا في استهزاء المؤمنين مبالغة تامة، ظهر بها شفاعة ما ارتكبوه، وتعاظمه على الأسماع على وجه يحرك السامع أن يقول: هؤلاء الذين هذا شأنهم، ما مصير أمرهم وعقبى حالهم، وكيف معاملة الله والمؤمنين إيّاهم؟

وفي تصدير الاستئناف بذكر «الله»، دلالة أوّلاً على أنّ الاستهزاء بالمنافقين هو الاستهزاء الأبلغ الذي لا اعتداد معه باستهزائهم، وذلك لصدوره عمّن يضمحلّ علمهم وقدرتهم في جنب علمه وقدرته. وثانياً، على أنّه تعالى يكفي مؤنة عباده المؤمنين وينتقم[٤] لهم ولا يحوجهم إلى معارضة المنافقين؛ تعظيماً لشأنهم.

وإنّما قال: «يستهزئ»: ولم يوافق لقولهم[٥]، ليفيد حدوث الاستهزاء وتجدّده وقتاً بعد وقت.

---

١. أي: المراد باستهزاء الله مجازاته، أو إنزال الهوان ... الخ. فهو مربوط بما سبق.

٢. ليس في أ.

٣. في ج: سبحانه معهم.

٤. أ: ولا ينتقم.

٥. أي: «مستهزؤون».

أمّا إفادته الحدوث ؛ فلكونه فعلاً .

وأمّا إفادة تجدده وقتاً بعد وقت ؛ فلأنّ المضارع لمّا كان دالاً على الزمان المستقبل الذي يحدث شيئاً بعد شيء على الاستمرار ، ناسب[1] أن يقصد به إذا وقع موقع غيره . أنّ معنى مصدره المقارن لذلك الزمان يحدث مستمرّاً استمراراً تجدّدياً لا ثبوتياً ؛ كما في الجملة الاسمية . وإنّما أفيد ذلك ليكون على طبق نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة . أو لا يرون أنّهم يفتنون في كل عام مرّة أو مرّتين ؟

﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(١٥): من مدّ الجيش وأمدّه : إذا زاده وقوّاه . ومددت السراج والأرض : إذا استصلحتهما بالزيت والسماد . ومنه مدّ الدواة وأمدّها : إذا أراد أن يصلحها . لا من مدّ العمر ، بمعنى : الإملاء والإمهال ، فإنّه يُعدّى باللام كأملى له . والحذف والإيصال خلاف الأصل ، فلا يصار إليه إلّا بدليل . ويؤيّده قراءة ابن كثير : و« يُمدهم » بضم الياء ، من الإمداد ، بمعنى إعطاء المدد . وليس من المدّ في العمر والإمهال في شيء .

والأصل في الطغيان ـ بالضمّ والكسر ـ كَلُقيان ولِقيان : تجاوز الشيء عن مكانه .

والمراد : تجاوز الحد في الكفر والغلوّ في العصيان . والمراد : زيادة طغيانهم بسبب تمكين الشيطان من إغوائهم .

أو أنّه لمّا منعهم ألطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم وسدّهم[2] طرق التوفيق على أنفسهم ، فتزايدت بسببه قلوبهم ريناً وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحاً ونوراً .

فإسناد الفعل إلى الله ، إسناد إلى المسبّب[3] . وإضافة الطغيان إليهم ، لئلّا يتوهّم أنّ إسناد الفعل إليه على الحقيقة . و« العمه » قيل : مثل العمى . إلّا أنّ العمى عام في البصر والرأي خاصة .

---

١ . أ : ناصب . ٢ . روج : صدهم .

٣ . في ج : السبب .

وقيل: العمى في العين، والعمه في القلب. هو التحيّر والتردّد، لا يدري أين يتوجّه. يقال: رجل عامه وعمه. وأرض عمهاء: لا مارّ بها.

ولعل التخصيص يكون (حيث يكون)[١] المقابلة.

و«في طغيانهم» إمّا متعلق بـ«يمدّهم»، وحينئذ يكون «يعمهون» حالاً من مفعول «يمدّهم»، أو فاعل «الطغيان»، وإمّا متعلق بـ«يعمهون» قُدّم عليه لرعاية الفاصلة، وحينئذ يتعيّن أن يكون حالاً من الأول.

(وفي كتاب الاحتجاج[٢] للطبرسي ﷺ: عن أميرالمؤمنين ﷺ حديث طويل، وفيه: ولو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بيّنتُ لك تأويلها، لأسقطوها مع ما أسقطوا منه. ولكن الله تبارك اسمه ماض حكمه بإيجاب الحجة على خلقه، كما[٣] قال[٤]: «فَلِلّه الحجة البالغة». أغشى أبصارهم، وجعل على قلوبهم أكنّة عن تأمل ذلك، فتركوه بحاله، وحجبوا عن تأكيد الملتبس بإبطاله. فالسعداء يتنبّهون[٥] عليه، والأشقياء يعمهون[٦] عنه)[٧].

قال بعض الفضلاء: وإذا قد وقع الفراغ من حلّ ظاهر عباراته، فاسمع بطناً من بطون إشاراته. فنقول:

إذا لاقى المتوسّمون بالإيمان الرسمي، الذين آمنوا إيماناً حقيقياً وتحققوا بحقيقة التوحيد، وانعكست إليهم أنوارهم الايمانية فتوهّموا أنّها من أنفسهم وملك لهم، قالوا بلسان حالهم: «آمنا» إيماناً كإيمانهم. و«إذا» فارقوا و«خلوا إلى شياطينهم» المبعدين، وانفصلت منهم تلك الأنوار، ورجعوا إلى ظلمتهم الأصلية الحجابية، وتضاعفت به[٨] ظلمتهم لاجتماعهم مع هؤلاء الشياطين، «قالوا» لهم: «إنّا معكم» متّفقون بكم فيما

---

١. ليس في أ.

٢. الاحتجاج، ٣٧٦/١.

٣. المصدر: كما قال الله تعالى.

٤. الأنعام / ١٤٩.

٥. المصدر: ينهون.

٦. المصدر: يعمون.

٧. ما بين القوسين ليس في أ.

٨. أ: به في.

آمنتم فيه، من إثبات ذواتكم وإسناد الصفات والأفعال إليها «مستهزؤون» بالّذين لا يثبتون إلّا وجوداً واحداً، ويسندون إليه الأفعال والصفات كلها. فإنّ ذلك شيء[1] لا يحكم بصحّته العقل. «الله يستهزئ بهم» في عين استهزائهم بهم. ذلك[2] الاستهزاء فعل الحق فيهم، انصبغ بصبغ الاستهزاء لإلحاق الهوان والحقارة بهم في[3] عيون أرباب البصيرة فيكون استهزاء بهم «ويمدّهم في طغيانهم»، أي: غلوّهم في نفي التوحيد الحقيقي، متردّدين متحيّرين بين المؤمنين إيماناً حقيقياً وبين شياطينهم الجاحدين ذلك الإيمان، مذبذبين بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوا الضَّلاٰلَةَ بِالْهُدىٰ﴾: معلّلة للجملة الدالّة على استحقاقهم الاستهزاء، على سبيل الاستئناف. أو مقررة لقوله: «يمدّهم في طغيانهم» على سبيل التوكيد.

وأصل الاشتراء: بذل الثمن لتحصيل ما يُطلَب من الأعيان. فإن كان أحد العوضين ناضّاً، تعين من حيث أنّه لا يطلب لعينه أن يكون ثمناً. وبذله اشتراء، وأخذه بيع. ولذلك عُدّت الكلمتان من الأضداد. والنضّ والناضّ: الدنانير والدراهم، عند أهل الحجاز. وإلّا فأيّ العوضين تصوّرته[4] بصورة الثمن، فباذله مشتر وآخذه بائع.

ثمّ استعير للأعراض عما في يده محصّلاً به غيره، سواء كان من المعاني أو الأعيان.

ثمّ اتّسع فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعاً في غيره. فإن اكتفى بجعل الطرفين أعمّ من أن يكون الأعيان أو المعاني أو مختلفين، وبقي الاستبدال محفوظاً والاستبدال موقوف على تملك ما هو كالثمن، فاحتيج في اشتراء الضلالة بالهدى إلى أن نزّل[5] التمكّن من الهدى، بحسب الفطرة منزلة تملّكه. فيكون التجوّز في نسبة الهدى بالتملّك إليهم، لا في نفسه.

---

١. ليس في أ.

٢. في ج: فإنّ ذلك.

٣. ليس في أ.

٤. أ: بصورته.

٥. في ج: ينزل. وهو الأظهر.

أو أريد «بالهدى» ما جبلوا عليه من تمكّنهم منه، وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها. فيكون التجوّز في نفس الهدى، لا في نسبته إليهم بالتملّك. فإنّ التمكّن من الهدى ثابت لهم من غير تجوّز. وإن لم يبق الاستبدال أيضاً محفوظاً، كما إذا استعمل للرغبة عن الشيء طمعاً في غيره، فلا حاجة إلى ذلك التنزيل أو التجوّز.

﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾: وقرأ ابن عبلة: «تجاراتهم» بصيغة الجمع.

وذكر «الربح» ترشيح للمجاز الواقع في كلمة «اشترى»، وهو أن يقرن بالمجاز ما يلائم المعنى الحقيقي. فإنّه لمّا استعمل الاشتراء في معاملتهم، أتبعه بما يشاكله تمثيلاً لخسارتهم.

والمعنى: ضرّت تجارتهم؛ لأن عدم الربح، وإن كان أعمّ من الخسران لوجود الواسطة بينهما، لكن المقام يخصّه به؛ لأنّ المقصود ذمّ المنافقين، والذمّ في الخسران آكد من عدم الربح. وإنّما عبّر عن الخسران بنفي الربح للتصريح أوّلاً بانتفاء ما هو مقصود من التجارة، والدلالة ثانياً على إثبات ضدّه، والإفادة ثالثاً المبالغة بأنّ نفي الربح بالبيع والشرى.

و«الربح» الفضل على رأس المال. وإسناده إلى التجارة ـ نفياً وإثباتاً ـ لتلبّسه بالتجارة، مجاز عقلي، وهو إسناد شيء إلى غير ما هو له نفياً أو إثباتاً؛ كما أنّ الحقيقة العقلية إسناده إلى ما هو[1] كذلك. لكن في الحقيقة، فالموجبة[2] صادقة، والسالبة كاذبة. وفي المجاز بالعكس. فلا حاجة في كونه من المجاز العقلي إلى تأويل ما ربحت بـ«خسرت» ولا إلى أن يفرق بين إسناد النفي ونفي الإسناد. هكذا قيل، وفيه نظر يعرف بالتأمل والتحقيق، ما ذكره السكاكي من أنّ المراد بالتجارة: المشترون مجازاً، والإسناد حقيقة. فتأمّل!

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾(١٦): عطف على «ما ربحت تجارتهم»، أي: ما كانوا مهتدين لطرق التجارة. فحذف المفعول لدلالة الكلام عليه، وليمكّن حمله على العموم وإن

---

١. أ: ما هو له.
٢. أ: الموجبة.

اشتمل على تكرار «ما». فالحمل على الأول أولى؛ لأنّه لما وصفوا بالخسارة في هذه التجارة أشير إلى عدم اهتدائهم لطرق التجارة، كما يهتدي إليه التجار البصراء بالأمور التي يربح فيها ويخسر. فهو راجع إلى الترشيح.

ويحتمل عطفه على «اشتروا» بل هو أولى؛ لأنّ عطفه على «ما ربحت» يوجب ترتّبه على ما تقدم «بالفاء» فيلزم تأخره عنه، لكن الأمر بالعكس.

ويحتمل أن يكون حالاً من فاعل «اشتروا»، أو «ربحت»، أو ضمير «تجارتهم». وإنّما حكم بانتفاء الربح[1] عن تجارتهم وعدم اهتدائهم لطرق التجارة؛ لأنّ مقصود التجار منها سلامة رأس المال والربح. وهؤلاء قد أضاعوا رأس المال، فكيف يفوزون بالربح الذي هو الفضل عليه؟

وروي (في تفسير أبي محمّد العسكري عليه السلام[2] عن موسى بن جعفر[3] ما معناه:)[4] أنّه حضر قوم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: سبحان الرازق! كان فلان في ضنك وشدة، فسافر ببضاعة جماعة وربح الواحدة عشرة. فهو اليوم من مياسير أهل المدينة.

وقال جماعة أخرى بحضرته: إنّ فلاناً كان في سعة ودعة وكثرة مال، فسافر في البحر، فغرقت سفينته[5]، وتلفت أمواله، ونجى بنفسه في كمال الفقر والفاقة والحيرة.

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أخبركم بالأحسن من الأول، والأسوأ من الثاني؟[6]

فقالوا: بلى يا رسول الله!

فقال: أمّا الأول، فرجل اعتقد في عليّ بن أبي‌طالب ما يجب اعتقاده، من كونه وصي رسول الله وأخاه ووليه وخليفته ومفروض الطاعة، فشكر له ربّه ونبيه ووصي نبيه، فجمع الله له بذلك خير الدنيا والآخرة، فكانت تجارته أربح وغنيمته أكثر وأعظم.

---

١. في ج: الرابح.

٢. تفسير العسكري عليه السلام، ١٢٦، مع اختلاف كثير في الألفاظ.

٣. في ج: موسى بن جعفر عليه السلام.

٤. ما بين القوسين ليس في أ.

٥. في ج: سفينة.

٦. المصدر: الثاني حالاً.

وأمّا الثاني، فرجل أعطى علياً بيعته، وأظهر له موافقته. ثمّ نكث بعد ذلك وخالفه ووالى أعداءه، فختم له سوء أعماله، فصار إلى عذاب لا يبيد ولا ينفد[١]. «ذلك هو الخسران المبين»[٢].

قال بعض الفضلاء: إنّ تأويل الآية، بالإشارة إلى بطن من بطونها، أن يقال: «أولئك» المتوسّمون بالإيمان الرسمي، هم «الذين اشتروا ضلالة[٣]» ظلمة جحدانيّاتهم «بهدى» نور استعدادهم الفطري، لكشف حقائق التوحيد الحقيقي، واختاروها عليه. «فما ربحت تجارتهم» هذه؛ لأنّهم أضاعوا رأس مالهم الذي هو هدى ذوي الاستعداد، فكيف تربح تجارتهم بعد إضاعتهم إيّاه. «و» الحال أنّهم «ما كانوا مهتدين» لطرق تلك التجارة، سالكين سبيل الفوز بها، على وجه يربحون ولا يخسرون.

﴿مَثَلُهُمْ﴾: لمّا بيّن حقيقة صفة المنافقين، أراد أن يكشف عنها كشفاً[٤] تامّاً ويبرزها في معرض المحسوس المشاهد. ففيها يضرب المثل مبالغة في البيان، ولأمر ما، أكثر الله في كتبه الأمثال وكثر في كلام الأنبياء والحكماء، ومن سور الانجيل سورة الأمثال.

و«المَثَل» في الأصل، بمعنى: المِثْل. وهو النظير. يقال: مَثَل ومِثْل ومثيل؛ كشَبَه وشِبْه وشبيه.

ثمّ قيل: مثل، للقول السائر. ويعتبر فيه أن يكون تشبيهاً تمثيلياً على سبيل الاستعارة. ومن ثمّ حوفظ عليه، ولم يغيّر فيكون بعينه لفظ المشبّه به. فإن وقع تغيير لم يكن مثلاً، بل هو مأخوذ منه وإشارة إليه؛ كما في قولك[٥]: بالصيف ضيّعت اللبن ـ بالفتح ـ.

وقيل: لم يغيّر؛ لأنّه ينبغي أن يكون فيه غرابة من بعض الوجوه. فلو غُيّر لربّما

---

١. ر: لاينفذ.
٢. الحج/ ١١.
٣. في ج: الضلالة.
٤. ليس في أ.
٥. في ج: قوله.

انتفت تلك الغرابة. وإنّما سمّي مثلاً؛ لأنّه جعل مضربه وهو ما يضرب فيه ـ ثانياً ـ مثلاً لمورده وهو ما ورد فيه أوّلاً.

ثمّ استعير لكل حال أو قصة، أو صفة لها بيان، وفيها غرابة. ويمكن حمله هناك على كل واحد من تلك المعاني.

﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾: معناه: حالهم العجيبة الشأن، كحال من استوقد ناراً.

و«الذي» بمعنى الذين؛ كما في قوله: «وخضتم كالذي خاضوا»، إنْ جُعل مرجع الضمير في «بنورهم»، وإنّما جاز ذلك ولم يجز[1] وضع «القائم» موضع «القائمين»؛ لأنّه غير مقصود بالوصف، بل الجملة التي هي صلته، وهو وصلة إلى وصف المعرفة بجملة موصولة بها؛ ولأنّه ليس باسم تامّ بل هو كالجزء منه، فحقه أن لا يجمع كما لا يجمع أخواتها، ويستوي فيه الواحد والجمع، وليس «الذين» جمعه المصحح، بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى، ولذلك جاء بالياء ـ أبداً ـ على اللغة الفصيحة التي جاء التنزيل عليها. ولكونه مستطالاً بصلته استحقّ التخفيف، ولذلك بولغ فيه، فحذف ياؤه ثمّ كسرته، ثمّ اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين. أو قصد به جنس المستوقدين، أو الفوج الذي استوقد.

وإن لم يجعل مرجعاً لذلك الضمير، فلا حاجة إلى ذلك؛ لأنّ المقصود تشبيه الحال بالحال، وهما متطابقتان. إلّا أن يقصد رعاية المطابقة بين الحالين، في كونهما بالواحد أو[2] الجماعة ـ أيضاً ـ. فإنّ المماثلة حينئذ أقوى، والتشبيه إلى القبول أقرب.

و«الاستيقاد»: طلب الوقود والسعي في تحصيله، وهو سطوع النار وارتفاع لهبها.

واشتقاق «النار» من نار ينور: إذا نفر؛ لأنّ فيها حركة واضطراباً. و«النور» مشتق منها[3]. فإنّ الحركة والاضطراب يوجد في النار أوّلاً وبالذات، وفي نورها ثانياً وبالعرض. فاشتقاق «النور» منها[4]، أولى من اشتقاقها[5] منه.

---

١. أ: ولم يخبر.
٢. في ج: و.
٣. في ج: عنها.
٤. في ج: عنها.
٥. هكذا في ر وج، وهو الصحيح. والنسخ: اشتقاقه.

﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾: عطف على الصلة. فيكون التشبيه بحال المستوقد الموصوف بمضمون الشرطية، أعني: «لمّا» مع جوابه.

و«لمّا» تدلّ على وقوع الشيء لوقوع غيره، بمعنى الظرف، والعامل فيه جوابه.

و«الإضاءة»: فرط الإنارة، كما أنّ الضوء فرط النور. ومصداق ذلك قوله تعالى: «هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً»[1].

ويناسبه ما اصطلح عليه[2] الحكماء من أنّ الضوء ما يكون للشيء من ذاته كما للشمس، والنور ما يكون من غيره كما للقمر.

«وأضاء» في الآية:

إمّا متعدّ. فيكون «ما حوله» مفعولاً به، أي: جعلت النار ما حول المستوقد مضيئاً.

وإمّا لازم. فيكون مسنداً إلى «ما حوله»، أي: صارت[3] الأماكن والأشياء التي حوله مضيئة بالنار، أو إلى ضمير «النار».

[و][4] حينئذ، إمّا أن يكون كلمة «ما» زائدة و«حوله» ظرفاً لغواً لـ«أَضاءت».

وإمّا موصولة، وقعت عبارة عن الأمكنة، فيكون مع صلتها مفعولاً فيه لـ«أَضاءت».

ويُردّ على الأول: أنّ إضاءة النار حول المستوقد يقتضي دورانها حوله، وهو[5] خلاف المعهود.

وأجيب: بأنّ المراد دوران ضوئها، لكنه[6] جعل دوران الضوء بمنزلة دوران النار إسناداً إلى السبب.

وعلى الثاني، بأنّه[7] كان ينبغي أن يصرح بكلمة «في»؛ لأنّ حذفها في لفظ مكان

---

١. يونس / ٥.
٢. ليس في ج.
٣. في ج: صارته.
٤. من ج.
٥. ليس في أ.
٦. ر: لكنها.
٧. أ وج: أنّه.

إنّماكان[1] لكثرة الاستعمال، ولاكثرة في الموصول الذي عبّر به عن الأمكنة. اللّهمّ إلّا أن يحمل على أنّه من قبيل: عسل الطريق الثعلب. وعلى هذا التوجيه، يلزم دوران مكان النار، وهو لا يستدعي استيعاب النار جميعه، بل بعضه[2].

و«حوله» نُصِب على الظرفية.

وتأليف حروفه على هذا الترتيب، للدوران والإطافة.

وقيل[3] للعام: حول؛ لأنّه يدور.

ومنه حال الشيء واستحال: إذا تغيّر. وحال الانسان: وهي عوارضه التي تتغيّر عليه. والحوالة[4]: وهي اسم من أحال عليه بدينه.

﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: جواب «لمّا»، كما هو الظاهر.

وفيه مانعان: لفظي ومعنوي:

الأول: توحيد الضمير في «استوقد» و«حوله» وجمعه في «بنورهم».

والثاني: أنّ المستوقد لم يفعل ما يستحقّ به إذهاب نوره، بخلاف المنافق، فجعله جواباً غير مناسب.

والجواب عن الأول: أنّ توحيد الضمير، بالنظر إلى لفظ الموصول وجمعه، بالنظر إلى معناه على أحد الوجوه المذكورة فيما سبق.

وعن الثاني: أنّه يمكن أن يكون إذهاب نوره بسبب سماوي، ريح أو مطر، لا بسبب فعل المستوقد. ولذلك أسند إلى الله سبحانه. أو يكون المراد بالمستوقد: مستوقد نار لا يرضى[5] بها الله[6]، كما أوقدها الغواة ليتوصّلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي، فأطفأها الله.

ويحتمل أن يكون جواب «لمّا» محذوفاً. وقوله: «ذهب الله» ـ إلى آخره ـ استئنافاً.

---

١. ليس في أ.

٢. أ: بقصد.

٣. أنوار التنزيل، ٢٧/١.

٤. ليس في ر.

٥. أ: يوضئها.

٦. في ج: لايرضا هما الله.

والمصحّح لهذا الحذف، قرينة المقام، والمرجّح المبالغة في سوء حال المستوقد بإيهام[١] أنّ الجواب ممّا يقصر العبارة عنه.

وتقدير الاستئناف: أنّه لما شُبّهت حالهم بحال المستوقد الذي خمدت ناره، سأل سائل وقال: ما بالهم قد شُبّهت حالهم بحال هذا المستوقد؟ فقيل له: ذهب الله بنورهم. وحينئذ يكون ضمير الجماعة للمنافقين.

ويحتمل أن يكون بدلاً[٢] من الجملة التمثيلية وبياناً له، كأنّه قيل: كمثل الذي ذهب الله بنورهم. وحينئذ يكون مرجع الضمير «الذي استوقد» على أحد الوجوه التي سبقت.

وإنّما قال: «بنورهم»، ولم يقل: «بنارهم» لأنّه المقصود من إيقادها. ولم يقل: «بضوئهم» كما هو مقتضى اللفظ؛ لأنّ في «الضوء» دلالة على الزيادة. فلو علق الذهاب به لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمّى نوراً. والمقصود إزالة النور عنهم رأساً.

وإنّما اختير ـ أوّلاً ـ «أضاءت» على «أنارت»، تنبيهاً على مزيد الحيرة والخيبة، وإشعاراً بالبطلان، لما تقرر في الأذهان من قوة أمر الباطل في بدء الحال واضمحلاله سريعاً في المآل.

وإنّما قال: «ذهب الله بنورهم» ولم يقل: «أذهب الله نورهم» ـ كما قرأ بعضهم ـ لأنّ معنى «أذهبه»: أزاله، وجعله ذاهباً. ويقال: ذهب به: إذا استصحبه.

ومعنى «به»: معه. فإنّ «الباء» وإن كانت للتعدية كالهمزة، إلّا أنّ فيها معنى المصاحبة واللصوق. وذهب السلطان بماله: أخذه، فالمعنى: أخذ الله نورهم وأمسكه. وما يمسك[٣]، فلا مرسل له. وهو أبلغ من الإذهاب لما فيه من معنى الأخذ والإمساك.

---

١. في ج: بإبهام.

٢. أي: «ذهب الله بنورهم» يكون بدلاً، فهناك ثلاثة احتمالات لـ«ذهب الله بنورهم»: إمّا جواب «لمّا» أو استئناف أو بدل.

٣. أ: يماسك.

أمّا الأخذ فظاهر، وأمّا الإمساك فلما يقتضيه المصاحبة واللصوق.

قال بعض الفضلاء: وعند العارفين، النكتة فيه غير ما ذكر، فإنّ مجيء الله سبحانه بالنور ليس إلّا بتجلّيه[١] باسم النور على المتجلي له. فهو عند تجلّيه بالنور متلبس به، غير منفصل[٢] عنه. وكذلك ذهابه بالنور ليس إلّا متعلقاً دون هذا التجلي، فهو يذهب مكتسباً بالنور لا منفصلاً عنه. فهو المتلبس بالنور في الحالين، بل هو النور في العلم (والعين لا)[٣] نور سواه.

ثمّ أكّد ذلك، وقرّره بقوله:

﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾﴿١٧﴾: ففيه زيادة على ما يدلّ عليه إذهاب نورهم، من وقوعهم في الظلمة كمّاً وكيفاً. أمّا كمّاً، فلما (في الظلمات من) الجمعية. وأمّا كيفاً، فلما فيها من تنوين التعظيم وإردافها بقوله: «لا يبصرون»، فإنّه يدلّ على أنّها بحيث لا يترائى فيها شبحان.

و«الظلمة»: عدم النور ـ مطلقاً ـ.

وقيل: عما[٤] من شأنه ذلك.

وقال بعض[٥] المتكلّمين: وهي[٦] عرض ينافي النور.

فعلى الأول، التقابل بينهما، تقابل الإيجاب والسلب.

وعلى الثاني، تقابل العدم والملكة.

وعلى الثالث، (تقابل التضاد)[٧] وهي مأخوذة من قولهم: ما ظلمك إن تفعل كذا، أي: ما منعك؛ لأنّها تسدّ البصر، وتمنع الرؤية.

وقرئ «في ظلمة» بالتوحيد. وتوحيدها ظاهر.

---

١. أ: يتجلّيه.
٢. ر: منفعل.
٣. ما بين القوسين ليس في أ.
٤. أ: ما.
٥. أ: من.
٦. في ج: هي.
٧. ما بين القوسين ليس في أ.

وأمّا جمعها، فباعتبار انضمام ظلمة الليل إلى ظلمتي الغمام وتطبيقه مثلاً هذا على[1] تقدير أن يكون ضمير الجماعة، كناية عن المستوقدين، كما هو الظاهر.

وأمّا إذا كان كناية عن المنافقين، فقيل: «ظلماتهم»، ظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلمة يوم القيامة. أو ظلمة الضلال، وظلمة سخط الله، وظلمة العقاب السرمدي.

وقيل: المراد بها على التقديرين: ظلمة شديدة، كأنّها ظلمات متراكمة[2]. فيكون الجمعية ـ أيضاً ـ لزيادتها في الكيف.

وقوله[3]: «لا يبصرون» نزل منزلة اللازم. وقطع النظر عن مفعوله المتروك وقصد إلى نفس الفعل؛ كأنّه قيل: ليس لهم أبصار. وهو أبلغ من أن يقدّر المفعول، أي: لا يبصرون شيئاً؛ لأنّ الأول يستلزم الثاني، دون العكس.

و«ترك» في الأصل بمعنى: خلّىٰ وطرح. وله مفعول واحد.

وقد يضمّن معنى: صيّر، فيقتضي مفعولين. فعلى هذا قوله: «في ظلمات» مفعوله الثاني، وقوله: «لا يبصرون» حال من مفعوله الأول.

ويحتمل أن يترك على معناه الأصلي، ويكون «في ظلمات لا يبصرون» حالين مترادفين، أو متداخلين.

وفي آخر روضة الكافي[4]: بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير الآية، ما مضمونه: أنّه أضاءت الأرض بنور محمّد صلى الله عليه وآله كما تضيء الشمس. فلما قبض الله محمّداً ظهرت الظلمة، فلم يبصروا فضل أهل بيته عليهم السلام.

وفي عيون الأخبار[5]: بإسناده إلى ابراهيم بن أبي محمود، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: «وتركهم في ظلمات لا يبصرون».

فقال: إنّ الله تعالى لا يوصف بالترك، كما يوصف خلقه. ولكنهم[6] متى علم أنّهم

---

١. أ: على هذا.
٢. انظر: أنوار التنزيل، ٢٨/١.
٣. ليس في أ.
٤. الكافي، ٣٧٩/٨.
٥. عيون الأخبار، ١٢٣/١.
٦. المصدر: لكنه.

لا يرجعون عن الكفر والضلالة[١]، منعهم المعاونة واللطف، وخلّى بينهم وبين اختيارهم.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف.

والضمير المحذوف، إن كان كناية عن المستوقدين، فإطلاق هذه الصفات عليهم على سبيل الحقيقة، والمعنى: أنّهم أوقدوا ناراً، ذهب الله بنورهم. وتركهم في ظلمات هائلة أدهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم، فصاروا صمّاً بكماً عمياً.

وإن كان عبارة عن المنافقين، فإطلاقها عليهم على طريقة التشبيه؛ لأنّهم لمّا سدّوا آذانهم عن إصغاء الحق، وألسنتهم عن النطق به، وأبصارهم عن مشاهدة آياته، جعلوا كأنما أيفت[٢] مشاعرهم وانتفت لا على سبيل الاستعارة[٣]، إذ من شرطها أن يطوى ذكر المستعار له، أي: لا يكون مذكوراً على وجه ينبئ عن التشبيه. وهو أن يكون بين طرفيه حمل، أو[٤] ما في معنا. كذا في الكشاف[٥].

قيل: وهنا بحث. وهو أنّه لا نزاع في أنّ تقدير الآية: هم صمّ. لكن مع ذلك ليس المستعار له مذكوراً هاهنا؛ لأنّه أحوال مشاعر المنافقين وحواسّهم لا ذواتهم. ففي هذه الصفات استعارة تبعية مصرحة؛ لأنّها استعير مصادرها لتلك الأحوال، ثمّ اشتقّت هي منها.

أقول: فعلى هذا: «الصمّ» جمع الأصمّ، و«البكم» جمع الأبكم، و«العمي» جمع الأعمى. وقد صرّح به بعض أهل اللغة. فحينئذ ما ذكره بعض المفسرين من أنّ الحمل على سبيل المبالغة في غاية السقوط.

وغاية ما يتكلّف عما في الكشاف، أن يقال: تشبيه ذوات المنافقين بذوات الأشخاص الصمّ متفرّع على تشبيه حالهم بالصمّ. لكن القصد إلى إثبات هذا الفرع

---

١. المصدر: الضلال.

٢. أيفت: أصابتها آفة، فهي مؤوفة.

٣. وإنّما على طريقة التمثيل.

٤. أ: وما.

٥. الكشاف، ٧٥/١.

أقوى وأبلغ إشارة إلى أنّ المشابهة بين الحالين قويت حتى كأنّها تعدّت إلى الذاتين. فحمل الآية على هذا التشبيه إنّما هو لرعاية المبالغة في إثبات الآفة[١]، وإلّا[٢] فمقتضى ظاهر الصناعة الحمل على الاستعارة بتبعيّة المصادر.

وقرئ في الكلّ، بالنصب على الحال، من مفعول «تركهم».

و«الصمم» الانسداد. تقول: قناة صماء: إذا لم تكن مجوّفة. وصممت القارورة: إذا سددتها و«الصمّام» لما تسدّها به. فالأصمّ: من انسدت سامعته، فلا يدخلها هواء يسمع الصوت بتموّجه.

و«البكم» الخرس.

و«العمى» عدم البصر عمّا من شأنه أن يبصر. وقد استعير لعدم البصيرة.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾: يقال: رجع عن كذا إلى كذا. فالمعنى: إنّهم لا يرجعون عن الضلالة التي اشتروها، إلى الهدى الذي باعوه.

فيندفع ما قاله بعض المفسرين من أنّ المراد به[٣]: لا يرجعون إلى الهدى، أو عن الضلالة.

وليعلم أنّ توضيح تمثيل المنافقين بالمستوقدين الموصوفين بما ذكر وتشبيه حالهم العجيبة بحالهم، موقوف على تحقيق طرفي التشبيه ووجه الشبه.

فنقول: أمّا المشبّه به فهو صفة المستوقدين ناراً، كلّما أضاءت ما حولهم من الأماكن والأشياء، أذهب الله[٤] نورهم عند الإضاءة وأمسكه، وتركهم في ظلمات متعددة شديدة أدهشتهم بحيث اختلّت مشاعرهم وقواهم، فهم لا يقدرون على الرجوع إلى ما كانوا عليه من قبل.

وأمّا المشبّه فهو صفة المنافقين الذين إظهارهم الإيمان باللسان بمنزلة إيقاد النار العظيمة وانتفاعهم به، بسلامة الأموال والأولاد وغير ذلك؛ كإضاءتها ما حولهم،

---

١. أ: الآية.
٢. ليس في ج.
٣. ليس في أ.
٤. ليس في أ.

وزوال ذلك الاستنفاع عنهم على القرب بإهلاكهم. أو إفشاء نفاقهم[1] على النبي ﷺ هو ذهاب نورهم وإلقاءهم في أحيان ظهور النفاق والوعيد بالعذاب السرمد، أو الوقوع فيه على مراتبه[2] تركهم في الظلمات المتعددة الشديدة وعدم استعمالهم قواهم فيما خلقت له بمنزلة إخلالها، ورسوخهم وتمكّنهم فيما أوقعهم فيه بما يخالف فطرتهم؛ كعدم القدرة من المستوقدين على الرجوع إلى ما كانوا عليه.

وأمّا وجه الشبه، فإن اعتبرته بين مفردين من مفردات طرفي التشبيه ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ فذلك من قبيل التشبيه المفرد، وهو أن تأخذ أشياء فرادى فتشبهها بأمثالها؛ كقوله:

كأنّ قلوب الطير رطباً ويابساً   لدى وكرها العناب والخشف البالي[3]

وإن اعتبرته بأن تنزع من مفردات أحد الطرفين هيئة اجتماعية واحدانية[4] وشبهتها بهيئة انتزعتها من مفردات الطرف الآخر ـ من غير ملاحظة تفاصيل مفردات الطرفين ومشابهة بعضها مع بعض ـ فذلك من قبيل التشبيه المركّب المسمّى عند أرباب البيان بالتمثيل. وهو الذي يهتمّ به أرباب البلاغة.

وكل كلام يحتملهما فذكرهم الأول احتمال لفظي، ولا مساغ للذهاب إلّا إلى الثاني. وذلك لأنّه يحصل في النفس من تشبيه الهيئة المركبة ما لا يحصل من تشبيه مفرداتها. ولعبد القاهر[5] كلام مشهور، في أنّ اعتبار التركيب في قول الشاعر:

وكأنّ أجرام النجوم لوامعاً   درر نثرن[6] على بساط أزرق

أحقّ وأولى، وإن صحّ التشبيه بين مفرداته.

(وفي روضة الكافي[7]: محمّد بن يعقوب الكليني، قال: حدثني عليّ بن إبراهيم،

---

١. أ: نفاتهم.
٢. في ج: مراتبة.
٣. أنوار التنزيل، ٣١/١.
٤. في ج: وحدانية.
٥. انظر أسرار البلاغة، ١٦٩.
٦. النسخ: نشرن.
٧. الكافي، ٤٠٦/٨.

عن أبيه، عن ابن فضّال، عن حفص المؤذن، عن أبي عبدالله عليه السلام . وعن محمّد بن اسماعيل بن بزيع، عن محمّد بن سنان، عن اسماعيل بن جابر، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال في رسالة طويلة إلى أصحابه: فإنّ ذلك[١] اللسان فيما يكره الله وفيما نهى[٢] عنه مرداة للعبد عند الله، ومقت من الله، وصم وعمي وبكم يورثه الله إيّاه يوم القيامة. فتصيروا[٣] كما قال الله: «صم بكم عمي فهم لا يرجعون»، يعني: لا ينطقون، ولا يؤذن لهم فيعتذرون)[٤].

قال بعض الفضلاء: تأويل الآية ببعض بطونها، أن يقال: مثل المتوسّمين بالإيمان الرسمي كمثل المستوقدين الذين سبق ذكرهم، حيث تنوّرت بواطنهم بارتكاب بعض العبادات في بعض الأوقات، فتنبّهوا[٥] لما في أنفسهم من النقائص[٦] والكمالات، ولم ينفذ فيهم ذلك النور بحيث يتعدّى من معرفة أنفسهم إلى معرفة ربهم، بل تنقص ببعض الغفلات فبقوا متروكين في ظلمات حجب أنيّاتهم[٧]، لا يبصرون ما في الآفاق وما في أنفسهم من لوائح الوحدانية. فهم صمّ عن سماع ما ينطق به دلائلها، بكم لا يسألونه بلسان استعدادهم، عمي لا يرونه ببصر بصيرتهم. فهم لا يرجعون عما هم فيه من أسباب الشقاوة، إلى ما فاتهم من موجبات السعادة.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾: ثمّ ثنّى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر، ليكون تحقيقاً لحالهم بعد كشف، وإيضاحاً غبّ[٨] إيضاح.

وكما يجب على البليغ في مظانّ[٩] الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع، أن يفصّل ويشبع.

---

١. في المصدر وج: ذلق. وهو من قولهم: لسان ذلق؛ أي: فصيح بليغ ذرب. وفي نورالثقلين ج ١، ح ٢٧ ص ٣٧: «زلق» بدل ذلق. وما في المصدر وج هو الأظهر.

٢. المصدر: ينهي.

٣. المصدر: فيصيروا.

٤. ما بين القوسين ليس في أ.

٥. أ: فتسبهروا.

٦. أ: النقايض.

٧. أ: نياتهم.

٨. غِبّ، بمعنى: بَعْدَ.

٩. المظانّ: المراجع التي يشدّ فيها الباحث طَلِبَته.

وهو عطف على قوله: «كمثل الذي استوقد»، أي: مثلهم كمثل الذي استوقد. أو كمثل ذوي صيّب.

وإنّما قدّر كذلك، لتعيين مرجع الضمائر الآتية وتحصيل كمال الملائمة مع المعطوف عليه ومع المشبه ـ أيضاً ـ أعني[1]: مثلهم.

وأمّا نفس التشبيه فلا يقتضي تقدير شيء، إذ لا يلزم في التشبيه المركّب أن يكون ما يلي الكاف هو المشبه به؛ كما في قوله تعالى: «إنّما مثل الحيوة الدنيا، كماء»[2].

ومما ثنّي من التمثيل في التنزيل قوله: «وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات»[3].

و«أو» موضوعة في أصلها للتساوي، ولذلك اشتهرت بأنّها كلمة شك، فتكون مخصوصة بالخبر. ثمّ استعيرت للتساوي في غير الشك، فاستعمل في غير الخبر بالمعنى: المجازي فقط؛ كالتساوي في استصواب المجالسة في قولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين. وفي الخبر بكلا المعنيَين، أعني: الحقيقي الذي هو الشك، والمجازي كالتساوي في الاستقلال بوجه التمثيل كما في هذه الآية. فيستفاد صحة التشبيه بكل واحد[4] من هاتين القصّتين صريحاً وبهما معاً بالطريق الأولى. وهذا بناء على تبادر معنى الشك منه. وهو المفهوم من الكشاف[5].

والمفهوم من المفصّل[6]، أنّ كلمة «أو» لأحد الأمرين. ولا شك أنّ هذا معنى يعمّ مواردها من الإنشاء والإخبار كلها. وأمّا الشك والتشكيك والإبهام والتخيير والإباحة فليس شيء منها داخلاً في مفهومها، بل يستفاد من مواقعها في الكلام.

«والصيّب» فيعل، من الصوب. وهو فرط الانسكاب والوقوع. يقال على المطر وعلى السحاب. والآية يحتملهما.

---

١. أ: أي.
٢. يونس / ٢٤.
٣. فاطر / ١٩ ـ ٢٢.
٤. في ج: واحدة.
٥. الكشاف ج ١، ضمن ص ٧٨ ـ ٨٢.
٦. المفصل في النحو: ١٦٦.

وتنكيره ؛ لأنّه أريد به نوع شديد هائل .

وقرئ «كصائب»، والأول أبلغ .

و«السماء» هو المظلّة . أو جهة العلوّ . وتعريفها للجنس ، للدلالة على أنّ الصيّب منطبق آخذ بآفاق السماء كلها . فإنّ كل أفق ككلّ طبقة منها ، يسمّى سماء . فتعريف الجنس من غير قرينة البعضية يدلّ على أنّه منطبق[1] آخذ بكلها ، لا يختص بسماء دون سماء .

وفي الدلالة على التطبيق إمداد لسائر المبالغات التي في الصيّب ، من جهة مادته الأولى ، أي : الحروف ، فإنّ «الصاد» من المستعلية ، و«الياء»، مشدّدة ، و«الباء» من الشديده . ومادته الثانية : أي : الصوب ، فإنّه فرط الانسكاب كما مرّ .

ومن جهة البناء ، أعني : الصورة ، فإنّ «فيعلا» صفة مشبّهة دالة على الثبوت . ومن جهة التنكير العارض ؛ لأنّه للتهويل والتعظيم ، كتنكير النار في الآية الأولى .

وإذا أريد «بالصيّب» المطر ، فيحتمل أن يراد «بالسماء» السحاب . ويجعل اللام لاستغراق جميع ما يمكن أن يظل قطعة من وجه الأرض ، فإنّه يصلح أن يطلق عليه اسم السحاب .

وإن أريد «بالصيب» السحاب ، وبالسماء ـ أيضاً ـ فالمعنى : هذا النوع من السحاب ، وليس فيه كثير فائدة .

والتمثيل الثاني أبلغ ؛ لأنّه أدلّ على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته . ولذلك أُخّر . وهم يتدرّجون في نحو هذا ، من الأهون إلى الأغلظ .

﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ : بضم الفاء والعين .

وقرئ بفتح اللام وسكونه . جمع ظلمة ، بضم الفاء وسكون العين ، فاعل الظرف لاعتماده على الموصوف .

---

١ . في ج : مطبق .

ومن المتّفق عليه بينهم، أنّ الظرف إذا اعتمد على موصوف أو موصول أو حرف استفهام أو حرف نفي، فإنّه يجوز أن يرفع الظاهر بخلاف ما إذا لم يعتمد، فإنّه لا يجوز إعماله عند سيبويه.

ويجوز في جميع ذلك، أنّ الظرف خبر متقدم على مبتدئه. فعلى هذا يظهر فساد ما قاله البيضاوي[1] من أنّ ارتفاعها بالظرف وفاقاً.

وإن أريد بالصيّب المطر، فظلماته: ظلمة[2] تكاثفه وتتابع قطراته، لأنّ تقارب القطرات ومتابعتها يقتضي قلة الهواء المتخلّل المنير، وظلمة أظلام غمامه، وظلمة الليل المستفادة من قوله: «كلّما أضاء لهم». والمراد بها ما يتوزّع على الأجرام من ظلمته، لاظلمته كلّها، حتى يرد أنّ المطر في ظلمة، لاظلمة الليل فيه. ولا شك أنّ نسبة الظلمة المتوزّعة عليه كنسبة العرض إلى موضوعه والصفة إلى موصوفها، فيصحّ انتسابها[3] إليه.

وإن أريد به السحاب، فظلماته: ظلمة سحمته[4]، أي: سواده المسبّب عن تراكمه وكثرة مائه، وظلمة تطبيقه وإحاطته بجميع الآفاق، وظلمة الليل.

وعلى ما حقّقناه يندفع ما قاله بعض المفسرين من أنّ الظرفية هنا باعتبار الملابسة؛ لأنّه يكون بناء عليه انتساب الظرف إلى مظروفه بقي جائزاً، وهو غير جائز.

﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾: «الرعد» من الرعدة ـ بالكسر ـ وهو صوت يسمع من السحاب. وسببها ـ على المشهور ـ اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها إذا ساقتها الريح.

«والبرق» الأحسن فيه أن يكون معطوفاً على «رعد»، ويكون المجموع معطوفاً على «الظلمات» بعاطف واحد، من برق الشيء بريقاً: إذا لمع. وهو ما يلمع من السحاب بواسطة اصطكاكها.

---

١. أنوار التنزيل، ١/٢٩.

٢. أ: ظلمات.

٣. في ج: بانتصابها.

٤. أ: سحنه. المتن: سحبته.

وقيل[١]: «الرعد» ملك موكّل بالسحاب، يسبّح.

وقيل[٢]: صوت ملك يزجر السحاب.

وقيل[٣]: هو ريح تحتبس تحت السماء.

(وفي مجمع البيان[٤]: وقيل: «الرعد» هو ملك موكّل بالسحاب، يسبّح. وهو[٥] المروي عن أئمتنا عليهم السلام.

وفي من لا يحضره الفقيه[٦]: وقال علي[٧] عليه السلام: «الرعد» صوت الملك. و«البرق» سوطه.

وروي[٨]: أنّ الرعد صوت ملك أكبر من الذباب، وأصغر من الزنبور.

وسأل أبو بصير[٩] أبا عبدالله عليه السلام عن الرعد، أيّ شيء يقول؟

قال: إنّه بمنزلة الرجل يكون في الإبل، فيزجرها: هاي هاي، كهيئة ذلك.

قال: قلت: جعلت فداك! فما حال البرق؟

قال[١٠]: تلك مخاريق الملائكة تضرب[١١] السحاب. فتسوقه إلى الموضع الذي قضى الله عزّ وجلّ فيه المطر)[١٢].

ولم يجمعا[١٣] كالظلمات، لمصدريّتهما في الأصل.

ويحتمل أن يكون المراد بهما معنييهما المصدرين[١٤] ـ أيضاً ـ أعني: الإرعاد

---

١. مجمع البيان، ٥٧/١.
٢. نفس المصدر.
٣. نفس المصدر.
٤. نفس المصدر.
٥. المصدر: روي ذلك عن ابن عبّاس ومجاهد وهو ....
٦. من لايحضره الفقيه، ٥٢٦.
٧. ليس في المصدر. والحديث الذى قبله عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨. نفس المصدر، ٥٢٦.
٩. نفس المصدر، ٥٢٥.
١٠. المصدر: فقال.
١١. ر، المتن وج: لضرب. وفي المصدر: تضرب.
١٢. ما بين القوسين ليس في أ.
١٣. أي: الرعد والبرق.
١٤. أ: المصدرية. وج المصدرين.

والإبراق، ولأنّهما ليسا أنواعاً مختلفة بالنظر إلى أسبابهما[١] كالظلمة.

وكينونتهما في السحاب ظاهرة، وأمّا في المطر فلأنّهما لمّا كانا في محلّ يتصل به أعلاه ومصبّه ـ أعني: السحاب ـ جعلا كأنّهما فيه، أو لأنّ المطر كما ينزل من أسفل السحاب، ينزل من أعلاه ـ أيضاً ـ فهو شامل للفضاء[٢] الذي فيه السحاب، فهما في جزء من المطر يتصل بالسحاب.

وإنّما جاءت الأشياء نكرة؛ لأنّ المراد أنواع منها. كأنّه قيل: فيه ظلمات داجية[٣]، ورعد قاصف[٤]، وبرق خاطف.

والأصل في كلمة «في» أن تستعمل[٥] في ظرفية[٦] الأجسام للأجسام. ثمّ اتسع فيها، فاستعمل في ظرفية الزمان للأحداث، ولمحلّية المعروضات لأعراضها، والموصوفات لصفاتها إلى غير ذلك.

﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾: الضمائر ترجع إلى أصحاب «الصيّب». ولفظ «الأصحاب» وإن حُذف وأقيم «الصيّب» مقامه، لكن معناه باق، فيجوز أن يعوّل عليه.

وهو استئناف لا محل له من الإعراب. فكأنّه لمّا ذكر ما يؤذن بالشدة والهول، قيل: فكيف حالهم مع ذلك؟ فأجيب: بأنهم يجعلون أصابعهم في آذانهم[٧].

فإن قلت: الجواب ـ حينئذ ـ لا يكون مطابقاً للسؤال. فإنّه بيّن ـ حينئذ ـ حالهم مع الصواعق دون الرعد.

قلت: لمّا كانت الصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار، كان الجواب مطابقاً؛ كأنّه قيل: يجعلون أصابعهم في آذانهم من شدة صوت الرعد، وانقضاض قطعة نار معها.

---

١. في غير أ وج: أسبابها.
٢. أ: للقضاء.
٣. أ وج: واجية، المتن: داجينة.
٤. أ: فاصف.
٥. أ: يستعمل.
٦. أ: طرفيه.
٧. أنوار التنزيل، ٢٩/١.

ويحتمل أن يكون حالاً من المضاف إلى الصيّب المحذوف[١].

«وجعل» جاء متعدّياً إلى مفعولين، نحو: جعلت الطين خزفاً، أي: صيّرت. وإلى مفعول واحد، كقوله: «وجعل الظلمات والنور»[٢]، أي: صنع. وبمعنى التسمية، كقوله: «وجعلوا لله أنداداً»[٣]، أي: سمّوا له. وبمعنى أفعال المقاربة، نحو، جعل زيد يفعل.

واليد تتجزّأ[٤] إلى الأنملة والإصبع والكف والساعد والعضد. والمتعين منها لسد الآذان أنملة السبابة. فإطلاق الأصابع موضع الأنامل ـ بل بعضها ـ من اتساعات اللغة.

والنكتة المبالغة التي ليس في ذكر الأنامل وبعضها، وهي أنّهم لشدة الأمر عليهم وخوفهم من تقصيف الرعد يجعلون أصابعهم بالكلية في آذانهم لئلا يسمعوه أصلاً، أو لفرط دهشتهم وحيرتهم يفعلون ذلك ولا يدرون ما يفعلون.

وعدم تخصيص ما هو متعيّن لسدّ الآذان من الأصابع ـ أعني السبابة ـ للإشارة إلى أنّه لم يبق لهم من فرط الدهشة والحيرة قوة التمييز[٥] بينها[٦]. أو لما في السبابة من معنى السبّ. ولذلك استكرهوها، فكنوا عنها بالمسبّحة والسبّاحة وغيرهما طوى ذكرها، إذ لم يكن لها اسم وراءها يتعارفه الناس في ذلك العهد.

﴿مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾: متعلق بـ«يجعلون».

ولفظة «من» في أمثال ذلك ابتدائية على سبيل العلّية. فيقال: قعد من الجبن. وقد يكون ما بعدها غرضاً مطلوباً ممّا وقع قبله إذا صرّح بما يدلّ على ذلك، كقولك: ضربت من أجل التأديب. بخلاف «اللام» فإنّها وحدها يستعمل في كل منهما. ويشاركهما في التعليل «في»، كما في قوله ﷺ: إنّ امرأة دخلت النار في هرة ربطتها، ولم تدعها حتى تأكل من حشاش[٧] الأرض.

---

١. أي: وجملة «يجعلون... الخ» يحتمل أن تكون حالاً من المضاف إلى الصيّب المحذوف، أي: أصحاب الصيّب.

٢. الأنعام / ١.

٣. ابراهيم / ٣٠.

٤. أ: تنحرى.

٥. في ج: التميّز.

٦. أ وج: بينهما.

٧. أ: حشاس.

و«الصواعق» جمع الصاعقة. وهي قصفة رعد، أي: شدة صوت منه ينقض معها شقة، أي: قطعة من نار. وهي في الأصل إمّا صفة لقصفة[١] الرعد والتاء للتأنيث، أو للرعد والتاء للمبالغة، كما في الراوية، أو مصدر كالعافية والكاذبة.

وقرئ «من الصواقع»، وليس بقلب من الصواعق؛ لأنّ كلّاً من البنائين سواء في التصرف يبنى على كل منها كثير من الأمثلة. تقول: صقع الديك: إذا صاح. وسقعه[٢] على رأسه، وصقع رأسه، أي: ضرب صوقعته؛ وهي موضع البياض في وسط الرأس. وخطيب مصقع، أي: مجهر ـ بكسر الميم ـ. وهو الذي من عادته أن يجهر بكلامه.

أقول: الصاعقة والصاقعة، إذا كانتا اسمي صفتين فجمعهما على الفواعل[٣] مطرد. وأمّا إذا كانتا مصدرين، فلا. لكن ذلك شيء ذكره صاحب الكشاف والبيضاوي.

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: وقرأ ابن أبي ليلى: «حذار الموت».

فقد جاء حذر، يحذر، حذار[٤] وحذاراً، منصوب على أنّه مفعول له لـ«يجعلون». فهو علة للجعل المعلل، أي: جعلهم أصابعهم في آذانهم[٥] لأجل الصواعق، واقع لأجل الحذر من الموت المتوهَّم لشدة الصوت.

و«الموت» عدم الحياة عما من شأنه ذلك. فالتقابل بينه وبين الحياة تقابل العدم والملكة.

وقيل: عرض يمنع الاحساس، يعرض عقيب الحياة، أي: لا يجمعها، فيكون التقابل بينهما تقابل التضاد. واستدل عليه بقوله تعالى: «خلق الموت والحيوة»[٦]، فإنّ الخلق والإيجاد لا يتعلق إلّا بالأمور الوجودية.

وأجيب: بأنّ المقصود من الخلق التقدير، ولو سلم فالعدم يمكن أن يخلق باعتبار استمراره. ولو سلم فالذي لا يخلق هو العدم، بمعنى السلب، والموت ليس كذلك كما مرّ.

---

١. أ: لفصقة.
٢. في ج: وصقعه.
٣. أ: القوابل.
٤. في ج: حذراً.
٥. انظر تفسير البحر المحيط، ٨٧/١.
٦. الملك/ ٢.

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾﴿١٩﴾: أمال أبو عَمرو الكاف من «الكافرين» في موضع الخفض والنصب. وروي ذلك عن الكسائي. والباقون لا يميلون.

ووجه حسنه لزوم كسرة الراء التي تجري مجرى الكسرتين، بعد الفاء المكسورة.

وتلك اعتراضية، لا محلّ لها من الإعراب[١].

وفائدتها، أنّ المحذر عن الموت لايفيد.

ووضع «الكافرين» موضع المضمر، للدلالة على أنّ أصحاب الصيّب كفار، ليظهر استحقاقهم شدّة الأمر.

وقيل: هذه المعترضة لبيان أحوال المشبّه، على أنّ المراد «بالكافرين»: المنافقون، دلّ بها على أنّهم لا مدفع لهم من[٢] عذاب الله في الدنيا والآخرة. ووسطت بين أحوال المشبه به، مع أنّ القياس يقتضي تقديمها أو تأخيرها، تنبيهاً على شدّة الاتصال بين المشبّه والمشبّه به، ودلالة على فرط الاهتمام بشأن المشبّه.

وإحاطة الله مجاز. فإن شبّه[٣] شمول قدرته تعالى بإحاطة المحيط (بما أحاط به في امتناع فوات[٤]، كان هناك استعارة تبعية في الصفة سارية إليها من مصدرها. وإن شبه حاله تعالى معهم بحال المحيط)[٥] مع المحاط ـ أي: شبه[٦] هيئة منتزعة من عدة أمور بأخرى مثلها ـ كان هناك استعارة تمثيلية[٧] لا تصرّف في[٨] شيء من ألفاظ مفرداتها. إلّا أنّه لم يصرّح منها إلّا بلفظ ما هو العمدة في الهيئة المشبه بها ـ أعني: الإحاطة ـ والبواقي من الألفاظ منوية[٩] في الإرادة.

وإحاطة الله سبحانه، عند الصوفية بالكافرين، بل بالموجودات كلّها، عبارة عن تجلّيه بصور الموجودات. فهو سبحانه بأحدية جميع أسمائه سار في الموجودات

---

١. أي: وجملة «والله محيط بالكافرين» اعتراضيّة.... الخ.

٢. ر: عن.

٣. في ج: مشبه.

٤. في ج: الفوات.

٥. ليس في أ.

٦. في ج: شبهه.

٧. أ: تبعية تمثيلية.

٨. ليس في أ.

٩. في ج: معنوية.

كلّها ذاتاً وعلماً وقدرة إلى غير ذلك من الصفات. والمراد بإحاطته تعالى، هذه السراية، أنّه لا يعزب[١] عنه مثقال[٢] ذرة في السماوات والأرض، إذ كل ما يعزب[٣] عنه يلتحق بالعدم.

وقالوا: هذه الإحاطة ليست كإحاطة الظرف بالمظروف، ولا كإحاطة الكل بأجزائه، ولا كإحاطة الكلي بجزئياته، بل كإحاطة الملزوم بلوازمه. فإنّ التعيّنات اللاحقة لذاته المطلقة إنّما هي لوازم له بواسطة أو بغير واسطة. وبشرط أو بغير شرط. ولا يقدح كثرة اللوازم في وحدة الملزوم، ولا تنافيها.

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾: استئناف ثان، كأنّه قيل: ما حالهم مع تلك الصواعق؟ فأجيب[٤].

و«يكاد» مضارع كاد. وهو من كدت، تكاد، كيداً ومكادة. وحكى الأصمعي: كوداً. فيكون كخفت، تخاف، خوفاً. والأول أشهر.

و«كاد» من أفعال المقاربة، وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه، لكنه لم يوجد إمّا لفقد شرط أو لعروض مانع. والشرط في خبره أن يكون فعلاً مضارعاً بدون «ان»، وقد يكون معها بخلاف «عسى» فإنّه لرجائه وقد يدخل على خبرها «ان».

وقرئ «يخطِف» بكسر الطاء، «يختطف» و«يخطف» بفتح الياء والخاء، وأصله يختطف، نقلت حركة التاء إلى الخاء، ثمّ أدغمت في الطاء. و«يخطف» بكسرهما بحذف حركة التاء[٥] للإدغام، وبتحريك الخاء بالكسر إمّا لالتقاء الساكنين، وإمّا لمتابعة الطاء، ويجعل حرف المضارعة تابعاً للخاء.

و«يخطف» مضارع خطف، من باب التفعيل. و«يتخطّف» مضارع تخطّف، من باب التفعّل.

---

١. ر: يغرب.
٢. ليس في أ.
٣. ر: يغرب.
٤. انظر أنوار التنزيل، ١/٣٠.
٥. في ج: الطاء.

﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾: استئناف ثالث. جواب لمن يقول: كيف يصنعون عند خفوق[1] البرق وخفيه[2]؟[3]

وكلمة «كل» في «كلما» منصوب على الظرفية باتفاق. وناصبها الفعل الذي هو جوابها ـ أعني: «مشوا» ـ وإفادتها الظرفية من جهة «ما»، فإنّها[4] محتملة لوجهين:

أحدهما: أن يكون حرفاً مصدرياً، والجملة صلة له، فلا محلّ لها. فالأصل: كل وقت اضاءته. ثمّ عبّر عن المصدر «بما» والفعل، ثمّ أنيبا[5] عن الزمان بتقدير «الوقت».

والثاني: أن يكون اسماً نكرة، بمعنى: وقت. فلايحتاج على هذا إلى تقدير «وقت»، والجملة بعده في موضع خفض على الصفة، فيحتاج إلى تقدير عائد فيها[6]، أي: كل وقت أضاء لهم البرق فيه. هكذا قيل.

وأقول: «ما» المصدرية قسمان: مصدرية صرفة ومصدرية ظرفية. وكلمة «ما» المركبة مع «كل» مصدرية ظرفية. فعلى هذا لاحاجة إلى تقدير، ولا إلى حذف عائد.

و«أضاء» إمّا متعدّ والمفعول محذوف. والتقدير: كلما أضاء طريقاً لهم مشوا فيه. وضمير «فيه» حينئذ، إمّا عائد إلى المفعول المحذوف ـ وإليه ذهب المبرّد ـ أو إلى «البرق» ـ وعليه الجمهور ـ.

وإمّا لازم، بمعنى: كلّما لمع لهم مشوا فيه. ويتعين عود الضمير إليه. وإذا عاد الضمير إلى «البرق» ـ على التقديرين ـ فلابدّ في الظرفية من[7] تقدير مضاف، أي: في ضوئه.

---

١. أ: خطوف.

٢. أ: خفية. وج: وخفيفه. والصحيح: خفيفة؛ أي: استتاره.

٣. أنوار التنزيل، ٣٠/١.

٤. أ: فاتها.

٥. أ: أبينا.

٦. أ: منها.

٧. أ: فلابد من في الظرفية تقدير مضاف.

وكذلك «أظلم» إمّا لازم أو متعدٍ من ظلم الليل ـ بالكسر ـ ويؤيده قراءة: «أظلم» على البناء للمفعول.

ورُدّ باحتمال أن يكون «عليهم» قائماً مقام الفاعل. فيكون تعدية «أظلم» بـ«على»، لا بنفسه.

وأجيب بأنّ (عليهم)[1] أن يقابل «لهم»، في «أضاء لهم»، فإن جُعلا مستقرين، لم يصلح «عليهم» لأن يقوم مقام الفاعل. وإن جعلا صلتين للفعل، على تضمين معنى النفع والضر[2]، لم[3] يصلح «عليهم» لأن يقوم مقام فاعل المضمن ولا المضمن فيه. وعلى تقدير صلوحه، فعطف «إذا أظلم» على «كلما أضاء» مع كونها جواباً للسؤال عما يضعون[4] في تارتي خفوق[5] البرق. وخفيته[6] يقتضي أن يكون «أظلم» مسند إلى ضمير «البرق»؛ كأضاء، على معنى: كلما نفعهم البرق بإضاءته[7] افترضوه، وإذا ضرّهم بإضلامه واختفائه دهشوا.

وقد يجاب ـ أيضاً ـ: بأنّ بناء الفعل للمفعول من المتعدي بنفسه أكثر، فالحمل عليه أولى وأنسب. وإنّما قال في الإضاءة: «كلما»، وفي الإظلام: «إذا»؛ لأنّهم حرّاص على المشي. فكلّما صادفوا منه[8] فرصة انتهزوها، ولا كذلك التوقف.

ومعنى «قاموا»: وقفوا. بدليل وقوعه في مقابلة «مشوا»، ومنه: قام الماء جمد. وقام السوق: إذا كسد وسكن[9]. وقد مرّ استعماله بمعنى نفق: مأخوذاً من القيام، بمعنى: الانتصاب. فهو من الأضداد.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾: معطوفة إمّا على الجملة الاستئنافية

---

١. ليس في ج.
٢. أ: الضرر.
٣. كذا في ج وهو الصحيح. وفي النسخ «ولم».
٤. ر: يصنعون.
٥. أ: حقوق.
٦. أ: خفية.
٧. أ وج: بإضاءة.
٨. ليس في أ.
٩. في أنوار التنزيل ٣٠/١: إذا جمده وقامت السوق: إذا ركدت.

ـ أعني: «يجعلون» ـ وإمّا على[1] جملة «كلما أضاء لهم مشوا فيه».

وكلمة «لو» عند المحققين، يدلّ[2] على ثلاثة أمور: عقد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها، وكونهما في الماضي وانتفاء السبب. ولا دلالة لها على امتناع الجواب. ولكنه إن كان مساوياً للشرط في الواقع، أو عند المتكلم ـ كما في قولك: لو كانت الشمس طالعة، لكان النهار موجوداً. وقولك: لو جئتني، لأكرمتك ـ لزم انتفاؤه. وإن كان أعمّ ـ كما في قولك: لو كانت الشمس طالعة، لكان الضوء موجوداً ـ فلا.

وإنّما يلزم انتفاء القدر المساوي منه للشرط، يعني: الضوء المستفاد من الطلوع في المثال المذكور مثلاً. ثمّ إنّه يحتمل أن يكون المقصود هنا بيان[3] مسببية[4] ذهاب سمعهم وبصرهم لمشية الحق سبحانه، كما هو شأن الحوادث كلها، لا الدلالة على انتفاء أحدهما لانتفاء الآخر. فلذلك قال بعضهم: «لو» هنا مستعمل لربط جزائها بشرطها، مجردة عن الدلالة على انتفاء أحدهما لانتفاء الآخر، فهو بمنزلة «إن».

وقد يقال: أنّها باقية على أصلها، وقصد بها التنبيه على أنّ مشقّتهم بسبب الرعد والبرق وصلت غايتها وقاربت إزالة الحواس، بحيث لو تعلّقت بها المشيّة لأزالت بلاحاجة إلى زيادة في وصف الرعد وضوء البرق، كما ذكر أوّلاً.

والنكتة في اختيار «ذهب بسمعهم وأبصارهم» على «أذهب سمعهم وأبصارهم» قد مرّ بيانها في «ذهب الله بنورهم».

والمعنى: لو شاء الله أن يذهب بسمعهم بشدة صوت الرعد، وأبصارهم بقوة لمعان البرق لذهب بهما. فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه. ولهذا تكاثر حذف المفعول في «شاء» و«أراد» ومتصرّفاتهما إذا وقعتا في حيز[5] الشرط، لدلالة الجواب على ذلك المحذوف ومع[6] وقوعه في محله لفظاً، ولأنّ في ذلك نوعاً من التفسير بعد

---

١. ليس في أ.

٢. أ، المتن: بدل.

٣. ليس في أ.

٤. أ: مسببة.

٥. أ: خبر.

٦. كذا في ج وهو الأظهر. وفي النسخ: ومع.

الإبهام. إلّا في الشيء المستغرب فإنّه لا يكتفي فيه بدلالة الجواب عليه، بل يصرّح به إغناء بتعيينه ودفعاً لذهاب الوهم إلى غيره، بناء على استبعاد تعلّق الفعل به واستغرابه، كقوله:

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيته ... عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وقرئ: «لأذهب بسمعهم وأبصارهم»، بزيادة الباء، كقوله تعالى[1]: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»[2].

﴿إِنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٠): تقرير لما قبلها.

و«الشيء» يختص بالموجود في الأصل[3]. مصدر شاء، أطلق بمعنى شاءٍ[4] تارة، وحينئذ يتناول الباري، كما قال: «أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد»[5]. وبمعنى مشيء أخرى[6]، أي: مشيء وجوده. وما شاء الله وجوده، فهو موجود في الجملة.

قال المعتزلة: الشيء ما يصح أن يعلم ويخبر عنه[7].

وقيل: والشيئة[8] على قسمين: ثبوتية (وهي ثبوت)[9] المعلومات في علم الله تعالى، متميّزاً بعضها عن بعض.

وهي[10] على ثلاثة أقسام.

أحدها: ما يجب وجوده في العين، كذات الواجب.

وثانيها: ما يمكن بروزه من العلم إلى العين، وهو الممكنات.

وثالثها: ما لايمكن، وهو الممتنعات.

والثبوتية في الأول والثالث باعتبار الوجود العلمي، وفي الثاني باعتباره.

---

١. البقرة / ١٩٥.
٢. أنوار التنزيل، ٣٠/١.
٣. في أنوار التنزيل: لأنّه في الأصل. وهو الأظهر.
٤. أي: بمعنى اسم فاعل.
٥. الأنعام / ٩.
٦. أي: بمعنى اسم مفعول أخرى.
٧. أنوار التنزيل، ٣٠/١.
٨. ر: الشيئية.
٩. ما بين القوسين ليس في أ.
١٠. أ: وهو.

وباعتبار الثبوت العيني ـ أيضاً ـ فإنّهم قسّموا الكون في الخارج إلى ما يترتّب عليه الآثار الخارجية، وسمّوه وجوداً عينياً، وما لا يترتّب عليه الآثار الخارجية سمّوه ثبوتاً خارجياً.

ومتعلق قدرة الله من تلك الأقسام هو الثاني، دون الأول والثالث. ومشيّة وجودها هي وجودها خارج العلم. والموجودات الخارجية من حيث تعلّق القدرة بإخراجها من العلم إلى العين لا يتعلّق بها قدرة أخرى، لاستحالة تحصيل الحاصل. فإن تعلّقت قدرة بها، فباعتبار إعدامها. فذات الواجب تعالى وصفاته والممتنعات والموجودات الممكنة، من حيث أنّها تعلقت القدرة بها، مستثناة ـ عقلاً ـ من الحكم على الله تعالى بأنّه على كل شيء قدير.

و«القدرة» في اللغة: التمكّن.

وقدرة الله[1] عند الحكيم، بمعنى: إنّه إن شاء فعل، وإن لم يشأ لم يفعل. لكن شاء، ففعل بالمشيّة القديمة. وحاصله إمكان الفعل والترك بالنظر إلى الذات، ووجوب الفعل وامتناع الترك بالنظر إلى الإرادة.

وعند الأشاعرة: صفة يقتضي التمكّن.

وقيل[2]: قدرة الانسان هيئة بها يتمكّن من الفعل. وقدرة الله نفي العجز عنه. والقدير: الفعّال لما يشاء. ولذلك قلّما يوصف به غير الباري تعالى. وإنّما سُمّي القدير قديراً؛ لأنّه يوقع الفعل على مقدار قوّته، أو على مقدار ما يقتضيه مشيّته، أو على مقدار علمه.

وعلى ما حقّقنا في الآية دليل على أنّ الحادث حال حدوثه، والممكن حال بقائه، مقدوران. وأنّ مقدور العبد مقدور الله؛ لأنّه شيء، وكلّ شيء مقدور. وهذا التمثيل كالتمثيل الأول، يحتمل أن يكون من قبيل تشبيه المفرد، وأن يكون من قبيل تشبيه

---

١. في ج: العقل.

٢. أنوار التنزيل، ١/٣١.

المركّب. فشبّه على الأول ذوات المنافقين بأصحاب الصيّب في اشتمال كلّ منهما على أمر كثير النفع، وشبّه إسلام المنافقين من حيث مطلق الأقسام لا من حيث أنّه مضاف إليهم بالصيّب، في أنّ كل واحد منهما سبب للحياة.

فالأول سبب لحياة القلوب. والثاني سبب لحياة الأرض.

وشبّهت شبههم التي يتمسّكون بها في الاستمرار على كفرهم ونفاقهم بالظلمات، ووعدهم[١] في الظاهر على إسلامهم بالرعد فإنّه صياح بلا طائل، ووعيدهم في نفس الأمر بالبرق فإنّه نار محرقة، وما يصيبهم من الأفزاع والبلايا من جهة المسلمين بالصواعق، وإظهارهم الإيمان حذراً عن إصابة هذه المصيبات بجعل[٢] الأصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت، واحتيازهم لما يلمع لهم وشديد ركونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلّما أضاء لهم، وتحيّرهم وتوقّفهم من الأمر حين يعنّ لهم مصيبة بتوقّفهم إذا أظلم عليهم.

وشبّه على الثاني، ما وقع المنافقون فيه من الضلالة، وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة، بحال من أخذتهم السماء في ليلة تكاثف ظلمتها بتراكم السحب واتصال قطراتها، وتواتر فيها الرعود الهائلة والبروق المخفية والصواعق المهلكة، وهم في أثناء ذلك يزاولون غمرات الموت.

ولا شكّ أنّك إذا تصوّرت حالهم بهذه المثابة، حصل في نفسك هيئة عجيبة توصلك إلى معرفة حال المنافقين على وجه يتقاصر عنه تشبيهك إسلام المنافقين والشبهات.

(وفي كتاب التوحيد[٣]: بإسناده إلى أبي هاشم الجعفري، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام حديث طويل، وفيه يقول عليه السلام: قولك إنّ الله قدير، خبّرت أنّه لا يعجزه شيء، فنفيت بالكلمة العجز، وجعلت العجز سواه.

---

١. أ، ر: ورعدهم.

٢. أ: يجعل.

٣. التوحيد، ١٩٣.

وبإسناده[١] إلى أبي بصير، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لم يزل الله عزّ وجلّ ربنا، والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور. فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم، وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور.

وبإسناده[٢] إلى محمّد بن أبي إسحاق الخفّاف، قال: حدثني عدّة من أصحابنا: أنّ عبدالله الديصاني أتى هشام بن الحكم، فقال له: ألك رب؟

فقال: بلى.

قال: قادر؟

قال: نعم، قادر قاهر.

قال: يقدر أن يدخل الدنيا كلها في البيضة، لا تكبر البيضة ولا تصغر[٣] الدنيا؟

فقال هشام: النظرة.

فقال له: قد أنظرتك حولاً.

ثمّ خرج عنه، فركب هشام إلى أبي عبدالله عليه السلام فاستأذن عليه، فأذن له. فقال له: يا ابن رسول الله! أتاني عبدالله الديصاني بمسألة، ليس المعوّل فيها إلّا على الله وعليك.

فقال له أبو عبدالله عليه السلام: عما [ذا][٤] سألك؟

فقال: قال لي كيت وكيت.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: يا هشام! كم حواسّك؟

قال: خمس.

قال[٥]: أيها أصغر؟

قال[٦]: الناظر.

---

١. نفس المصدر ١٣٩، ح ١ وله تتمة.

٢. نفس المصدر: ١٢٢.

٣. المصدر: يصغر.

٤. من المصدر.

٥. المصدر: فقال.

٦. المصدر: فقال.

قال[١]: وكم قدر الناظر ؟

قال: مثل العدسة، أو أقلّ منها.

فقال له[٢]: يا هشام! فانظر أمامك وفوقك. فأخبرني بما ترى ؟

فقال: أرى سماء وأرضاً ودوراً وقصوراً وتراباً وجبالاً وأنهاراً.

فقال له أبو عبدالله عليه السلام: إنّ الذي قدر أن يدخل الذى تراه العدسة أو أقلّ منها، قادر أن يدخل الدنيا كلها البيضة، لا تصغر[٣] الدنيا ولاتكبر[٤] البيضة.

فانكبّ هشام عليه وقبّل يديه ورجليه[٥]، وقال: حسبي، يا ابن رسول الله ـ والحديث طويل ـ، أخذت منه موضع الحاجة.

وبإسناده[٦] إلى ابن[٧] أبي عمير، عمن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ ابليس قال لعيسى بن مريم عليه السلام: أيقدر ربك على أن يدخل الأرض بيضةً، لا تصغر الأرض ولا تكبر البيضة ؟

فقال عيسى عليه السلام: ويلك! إنّ الله تعالى لا يوصف بعجز، ومن أقدر ممّن يلطّف الأرض ويعظّم البيضة ؟

وبإسناده[٨] إلى عمر بن أذينة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قيل لأميرالمؤمنين عليه السلام: هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة، من غير أن تصغر[٩] الدنيا أو تكبر[١٠] البيضة ؟

قال: إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ لا يُنسَب إلى العجز، والذي سألتني لا يكون.

وبإسناده[١١] إلى أبان بن عثمان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء رجل إلى

---

١. المصدر: فقال.
٢. ليس في المصدر.
٣. المصدر: يصغر.
٤. المصدر: يكبر.
٥. في المصدر وج: يديه ورأسه ورجليه.
٦. نفس المصدر ١٢٧، ح ٥.
٧. المصدر: محمّد بن.
٨. نفس المصدر، ح ٩.
٩. المصدر: يصغر.
١٠. المصدر: يكبر.
١١. نفس المصدر، ح ١٠.

أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: أيقدر الله أن يدخل الأرض في بـيضة، ولا تـصغر[1] الأرض ولا تكبر البيضة؟

فقال له[2]: ويلك! إنّ الله لا يوصف بالعجز. ومن أقدر ممن يلطّف الأرض ويعظّم البيضة؟

وبإسناده[3] إلى أحمد بن محمّد بن أبي نصر، قال: جاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال له: هل يقدر ربك أن يجعل السماوات والأرض وما بينهما في [بيضة؟

قال: نعم، وفي أصغر من البيضة. وقد جعلها في عينك، وهو أقل من البيضة؛ لأنّك إذا فتحتها عاينت السماء والأرض وما بينهما][4] فلو شاء لأعماك عنها)[5].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾: لمّا عدّد فرق المكلفين وذكر خواصهم [ومصارف أمورهم][6]، أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات، تنشيطاً للسامع وتفخيماً لشأن العبادة.

و«يا» حرف وضع لنداء البعيد. وقد ينادى بها القريب، تنزيلاً له منزلة البعيد، إمّا لعظمته، أو لغفلته، أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحثّ عليه[7].

وإنّما قال «ربكم» تنبيهاً على أنّ الموجب القريب للعبادة هي التربية.

(وفي تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي[8] قال: حدثني عبيد بن كثير، قال: حـدثنا أحمد بن صبيح، عن الحسين بن علوان، عن جعفر، عن أبيه، عن جده، عن عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام قال: قام رجل إلى علي فقال: يا أميرالمؤمنين! أخبرنا عن الناس، وأشباه الناس، والنسناس.

---

١. المصدر: يصغر.
٢. ليس في المصدر.
٣. نفس المصدر، ح ١١.
٤. مابين المعقوفتين ليس في ج.
٥. ما بين القوسين ليس في أ.
٦. من المصدر (أنوار التنزيل).
٧. أنوار التنزيل، ٣١/١.
٨. تفسير فرات، ٦٤.

قال: فقال [علي عليه السلام][1]: يا حسن! أجبه[2].

قال[3]: فقال له الحسن عليه السلام: سألت عن الناس، فرسول الله صلى الله عليه وآله الناس؛ لأنّ الله يقول[4]: «ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس» ونحن منه. وسألت عن أشباه الناس فهم شيعتنا، وهم منّا وهم أشباهنا[5]. وسألت عن النسناس، وهم هذا السواد الأعظم. وهو قول الله تعالى[6]: «إن هم إلّا كالأنعام، بل هم أضلّ سبيلاً».

وفي عيون الأخبار[7]، فيما ذكره الفضل بن شاذان من العلل، عن الرضا عليه السلام أنّه قال: فإن قال فلم يعبدونه؟[8]

قيل: لئلا يكونوا ناسين لذكره، ولا تاركين لأدبه، ولا لاهين عن أمره ونهيه، إذا كان فيه صلاحهم وقوامهم. فلو تركوا بغير تعبد، لطال عليهم الأمد، فقست قلوبهم.

وفي كتاب التوحيد[9]، خطبة للرضا عليه السلام يقول فيها: أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيد الله نفي الصفات عنه، بشهادة[10] العقول أنّ كل صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كل مخلوق أنّ له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، [وشهادة كل صفة وموصوف][11] بالاقتران بالحدث[12]، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث.

وفي أصول الكافي[13]: عليّ بن ابراهيم، عن العبّاس بن معروف، عن عبدالرحمن ابن أبي نجران، قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام[14] وقلت له: جعلني الله فداك، نعبد الرحمن الرحيم الواحد الأحد الصمد.

---

١. من المصدر.

٢. المصدر: أجبه يا حسن!

٣. ليس في المصدر.

٤. البقرة / ١٩٩.

٥. المصدر: أشباحنا.

٦. الفرقان / ٤٤. في ج: أولئك كالأنعام ... الخ اشارة إلى آية ١٧٩ من سورة الأعراف.

٧. عيون الأخبار، ١٠٣/٢.

٨. المصدر: تعبدهم.

٩. التوحيد، ٣٤.

١٠. المصدر: لشهادة.

١١. من المصدر.

١٢. المصدر: بالحدث وشهادة الاقتران بالحدث.

١٣. الكافي ٨٧/١ـ٨٨، ح ٣.

١٤. المصدر: أو.

قال: فقال: إنّ من عبد الاسم دون المسمى بالأسماء، فقد[1] أشرك وكفر وجحد ولم يعبد شيئاً. بل اعبد الله الواحد الأحد الصمد المسمى بهذه الأسماء دون الأسماء. إنّ الأسماء صفات وصف بها نفسه تعالى.

عدّة من أصحابنا[2]، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أحمد بن محمّد بن أبي‌نصر، عن بعض رجاله، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أفضل العبادة إدمان التذكّر في الله وفي قدرته.

محمّد بن يحيى[3]، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن معمر بن خلاد، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم، إنّما العبادة التفكّر في أمر الله عزّ وجلّ.

وبإسناده[4] إلى الفضيل بن يسار، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ أشدّ العبادة الورع.

وبإسناده[5] إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: من عمل بما افترض الله عليه، فهو من أعبد الناس.

عليّ بن ابراهيم[6]، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن جميل، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: العبادة[7] ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً، فتلك عبادة العبيد. وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب، فتلك عبادة الأجراء. وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حبّاً له، فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة.

وفي كتاب معاني الأخبار[8]: بإسناده إلى اسماعيل بن مسلم، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: العبادة سبعون جزء، أفضلها جزء طلب الحلال.

---

١. ليس في المصدر.

٢. نفس المصدر: ٥٥/٢، ح ٣.

٣. نفس المصدر، ح ٤.

٤. نفس الصمدر ٧٧/٢، ح ٥.

٥. نفس المصدر ٨٤/٢، ح ٧.

٦. نفس المصدر، ح ٥.

٧. المصدر: العباد.

٨. معاني الأخبار، ٣٦٧ـ٣٦٦، ج ١.

وفي عيون الأخبار[١]: بإسناده إلى الرضا عليه السلام أنّه قال: النظر إلى ذريّتنا عبادة.

فقيل له: يا ابن رسول الله! النظر إلى الأئمة منكم عبادة، أو النظر إلى جميع ذرية النبي صلى الله عليه وآله؟ قال: بل النظر إلى جميع ذرية النبي صلى الله عليه وآله عبادة، ما لم يفارقوا منهاجه، ولم يتلوّثوا بالمعاصي.

وفي كتاب الخصال[٢]: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما عبد الله بشيء أفضل من الصمت والمشي إلى بيته.

عن عليّ بن الحسين عليهما السلام[٣] أنّه قال: لا عبادة إلّا بتفقّه.

وفيما أوصى به النبي[٤] عليّاً عليهما السلام[٥][٦]: يا علي! من أتى[٧] بما افترض الله عليه، فهو من أعبد الناس)[٨].

﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: صفة جرت عليه للتعظيم[٩].

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: منصوب، معطوف على الضمير المنصوب في «خلقكم[١٠]».

وقرئ: «من قبلكم»، على إقحام الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيداً.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١): حال من الضمير في «اعبدوا»، كأنّه قال: اعبدوا ربكم، راجين أن تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله[١١]. أو من مفعول «خلقكم»[١٢]، والمعطوف عليه على معنى: أنّه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى، لترجح أمره باجتماع أسبابه وكثرة الدواعي اليه.

---

١. عيون الأخبار ٥١/٢، ح ١٩٦.

٢. الخصال ٣٥/١، ح ٨.

٣. نفس المصدر ١٨، ح ٦٢.

٤. في ج: النبي صلى الله عليه وآله.

٥. في ج: عليّاً عليه السلام.

٦. نفس المصدر ١٢٥، ح ١٢٢.

٧. المصدر: أتى الله.

٨. ما بين القوسين ليس في أ.

٩. أنوار التنزيل، ٣٢/١.

١٠. ر. نفس المصدر.

١١. نفس المصدر.

١٢. أي: أو حال من مفعول «خلقكم».

وقيل: تعليل للخلق، أي: خلقكم لكي تتّقوا[1].

قال بعض الفضلاء: المنادى بـ« يا أيها الناس » هو الناس الناسي وطن الوحدة الأنس، بأحكام الكثرة، الواصل إلى غاية الحركة النزولية. وذلك أبعد مسافة يكون في الوجود، ولذلك استعمل فيه ما وضع لنداء البعيد. وحيث كان المنادى الحصّة الوجودية المتعينة، من الحقيقة المطلقة الغالبة[2] عليها، في مبدأ حالها الإطلاق والإبهام، ثمّ يتخصص[3] ويتخصص بالمرور على المراتب والاتصاف بأحكامها حتى يصل إلى المرتبة الانسانية الوجودية الشهادية العنصرية، عبّر عنه ـ أوّلاً ـ بكلمة « أيّ » الدالة على الإبهام، ووصف ـ ثانياً ـ « بالناس » الدالّ على كمال تخصصها. ولما كان وصولها إلى هذه المرتبة بتوسّط مراتب كثيرة منبعثة من باطن الغيب إلى أقصى مراتب الشهادة، أشير إليها بحرفي التنبيه، المنبعث أولهما من باطن القلب ـ أعني: الهاء ـ وثانيهما من ساذج[4] مارّ[5] على المراتب كلها، أعني: الألف.

ومعنى قوله: « اعبدوا ربكم »: تحقّقوا بعبوديته[6] المحضة التي لا يشوبها عبودية السوى، بأن تتوهّموا أنّ فيكم ربوبيته[7] بالنسبة إلى غيره سبحانه.

« الذي خلقكم »، أي: ظهر ظهوركم. فهو الظاهر فيكم، وأنتم المظاهر له. فما ظهر فيكم من خصائص الربوبية فهو من الرب الظاهر فيكم، لا أنتم.

« وخلق الذين من قبلكم »، أي: ظهر بصورة من تقدّمكم بوصول آثار الربوبية منهم إليكم. فهو الظاهر فيهم، وهم المظاهر له. فما وصل منهم إليكم من آثار الربوبية فهو من الرب الظاهر لا منهم، ما انقطعت نسبة عبوديّتكم عنهم. وحيث وصلتم إلى شهود هذا المعنى، فأنتم عبيد متصفون بمحض العبودية، لم يبق فيكم عبودية ولا ربوبية بالنسبة إلى غيره سبحانه.

---

١. نفس المصدر.
٢. أ: الغالية.
٣. أ: بتخصص.
٤. أ: سارج.
٥. أ: ماو.
٦. أ: بعبودية.
٧. ر: ربوبيه.

«لعلّكم تتقون»، أي: عمّا يخرجكم عن العبودية المحضة. ولما كان كلامه سبحانه بصورة الصوت والحرف المثاليّين أو الحسّيّين لا يصدر إلّا بواسطة مظاهره المثالية أو الحسّيّة، فلا يبعد أن يتحقّق معنى الترجي بالنسبة إلى بعض هذه المظاهر، ويكون إيراد كلمة «لعل» بالنظر إليه. فإنّ نسبة مظاهر التكلّم إلى المتكلّم أقوى مما سواه إليه؛ كما لا يخفى على ذوي البصائر، والله سبحانه يتولّى السرائر.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً﴾: منصوب المحل، على الوصفية، كـ«الذي خلقكم»، أو على المدح، بتقدير: «أعني»، أو أخصّ، أو أمدح.

وفي كلام بعض النحاة، ما يشعر بأنّ القطع بالنصب إنّما يجوز فيما إذا كان الموصوف مرفوعاً أو مجروراً، وهو الأظهر؛ لأنّ الإشعار بالمدح إنّما يكون حيث يكون في التابع مخالفة للمتبوع وفي الصورة المفروضة، وإن كان مخالفة حكمية لكنّه لا يظهر بالنسبة إلى المخاطب حتّى يشعر بقصد المدح. أو على (أنّه مفعول «تتقون»، أو مرفوع على الخبرية، وفيه ما في النصب من المدح. أو على)[1] الابتداء، بأن يكون خبره «فلا تجعلوا».

و«جعل» من الأفعال التامة، يجيء على ثلاثة أوجه: بمعنى: طفق، من أفعال القلوب، فلا يتعدّى. وبمعنى: أوجد، فيتعدّى إلى مفعول واحد؛ كقوله تعالى: «وجعل الظلمات والنور»[2]. وبمعنى: صير، فيتعدّى إلى مفعولين؛ كما في الآية. والتصيير يكون بالفعل تارة، وبالقول والعقد[3] أخرى. «فالأرض» مفعوله الأول، و«فراشاً»، مفعوله الثاني.

ويحتمل أن يكون من قبيل الاستعمال الثاني، أي: خلق الأرض، حال كونه مقدّراً ـ بكسر الدال ـ إيّاها فراشاً، إذا كان «فراشاً» حالاً من الفاعل. أو حال كون «الأرض» مقدرة ـ بفتح الدال ـ «فراشاً»، إذا كان حالاً[4] من المفعول.

---

١. ما بين القوسين ليس في أ. ٢. الأنعام / ١.
٣. في ج: العقد. وفي أنوار التنزيل ٣٢/١: أو العقد. وهو الأظهر.
٤. ليس في أ.

و« لكم » متعلق « بالجعل ».

واللام للانتفاع، أي: لانتفاعكم.

وقد جاء ناقصة، بمعنى: صار، في قول الشاعر[١]:

فقد جعلت قلوص بني سهيل   من الأكوار مرتعها قريب[٢]

وقرئ « وجعلكم » بالإدغام، لاجتماع حرفين من جنس واحد، وكثرة الحركات.

و« الأرض » هي المفروشة، وقوائم الدابة، وعليه قول الشاعر:

وأحمر كالديباج أمّا سمائه   فرياً وأمّا أرضه فتحول[٣]

والرعدة، وعليه في كلام ابن عبّاس: أنزلت[٤] الأرض، أم بي أرض[٥].

و« الفراش »: ما يفترش ويستقر عليه.

وقرأ يزيد الشامي: « بساطاً » وطلحة: « مهاداً ».

قال الجوهري في الصحاح[٦]: « المهد » مهد الصبي. و« المهاد » الفراش.

ومعنى جعلها فراشاً، أو بساطاً، أو مهاداً: أنّه جعل بعض جوانبها على خلاف طبعها، بارزاً من الماء، متوسطاً بين الصلابة واللطافة، حتى صارت[٧] مهيأة لأن يقعدوا أو[٨] يناموا عليها، كالفراش المبسوط.

ولا يدلّ الافتراش على التسطيح؛ لأنّ الكرة إذا عظم جرمها، غير مانعة من الافتراش (عليها.

وفي نهج البلاغة[٩]: فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهها، وأجمدها بعد رطوبة أكنافها، فجعلها لخلقه مهاداً، وبسطها لهم فراشاً، فوق بحر لجّي[١٠] راكد لا يجري،

---

١. أ، ر: الشاعرة.
٢. أنوار التنزيل، ٣٣/١.
٣. المصدر: فمحمول.
٤. المصدر: أزلزلت.
٥. مجمع البيان، ٦٠/١.
٦. صحاح اللغة، ٥٤١/٢.
٧. ليس في أ.
٨. في ج: و.
٩. نهج البلاغة، ط / ٢١١.
١٠. أي: كثير الماء، منسوب إلى اللجّة وهي معظم الماء.

وقائم لا يسري، تكركره الرياح العواصف[١]، وتمخضه الغمام الزوارف[٢]. «إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشى»)[٣].

﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: معطوفان على ما قبلهما بعاطف واحد. وإن أبيت، فقدّر فعلاً معطوفاً على الفعل الذي قبله.

و«السماء» اسم جنس. أو جمع «سماءة».

و«البناء» مصدر، بمعنى المفعول، أي: جعل السماء قبة، أو قباباً مبنية، أي: مضروبة عليكم. فإنّ المبني وإن كان أعمّ من القبة ولا دلالة للعام على الخاص[٤]، لكنّه أشبه بالسماء لاستدارتها. ومنه بنىٰ على امرأته؛ لأنّهم كانوا إذ تزوّجوا، ضربوا عليها خباء جديداً.

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: عطف على «جعل»، أي: أنزل من جهة العلوّ.

أو من أسباب سماوية تثير الأجزاء الرطبة إلى جوّ الهواء، فتنعقد سحاباً ماطراً، أو من السحاب، فإنّ ما علاك سماء.

ولفظة «من» لابتداء الغاية، فإنّ ابتداء نزول المطر إنّما هو من السماء بكل واحد من هذه المعاني.

ووضع هنا «أنزل» مكان «نزل»، للمناسبة مع ما عطف عليه.

﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ﴾: «الباء» فيه للسببية، أي: جعل الماء سبباً في خروج الثمرات ومادة لها وهو قادر على إيجاد الأشياء كلّها بلا أسباب ومواد؛ كما أبدع نفس الأسباب والمواد، إلّا أنّ له تعالى في إنشاء الأشياء بأسبابها من موادّها تدريجاً حكماً ليست في إنشائها مبادهة وبغتة.

---

١. الكركرة: تصريف الريح السحاب إذا جمعته بعد تفريق. وأصله يكرر من التكرير فأعادوا الكاف. يقال: كركرت الفارس عني، أي: دفعته ورددته. والرياح العواصف: الشديدة الهبوب.

٢. مخضت اللّبن: إذا حركته لتأخذ زبدة. والزوارف، من ذرفت عينه، أي: دمعت.

٣. ما بين القوسين ليس في أ.

٤. ر: لما الخاص. ولفظ «الخاص» ليس في أ.

و« من » فيه تبعيضية ، بشهادة قوله تعالى : « فأخرجنا به ثمرات »[1] فإنّ تنكير « ثمرات » تدلّ على البعضية لتبادرها منه ، سيّما في جموع القلة . وبشهادة أنّ ما قبله وما بعده ـ أعني : « ماء » و« رزقاً » ـ محمولان على البعض[2] ، فليكن هو موافقاً لهما بشاهدة الواقع . فإنّ الله سبحانه ، لم ينزل من السماء كل الماء بل بعضه . إذ رُبّ ماء هو بعد في السماء ، ولم يخرج بالماء المنزل منها كل الثمرات ، بل بعضها ، فكم من ثمرة هي غير مخرجة ، ولم يجعل المخرج كلّ الرزق بل بعضه ، والثمرات المخرجة بماء السماء كثيرة .

فالتعبير عنها بجمع القلة ، إمّا بناء على أنّ « الثمرات » هنا جمع الثمرة التي يراد بها الكثرة ؛ كالثمار ، لا الوحدة ؛ كما في قولك : أدركت ثمرة بستانه . ويؤيّده قراءة من قرأ « الثمرة » على التوحيد ، فيكون أبلغ ولا أقلّ من المساواة . أو على أنّها جمع قلة وقعت موقع جمع الكثرة ؛ كجنّات ، في قوله[3] : « كم تركوا من جنات » ، على أنّ المشهور أنّ الفرق بين الجمعين في القلة والكثرة إنّما هو إذا كانا منكرين ، وإذا عُرّف بلام الجنس في مقام المبالغة ، فكل منهما للاستغراق بلا فرق .

و« الرزق » إن كان بمعناه المصدري ، فنصبه إمّا على أنّه مفعول له . والمعنى : أخرج شيئاً من الثمرات لأن يرزقكم. أو على المصدرية، فإنّ في إخراج الثمرات معنى الرزق.

وعلى التقديرين يكون قوله : « لكم » ظرفاً لغواً مفعولاً به « لرزق » ، أو « اللام » إمّا زائدة أو للتقوية . وإن كان بمعنى المرزوق ، فانتصابه على أنّه حال من مفعول « أخرج » ، أي : « من الثمرات » ، أو على أنّه مفعول به لـ « أخرج » ، و« من الثمرات » بيان له . فقدّم عليه ، فصار حالاً منه . ولكن يكون « من » بيانية ، لا تبعيضيّة . وعلى هذين التقديرين يكون « لكم » ظرفاً مستقراً صفة لـ « رزقاً »[4] . ويحتمل على التقادير ، أن يكون متعلقاً « بأخرج » .

---

١. فاطر / ٢٧.

٢. في ج : وبشهادة . وهو الأظهر .

٣. الدخان / ٢٥.

٤. كذا في ج : وفي النسخ « لرزق » .

وفي شرح الآيات الباهرة: (وفي تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام[١])[٢] قال الإمام عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله قوله عزّ وجلّ: «جعل لكم الأرض فراشاً» تفرشونها لمنامكم ومقيلكم. و«السماء بناء» سقفاً محفوظاً، ارتفع عن[٣] الأرض[٤]، تجري شمسها وقمرها وكواكبها مسخرة لمنافع عباده وإمائه.

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: لا تعجبوا لحفظه السماء أن تقع على الأرض، فإنّ الله عزّ وجلّ يحفظ ما هو أعظم من ذلك.

قالوا: وما هو؟

قال: من ذلك، ثواب طاعة[٥] المحبّين لمحمّد وآله.

ثمّ قال: «وأنزل من السماء ماء»، يعني: المطر، ينزل[٦] مع كل قطرة ملك يضعها[٧] في موضعها الذي[٨] يأمره[٩] به ربه عزّ وجلّ.

فعجبوا من ذلك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أو تستكثرون عدد هؤلاء؟ إنّ[١٠] الملائكة المستغفرين لمحبّي عليّ بن أبي طالب أكثر من عدد هؤلاء، وإنّ[١١] الملائكة اللاعنين لمبغضيه أكثر من عدد هؤلاء.

ثمّ قال عزّ وجلّ: «فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم»، ألا ترون كثرة هذه الأوراق والحبوب والحشائش؟

قالوا: بلى، يا رسول الله! ما أكثر عددها!

---

١. تفسير العسكري عليه السلام، ١٥٠.
٢. ما بين القوسين يوجد في ج.
٣. المصدر: أن تقع على.
٤. المصدر: الأرض بقدرته.
٥. المصدر: طاعات.
٦. ليس في أ.
٧. أ: يصنعها.
٨. المصدر: التي.
٩. أ: يأمر.
١٠. المصدر: إنّ عدد.
١١. المصدر: إنّ عدد.

فقال[١] رسول الله ﷺ: أكثر عدداً[٢] منها ملائكة يبتذلون[٣] في حمل أطباق النور، عليها التحف من عند ربهم، وفوقها مناديل النور، ويخدمونهم في حمل ما يحمل على آل محمّد منها إلى شيعتهم ومحبيهم، وإنّ طبقاً من تلك الأطباق[٤] يشتمل[٥] من الخيرات على[٦] ما لا يفي بأقلّ جزء منه جميع أموال الدنيا.

(وفي كتاب علل الشرايع[٧]: بإسناده إلى مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام قال: كان علي عليه السلام يقول في المطر ـ أول مطر يمطر ـ حتّى يبتلّ رأسه ولحيته وثيابه.

فقيل له: يا أميرالمؤمنين! الكنّ! الكنّ![٨]

قال: هذا ماء قريب العهد بالعرش. ثمّ أنشأ يحدث.

فقال: إنّ تحت العرش بحراً فيه ما ينبت به أرزاق الحيوانات[٩]. وإذا أراد الله عزّ وجلّ أن ينبت ما يشاء لهم[١٠] رحمة منه، أوحى الله عزّ وجلّ فمطر منه ما شاء من سماء إلى سماء حتى يصير إلى سماء الدنيا، فيلقيه إلى السحاب، والسحاب بمنزلة الغربال. ثمّ يوحي الله عزّ وجلّ إلى السحاب: أطحنيه وأذيبيه ذوبان الملح في الماء، ثمّ انطلقي[١١] به إلى موضع كذا عباب أو غير عباب[١٢]. فتقطر عليهم على النحو الذي يأمرها الله[١٣]. فليس من قطرة تقطر إلّا ومعها ملك يضعها موضعها. ولم ينزل من السماء قطرة من مطر، إلّا

---

١. المصدر: قال.
٢. أ: عدد.
٣. المصدر: يتبذلون لال محمّد في خدمتهم اتدرون فيما يتبذلون لهم.
٤. المصدر: الطبقات.
٥. أ: يشمل.
٦. ليس في المصدر.
٧. علل الشرايع ٤٦٣، ح ٨.
٨. الكنّ: كلّ مايردّ الحرّ والبرد من الأبنية والغيران ونحوها.
٩. المصدر: الحيوان.
١٠. في ج: إليهم.
١١. في ج: انطلق.
١٢. في المصدر: عباب أو غير عباب. والعباب ـ بالضمّ ـ: معظم الماء وكثرته وارتفاعه. وماء عباب: يسيل سيلاً كثرته.
١٣. المصدر: به.

بقدر معدود ووزن معلوم، إلّا ما كان يوم الطوفان على عهد نوح، فإنّه نزل منها منهمر بلا عدد ولا وزن)[١].

﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلهِ أَنْدَاداً﴾: متفرّع على الأمر بالعبادة[٢]. والمعنى: إذا استحقّ ربكم الذي خلقكم العبادة، وكنتم مأمورين بها، فلا تشركوا به أحداً لتكون عبادتكم مبنية على ما هو أصل العبادة وأساسها ـ أعني[٣]: توحيده ـ وأن لا تجعلوا له ندّاً[٤].

أو معطوف على الأمر قبله. وفيه أنّ الأولى حينئذ العطف بالواو؛ كقوله: «اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً»[٥].

أو منصوب بإضمار «ان» في جواب الأمر. كما في: زرني، فأكرمك. وفيه أنّ الشرط في ذلك كون الأول سبباً للثاني، والعبادة لا يكون سبباً للتوحيد الذي هو معناها.

أو منصوب بتقدير «أنّ» في جواب «لعلّ»، نَصْب «فأطّلع» في قوله تعالى: «لعلّي أبلغ الأسباب، أسباب السموات فأطّلع»[٦]، بناء على تشبيه «لعلّ» بـ «لَيتَ»، والحاقاً لها بالأشياء الستة التي يحذف «أنّ» عن[٧] الفعل المضارع بعد الفاء الواقعة بعدها.

أو متعلق «بالذي جعل» إذا كان مرفوعاً، على أنّه خبر مبتدأ محذوف، فيكون نهياً مترتّباً على مايتضمّنه هذه الجملة، أي: هو الذي حفّكم بدلائل التوحيد، فلا تشركوا به شيئاً.

أو على أنّه مبتدأ، و«لا تجعلوا» نهي وقع خبراً عنه، على تأويل مقول فيه: لا تجعلوا.

---

١. ما بين القوسين ليس في أ.

٢. أو متعلّق بـ«اعبدوا»؛ لأنّ أوّل مايعتبر من العبادة التوحيد.

٣. أ: يعني.

٤. في ج: أنداداً.

٥. النساء / ٣٦.

٦. غافر / ٣٦ـ٣٧.

٧. ر: من.

و« الفاء » للسببية ، أدخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط .

والمعنى : أنّ من حفّكم بهذه النعم الجسام[١] ، ينبغي أن لا يشرك[٢] به .

و« الجعل » هنا بمعنى التصيير[٣] . فيتعدّى إلى مفعولين : أولهما « أنداداً » ، وثانيهما الجار والمجرور قبله . أو بمعنى الخلق والإيجاد .

والمعنى : لا توجدوا له في اعتقادكم وقولكم أنداداً .

والفائدة في تقديم المفعول الثاني أو الجار والمجرور إفادة الحصر ، والإشارة إلى أنّ المنهي عنه جعل الندّ لله تعالى . وأمّا بالنسبة إلى سائر[٤] الفاعلين ، فجعل الندّ والشريك واجب لئلّا يلزم التفويض ؛ ـ كما قال عليه السلام[٥] ـ : لا جبر ولا تفويض ، بل أمر بين أمرين[٦] .

وقرئ : « فلا تجعلوا لله ندّاً » .

و« الند » المثل المناوئ ، أي : المخالف . من ندّ ندوداً : إذا نفر .

وفي تسمية[٧] ما يعبدونه « نداً » لما عظّموه وسمّوه إلهاً وإن لم يزعموا أنّه يماثله أو يخالفه ، تهكّم بهم .

وفي إيراد صيغة الجمع ، حيث دلّت على أنّهم جعلوا أنداداً لمن يمتنع أن يكون له ندّ واحد ، زيادة تهكّم .

﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٢) : حال من فاعل « فلا تجعلوا » . والمقصود منه التوبيخ ، لا تقييد الحكم به . فإنّ العالم والجاهل المتمكّن من العلم ، سواء في التكاليف .

ومفعول « تعلمون » متروك ، لتنزيله منزلة اللازم مبالغة ، أي : وحالكم وصفتكم أنكم من أهل العلم والتمييز بين الصحيح والفاسد ، ثمّ إنّ ما أنتم عليه من أمر دينكم من جعل الأصنام لله أنداداً هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل .

---

١ . في ج بعد « الجسام » : والآيات العظام .
٢ . أ : تشرك .
٣ . أ : التبصير .
٤ . ليس في أ .
٥ . في عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ١٢٤ ، ضمن ح ١٧ .
٦ . أ : الأمرين .
٧ . هكذا في ج وهو الأظهر . وفي النسخ « تسميته » .

أو مقدر[١] بوجود القرينة المقالية، أو الحالية، أي: وأنتم تعلمون أنّه تعالى لا مثل له ولا ضد. أو وأنتم تعلمون ما بينه تعالى وما بينها[٢] من التفاوت. أو وأنتم تعلمون أنّها لا تفعل مثل أفعاله، إلى غير ذلك ممّا يناسب المقام.

وفي كتاب التوحيد[٣]، في باب أنّ الله تعالى لا يفعل بعباده إلّا الأصلح، روى بإسناده عن أبي محمّد العسكري، عن آبائه، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ: «الذي جعل لكم الأرض فراشاً»، قال: جعلها ملائمة لطبائعكم، موافقة لأجسادكم. لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة[٤] فتجمدكم، ولا شديدة[٥] طيّب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم[٦]، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم. ولا شديدة الصلابة فيمتنع[٧] عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم. (ولكنه عزّ وجلّ جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم)[٨] وكثير من منافعكم. فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم.

ثمّ قال عزّ وجلّ: «والسماء بناء» [أي:][٩] سقفاً من فوقكم محفوظاً، يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم.

ثمّ قال عزّ وجلّ: «وأنزل من السماء ماء» يعني: المطر. ينزله[١٠] من علو[١١] ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم، ثمّ فرقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً وطلّاً لتنشفه[١٢] أرضوكم. ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة، فيفسد أرضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم.

---

١. أي: أو مفعول «تعلمون» مقدّر... الخ.
٢. أ: بينهما.
٣. التوحيد / ٤٠٤.
٤. المصدر: البرد.
٥. ر: شديد.
٦. أ: تعطبكم.
٧. المصدر: فتمتنع.
٨. ما بين القوسين ليس في أ.
٩. من المصدر.
١٠. المصدر: نزله.
١١. العلى.
١٢. في ج: تنشفه.

ثمّ قال ﷺ: «فأخرج به من الثمرات رزقاً» (يعني: ممّا يخرجه من الأرض رزقاً)[١] لكم. «فلا تجعلوا لله أنداداً»، أي: أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء. و«أنتم تعلمون» أنّها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربّكم تبارك وتعالى انتهى.

وذكر هذا الحديث بعينه في عيون أخبار الرضا، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد[٢].

وقد ذكر بعض المفسرين هذا الحديث في تفسيره[٣]. ثمّ قال: ففي التفسير المنسوب إلى مولانا العسكري عليه السلام[٤] قال: قال عليّ بن الحسين عليهما السلام في قوله تعالى: قوله: «يا أيها الناس اعبدوا»[٥]، يعني: سائر المكلفين من ولد آدم عليه السلام. «اعبدوا ربكم» أطيعوا ربكم من حيث أمركم أن تعتقدوا أن لا إله إلّا هو وحده لا شريك له ولا شبيه له ولا مثل له[٦] عدل لا يجور[٧]، جواد لا يبخل، حليم لا يعجل[٨]. وأنّ محمّداً عبده ورسوله صلّى الله عليه وآله الطيبين. وأنّ آل محمّد أفضل آل النبيين. وأنّ علياً أفضل آل محمّد. وأنّ أصحاب محمّد المؤمنين منهم أفضل صحابة المرسلين. وأنّ أمّة محمّد أفضل أمم المرسلين. انتهى.

ثمّ قال: ويفهم من هذا الكلام، أنّ الأمم الماضية كانوا مأمورين بتلك الاعتقادات. وهذا هو الحق؛ كما هو مذكور في كثير من الروايات.

أقول: كان[٩] العلّامة رحمه الله فهم ذلك من تفسيره عليه السلام «يا أيّها الناس» بسائر المكلفين ـ يعني: جميع المكلفين ـ وهو غلط فاحش، فإنّ السائر بمعنى: الباقي، مبتذل في

---

١. ما بين القوسين ليس في أ والمصدر.
٢. عيون أخبار الرضا، ١٣٧/١.
٣. تفسير البرهان، ٦٧/١.
٤. تفسير العسكري عليه السلام، ١٣٥.
٥. ليس في المصدر، والظاهر هو الصواب.
٦. ليس في المصدر.
٧. أ: يجوز.
٨. في ج بعد «لا يعجل»: حكيم لا يخطل.
٩. أ: لو كان.

اللغة. متعارف في العرف. قال بعض أهل اللغة: «السائر» مشتق من «السؤر». وهو بقية ما يُشرَب. ولا يستعمل بمعنى الجميع، لا في اللغة ولا في العرف. وقد وقع ذلك في كلام بعض المفسرين.

قال بعض الفضلاء: وتأويل الآية في بعض بطونها، أن يقال: هو ـ أي: ربكم الذي أمرتم أن تعبدوه وتتحققوا[1] بعبوديته المحضة ـ هو الذي جعل لكم أرض العبودية فراشاً تقلبون[2] فيها أنواع[3] العبادات، وسماء الأسماء الربوبية فيه مضروبة عليكم، محيطة بكم بحيث لا يمكنكم الخروج عن إحاطتها وشمول آثارها، وأنزل من هذه السماء ماء العلوم والمعارف على تلك الأرض، فأخرج ثمرات الأحوال والأذواق والمواجيد رزقاً لكم تغتذون وتتّقون به بقلوبكم وأرواحكم، «فلا تجعلوا لله أنداداً» تعبدونها كما تعبدونه. والحال إنّكم تعلمون أنّه لا معبود سواه، ولا ينبغي أن يجعل أحد قبلة عبادته إلّا إياه.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾: لما كانت العبادة المأمور بها موقوفة على أمرين: أحدهما إثبات الوحدانية وإبطال الاشراك ـ وقد أشير إليه بالأوصاف المجراة على ربهم الذي أمروا بعبادته ـ والثاني إثبات النبوة التي يقع بها الترغيب والترهيب وتعريف طرق العبادة وتعيينها، فلذلك أشار إليه بإزاحة الشبهة عن كون القرآن معجزاً دالاً على نبوة النبي ﷺ.

وهو معطوف على قوله: «يا أيها الناس» والظرف مستقر في موضع خبر «كان». والمعنى: وإن كنتم في ريب، يحيط بكم إحاطة الظرف بالمظروف.

﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: أي: من شيء. أو من الذي نزّلناه.

ويحتمل مرجوحاً أن يكون المعنى: من تنزيلنا.

وإنّما أتى بكلمة «إن» الدالة على عدم الجزم بالوقوع، و«الريب» متحقق من هؤلاء

---

١. في ج: وتحقّقوا.
٢. في ج: تتقلّبون.
٣. في ج: بأنواع.

الكفار، تنبيهاً على أنّه لا ينبغي حصول هذا الريب من العقلاء، فكيف يجزم به؟ بل لو جوّزه مجوّز، فإنّما يكون بمحض الاحتمال العقلي. ولهذا السبب بعينه قال: «في ريب»، وإن كان أكثرهم ينكرون.

وإنّما أتى «بالتنزيل» المنبيء عن التدريج؛ لأنّ النزول التدريجي كان أحد أسباب طعنهم وارتيابهم في القرآن. فإنّهم كانوا يطعنون في القرآن ويرتابون فيه، من حيث أنّه كان مدرجاً على قانون الخطابة والشعر، فإنّ الناثر لا يرمي بمجموع خطبه أو رسائله[1] دفعة، والناظم لا يلقي ديوان شعره ضربة، بل[2] مفرّقاً حيناً فحيناً وشيئاً فشيئاً. فكانوا يقولون: لو لا أنزل عليه القرآن خلاف هذه العادة جملة واحدة. فقيل لهم: إن ارتبتم في هذا الذي أنزل تدريجاً، فهاتوا أنتم بنجم من نجومه، وسورة من سوره. فإنّه أيسر عليكم من أن تنزّل الجملة دفعة واحدة، (ويتحدّى بمجموعة)[3].

قيل: التدريج، هو الذي يعبّر عنه بالتكثير، أي: يفعل مرة بعد مرة. والتضعيف الدال على ذلك من شرطه أن يكون في الأفعال المتعدّية قبل التضعيف غالباً؛ نحو: فتحت الباب.

ولا يقال: جلّس زيد، لإرادة التدريج والتكثير؛ لأنّه لم يكن متعدّياً قبل التضعيف، وإنّما[4] جعله تضعيفه متعدّياً.

وقولنا: «غالباً»؛ لأنّه قد جاء التضعيف دالاً على الكثرة في اللازم؛ نحو: موّت المال. ويعلم من ذلك أنّ التضعيف الدالّ على الكثرة لا يجعل اللازم متعدياً. فظهر من ذلك أنّ تضعيف «نزل» للتعدية دون التدريج. و ـ أيضاً ـ يحتاج قوله تعالى[5]: «لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة»، وقوله[6]: «لو لا نزل [عليه آية»، وقوله[7]: «لنزلنا][8]

---

١. أ: وسانله.
٢. ليس في أ.
٣. ليس في أ.
٤. ليس في أ.
٥. الفرقان / ٣٢.
٦. الأنعام / ٣٧.
٧. الإسراء / ٩٥.
٨. ليس في ج.

عليهم من [السماء][١] ملكاً رسولا» إلى تأويل.

وفي «نزلنا» التفات من الغيبة إلى التكلم؛ لأنّ قبله «أعبدوا ربكم»، فلو جاء الكلام عليه، لقيل: «مما نزل[٢] على عبده» لكنه التفت للتفخيم. وعبّر عنه بالعبد؛ لأنّ أعلى المقامات مقام العبدية. (وأضافه إلى نفسه تشريفاً له. ولم يصرّح باسمه عليه السلام كما في قوله[٣]: «واذكر عبدنا أيوب» للدلالة على كماله في العبدية)[٤]. فإنّ المطلق لا ينصرف إلّا إلى الكامل.

وقرئ «على عبادنا». والمراد به نبينا صلى الله عليه وآله وأمته. فإنّه كما نزل عليه بواسطة جبرئيل نزل على بعض أمته بواسطته، وينزل على بعضهم بواسطة البعض إلى يوم القيامة. أو جميع الأنبياء عليهم السلام.

(وفي مصباح الشريعة[٥]: قال الصادق عليه السلام: وحروف العبد ثلاثة: العين والباء والدال. فالعين علمه بالله تعالى، والباء بونه[٦] عما[٧] سواه. والدال دنوّه من الله بلا كمّ وكيف[٨])[٩].

﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾: جزاء للشرط.

والأمر تعجيزي، ليظهر عجزهم ويزول ريبهم.

و«السورة» طائفة من القرآن مترجمة، لا يكون أقلّ من ثلاث آيات.

فخرج بقولنا: «مترجمة» الآيات المتعددة من سورة واحدة أو متفرّقة، وما هو أكثر من سورة[١٠] واحدة، كمجموع سورتين.

وبقولنا: «لا يكون أقلّ من ثلاث آيات» يخرج آية الكرسي وآية المداينة، من غير حاجة إلى أن يتكلّف.

---

١. ليس في ج.
٢. أ: نزلنا.
٣. ص / ٤١.
٤. ما بين القوسين ليس في أ.
٥. مصباح الشريعة، ٥٤١.
٦. البَوْنَ والبُون: المسافة بين الشيئين.
٧. المصدر: عمن.
٨. المصدر: بلا كيف ولا حجاب.
٩. ما بين القوسين ليس في أ.
١٠. أ: منها.

ويقال: هذا مجرّد إضافة، لم يصل إلى حدّ التسمية.

وواوها، إن كانت أصلية، فهي إمّا منقولة من سورة المدينة[1]، وهي حائطها على وجهين:

أحدهما، أن يجعل السورة بمعنى المسوّرة؛ كما يراد بالحائط: المحوّطة، وهو البستان. ثمّ يُنقل إلى طائفة محدودة من القرآن، وهو نقل مرتّب على تجوّز. وثانيهما، أن ينقل من «سورة المدينة»[2] إليها بغير واسطة؛ لأنّها تحيط بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على انفرادها، أو محتوية على أنواع من العلم إحاطة سورة المدينة[3] بما فيها واحتوائها عليه.

وجمع سورة القرآن: السُّوَر -بفتح الواو- وجمع سورة المدينة على سَوْر -بسكونها- أو من السورة، بمعنى المرتبة. قال النابغة:

ألم تـر أنّ الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب[4]

ثمّ إنّ المرتبة[5]، إن جُعلت حسية؛ فلأنّ السور كالمراتب والمنازل ينقلب[6] فيها القارئ ويقف عند بعضها. أو لأنّها في أنفسها منازل مفصّلة بعضها من بعض، متفاوتة في الطول والقصر والتوسط.

وإن جعلت معنوية، فلتفاوتها في الفضل والشرف والبلاغة.

وإن كانت واوها مبدّلة عن الهمزة، فمن «السؤرة» التي هي البقية، والقطعة من الشيء. وُضعّف هذا الوجه إمّا من حيث اللفظ، إذ لم يستعمل مهموزة في السعة[7] ولا في الشاذة المنقولة في كتاب مشهور، وإن أشعر به كلام الأزهري حيث قال: وأكثر القرّاء على ترك الهمزة في لفظ السورة.

---

١. كذا في ج. وهو الأظهر. وفي النسخ «سورة المدينة».
٢. الأظهر: سور المدينة.
٣. الأظهر: سور المدينة.
٤. أ: يذبذب.
٥. في ج: الرتبة.
٦. المتن وأ: تنقلب.
٧. ر: السبعة.

وإمّا من حيث المعنى ؛ فلأنّها اسم ينبئ عن قلة وحقارة . و ـ أيضاً ـ استعماله[١] فيما فضل بعد ذهاب الأكثر ، ولا ذهاب هنا إلّا تقديراً باعتبار النظر إليها نفسها . فكأنّها قد ذهب ما عداها .

﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ : إمّا ظرف مستقر ، صفة « لسورة » ، أو ظرف لغو لـ « فائتوا » . والضمير على كلّ من التقديرين ، إمّا عائد إلى « ما نزّلنا » ، أو إلى « عبدنا » . فهذه أربع صور :

أولها : أن يكون الظرف صفة « لسورة » ، والضمير عائدًا إلى « ما نزّلنا » ، وكلمة « مِن » بيانية ؛ لأنّ السورة المفروضة التي بها الأمر التعجيزي مثل المنزل في حسن النظم والغرابة في البيان والعجز إنّما هو عن الإتيان بالمثل الذي هو المأمور به . وإن جعلت تبعيضية ، أوهمت أنّ للمنزّل ـ مثلاً ـ عجزوا عن الإتيان[٢] (ببعضه ؛ كأنّه قيل : فائتوا ببعض ما هو مثل للمنزّل)[٣] . فالمماثلة المصرّح بها ليست من تتمّة المعجوز عنه ، حتّى[٤] يفهم أنّها منشأ العجز . وكذا الحال إن جعلت ابتدائية ، فإنّها توهم أنّ للمنزّل ـ مثلا ـ عجزوا عن الإتيان بسورة مبتدئة منه . فالمماثلة ليست من تتمة المعجوز عنه ، مع أنّ في مبدئية الكل للجزء خفاء .

وذهب الأخفش إلى أنّها زائدة .

وثانيتها : أن يكون الظرف صفة[٥] « لسورة » ، والضمير عائداً إلى « عبدنا » ، وحينئذ يتعيّن أن يكون « مِن » ابتدائية ، فإنّ السورة مبتدئة ناشئة من مثل العبد ، ولا وجه لسائر المعاني . ولا يذهب عليك أنّ الإتيان بسورة من مثل هذا العبد ليس بمعجوز عنه ، ما لم يعتبر مثلية سورة[٦] للسور القرآنية في حسن النظم وغرابة البيان .

وثالثتها[٧] : أن يكون الظرف متعلقاً « بفائتوا » ، والضمير عائداً إلى « ما نزلنا » ، وهُجر

---

١ . في ج : استعمل .
٢ . أ : الإتيان بسورة مبتدعة منه .
٣ . ما بين القوسين ليس في أ .
٤ . أ : مع أنّ في مبدئية الكل للجزء خفاء حتى .
٥ . في ج : منه .
٦ . في ج : بسورة .
٧ . أ : ثالثها .

هذا الوجه. فإنّ «فائتوا» أمر قُصد به تعجيزهم باعتبار المأتي به. فلو تعلق به «من مثله» وكان الضمير للمنزّل، تبادر منه أنّ له مثلاً محققاً جامعاً لأمثال السور القرآنية، وأنّ عجزهم إنّما هو عن الإتيان بسورة منه، بخلاف ما إذا كان صفة «للسورة»، فإنّ المعجوز عنه حينئذ هو الإتيان بسورة مماثلة للقرآن في حسن النظم وغرابة البيان، وهذا لا يقتضي وجود مثل ذلك.

وحاصله، أنّ قولنا: ائت من مثل الحماسة ببيت. يقتضي وجود[1] المثل لها، بأن يكون هناك محقّق[2] جامع لكثير أشعار بلغاء العرب ويؤتى ببيت منه. بخلاف: ائت ببيت من مثل الحماسة، إذا كانت «من» بيانية. ويكون حاصل المعنى: ببيت يماثل[3] الحماسة في الفصاحة والبلاغة. فإنّ ذلك لا يقتضي تحقّق كتاب جامع مثلها. نعم، إذا كانت «مِن» ابتدائية أو تبعيضية، يقتضي ذلك من غير فرق.

ورابعتها: أن يكون الضمير عائداً إلى «عبدنا»، وحينئذ يكون «من» ابتدائية. وهذا لا يقتضي إلّا أن يكون «للعبد» مثل في كونه بشراً، عربياً، أمّياً، لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء. ولا محذور في ذلك، لكن ينبغي أن يعتبر مثلية سورة للسور القرآنية، كما في الصورة الثانية.

ورد الضمير إلى المنزّل أوجه، من ستة أوجه:

الأول: الموافقة لقوله تعالى: «فائتوا بسورة من مثله»[4] ونظائره؛ لأنّ المماثلة فيها صفة للمأتي[5] به. فكذا هاهنا، إذا جعل الظرف صفة للسورة، والضمير عائداً إلى المنزّل، و«من» بيانية أو زائدة.

والثاني: أنّ الكلام واقع في المنزّل؛ لأنّ ارتيابهم المفروض، إنّما وقع فيه. ولو ردّ[6] الضمير إلى العبد، كان حق الترتيب أن يقال: إن كان لكم ريب في عبدنا المنزل عليه القرآن، فائتوا بسورة من مثله.

---

١. ليس في ج.

٢. في ج: كتاب محقّق...

٣. في ج: مماثل.

٤. البقرة / ٢٣.

٥. في ج: المأتي.

٦. كذا في ج: وهو الصحيح. وفي النسخ «ولورود».

والثالث: أنّ الضمير إذا ردّ إلى المنزّل، يكون طلب المعارضة من الجميع، وإذا كان للمنزّل عليه يكون طلب المعارضة من واحد منهم. إذ لا معنى لخطاب الجماعة بأن ائتوا بسورة من واحد منكم، بل الطلب بالحقيقة[١]، من واحد منهم. كأنّه قيل[٢]: فليأت واحد منكم بسورة. ولا شكّ أنّ طلب المعارضة من الجميع أبلغ من طلب المعارضة من واحد، لجواز عجز واحد وإتيان الجميع بها.

والرابع: أنّه معجز في نفسه، لابالنسبة إلى مثله. لقوله تعالى: «لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله»[٣].

والخامس: أنّه لو كان رجع الضمير إلى «العبد»، لكان ذلك يوهم أنّ صدور القرآن عمن لم يكن مثل العبد في كونه أمّياً ممكن.

والسادس: أنّ ردّ الضمير إلى المنزّل هو الملائم لقوله:

﴿**وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ**﴾: لأنّ معناه على الوجوه المذكورة فيما بعد راجع إلى ادعوا شهداءكم ليعاونوكم، أو يشهدوا لكم. وهذا المعنى لا يلائم إلّا ردّ الضمير في «مثله» إلى المنزّل. ولما ترجح عود الضمير إلى المنزل بهذه الوجوه، ترجح بها[٤] ـ أيضاً ـ كون الظرف صفة للسورة؛ لأنّه إذا تعلق «بفائتوا» عاد الضمير إلى «العبد» لما تحقّقته.

و«الشهداء» جمع شهيد، كالظرفاء جمع ظريف. بمعنى الحاضر، أو القائم بالشهادة، أو الإمام. فكأنّه سمّي به لأنّه يحضر النوادي ويبرم بمحضره الأمور. ومنه قيل للمقتول في سبيل الله: شهيد؛ لأنّه حضر ماكان يرجوه، أو الملائكة حضروه.

قال الجوهري في الصحاح[٥]: «الشهادة» الخبر[٦] القاطع[٧]. تقول منه: شهد الرجل على كذا، أو شهد له بكذا؛ أي: أدّى ما عنده من الشهادة، فهو شاهد. ويقال:

---

١. في ج: الحقيقة.
٢. ليس في أ.
٣. الإسراء / ٨٨.
٤. ليس في أ.
٥. صحاح اللغة، ٢/٤٩٤.
٦. أ: الخير.
٧. المصدر: خبر قاطع.

شهده، شهوداً؛ أي: حضره، فهو شاهد. و«الشهيد» الشاهد. والجمع الشهداء.

فالمراد «بالشهداء»، إمّا المقيمون للشهادة. والمعنى: ادعوا من دون الله شهداء، يشهدون لكم بأنّ ما أتيتم به مثله.

أو الحاضرون الناصرون. والمعنى: ادعوا أعوانكم وأنصاركم، حتى يعينوكم على إتيان مثله.

أو آلهتهم الذين عبدوهم وأطاعوهم. والمعنى: ادعوا آلهتكم الذين تعبدونهم حتّى يعينوكم بإتيان سورة واحدة من جنس ما أتي[1] به عبدنا.

﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾: «دون» في أصله للتفاوت في الأمكنة. يقال لمن أنزل[2] مكاناً من الأخر: هو دون ذلك. فهو ظرف مكان، مثل: «عند» إلّا أنّه ينبئ عن دنوّ أكثر وانحطاط قليل. ومنه: تدوين الكتب؛ لأنّه إدناء البعض من البعض. ودونك هذا، أي: خذه من أدنى مكان منك.

ثمّ اتسع فيه، واستعمل في انحطاط لايكون في المكان، كقصر القامة مثلاً. ثمّ استعير منه للتفاوت في المراتب المعنوية، تشبيهاً بالمراتب المحسوسة. وشاع استعماله أكثر من استعماله في الأصل، نحو: زيد دون عمرو ـ أي: في الشرف ـ ومنه: الشيء الدون.

ثمّ اتسع في هذا المستعار فاستعمل في كل تجاوز حدّ إلى حدّ، وإن لم يكن هناك تفاوت وانحطاط. فهو في هذا المعنى مجاز في المرتبة الثالثة. قال تعالى: «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين»[3]؛ أي: لا يتجاوز[4] ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين. وقال أمية:

يا نفس! مالك دون الله من واق

أي: إذا تجاوزتَ وقاية الله، فلايقيك غيره.

---

١. ر: أوتي.

٢. في ج: أنزله.

٣. آل عمران / ٢٨.

٤. في ج: لا يتجاوزوا.

وهو بهذا المعنى قريب من أن يكون بمعنى «غير» كأنّه أداة استثناء. والأحسن هنا أن يكون بمنزلة أداة استثناء. أو بمعنى أدنى مكان من شيء. فيستعار لمعنى قدّام الشيء وبين يديه.

وكلمة «مِن»، إذا كان «دون» بمعنى القدّام[١]، تبعيضية؛ لأنّ الفعل يقع في بعض الجهة. وهو ظرف لغو معمول «لشهدائكم»، إذ يكفيه رائحة الفعل، فلا حاجة إلى اعتماد ولا إلى تقدير «يشهدوا».

وإذا كان بمعنى أدنى مكان من شيء، ابتدائية متعلقة بـ «ادعوا» وكذا إن كان بمعنى التجاوز عن حد إلى حد. لكنه ظرف مستقر وقع حالاً، والعامل فيها «ادعوا» أو «شهداءكم».

وقد يقال: كلمة «من» الداخلة على «دون» في جميع مواضعها بمعنى: في، كما في سائر الظروف غير المتصرفة[٢]، أي: التي تكون منصوبة على الظرفية أبداً، ولا تنجرّ إلّا بـ «مِن»[٣] خاصة.

قال الشيخ الرضي[٤]: «من» في الظرف[٥] كثيراً ما يقع[٦] بمعنى: «في»، نحو: جئت من قبل زيد، ومن عنده. ومن بيننا وبينك حجاباً مستوراً[٧]. وكنت من قدامك.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾: في موضع الحال، من فاعل «فائتوا» ولهذا لا يحتاج إلى الجزاء.

أو جوابه محذوف دلّ عليه ما قبله، ومفعوله محذوف. والمعنى: إن كنتم صادقين أنّه من كلام البشر.

و«الصدق» الاخبار المطابق.

---

١. أ: القدم.
٢. في ج: المتصرف.
٣. لم ترد «إلّا» في غير ج.
٤. شرح الكافية، ٣٢١/٢.
٥. المصدر: الظروف.
٦. المصدر: تقع.
٧. ليس في المصدر.

وقيل[١]: مع اعتقاد المخبر أنّه كذلك، عن دلالة أو أمارة؛ لأنّه تعالى كذّب المنافقين في قولهم: «انّك لرسول الله» لما لم يعتقدوا مطابقته. وردّ بصرف التكذيب إلى قولهم: «نشهد» لأنّ الشهادة إخبار عمّا علمه، وهم ما كانوا عالمين [به][٢].

أو إن كنتم صادقين في ريبكم. والصدق في الريب أن يكون ناشئاً عن شبهة، لا عن الجحود والإنكار. والمعنى: «إن كنتم في ريب ممّا نزلنا» «فائتوا بسورة من مثله». وادعوا الشهداء للمعاونة، ليظهر عجزكم وعجزهم، فيزول ريبكم.

وذلك بشرط أن تكونوا من الصادقين في ريبكم، وذلك إذا نشأ من شبهة. وأمّا إذا كان من الجحود والإنكار، فلا يمكن زواله.

وفي الآية، دلالة على نبوّته ﷺ فإنّه كان معلوم[٣] الحال موفور العقل والمعرفة بالعواقب. فلو[٤] تطرّقت تهمة إلى ما ادّعاه من النبوة، لما استجاز أن يتحدّاهم، ويبلغ في التحدّي إلى نهايته، بل كان ينبغي أن يكون خائفاً، من أن يعارض فتدحض حجّته. حاشاه من ذلك ﷺ.

(وفي عيون الأخبار[٥]: حدثنا جعفر بن محمّد بن مسرور رضي الله عنه قال: حدثنا الحسين بن محمّد بن عامر، قال: حدثنا أبو عبدالله السياري، عن أبي يعقوب البغدادي، قال: قال ابن السكيت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: لماذا بعث الله تعالى موسى بن عمران بيده البيضاء والعصا[٦] وآلة السحر، وبعث عيسى بالطبّ، وبعث محمّداً ﷺ بالكلام والخطب؟

فقال له أبو الحسن عليه السلام: إنّ الله [تبارك وتعالى][٧] لمّا بعث موسى عليه السلام كان الأغلب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله تعالى بما لم يكن[٨] من عند القوم وفي

---

١. أنوار التنزيل، ٣٦١.
٢. من المصدر.
٣. في ج: كان من المعلوم.
٤. كذا في ج. وهو الصحيح. وفي النسخ «فلا».
٥. عيون الأخبار ٧٩/٢، ح ١٢.
٦. المصدر: موسى بن عمران بالعصا ويده البيضاء.
٧. من المصدر.
٨. ليس في ج.

وسعهم مثله، وبما أبطل به سحرهم وأثبت بـه الحـجة عـليهم. وإنّ الله تـعالى بـعث عيسى عليه السلام في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله تعالى بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص ـ بإذن الله ـ وأثبت به الحجة عليهم. وإنّ الله تبارك وتعالى بعث مـحمّداً صلى الله عليه وآله فـي وقت كـان الأغلب على أهل عصره الخطب والكلام ـ وأظنّه قال: والشعر ـ فأتاهم[١] من كـتاب الله عزّ وجلّ ومواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجة عليهم.

فقال ابن السكيت: تالله! ما رأيت مثل[٢] اليوم قطّ، فما الحجة على الخلق اليوم؟

فقال عليه السلام: العـقل، تـعرف بـه الصـادق عـلى الله فـتصدقه[٣]، والكـاذب عـلى الله فتكذبه[٤].

فقال له ابن السكيت: هذا والله الجواب)[٥].

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾: لمّا بيّن لهم ما يتعرّفون به أمر الرسول وما جاء به وميّز لهم الحق عـن البـاطل، رتّب عـليه مـا هـو كالنتيجة له. وهو أنّكم إذا اجتهدتم في معارضته[٦] وعجزتم جميعاً عن الإتـيان بـما يساويه أو يدانيه، ظهر أنّه معجز والتصديق به واجب، فآمنوا به واتقوا العذاب المعدّ لمن كذّب.

فعبّر عن الإتيان المكيف بالفعل الذي يعمّ الإتيان بـه وغـيره إيـجازاً. ونـزّل لازم الجزاء منزلته على سببل الكناية، تقريراً للمكنّى عنه، وتهويلاً لشأن العناد وتصريحاً بالوعيد مع الإيجاز.

وإنّما أتى بـ «إن» الذي للشك دون[٧] «إذا» الذي للوجوب، مـع أنّ ظـاهر الحـال

---

١. في ج: وأتاهم.
٢. المصدر: مثلك.
٣. المصدر: فيصدقه.
٤. المصدر: فيكذبه.
٥. ما بين القوسين ليس في أ.
٦. أ: معارضة.
٧. أ: ليس في أ.

يقتضي ذلك، تهكّماً بهم تهكّم الواثق بغلبته على من يغاويه، حيث يقول له: إن غلبتك، لم أبقي عليك. أو خطاباً معهم على حسب ظنهم، فإنّ العجز قيل[١]: لم يكن محققاً عندهم. أو حفظاً لمشاكلة[٢] صدر الآية السابقة. والمعنى: فإن لم تفعلوا، أي: لم تقدروا على الفعل الذي هو الإتيان المكيف بقرينة ما سبق، ومحقق أنّكم لا تقدرون، بناء على أنّه اعتراض، «فاتقوا النار» إلى آخره.

وبما قرّرنا، ظهر فساد ما قاله العلّامة السبزواري في تفسيره[٣]. قال: ويخطر بالبال ان الحالية في كمال الاستقامة، وإن أطبق المفسّرون على أنّها اعتراضية. والمعنى: أنّكم لم تأتوا بسورة حال كونكم غير قادرين على الإتيان بها، وحينئذ ترتّب الجزاء على الشرط، إذ بمجرّد عدم الفعل لا يعلم عدم صحّة القدرة حتى يترتّب عليه اتقاء النار، بل يمكن أن لا يعتنوا بشأنه. وعدم القدرة من تأبيد النفي، إذ لو تحقّق القدرة منهم لأتى واحد من هؤلاء بما طلبوا في زمان من الأزمنة ليتخلّصوا من القتل والغارة وذلّ إعطاء الجزية.

ثمّ كتب في الحاشية: قال الشيخ الرضي في شرح الكافية: ويشترط في المضارع الواقع حالاً خلوّه عن حرف الاستقبال، كالسين ولن ونحوهما. وذلك لأنّ الحال الذي نحن في بابه والحال الذي يدلّ عليه المضارع ـ وإن تباينا ـ حقيقة، لأنّ في قولك ـ مثلاً ـ: اضرب زيداً غداً يركب. لفظ «يركب» حال بأحد المعنيين، غير حال بالآخر؛ لأنّه ليس في زمان التكلّم[٤]، لكنّهم التزموا تجريد صدر هذه الجملة ـ أي: المصدرة

---

١. أ، ر: قبل.　　٢. أ: لمشاكلته.

٣. الظاهر، هو المولى حسين بن على الواعظ الكاشفي (م ٩١٠) وتفسيره الموسوم بجواهر التفسير لتحفة الأمير. ويقال له «العروس» أيضاً. وهو تفسير فارسي ألفه باسم الوزير الأمير نظام الدين علي شير الجغتائي الذي استوزره السلطان حسين ميرزا بايقرا في شعبان ٨٧٦، إلى أن توفّي في ١١/ ج ٢/ ٩٠٦. وهذا التفسير لم يتم تأليفه، بل لم يبلغ حد النصف من الجزء الخامس. ثمّ إنّه اختصره وكتب تفسيراً آخر سماه «بالمواهب العلية» ويسمّى أيضاً هذا التفسير الآخر «بتفسير حسيني». (الذريعة ٥/ ٢٦٦ ـ ٢٦٥).

٤. في ج المتكلم.

بالمضارع - عن علم الاستقبال لتناقض الحال والاستقبال في الظاهر، وان لم يكن التناقض هنا حقيقياً. ولمثله التزموا لفظة «قد» إمّا ظاهرة أو مقدّرة في الماضي إذا كان حالاً، مع أنّ حاليته بالنظر إلى عامله. ولفظة «قد» تقرب الماضي من حال التكلم فقط. وذلك لأنّه كان يتنافي في الظاهر لفظ الماضي والحالية، فقالوا: جاء زيد العام الأول وقد ركب، فالمجيء[1] بلفظة «قد» هنا لظاهر[2] الحالية، كما أنّ التجريد عن حرف الاستقبال في المضارع لذلك، انتهى.

والعلّامة التفتازاني، اقتفى أثره في المطوّل. والمحقق الشريف في حاشية المطوّل ردّ عليه، وقال: وهذا الوجه، وإن كان منقولاً في الموضعين عن كلام الرضي، لكنه غير مرضي كما ترى. والصواب أن يقال: إنّ الأفعال إذا وقعت قيوداً لما له اختصاص بأحد الأزمنة، فهم منها استقباليتها وحاليتها وماضويتها بالقياس إلى ذلك المقيّد لا إلى زمان التكلم، كما في معانيها الحقيقيّة، وليس ذلك بمستبعد، انتهى.

وابن هشام في مغني اللبيب[3]، في تمييز الجمل المعترضة[4] عن الحالية، صرّح بأنّ المصدّر بحروف الاستقبال اعتراضية. وشنع على من جعلها حالية، لكن لم ينقل الوجه هنا[5].

وأنا أقول: إن كان يُعلَم من تتبع كلام الفصحاء، من العرب العرباء، أنّ أمثال هذه الجمل اعتراضية وليست بحالية، وانّهم لم يستعملوها حالاً، لكان لكلام النحاة وجه، ويحسن منهم ارتكاب ما ارتكبوا في هذا الباب. ومعلوم أنّ الأمر ليس كذلك. وعدم شيوع دخول الحروف[6] الاستقبالية على الجمل الحالية لايوجب الحكم بالامتناع، ووجوب خلوّ الحال عنها، إذا لم يكن يلزم المفارقة في الزمان بينها وبين صاحبها،

---

١. هكذا في ج. وهو الأظهر وفي النسخ «المجيء».

٢. هكذا في ج. وهو الأظهر. وفي النسخ «الظاهر».

٣. مغني اللبيب، ٣٩٨/٢.

٤. في ج: المعترضية.

٥. في ج: هذا.

٦. أ: الحرف.

وبمحض قول جماعة إذا علم مأخذ قولهم لا[١] يجب متابعتهم وإن كانوا من المشاهير، خصوصاً إذا لم يوجد ذلك الاشتراط في كلام من هو أشهر منهم. انتهى كلام ذلك العلّامة.

فلينظر إلى ما في هذا الكلام من الخبط!

ثمّ قال: وعلى التقديرين، هذا الكلام معجزة أخرى له ﷺ إذ أخبر وكان كما أخبر.

أقول: على تقدير كونه (اعتراضاً، معجزة. وأمّا على تقدير كونه)[٢] حالاً ـ كما قال ـ فلا. فإنّ الجمل التي لها محلّ من الإعراب وقعت موقع المفردات، فتكون نسبها ملحوظة إجمالاً، ولا يصحّ اتصافها بالصدق والكذب.

و«الوقود» ـ بالفتح ـ الحطب، يرفع به النار. وأمّا المصدر، فمضموم. وقد جاء فيه الفتح.

وقرئ بالضمّ:

إمّا[٣] على أنّه مصدر مستعمل، بمعنى المفعول[٤]، مجازاً لغوياً، فأريد بالوقود ما يتوقّد به، كما يراد بفخر قومه: ما يفتخرون به. وبزين بلده: ما يتزيّن به بلده.

أو على أنّه حقيقة، والمجاز إسناد «الناس» إليه وحمله عليه، كما في قولك: حياة المصباح السليط، أي: الزيت الجيّد. فقد جعل السليط ـ الذي به قوام حياته ـ عينها ومحمولاً لها.

وفي قراءة فتح الواو، على تقدير المصدرية، يجري هذان الوجهان، ووجه بتقدير مضاف، إمّا في جانب المبتدأ أو الخبر، كما يقال: أصحاب وقودها الناس والحجارة. أو وقودها إحراق الناس والحجارة[٥].

و«الحجارة» جمع حجر، كجمالة، جمع جمل. وهو قليل غير منقاس.

---

١. في ج: لما.
٢. ما بين القوسين ليس في أ.
٣. ليس في أ.
٤. في ج: المفعل.
٥. ليس في ر.

والمراد بها: إمّا أصنامهم التي نحتوها وعبدوها، كما يدلّ عليه قوله تعالى: «إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم»[١]، وإنّما قرنوا بها لأنّهم قرنوا بها أنفسهم بالعبادة لها.

أو لأنّها كانت منشأ جرمهم فعذّبوا بها، كما عذّب الكافرون بما يكنزونه.

أو لزيادة تحيّرهم، حيث ظهر منها خلاف ما توقّعوا منها من الانتفاع بشفاعتها واستدفاع المضارّ بمكانتها.

أو مطلق الأحجار، لما فيه من الدلالة على شدّة إيقاد النار وقوّته.

أو الذهب والفضة، اللذان كانوا يكنزونهما ويغترّون بهما.

أو حجارة الكبريت. وخُصّت بذلك لاختصاصها من بين الأحجار بسرعة الاتّقاد وبطء الخمود[٢] ونتن الرائحة وكثرة الدخان وشدّة الالتصاق بالأبدان وقوّة حرّها إذا حمت. هكذا ذكروا.

وفي كتاب الاحتجاج[٣]، للطبرسي رحمه الله: روي[٤] عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: ولقد مررنا مع رسول الله[٥] صلى الله عليه وآله بجبل، وإذا الدموع تخرج من بعضه.

فقال له [النبي][٦]: ما يبكيك يا جبل؟

فقال: يا رسول الله! كان المسيح مرّ بي، وهو يخوّف الناس بنار[٧] وقودها الناس والحجارة، فأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة.

قال[٨]: لا تخف، تلك الحجارة الكبريت.

فقرّ الجبل وسكن وهدأ وأجاب.

---

١. الأنبياء / ٩٨.

٢. ليس في أ.

٣. الاحتجاج، ١/٣٢٦.

٤. في ج: وروي.

٥. المصدر: معه.

٦. من المصدر.

٧. المصدر: من نار.

٨. المصدر: قال له.

ومضمون[١] الصلة يجب أن يكون قصة معلومة للمخاطب، وهنا كذلك، إمّا بالسماع من أهل الكتاب، أو من النبي ﷺ أو بسماع آية سورة التحريم. ولا يرد أنّ سماعهم على هذه الوجوه لا يفيدهم العلم، إذ لا يعتقدون صدق ما يسمعونه؛ لأنّ المراد من العلم[٢]، معناه الأعمّ.

﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٢٤): أي هُيِّئت لهم، وجعلت عُدّة[٣] لعذابهم.

وقرئ: «اعتدت» من العتاد، بمعنى العدّة.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾: عطف على الجملة السابقة.

والمقصود: عطف حال من آمن ووصف ثوابه على حال من كفر، وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الإلهية من أن يشفع الترغيب بالترهيب، تنشيطاً لارتكاب[٤] ما ينجي، وتثبيطاً عن اقتراف ما يردي، لاعطف الفعل نفسه، حتّى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي فيعطف عليه.

و«الجنة» المرة[٥] من الجنّ. وهو مصدر جنّه: إذا ستره[٦]. ومدار التركيب على الستر، سمّي بها الشجر المظلل[٧]، لالتفاف أغصانه للمبالغة، كأنّه يستر ما تحته سترة واحدة.

(وفي كتاب علل الشرايع[٨]: بإسناده إلى يزيد بن عبدالله بن سلام، عن أبيه، عن النبي ﷺ حديث طويل، وفيه: قال: فلم سمّيت الجنّة جنّة؟

قال: لأنّها جنية خيرة نقية، وعند الله تعالى ذكره مرضية)[٩].

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: صفة «لجنات»، أي: من تحت أشجارها، على حذف

---

١. أ: ومضمون الجملة.
٢. أ: بالعلم.
٣. العُدّة: ما أُعدّ لأمر يحدث.
٤. أ: الارتكاب.
٥. المتن: الحرة. و«المرة» موافق نسخة ر والمصدر (أنوار التنزيل).
٦. أ: سره.
٧. في ج: المظلم.
٨. علل الشرايع ٤٧٠، ح ٣٣.
٩. ما بين القوسين ليس في أ.

المضاف . أو إرادة الأشجار بالجنات مجازاً . أو من ضميرها ، على طريقة الاستخدام .

و« من » إمّا ابتدائية ، أو تبعيضية ، فإنّ الماء لايجري في جميع أسافل الأشجار ، بل في بعضها .

ويحتمل بعيداً أن يكون المراد : في تحتها[١] ، على ما مرّ .

و« الأنهار » جمع نهر ـ بالسكون ، أو بالفتح ـ . وهو الأفصح . وجاز فيما عينه أو لامه حرف حلق أربعة أوجه : فتح الفاء والعين . وفتح الأول ، وكسر الثاني ، وكسرهما ، وكسر الأول مع سكون الثاني . لكن لم يسمع من هذه الوجوه « في النهر » إلّا اثنان . وهو المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر ؛ كالنيل والفرات .

والتركيب للسعة . والمراد : ماءها ، على الإضمار ، أو المجازي أنفسها .

وإسناد الجري إليها مجاز ، كما في قوله تعالى : « وأخرجت الأرض أثقالها »[٢] ، أو على التجوز في المفرد ، بإطلاق اسم المكان على المتمكّن .

و« اللام » فيها إمّا للجنس ، من غير قصد إلى العموم والاستغراق ؛ كما في قولك : لفلان[٣] بستان فيه الماء الجاري . أو بدل[٤] من الإضافة ، أي : أنهارها . أو للعهد ، إشارة إلى الأنهار المذكورة في قوله تعالى : « أنهار من ماء غير آسن »[٥] ، والأول أحسن .

والثاني : مذهب كوفي مرجوح . وقد منعه صاحب الكشاف[٦] ، حيث قال في قوله تعالى : « فإنّ الجحيم هي المأوى »[٧] ، المعني : فإنّ الجحيم هي مأواه ، وليس الألف واللام بدلاً من الإضافة . ولكن لما علم أنّ الطاغي هو صاحب المأوى ، ولأنّه لا يقصّ[٨] الرجل طرف غيره ، تركت الإضافة .

والثالث ، مع توقّفه على سبق ذكر المنكر على المعروف فيه ، بعد لا يخفى .

---

١ . أي : أنّ « من » بمعنى « في » .

٢ . الزلزلة / ٢ .

٣ . ليس في أ .

٤ . أ : أول .

٥ . محمّد / ١٥ .

٦ . الكشاف ، ٦٩٨/٤ .

٧ . النازعات / ٣٩ .

٨ . ر : يغض .

وإنّما نعت الجنان[١] بجري الأنهار تحتها؛ لأنّ الرياض وان كانت أحسن شيء، إذا لم يجري فيها الماء كانت كتماثيل لا أرواح فيها، وصور لا حياة لها. ولهذا قدّمها على سائر نعوتها.

وعن مسروق: إنّ أنهار الجنة تجري في غير أخدود. و«الأخدود»[٢]: الشقّ المستطيل في الأرض.

والمعنى: أنّ تلك الجنات تجري من تحتها أنهار[٣] من ماء ولبن وعسل.

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا﴾: صفة ثانية «لجنات»، وترك العاطف بينهما، تنبيهاً على أنّ كل واحد منهما صفة على الاستقلال.

أو استئناف. كأنّه لما قيل أنّ لهم جنات وقع في قلب السامع أثمارها مثل ثمار الدنيا أم أجناس آخر، فأزيح بذلك. أو خبر مبتدأ محذوف. والتقدير: هي، أو هم.

وردّ ذلك الأخير: بأنّ تلك الجملة المحذوفة المبتدأ إن جعلت صفة أو استئنافاً، كان تقدير الضمير مستدركاً. وإن جعلت ابتداء كلام لا يكون صفة ولا استئنافاً، فلتكن كذلك بلا حذف.

وأجيب: بأن تقدير «هي» يظهر معنى الوصفية، وبتقدير «هم» يظهر تقوّي شأن الاستئناف، فلا استدراك، وفيه ضعف لا يخفى.

﴿مِنْهَا﴾: متعلق بـ«رزقوا».

﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾: متعلق به ـ أيضاً ـ.

وكلمة «من» فيهما، لابتداء الغاية.

فإن قلت: لا يصحّ أن يتعلق بفعل واحد حرفا جرّ يتّحدان في المعنى عند النحاة، إلّا على قصد[٤] الإبدال والتبعيّة.

---

١. في ج: الجنّات.
٢. ليس في أ.
٣. أ: الأنهار.
٤. ر: قصة.

قلت: لا مجال لذلك في الآية الكريمة. فإنّهما ليستا متعلّقتين[١] بفعل واحد، بل بفعلين مختلفين بالإطلاق والتقيّد. فالمطلق ـ أعني: «رزقوا» ـ جعل مبتدأ من «الجنات»، وبعد تقييده بالابتداء منها، جعل مبتدأ من «الثمرة»، مع أنّه لقائل أن يمنع عدم صحة الإبدال هاهنا، فإنّه يجوز أن يكون بدلاً من الأولى بتقدير صفة، أي: من ثمرة كائنة منها. وكلا الطرفين لغو «لِرُزقوا»، فلا حاجة إلى أن يجعل الأول حالاً من «رزقاً»، والثاني من ضميره[٢] فيها، أي: الحال (منه ﷺ)[٣].

﴿قَالُوا هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾: أي: هذا الظاهر المحسوس من المرزوق، كالمرزوق الذي رزقناه في الشكل واللون لا في الطعم. فحذف أداة التشبيه ووجهه للمبالغة، كما في: زيد أسد[٤].

ويحتمل أن يجعل «هذا» إشارة إلى نوع ما رزقوا، فلا حاجة إلى اعتبار التشبيه نوع المرزوق في الآخرة هو نوع المرزوق في الدنيا من قبل، أي: من قبل هذا في الدنيا.

وإنّما جعل الثمران[٥] متشابهين؛ لأنّ الطبع إلى المألوف أميل، وإلى تناوله أسرع. ووجود المزية أظهر إذ لو كان جنساً لم يعهد ظنّ أنّه لا يكون إلّا كذلك، وإعجاب النفس به واستغرابه له أشدّ. أو في الجنّة، لما روي: أنّ ثمار الجنة إذا جنيت بدّل الله مكانها مثلها[٦]. فقالوا: «هذا الذي رزقنا من قبل» لاشتباه الأمر عليهم، أو لاستغرابهم إيّاه وابتهاجهم به.

وفيه أنّ قول ذلك في المرّة الأولى لا معنى له، كما يقتضيه عموم «كلما».

﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً﴾: جملة معترضة بين أوصاف الجنة لتقرير ما قالوا. أو حال من فاعل «قالوا» بتقدير «قد» عند البصرية، كقوله تعالى: «جاؤوكم حصرت

---

١. في ج: متعلقين. ٢. ر: ضمير.

٣. ذكرت في هامش النسخ.

٤. أي: حذف أداة التشبيه وهي الكاف، ووجه الشبه وهو «في القوة»، وأصل الجملة: زيد كالأسد في القوّة.

٥. هكذا في ج. وفي النسخ «الثمرات». ٦. أ: مثلاً.

صدورهم »[١]، وبدونه عند الكوفية.

وللمرزوق والرزق، من حيث وحدتهما الجنسية، توحّد. ومن حيث اثنينيّتهما النوعية، تعدّد. فإفراد الضمير، للجهة الأولىٰ. وجعل «متشابهاً»، المقتضي تعدّد الفاعل حالاً عنه بالاعتبار الثاني، والمعنى: وأتوا به متشابهاً به، أي: بهذا الجنس، حال كونه متشابهاً في كل من نوعيه نفسه في الآخر.

فمرجعه على الوجه الأول، هو الجنس المرزوق الشامل لكل من مرزوق الدنيا والآخرة، فإنّه يفهم من مضمون ما تقدّم، وعلى الوجه الثاني هو الرزق.

قال عليّ بن ابراهيم[٢]: يؤتون من فاكهة واحدة، على ألوان متشابهة.

﴿**وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ**﴾: «الزوج» يقال للذكر والأنثى. وهو في الأصل لما له قرين من جنسه. كزوج الخفّ.

فالذين آمنوا، إن كان شاملاً للمؤمنين والمؤمنات تغليباً، فمعنى لهم[٣] أزواج: أنّ للذكور أزواجاً من جنس الأناث. والمراد به إمّا الحور العين، أو نساء الدنيا سلبت عنها القذرات. وإرادة الأعمّ أولى. وللأناث أزواجاً من جنس الذكور.

وإن كان خاصاً بالمؤمنين، اكتفاء بهم؛ لأنّه يعرف حال المؤمنات بالقياس إلى حالهم، فمعناه: أنّ للمؤمنين أزواجاً مطهّرة.

وقرئ «مُطهِّرة» بتشديد الطاء وكسر الهاء، بمعنى: مطهِّرة ومطهّرات. وهي[٤] تؤيّد[٥] الاحتمال الثاني؛ لأنّ القياس على الأول: مطهرون، فإنّه لم يعهد تغليب النساء على الرجال. و«مُطهِّرة» أبلغ من «طاهرة ومطهرة»؛ لأنّها تنبئ من أنّ مطهراً[٦] طهرها. وليس هو إلّا الله ﷻ. والمراد بتطهّرها[٧]: أن طهرت مما يختصّ بالنساء من الحيض

---

١. النساء / ٩٠.
٢. تفسير القمي، ٣٤/١.
٣. أ: لهم فيها.
٤. ر: هو.
٥. النسخ: يؤيد.
٦. هكذا في ج. وهو الصحيح. وفي النسخ «مطهر».
٧. في ج: أطهرها.

والاستحاضة. وما لا يختص من الأقذار والأدناس. ويجوز لإطلاقه أن يدخل تحته الطهر من ذمائم الأخلاق وقبائح الأفعال.

وإنّما لم يجمع الصفة كالموصوف، إذا أتى بها على قاعدة الرجال والنساء، فعلت للتأويل بالجماعة. وهي لغة فصيحة.

﴿وَهُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ﴾ (٢٥): دائمون.

والخلد والخلود، يطلق على الثبات المديد الدائم، وعلى غير الدائم، بالاشتراك المعنوي أو اللفظي، أو الحقيقة والمجاز.

والأول أولى، نفياً للتجوز والاشتراك اللذين هما خلاف الأصل.

ومنه قيل للأثافيّ[١] والأحجار: خوالد. والجزء الذي يبقى من الإنسان، على حاله ما دام حيّاً خلداً.

وقيل: وإلّا يلزم أن يكون التقييد بالتأبيد، في قوله تعالى: «خالدين فيها أبداً» لغواً.

وبالجملة، المراد به: الدوام هنا عند الجمهور، لما يشهد له من الآيات والسنن. ثمّ إنّ مجامع اللذات، المسكن والمطعم والمنكح. فوصف الله تعالى المسكن بقوله: «جنات تجري من تحتها الأنهار»، والمطعم بقوله: «كلّما رزقوا منها من ثمرة»، والمنكح بقوله: «ولهم فيها أزواج مطهرة». ثمّ إنّ هذه الأشياء إذا حصلت وقارنها خوف الزوال، كان التنعّم بها منغصاً[٢]، فأزال تعالى هذا الخوف عنهم بقوله: «وهم فيها خالدون»، فصارت الآية دالّة على كمال التنعم والسرور.

فإن قلت: فائدة المطعوم، هو التغذي ودفع[٣] ضرر الجوع. وفائدة المنكوح، التوالد وحفظ النوع.

قلت: مطاعم الجنة ومناكحها وسائر أحوالها إنّما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات، ويسمّى بأسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل، ولا يشاركها

---

١. الأثافيّ ـ جمع أُثفيّة ـ: أحد أحجار ثلاثة توضع عليها القدر.

٢. أ: منقصاً.　　٣. أ: ليس في أ.

في تمام حقيقتها حتّى يستلزم جميع ما يلزمها ويفيد عين فائدتها.

فإن قيل: الأبدان مركّبة من أجزاء متضادة الكيفية، معرضة للاستحالة المؤدّية إلى الانفكاك والانحلال، فكيف يعقل خلودها في الجنان؟

قلت: إنّ الله تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة، بأن يجعل أجزائها ـ مثلاً ـ متقاومة[١] في الكيفية، متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على إحاطة الآخر، متعانقة متلازمة، لا ينفكّ بعضها عن بعض، كما في بعض المعادن.

(وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[٢] ـ حديث طويل ـ عند قوله تعالى: «يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً»[٣] يذكر فيه عليه السلام أحوال المتقين بعد دخولهم الجنة، وفيه: ثمّ يرجعون إلى عين أخرى عن يسار الشجرة فيغسلون فيها وهي عين الحياة، فلا يموتون)[٤].

وفي أصول الكافي[٥]: عليّ بن ابراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمّد، عن[٦] المنقري، عن أحمد بن يونس، عن أبي‌هاشم، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إنّما خُلّد أهل النار في النار[٧]؛ لأنّ نيّاتهم كانت[٨] في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً. وإنّما خُلّد أهل الجنة في الجنة؛ لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا، أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً. فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء. ثمّ تلا قوله تعالى: «قل كل يعمل على شاكلته»[٩]. قال: على نيّته.

والطائفة الإمامية، هي المقصودة من الآية. فإنّ من لم يؤمن بخلافة علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله بلا واسطة، لم يؤمن بالقرآن. فهو خارج عن ربقة الإيمان[١٠].

---

١. أ: متفاوتة.
٢. تفسير القمي، ٥٤/٢.
٣. مريم / ٨٥.
٤. ما بين القوسين ليس في أ.
٥. الكافي ٨٥/٢، ح ٥.
٦. ليس في ج.
٧. ليس في أ.
٨. ر: كان.
٩. الإسراء / ٨٤.
١٠. أ: الإسلام.

يدلّ على ما ذكرنا، ما رواه ثقة الإسلام في الكافي[١]: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل بهذه الآية على محمّد صلى الله عليه وآله هكذا: «وان كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا ـ في علي ـ فأتوا بسورة من مثله».

وفي شرح الآيات الباهرة[٢]: قال الإمام عليه السلام: قال عليّ بن الحسين عليهما السلام: قوله عزّ وجلّ: «وإن كنتم» أيها المشركون واليهود وسائر النواصب، من المكذّبين لمحمّد بما قاله في القرآن، في تفضيل أخيه علي، المبرز على الفاضلين، الفاضل على المجاهدين الذي لا نظير له في نصرة المؤمنين وقمع الفاسقين وإهلاك الكافرين وتثبيت دين ربّ العالمين «في ريب مما نزلنا على عبدنا» في إبطال عبادة الأوثان من دون الله، وفي النهي عن موالاة أعداء الله ومعاداة أولياء الله، وفي الحثّ على الانقياد لأخي رسول الله صلى الله عليه وآله واتخاذِهِ إماماً واعتقاده فاضلاً راجحاً لا يقبل الله عزّ وجلّ إيماناً ولا طاعة إلّا بموالاته، وتظنّون أنّ محمّداً يقوله من عنده، وينسبه إلى ربه، فإن كان كما تظنّون «فأتوا بسورة من مثله»، أي: مثل محمّد، أي: لم يختلف قطّ إلى أصحاب كتب وعلم. ولم يتلمّذ لأحد ولا تعلّم منه. «وادعوا شهداءكم من دون الله» الذين يشهدون بزعمكم أنكم محقّون، وأنّ ما تجيئون به نظير لما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله «إن كنتم صادقين» في قولكم أنّ محمّداً تقوّله.

ثمّ قال الله: «فإن لم تفعلوا»، أي: ما يأمركم، وتقبلوا[٣] ما يحدثكم به، «ولن تفعلوا»، أي: ولا[٤] يكون ذلك منكم، ولا تقدرون عليه «فاعلموا» أنّكم مبطلون، وأنّ محمّداً الصادق الأمين المخصوص برسالة ربّ العالمين المؤيد بالروح الأمين وبأخيه أميرالمؤمنين وسيّد المتّقين، فصدّقوه فيما يخبركم به عن الله من أوامره ونواهيه، وفيما يذكره من فضل علي وصيّه وأخيه. و«اتقوا» بذلك عذاب «النار» التي «وقودها» وحطبها «الناس والحجارة» أشدّ حرّاً «أعدّت» تلك النار «للكافرين»

---

١. الكافي ٤١٧/١، ح ٢٦.

٢. تفسير العسكري عليه السلام، ٢٠٠، بتفاوت كثير.

٣. في ج: ولم تقبلوا لما يحدّثكم به.

٤. في ج: لا.

بمحمّد والشاكّين في نبوته والمدافعين لحق أخيه علي، والجاحدين لإمامته.

ثمّ قال: «وبشّر الذين آمنوا» بالله، وصدّقوك في[1] نبوتك واتخذوك نبياً، واتخذوا أخاك علياً بعدك إماماً ولك وصيّاً مرضياً، وانقادوا لما يأمرهم به، وصاروا إلى ما اختارهم إليه، ورأوا له ما يرون لك إلّا النبوة التي أفردت بها، أنّ الجنان لا تصير لهم إلّا بموالاته وموالاة من نصّ عليه من ذريته وموالاة أهل ولايته ومعاداة أهل مخالفته وعداوته، وأنّ النيران لا تهدن عنهم ولا تعدل بهم عن[2] عذابها إلّا بتنكّبهم[3] عن موالاة مخالفيهم، ومؤازرة شانئيهم[4]. «وعملوا الصالحات» من أداء الفرائض واجتناب المحارم، ولم يكونوا كهؤلاء الكافرين بك، «أنّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار» من تحت شجرها ومسكنها. «كلّما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة» من أنواع الأقذار. «وهم فيها خالدون» مقيمون في تلك البساتين والجنان.

وفي تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي[5]، قال: حدثنا الحسن بن الحسين الأنصاري، قال: حدثنا حيان بن علي الغنوي، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس رضي الله عنه: «وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات» (الآية) نزلت في علي وجعفر وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب رضي الله عنهم أجمعين[6].

قال بعض الفضلاء: وإن أردتَ تأويل الآية في بعض بطونها، فاعلم أنّ الجنات ثلاثة: جنة الاختصاص الإلهي، وهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا، والمجانين الذين ما عقلوا، وأهل الفترات ومن لم يصل إليه دعوة رسول. والجنة الثانية: جنة

---

١. في ج: و.

٢. هكذا في تأويل الآيات الطاهرة ج ١، ص ٤٣ ح ١٧. وهو الأظهر. وفي النسخ «عنه».

٣. النسخ والمصدر: بتنبكهم! والمتن موافق لتفسير البرهان، الذي نقل فيه عن المصدر.

٤. في ج: شانئهم.

٥. تفسير فرات، ٥٣.

٦. ما بين القوسين ليس في أ.

ميراث ينالها كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين، وهي الأماكن التي كانت معيّنة لأهل النار لو دخلوها. والجنة الثالثة: جنة الأعمال، وهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم، فمن كان له من الأعمال أكثر كان له من الجنات أكثر. وفي شأن هذه الجنة[١] ورد[٢] عن النبي صلى الله عليه وآله: أنّ الجنة قاع صفصف، ليس فيها عمارة، فأكثروا من غراس الجنة في الدنيا.

قيل: يا رسول الله! وما غراس الجنة؟

قال صلى الله عليه وآله: فهذه الجنة، ما فيها من الأشجار والأنهار والثمرات وغيرها من الحور والقصور والغلمان والولدان هي أعمالهم وأخلاقهم ومقاماتهم وأحوالهم، مثلّت وصوّرت في أمثلة وصور مناسبة، ثمّ ردت إليهم. ولهذا يقال لهم: إنّما هي[٣] أعمالكم تردّ إليكم.

وهذه الآية الكريمة إشارة إلى بشارة أهل هذه الجنة، يعني: «بشّر الذين» تحققوا بالعلوم والمعارف الإيمانية المبنية عليه الأعمال الصالحة والأفعال الحسنة «أنّ لهم جنات» من أشجار ونخيل وأعناب، وهي صور هذه الأعمال والأفعال. «تجري من تحتها الأنهار» أي: أنهار تلك العلوم والمعارف النابتة أصول هذه الأشجار وفروعها منها. «كلما رزقوا منها من ثمرة» هي من صور نتائج أعمالهم. وتنبّهوا لما بين الصورة وذي الصورة من المناسبة والمشابهة، «قالوا هذا» المرزوق في الجنة بعينه هو «الذي رزقنا من قبل» في الدنيا. وهذا كما إذا رأيت ليلة في المنام أنك تشرب اللبن وحصل لك غداتها نوع من العلم، تنبّهت لما بين ما رأيته في المنام وبين ما حصل لك من العلم من المشابهة، فإنّ اللبن كما أنّه غذاء صالح للأبدان، كذلك العلم غذاء[٤] صالح للقلوب والأرواح، قلت: هذا ما رأيته البارحة في المنام، وأتيت بما رزقته في النوم واليقظة

---

١. أ: الجهة.
٢. أ، ر: ورد ما ورد.
٣. ليس في أ.
٤. أ: ليس في أ.

متشابهاً، أي: يشابه كل واحد منهما[١] الأخر. وعلى هذا القياس معنى «أتوا به متشابهاً ولهم فيها» من صور أبكار المعاني الغيبية التي يقتضيها خصوصيات استعداداتهم «أزواج مطهرة» من ملابسة الأغيار، لم يطمثهنّ إنس ولا جان. «وهم فيها خالدون» أي: دائمون لا يبرحون عنها. وفي قوله: «وهم فيها خالدون» وإن كان لهم بشارة بالدوام والبقاء، ولكن فيه تعريض بشأنهم أنّهم أخلدوا إلى أرض هذه الجنة، فلا يبرحون عنها إلى ما فوقها. ولا يترقون إلى جنات النعيم وجنة الذات، (فهم لا يزالون مقيّدين بها، بخلاف أهل جنات الصفات، فإنّهم وإن كانوا غير مترقين إلى جنة الذات)[٢] لكنهم ينزلون إلى جنات الأفعال ويتحظون[٣] بما فيها من غير تقيّد بها. وأمّا أهل جنة الذات فلهم السراح والإطلاق، يظهرون في الجنات كلّها، ويتحظون بما فيها من غير تقييد بشيء منها. رزقنا الله وإيّاكم معالي الأمور، وهو سبحانه الودود الغفور.

﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾: لما كانت الآيات السابقة مشتملة[٤] على أقسام من التمثيل، عقّب ذلك ببيان حسنه، وما هو الحقّ له، وما هو شرط فيه من موافقته للممثل له، من الجهة التي تعلّق بها التمثيل في العظم والصغر والشرف والخسة[٥] دون الممثل. فإنّ التمثيل إنّما يصار إليه لكشف المعنى الممثل له، ورفع الحجاب عنه وإبرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه. فإنّ المعنى الصرف، إنّما يدركه العقل مع منازعة من الوهم؛ لأنّ من طبعه ميل الحس وحبّ المحاكاة لما قاله الجهلة، من أن ضرب الممثل[٦] بالمحقرات، كالنحل والذباب والعنكبوت والنمل، لا يليق بكلام الفصحاء من المخلوقين، ويخلّ بفصاحته، فكيف يليق بالقرآن الذي تدّعون أنّه كلام الله، بالغ في الفصاحة حدّ الإعجاز؟

---

١. أ: منها.

٢. ما بين القوسين ليس في أ.

٣. أ: تتحيظون. ر: يحتظون.

٤. أ: المشتملة.

٥. أ: الحسنة.

٦. في ج: المثل.

وعن الحسن وقتادة[١]: أنّه لما ذكر الله الذباب والعنكبوت[٢] في كتابه وضرب به ضحك[٣] اليهود. وقالوا: ما يشبه[٤] هذا كلام الله. فأنزل الله سبحانه هذه الآية.

وقال: إنّ الله لا يترك ضرب المثل ببعوضة، ما ترك من يستحيي أن يمثل بها لحقارتها[٥]. وقد مثّل في الانجيل بالنخالة لمن يقول بالبر ولا يعمل به، كالمنخل يخرج المنخول المختار ويمسك النخالة. قال: لا تكونوا كمنخل يخرج[٦] منه الدقيق ويمسك النخالة. كذلك أنتم، تخرج الحكمة من أفواهكم وتبقون الغلّ في صدوركم. وبالحصاة للقلوب القاسية، حيث قال: قلوبكم كالحصاة لا ينضجها النار، ولا يلينها الماء ولا ينسفها الرياح. وبالزنابير لمقاولة السفهاء، لما في اثارتها من الضرار. قال: لا تثيروا الزنابير، فتلدغكم. فكذلك لا تخاطبوا السفهاء فيشتمون.

و«الاستحياء» من الحياء. وهو انقباض النفس عن القبيح، مخافة الذم. وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح وعدم المبالاة بها، والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقاً.

واشتقاقه من الحياة. يقال: حي الرجل: إذا اعتلت قوته الحيوانية، كما يقال: نسي وحشي: إذا اعتلت نساه وحشاه. والنَّسا ـ بفتح النون والقصر ـ عرق يخرج من الورك فيبتطن[٧] الفخذين، ثمّ يمرّ بالعرقوب حتى يبلغ الحافر. ومنه: مرض عرق النسا. والحشا ما احتوت عليه الضلوع. فكأنّه جعل الحيّ[٨] لما يعتريه من التغير والانكسار منتقص[٩] الحياة، كما يقال: فلان هلك، أو مات، أو ذاب حياء من كذا.

و«استحيى» بمعنى حي، كاستقر، بمعنى قرّ. ويتعدّى بنفسه وبحرف الجرّ. يقال: استحييته، واستحييت منه.

---

١. مجمع البيان، ٦٧/١.

٢. في ج: والعنكبوت والنمل.

٣. في ج: ضحكت.

٤. أ: شبه.

٥. هكذا في ج. وهو الصحيح. وفي النسخ «لحقادتها».

٦. هكذا في ج: خرج.

٧. في ج: فيستبطن.

٨. في ج: الحقّ.

٩. أ: منقص.

والآية تحتمل الوجهين. وإنّما أتى بالمزيد، لما في المجرّد من توهّم نفي الحياة.

وروى ابن كثير: يستحي، بياء واحدة[١].

ووجهه أنّه استثقل اجتماع اليائين، فحذفت احداهما بعد نقل حركتها إلى ما قبلها.

ولما لم يجز على الله تعالى النغير[٢] والخوف والذم، لم يجز وصفه بالحياء اللازم من نفي الاستحياء المقيد، فإنّه يفهم منه ثبوت مطلق الاستحياء كما يدلّ عليه حديث سلمان رحمة الله عليه[٣] صريحاً، حيث قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله حيي كريم، يستحي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردّهما صفراً[٤] حتى ينزل[٥] فيهما خيراً.

فلابد أن يراد ما هي سبب عنه، أعني: ترك ما يستحيي عنه فيكون مجازاً من باب إطلاق اسم[٦] السبب على المسبب. أو يجعل[٧] من قبيل الاستعارة التمثيلية، بأن يشبه حال الله سبحانه، مع ضرب المثل بالمحقرات، بحال المستحي مع ما يستحي منه. فكما أنّ المستحي يترك ما يستحي منه، كذلك سبحانه[٨] يترك ضرب المثل بالمحقّرات.

فإذا نفى ذلك المعنى، صار المعنى: أنّه ليس حاله سبحانه ـ مع ضرب المثل بها ـ كحال المستحي مع ما يستحي منه في الترك. فلا يترك سبحانه ضرب المثل، كما يترك المستحي ما يستحى منه.

فإن قلت: يلزم حينئذ وقوع الفعل، فيشكل ذلك من أنّه ما وقع في القرآن ذكر البعوضة والتمثيل بها ولا ذكر ما فوقها إذا أريد به، ما فوقها في الحقارة.

قلت: كما أنّ للاستحياء لازماً هو ترك المستحى منه، كذلك لعدم الاستحياء لازم

---

١. الكشاف، ١/١١٤.

٢. في ج: التغيّر. ونغر فلان: غلى جوفه من الغيظ.

٣. الكشاف، ١/١١٢.

٤. أ: حقراً.

٥. المصدر: يضع.

٦. ليس في أ.

٧. في ج: أو يحتمل.

٨. في ج: الله سبحانه.

هو جواز وقوع الفعل. فإنّه لا يلزم من عدم السبب إلّا جواز وقوع[1] المسبّب لا وقوعه.

فيصير المعنى: أنّ الله سبحانه يجوز أن يقع منه ضرب المثل بالبعوضة فما فوقها. ولا شك أنّ الجواز لا يستلزم الوقوع.

ويجوز أن يكون هذه العبارة مما وقعت في كلام الكفرة، فقالوا: أما يستحي ربّ محمّد أن يضرب مثلاً بالذبات والعنكبوت؟ فجاءت هنا على سبيل المشاكلة. وهي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، كقوله: قالوا

اقترح شيئاً[2] نجد لك طبخة.

قلت:

اطبخوا لي[3] جبة وقميصاً[4]

وقد يجاب بأنّ وقوعها في القرآن إنّما هو بالنظر إلى هذه الآية، وبأنّ ترك[5] ضرب المثل بالبعوضة وبما فوقها يكون[6] بتركهما جميعاً، فهو في قوة السلب الكلي، وهو يرتفع بالإيجاب الجزئي، فليكن صدق نفي تركهما بوقوع ضرب المثل بما فوق البعوضة.

والأول ضعيف. فإنّها لم يقع على قصد التمثيل لها[7] وإن تكلف. ويقال: المراد[8] أنّه لا يستحي أن يضرب بها مثلاً للآلهة، فإنّ المتبادر أنّها إخبار عما وقع خارجاً عن هذا الكلام.

والثاني لا يتأتى إلّا على تقدير أن يراد «بما فوقها»: ما يفوقها في العظم. مع أنّ حمله على ما يفوقها في الحقارة وإن لم يكن أولى، فلا أقلّ من أن يكون مساوياً.

---

١. في ج: وقوعه.
٢. ليس في ج.
٣. أ: الى.
٤. أ: قيصاً.
٥. ليس في ج.
٦. في ج: إنّما يكون.
٧. في ج: بها.
٨. المراد به.

قال العلّامة السبزواري[1]: المعنى: لا يدع ضرب المثل بالأشياء الحقيرة كالبعوضة، فضلاً عما هو أكبر منها كالذباب والعنكبوت، وما هو أعظم منهما. أو كالبعوضة فما فوقها في الصغر والحقارة؛ لأنّ جناح البعوضة أصغر منها وقد ضرب به المثل، وقد خلق الله من الحيوان ما هو أصغر حجماً من البعوضة بكثير.

أقول: لا يخفى على ما حقّقنا ما فيه فإنّه يدلّ على أنّه ضرب المثل بالبعوضة وما هو أصغر منها وليس كذلك. وأمّا ما روي عن الصادق عليه السلام[2] من أنّه قال: إنّما ضرب الله المثل بالبعوضة؛ لأنّ البعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق في الفيل مع كبره، وزيادة عضوين آخرين. فأراد الله سبحانه أن ينبّه بذلك المؤمنين على لطف خلقه وعجيب صنيعته[3]. فلا يدلّ على أنّ ضرب المثل بالبعوضة واقع من الله، بل على أنّه جاز وقوعه لهذا الوجه. وهذا المعنى: وإن كان خلاف ما هو المتبادر من لفظ الحديث، لكن يجب أن يصار إليه عند قيام القرينة.

﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مٰا بَعُوضَةً فَمٰا فَوْقَهٰا﴾: في محل النصب، إمّا على أنّه مفعول الفعل المتقدم، أو بنزع الخافض. أو الجرّ بتقديره، كما في: الله لأفعلنّ.

وضرب المثل، اعتماده من ضرب الخاتم. وأصله: إيقاع شيء على شيء، كضرب الشيء باليد والعصى والسيف ونحوها. وضرب الدراهم، اعتباراً بضربه بالمطرقة. والضرب في الأرض: الذهاب فيها، وهو ضربها بالأرجل. وضرب الخيمة: لضرب أوتادها بالمطرقة. وضرب المثل: هو من ضرب الدراهم. وهو ذكر شيء يظهر أثره في غيره.

والاضطراب: كثرة الذهاب في الجهات، من الضرب في الأرض.

و«مثلاً» منصوب، على أنّه مفعول به «ليضرب».

و«بعوضة» بدل منه. أو عطف بيان. أو مفعول «ليضرب».

---

١. تفسير حسيني، ٧/١.

٢. مجمع البيان، ٦٧/١.

٣. أ: صفته. المصدر: صنعه.

و« مثلاً » حال تقدمت ؛ لأنّه نكرة . أو هما مفعولاه لتضمينه معنى الجعل أو لتجوّزه عنه ، ويكون « مثلاً » مفعوله الثاني ؛ لأنّه المناسب بحسب المعنى :

وقرئ بعوضة ـ بالرفع ـ على أنّه خبر مبتدأ محذوف .

و« ما » هذه إبهامية ، تزيد للنكرة إبهاماً وعموماً ، تسدّ[1] عنها طرق التقييد .

فإمّا اسم ، يقع صفة للنكرة . فمعنى قوله « مثلاً ما » : مثلاً أيّ مثل .

وإمّا زائدة . فيكون حرفاً ؛ لأنّ زيادة الحروف أولى من زيادة الأسماء ، لاستبدادها بالجزئية .

وأيضاً ثبت زيادتها في نحو : « فبما رحمة من الله لنت لهم »[2] . ووصفيّتها لم تثبت ، فالحمل على ما ثبت في موضع الالتباس .

وفائدة « ما » هذه ، إمّا التحقير ، نحو : هل أعطيت إلّا أعطية[3] ما . أو التعظيم ، نحو :

لأمر ما يسود من يسود

أو التنويع ، نحو : أضربه ضرباً ما ، أي : نوعاً من أنواعه أيّها كان .

وتجتمع هذه المعاني كلّها في الإبهام وتأكيد التنكير ، أي : عطيةً لا تعرف من حقارتها ، وأمرٍ مجهول العظمة ، وضرباً مجهولاً غير معين .

أو غير إبهامية ، بل هي حرف زيدت لتأكيد معنى آخر ، غير التنكير والإبهام . فهي هنا :

إمّا لتأكيد ضرب المثل ، أو نفي الاستحياء ، أي : يضرب المثل البتّة ، أو لا يستحيي البتّة .

وإمّا موصولة . وذلك بشرط أن يقرأ « بعوضة » مرفوعة ، ويجعل مع مبتدئه المحذوف صلة .

وإمّا موصوفة . والجملة صفة ، ومحلّها النصب على البدلية أو الاختصاص .

---

١. الأظهر : وتسدّ .
٢. آل عمران / ١٥٩ .
٣. في ج : عطيته .

وإمّا استفهامية مرفوع المحل، على أنّه مبتدأ و« بعوضة » خبره. فإنّه لما قال في رد استبعادهم ضرب الله الأمثال بالمحقرات: « إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً » لا يبعد أن يقال: معناه للمبالغة في الرد، أنّ لله التمثيل بأشياء محقّرة لا يتأتى لكم أن تدركوها من الحقارة، فيحسن إرادفه « بما »ا إلى آخره. ومعناه: أي شيء البعوضة فما فوقها حتى لا يمثل بهما؟ بل له أن يمثل بما هو أحقر من ذلك، ونظيره: فلان لا يبالي بإعطاء المئات والألوف من الدينار، ما دينار وديناران، حتى لا يعطي؟

وإمّا[1] زائدة. أو صفة لنكرة، و« بعوضة » خبر مبتدأ محذوف، أي: مثلاً هو بعوضة.

و« البعوض » من البعض وهو القطع، كالبضع، والعضب. ومنه: بعض الشيء، فإنّه قطعة منه، فمدار هذه الحروف على القطع، كيفما يترتّب. فهو في أصله صفة على فعول، كالقطوع، فُغلّب على البقة كالخموش - بفتح الخاء - فإنّه أيضاً صفة على فعول، من خمش وجهه، يخمشه؛ أي: يخدشه. فُغلّبت عليها.

و« ما » في « ما فوقها » إن نصبنا[2] « بعوضة » كانت معطوفة عليها موصولة أو موصوفة، صلتها أو صفتها الظرف. وإن رفعناها، وجعلنا « ما » الأولى موصولة أو موصوفة أو استفهامية، فالثانية معطوفة عليها أو على « بعوضة ».

وإن جعلنا « ما » زائدة أو صفة نكرة و« بعوضة » خبراً « لهو »[3] مضمراً، كانت « ما » معطوفة على « بعوضة ».

وإن جوّز حذف الموصول مع بعض الصلة، يجوز أن يكون « ما » في « ما[4] فوقها » استفهامية، أي: فما الذي هو فوق البعوضة؟ والمعنى: إنّ لله التمثيل بالبعوضة، فأيّ شيء ما هو فوق البعوضة كالذباب والعنكبوت، حتى لا يمثل به؟

وحينئذ يكون في غاية الطباق لكلام الكفرة. هذا إذا لم يكن « ما » الأولى استفهامية.

---

١. أ: وما.
٢. أ: تصبنا.
٣. في ج: لهواً.
٤. أ: فما.

فإذا كانت هي أيضاً استفهامية يكون ترقياً على ترقّ. والمعنى: إنّ لله التمثيل بأحقر شيء، فأيّ شيء البعوضة حتى لا يمثل بها؟ وبعد ذلك، أيّ شيء مافوق البعوضة كالذباب والعنكبوت، حتى لا يمثل به.

ومعنى «ما فوقها» أي: في الكبر، وهو أوفق لكلام الكفرة. أو في الصغر، وهو أشدّ مبالغة في ردّهم. وما فوق في الصغر، هو جناحها، كما ضربه عليه السلام مثلاً للدنيا، روى الترمذي[١]، عن سهل[٢] بن سعد، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى منها كافراً[٣] شربة ماءٍ.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ﴾: «أمّا» بفتح الهمزة وتشديد الميم في جميع اللّغات، إلّا عند بني تميم، فإنّهم يقولون: «أيما» حرف تفصيل؛ كإمّا ـ بكسر الهمزة ـ مطلقاً عند المبرّد.

وأمّا الأولى، عند غير المبرّد، يفيد تفصيل مجمل متعدد سابق في الذكر صريحاً، كقولك: جاءني القوم، أمّا العلماء فكذا، وأمّا الجهلاء فكذا. أو في الذهن من غير سبق ما يدلّ عليه بوجه ما، كقولهم في صدور[٤] الكتب: أمّا بعد. أو مع سبقه، كما نحن فيه من الآية؛ لأنّ قوله تعالى: «إنّ الله لا يستحيي» دلّ على أنّ ثمّة من يداخله شبهة على ما مرّ ويخطر منه بالبال مقابله، فيحصل في الذهن متعدد يفصله «أمّا» ويتضمّن معنى الشرط، ولذلك يجاب بالفاء.

قال سيبويه: أمّا زيد فذاهب. معناه: مهما يكن[٥] من شيء، فزيد ذاهب، (أي: هو ذاهب)[٦] لا محالة، وأنّه منه عزيمة.

ففي تصدير الجملتين به، مبالغة في محمدة المؤمنين ومذمّة الكافرين. وكان الأصل دخول «الفاء» على الجملة؛ لأنّها الجزاء، لكنهم كرهوا إيلائها حرف الشرط فأدخلوا الخبر، وعوّضوا المبتدأ عن الشرط. «فالّذين آمنوا» مبتدأ، و«يعلمون»

---

١. سنن الترمذي ٣٨٣/٣، ح ٢٤٢٢.
٢. المصدر: مسهر.
٣. المصدر: كافراً منها.
٤. أ: صدر.
٥. أ: يمكن.
٦. ليس في ج.

خبره.

﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾: في موضع مفعولي «يعلمون»[١].

والحق أنّ «أنّ» الواقعة بعد العلم لا يغيّر معنى الجملة، أي: لا يؤولها إلى المفرد. فجزءا الجملة منصوبان ـ محلّاً ـ على أنّهما مفعولاه[٢].

و«الحق» في اللغة: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، يعمّ الأعيان الثابتة والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة. من قولهم: حق الأمر: إذا ثبت. ومنه: ثوب محقق: محكم النسج. وفي العرف الأخير يخصّ الأخيرين. وفي اصطلاح أرباب المعقول يخصّ الأخير، فيقولون للأقوال المطابقة للواقع: صادقة وحقة[٣]، باعتبارين.

والضمير في «أنّه» للمثل. أو لضربه. أو لترك الاستحياء.

﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾: في محل النصب، على أنّه حال من «الحق»، أي: كائناً وصادراً من ربهم. أو من الضمير المستكن[٤]، وهو العامل فيه لكونه مشتقاً. والمعنى: أنّه حقّ، حال كونه من ربهم.

أو في محل الرفع، على البدلية من «الحق».

ويحتمل أن يجعل ظرفاً «للحق»، أو «ليعلمون»[٥].

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ﴾: إنّما قال ذلك، ولم يقل: فلا يعلمون كما هو مقتضى المقابلة؛ لأنّ قولهم ذلك يستلزم عدم علمهم بالحق. فكان كذكره مبرهناً عليه؛ لأنّ[٦] مذمتهم بنفي العلم إنّما هي للتقصير في أسباب حصوله، بخلاف القول السيّء فإنّه مذموم لذاته.

﴿مَا ذَا أَرَادَ اللهُ﴾: «ما» للاستفهام، مرفوع المحل، على أنّه مبتدأ. و«ذا» بمعنى الذي، موصول. وهو مع صلته خبره.

---

١. أ: جعلوا.

٢. أ: مفعولاها.

٣. أ: وكاذبه.

٤. أي: أو حال من الضمير المستكن.

٥. أ: ليعلموا.

٦. في ج: ولأنّ. وهو الأظهر.

أو منصوب المحل، على أنّه مفعول «أراد» قُدّم عليه وجوباً، لتضمّنه معنى الاستفهام. وكلمة «ذا» حينئذ يكون زائدة، لتزيين اللفظ[١].

وقيل[٢]: على التقدير الثاني يكون «ما» مع «ذا» كلمة واحدة، بمعنى أيّ شيء.

والأصوب، على الأول، رفع جوابه. وعلى الثاني، نصبه. ليشاكل الجواب السؤال.

ويجوز العكس، بناء على التأويل[٣] الأول، بأراد كذا. والثاني، بمراده كذا ليحصل المشاكلة، أو بدونه.

والاستفهام، للتعجّب والإنكار.

و«الإرادة» ضد الكراهة. وهي مصدر أردت الشيء: إذا طلبته نفسك، ومال إليه قلبك. وفي عرف المتكلمين: نزوع النفس وميلانها إلى الفعل، بحيث يحملها عليه. ويقال للقوّة التي هي مبدأ[٤] النزوع.

وشيء من تلك المعاني لا يُتصوَّر اتصاف الباري تعالى به. ولذلك اختلف[٥] في معنى إرادته، فقيل: إرادته لأفعاله أنّه غير ساه ولا مكره، ولأفعال غيره أمره بها. فعلى هذا، لم يكن المعاصي بارادته.

وقيل[٦]: علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل والوجه الأصلح، فإنّه يدعو القادر إلى تحصيله.

وقيل[٧]: ترجيح أحد مقدوريه على الآخر، وتخصيصه بوجه دون وجه. أو معنى يوجب هذا الترجيح، وهي أعم من الاختيار، فإنّه ميل مع تفضيل[٨].

﴿بِهٰذَا مَثَلاً﴾: متعلق «بأراد».

والمشار إليه «بهذا»، هو ما يرجع إليه الضمير في قوله: «أنّه الحق».

---

١. أ: الفعل.
٢. ليس في أ.
٣. أ، ر: تأويل.
٤. في ج: مبتدأ.
٥. في ج: اختلفوا.
٦. أنوار التنزيل، ١/٤١.
٧. نفس المصدر.
٨. أ: مع ميل تفضيل.

و« مثلاً »، نصب على التميّز، كقولك لمن حمل سلاحاً رديئاً: كيف ينتفع بهذا سلاحاً؟ عن نسبة التعجب والانكار إلى المشار إليه. إذ لا إبهام فيه هنا، لأنّه المثل.

أو يقال: لما تعدّد المشار إليه « بهذا » بحسب الاحتمال، ميّزه[١] بقوله: « مثلاً » لتعين[٢] ما هو المقصود.

فلا يرد: أنّه لو كان « هذا » إشارة إلى « المثل »، لصار المعنى: ما ذا أراد الله بالمثل مثلاً.

ولا يحتاج إلى أن يجاب: بأنّ المشار إليه هو الذات، من غير وصف المثلية. وفي لفظ « هذا » استحقار واسترذال لشأنه.

أو على الحالية[٣] من اسم الاشارة. والعامل فيه، إمّا الفعل المذكور، أو فعل التعجب والانكار المفهوم من الاستفهام، أو فعل الاشارة والتنبيه المفهومين من « هذا »، فحينئذ يكون ذوالحال، الضمير المجرور، في عليه أو إليه؛ كما في قوله تعالى: « هذه ناقة الله لكم آية »[٤].

ولا يخفى أنّ في تفصيل هاتين الجملتين توضيحاً لما ذكر من قبل من اختصاص المتقين، بكون الكتاب هدى لهم دون غيرهم. ويزيد في هذا التوضيح ما أردفهما به، أعني قوله:

﴿**يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً**﴾: جواب « ما ذا » أي: إضلال كثير، وإهداء كثير. وضع الفعل موضع المصدر، لإرادة الحدوث والتجدد.

أو بيان للجملتين المصدّرتين بـ « أمّا ». وتسجيل بأنّ العلم بكونه حقاً وهدى وبيان، وأنّ الجهل[٥] بوجه إيراده والانكار لحسن[٦] مورده ضلال وفسوق.

وكثرة القبيلتين حقيقية، لا بالقياس إلى مقابليهم، فإنّ المهتدين قليلون بالنظر إلى

---

١. أ: غيره.
٢. أ: لتعيين.
٣. أي: أو « مثلاً » نُصب على الحالية.
٤. الأعراف / ٧٣، هود / ٦٤.
٥. أ: الوجه.
٦. أ: بحسن.

أهل الضلال، كما قال الله: «وقليل من عبادي الشكور»[١] وقال عليه السلام: الناس[٢] كابل مائة، لا تجد فيها راحلة.

وان كانت إضافية فكثرة[٣] الضالين من حيث العدد، وكثرة المهتدين باعتبار الفضل والشرف، كقوله:

قليل إذا عدّوا كثير إذا شدّوا

وقوله:

إنّ الكرام كثير في البلاد وإن قلّوا كما غيرهم قلّ وإن كثروا

وإسناد الاضلال والاهداء، إمّا بناء على أنّ معناه أنّه أضلّ قوماً ضالاً، وأهدى قوماً مهتدياً، كما يدل عليه قوله: «وما يضل به إلّا الفاسقين»[٤] أي: إلّا فاسقاً ضالاً.

أو بناء على أنّهما بسببه. والمعنى: انّ الكفار يكذبون به وينكرونه، ويقولون: ليس هو من عند الله. فيضلّون بسببه، والمؤمنين لما صدقوا به وقالوا هذا في موضعه فيهتدون بسببه.

أو بناء على أنّ «أضله» بمعنى نسبه إلى الضلال. و«أكفره»: إذا نسبه إلى الكفر. قال كميت[٥]:

فطائفة قد أكفروني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب

أو بناء على أنّ الإضلال بمعنى الإهلاك والتعذيب. ومنه قوله تعالى: «أإذا ضللنا في الأرض»[٦] أي: هلكنا.

أو بناء على أنّ الاضلال بمعنى التخلية على وجه العقوبة، وترك المنع بالقهر، ومنع الألطاف التي تفعل بالمؤمنين جزاء على إيمانهم. ومنه: أفسدت سيفك، لمن لا يصلح سيفه.

---

١. سبأ/١٣.
٢. ليس في أ.
٣. أ: لكثرة.
٤. البقرة/٢٦.
٥. مجمع البيان، ٦٨/١.
٦. السجدة/١٠.

وأمّا ما يقال من أنّ إسناد الإضلال وسائر الأفعال إلى الله سبحانه[١]، إسناد الفعل إلى الفاعل الحقيقي الذي لا مؤثر[٢] في الوجود ـ عند الحكماء المتألهين والصوفية المحققين وجمهور أهل السنة والجماعة ـ إلّا هو، فيؤدي إلى التظليم والتجوير، على ما يذهب إليه المجبرة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

و«الباء» في الموضعين ـ على جميع التقادير ـ للسببية.

و«الهداية» في القرآن، يقع[٣] على وجوه:

الأول ـ الدلالة والإرشاد. وهو بهذا المعنى شامل لجميع المكلّفين، فلا يكون بهذا المعنى مراده في الآية.

الثاني ـ زيادة الألطاف التي بها يثبت على الهدى.

الثالث ـ الإثابة. ومنه قوله تعالى: «والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضلّ أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم»[٤].

الرابع ـ الحكم بالهداية.

والخامس[٥] ـ جعل الانسان مهتدياً، بأن يخلق الهداية فيه، كما يجعل متحركاً بجعل الحركة فيه.

وكل واحد من هذه الوجوه الأربعة الأخيرة، يمكن أن يكون مراداً في تلك الآية.

وقدّم الإضلال على الهداية، لزيادة الاهتمام بتعريضهم وتوبيخهم به. ولذلك سجل عليهم بمجامع الكفر والطغيان، وختمها بأن حصر فيهم الخسران بقوله:

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾﴿٢٦﴾: وقرئ[٦]: «يضل به كثير» «وما يضل به إلّا الفاسقون». على البناء للمجهول في الموضعين، ورفع «كثير» و«الفاسقون».

والفسق لغة: الخروج. يقال: فسقت الرطبة عن قشرها، أي: خرجت. قال رؤبة:

فواسقاً عن قصدها جوائرا

---

١. في ج: تعالى.
٢. في ج: لايؤثر.
٣. في ج: فيقع.
٤. محمّد / ٤.
٥. في ج: الخامس.
٦. في ج: وقرئ به.

والفاسق في الشرع: الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة. ومن الكبائر الإصرار على الصغيرة، فلا حاجة إلى ذكره. وله ثلاث مراتب:

أوليها ـ التغابي، وهو أن يرتكبها أحياناً مستقبحاً إيّاها.

وثانيتها ـ الانهماك، وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها. وهو في هاتين المرتبتين مؤمن فاسق، لاتّصافه بالتصديق الذي هو مسمّى الإيمان.

وثالثتها[١] ـ [الجحود. وهو][٢] أن يرتكبها مستصوباً إيّاها. فإذا شارف هذه المرتبة، خلع ربقة الإيمان عن عنقه ولابس الكفر.

والمراد به في الآية يحتمل أن يكون مخصوصاً بالمعنى الأخير، لكنّه أحسن. والمراد به في قوله تعالى: «إنّ المنافقين هم الفاسقون»[٣]، هو المعنى الأخير. وبهذا يندفع ما قاله البيضاوي[٤]، من أنّ المراد به: الخارجون عن حد[٥] الإيمان، بقوله تعالى: «إنّ المنافقين هم الفاسقون».

والمعتزلة لما قالوا: «الإيمان» عبارة عن مجموع التصديق والإقرار والعمل[٦] و«الكفر» تكذيب الحق وجحوده جعلوا[٧] قسماً ثالثاً بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كلّ واحد منهما[٨] في بعض الأحكام.

قال صاحب الكشاف[٩]: معنى كونه «بين بين» أنّ حكمه حكم المؤمن، في أنّه يناكح ويوارث ويغسل ويصلّى عليه ويدفن في مقابر المسلمين. وهو كالكافر، في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته.

وحصر الاضلال فيهم مرتباً على صفة الفسق، يدلّ على أنّه الذي أعدّ لهم الإضلال

---

١. في ج: وثالثها.
٢. أنوار التنزيل، ١/٤١.
٣. التوبة / ٦٧.
٤. انظر: أنوار التنزيل، ١/٤١.
٥. في ج: هذا.
٦. هنا تقديم وتأخير في العبارات، بين أ ونسختي ر والمتن.
٧. في ج وأنوار التنزيل ١/٤١: جعلوه. وهو الأظهر.
٨. ليس في ج.
٩. الكشاف، ١/١١٩.

بضرب المثل. فطلبوا بلسان الاستعداد، ان يوجد فيهم صفة الضلال به، فوجد فيهم، فأنكروه وانتهزوا به.

أقول: يحتمل أن يكون قوله: «يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً»، مقول قول الكافرين. فحينئذ، لا حاجة في إسناد الضلال إلى الله، إلى هذه التوجيهات.

يدلّ على ذلك، ما رواه عليّ بن ابراهيم[1]، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبدالله عليه السلام: إنّ هذا المثل، ضربه[2] الله لأميرالمؤمنين [علي][3] صلوات الله عليه فالبعوضة[4] أميرالمؤمنين، وما فوقها رسول الله صلى الله عليه وآله، والدليل على ذلك قوله: «فأمّا الذين آمنوا فيعلمون أنّه الحق من ربّهم»[5]، يعني: أميرالمؤمنين عليه السلام كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله الميثاق عليهم له. «فأمّا الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً». فردّ الله عليهم. فقال: «وما يضل به إلّا الفاسقين» ـ إلى آخر الآية ـ.

والمراد من قوله عليه السلام: إنّ هذا المثل، ضربه [الله] لأميرالمؤمنين، أنّه يصير مصداق البعوضة المذكورة في الآية أميرالمؤمنين. لا أنّ المثل ببعوضة وقع له. ومن قوله: فالبعوضة أميرالمؤمنين، أنّه مع عظمته بالنسبة إلى جبروته تعالى، ليست له عظمة. وأنّه بالنسبة إليه تعالى، كالبعوضة بالنسبة إلى المخلوقين.

يدلّ على ذلك، ما روي في التفسير المنسوب إلى مولانا العسكري عليه السلام[6] من أنّه قيل للباقر عليه السلام: إنّ بعض من ينتحل موالاتكم، يزعم أنّ البعوضة عليّ، وما[7] فوقها وهو الذباب، محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال الباقر عليه السلام: سمع هؤلاء شيئاً، لم يضعوه على وجهه. إنّما كان رسول الله صلى الله عليه وآله

---

١. تفسير القمي، ١/٣٤.
٢. ليس في ج.
٣. ليس في المصدر.
٤. في ج: بالبعوضة.
٥. البقرة/ ٢٦.
٦. تفسير العسكري عليه السلام، ٢٠٩.
٧. أ: وإنّ ما.

قاعداً ذات يوم. وعلي[١] عليه السلام إذ سمع قائلاً يقول[٢]: ما شاء الله وشاء محمّد. وسمع آخر يقول: ما شاء الله وشاء علي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقرنوا محمّداً وعلياً بالله عزّ وجلّ ولكن قولوا: ما شاء الله. ثمّ[٣] ما شاء محمّد، ما شاء الله. ثمّ[٤] ما شاء علي. إنّ مشيئة الله هي[٥] القاهرة التي لا تساوي ولا تكافأ[٦] ولا تداني[٧]. وما محمّد رسول الله في الله وفي قدرته، إلّا كذبابة[٨]. وما علي في الله وفي قدرته، إلّا كبعوضة في جملة هذه المماليك[٩]. مع أنّ فضل [الله على] محمّد[١٠] وعلي [هو][١١] الفضل الذي لايفي به فضل[١٢] على جميع خلقه، من أول الدهر إلى آخره. هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في ذكر الذباب والبعوضة، في هذا المكان. فلا يدخل في قوله: «إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة» انتهى.

أقول: ولا يذهب عليك بعد ما ذكرنا، من الجمع بين الخبرين. والتأمل فيهما وملاحظة ارتباط الآية بما تقدّمها، اندفاع ما قاله العلّامة السبزواري في الجمع من أنّه لعلّ المراد أنهما داخلان في مدلول الآية؛ لأنّ المراد هما فقط. ولا ريب أنّهما وأولادهما، ضرب بهما المثل في كتاب الله تعالى.

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ﴾: منصوب المحل، على أنّه صفة كاشفة للفاسقين أو على الذم.

أو مرفوع على الذم، أو على الابتداء. والخبر «أولئك هم الخاسرون»، أو على

---

١. المصدر: هو وعلي.

٢. أ: قائلا يقول: ما شاء الله. ثم ما شاء محمّد ما شاء الله. ثم ما شاء علي. ان مشية الله هي.

٣. «ماشاء الله ثمّ» ليس في المصدر.

٤. «ما»، ليس في المصدر.

٥. مقول قول «قائلاً يقول» ليس في أ، إلّا ما ذكر في رقم ٤ الذي مرّ آنفاً.

٦. المصدر: تكافى.

٧. المصدر: تدانى.

٨. المصدر: كذبابة تطير في هذه الممالك الواسعة.

٩. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر: مماليك.

١٠. من المصدر.

١١. من المصدر.

١٢. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر: فضل.

الخبرية. والمبتدأ محذوف، أي: هم الذين ينقضون.

و«النقض»: فسخ التركيب. ولعلّه في طاقات الجمل، استعير لإبطال العهد استعارة تحقيقية تصريحية، حيث شبّه إبطال العهد بفكّ تأليف الحبل. وأطلق اسم المشبّه به على المشبّه. وشرط حسنه، اعتبار تشبيه العهد بالحبل، لما فيه من ربط أحد المتعاهدين، بالآخر. فتشبيه العهد في النفس، استعارة بالكناية وإثبات النقض ـ سواء أريد منه معناه الحقيقي، أو المجازي له ـ قرينة لها.

لا يقال: إذا أريد بالنقض معناه الحقيقي، فظاهر أنّه من لوازم الحبل. وأمّا إذا أريد به معناه المجازي، فليس كذلك. فكيف يكون قرينة للاستعارة بالكناية، لأنّا نقول:

المراد باللازم، أعمّ من أنّ إيراد معناه الأصلي الذي هو اللازم الحقيقي، أو يراد ما هو مشبه[1] بذلك المعنى منزّل منزلته. فإنّه إذا نزل[2] منزلة الحقيقي وعبّر عنه باسمه، صار لازماً ادّعاء. فاللازم على الأوّل، مذكور لفظاً ومعنى حقيقة. وعلى الثاني مذكور لفظاً حقيقة. ومعنى ادعاءً، وكلاهما يصلحان للقرينة.

والعهد الموثق، أي: الميثاق. ويقال للأمان واليمين والذمة والوصية.

ووضعه لما من شأنه، أن يراعى ويتعهد، كالوصية واليمين.

ويقال للدار، من حيث أنّها يراعى بالرجوع إليها وللتأريخ؛ لأنّه يحفظ.

﴿**مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ**﴾: متعلق بـ«ينقضون».

و«من» لابتداء الغاية. فإنّ ابتداء النقض بعد الميثاق.

وقيل: زائدة.

و«الميثاق»: اسم لما يقع به الوثاقة، وهي الأحكام. أو معنى التوثقة، كالميلاد والميعاد، (بمعنى الولادة والوعدة).

ومرجع الضمير: العهد، أو الله.

---

١. أ: شبه.   ٢. أ: منزل.

وإضافته إلى العهد بمعناه الاسمي للتأكيد؛ لأنّ ميثاق الميثاق، ممّا يؤكّده. وبمعناه المصدري، من إضافة المصدر إلى المفعول، والى الله، من إضافته إلى الفاعل.

وعهده الذي نقضوه من بعد ميثاقه، أمّا ما ركز في عقولهم من قوة التفكر في مصوغاته التي هي دلائل توحيده سبحانه، أو هو الذي أخذه الله تعالى على بني آدم، حين استخرجهم من ظهره، وأقرّوا بربوبيّته.

وميثاقه ـ على التقديرين ـ إرسال الرسل وإنزال الكتب، على وفقه.

ونقضه:

على الأول: ترك التفكّر فيها المندوب إليه عقلاً وشرعاً.

وعلى الثاني: نسيانهم ما أقرّوا به، وعدم جريهم على مقتضاه، لما أخذوا أرباباً من دون الله.

أو العهد: وصية الله إلى خلقه، وأمره إيّاهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إيّاهم عمّا نهاهم عنه من معصيته، في الشرايع المتقدمة.

وميثاقه: شريعة نبينا صلى الله عليه وآله.

ونقضهم: إعراضهم عمّا وصّاهم الله به وعمّا وثّقه به.

أو هو ما عهده إلى من أوتي الكتاب، أن بيّنوا نبوة محمّد صلى الله عليه وآله، ولا يكتموا أمره.

وميثاقه: الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة الدالّة على نبوته عليه السلام.

ونقضهم: كتمان أمره وإنكار نبوته.

فالآية على هذا، في أحبار اليهود.

وضعّف الشيخ الطبرسي[1] الوجه الثاني، بأنّ الله تعالى لا يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه.

ولا يكون عليه دليل.

---

١. مجمع البيان، ١/٧٠.

وزيّف تضعيفه العلّامة السبزواري، بأنّ مفاد الآية بأنّ هؤلاء من الفاسقين والخاسرين، بلا احتجاج عليهم بفعلهم هذا، كما إذا قيل: ولد الزنا لا يدخل الجنة، لا يحتج عليه بفعل قبيح صدر عنه. وهو كون تولّده من الزنا. بل المقصود أنّه يصدر عنه أفعال اختيارية موجبة لخلود النار.

وأقول: مبنى كلام الشيخ، أنّ مفهوم الآية أنّ الله ذمّهم بنقض العهد بعد الميثاق. وإذا كان العهد عبارة عما ذكر، كان الاحتجاج عليهم بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه، وظاهر أنّه لا يرد على ذلك ما أورده العلّامة. وإنّما يرد عليه لو كان مراده أنّ التعليل يفهم من ترتّب الحكم على الوصف، وليس كذلك.

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: محل أن يوصل الجرّ على البدلية من الضمير. وحينئذ ما في أمر الله به، إمّا موصولة، أو موصوفة، أو منصوب على البدلية مما أمر الله به.

فكلمة «ما» موصوفة؛ لأنّ النكرة لا يبدل عن المعرفة، إلّا إذا كانت مخصّصة، نحو: «بالناصية، ناصية كاذبة»[1].

والأول أحسن، لقرب المبدل منه. ولأنّ القطع، يقع على المتصل، لا على الوصل.

قيل[2]: ولاحتياج الثاني إلى تقدير مضاف، أي: يقطعون وصل ما أمر الله به أن يوصله.

وأقول: الاحتياج إلى ذلك إنّما يكون إذا كان بدل الكل عن الكل. وأمّا إذا كان بدل الاشتمال فلا. والمراد بما أمر الله كلّما لا يجوز قطعه ـ كائناً ما كان ـ والعمدة[3] فيه، صلة أميرالمؤمنين عليه السلام وصلة الرحم. روى الأوّل في تفسير عليّ بن ابراهيم[4]، والثاني في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام[5].

---

١. العلق / ١٦.

٢. تفسير البحر المحيط، ١٢٨/١.

٣. أ: العهدة.

٤. تفسير القمي، ٣٥/١.

٥. الكافي، ١٥٠/٢.

و« الأمر » الذي واحد الأوامر : طلب الفعل ، مع العلو . وقيل[1]: مع الاستعلاء .

والذي واحد الأمور : المأمور به . تسمية للمفعول به بالمصدر ، كما سمّي الشأن بمعنى المشؤون .

و« الشأن » : الطلب والقصد . يقال : شأنت شأنه ، أي : قصدت قصده .

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بالمنع من الإيمان ، والاستهزاء بالحق ، وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه .

﴿أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾: لاشترائهم النقض بالوفاء ، والقطع بالوصل ، والفساد بالصلاح ، في الدنيا .

وعقاب المشتري بثواب المشترى به في الآخرة ، فخسروا الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ﴾: الخطاب مع الذين كفروا ، لما وصفهم بالكفر وتوابعه ، خاطبهم على طريقة الالتفات ، انكاراً لكفرهم ، وتوبيخاً لهم عليه ، مع علمهم بحال يقتضي خلاف ذلك ، فإنّ الانكار والتوبيخ ، إذا توجّه إلى المخاطب كان أبلغ ، أو معهم ، مع المؤمنين ، أو مع المؤمنين ، فقط .

و« كيف » يصلح للسؤال عن الأحوال كلّها ، لا بمعنى أنّه مستغرق لها ، بل قد يستغرق بمعونة المقام وقد لا يستغرق . فإذا قصد به الانكار وهو في معنى النفي ونفي الحال التي يقتضيها . كيف إنّما يتحقّق بنفي جميع أفرادها ، بل هي كالنكرة الواقعة في سياق النفي ، في إفادة العموم . فكأنّه قيل : لا يصحّ ولا ينبغي أن يوجد حال ما لكفركم . وقد علمتم أنكم « كنتم أمواتاً » (الآية) . وإذا لم ينبغ أن توجد حال من أحوال الكفر ، مع وجود هذا الصارف ، امّا لأنّه يتضمّن آيات بينات ، أو نعماً جساماً حقها أن لا يكفر بمولاها . فينبغي أن لا يوجد كفركم معه ؛ لأنّ وجود ذات بلا حال محال . فإن وجد

---

١. أنوار التنزيل ٤٢/١ ، البحر المحيط ١٢٨/١ .

معه، فهو مظنة توبيخ وانكار وتعجيب وتعجّب. وخصّ بعضهم الحال بما له مزيد اختصاص بالكفر بالله. وهو العلم بالصانع والجهل به.

فالمعنى: أفي حال العلم بالله تكفرون؟ أم في حال الجهل؟ والحال حال العلم، بمضمون القصة الواقعة حالاً. والعلم به يقتضي أن يكون للعاقل علم بأنّ له صانعاً متصفاً بالعلم والقدرة وسائر صفات الكمال. وعلمه بأنّ له هذا الصانع، صارف قوي عن الكفر. وصدور الفعل عن القادر مع الصارف القوي، مظنة تعجيب وتعجب وانكار وتوبيخ.

فنفي الكفر، بمعني لا ينبغي أن يقع، على كلا التقديرين، بطريق الكناية. لأنّه كما[1] لزم من إنكار الحال مطلقاً إنكار الكفر، لزم من انكار حاليته ـ أعني: العلم والجهل ـ أيضاً انكاره، إذ لا ثالث لهما. ولهذا صار «كيف تكفرون» أولى من «أتكفرون»، فاختير عليه. وأوفق[2] أيضاً لما بعدها من الحال. وهي في الآية منصوبة على التشبيه بالظرف، عند سيبويه، أي: في أيّ حال تكفرون. وعلى الحال عند الأخفش، أي: على أيّ[3] حال تكفرون.

والعامل فيها على التقديرين: تكفرون.

وصاحب الحال، الضمير فيه.

﴿وَكُنْتُمْ أَمْوٰاتاً فَأَحْيٰاكُمْ﴾: «الواو» للحال. والجملة حال بتقدير قد. وتأويلها بجملة اسمية، أو فعلية، مأخوذاً فيها العلم[4].

والمعنى: وقد علمتم، أو تعلمون، أو أنتم عالمون، أنّكم كنتم أمواتاً. فإنّ بعض الجمل الواقعة في تلك القصة الواقعة حالاً ماض. وبعضها مستقبل لا يقارن مضمونها مضمونه. فلابد من أخذ العلم.

---

١. ليس في أ.
٢. ليس في أ.
٣. أ: فيه.
٤. أ: فيه.

[والمعنى: وقد علمتم أو تعلمون][١].

وأيضاً مضمون تلك الجمل، بدون اعتبار تعلق علمهم بها، لا يصح أن يكون صارفاً. واعتبار تعلق علمهم بالموتة[٢] والإحياء الاولين[٣] ظاهر. وأمّا اعتبار تعلقه بالاحياء الثاني والرجوع، فلتمكّنهم من العلم بهما، بالدلائل الموصلة إليه، فكان بمنزلة حصول العلم، سيما وفي الآية تنبيه على ما يدلّ على صحتهما. وهو أنّه تعالى، لمّا قدّر أن أحياهم أوّلاً، قدّر أن يحييهم ثانياً. فإنّ بدء الخلق، ليس بأهون من إعادته.

و«الأموات»: جمع ميت (بالتخفيف)، كالأقوال، جمع قيل.

والمعنى: «كنتم أمواتاً»، أي: عناصر ممتزجة منتقلة، من حال إلى حال، حتى استقر على مزاج معتدل قابل لنفخ الروح فيه. فأحياكم بنفخ الروح فيه.

فعلى هذا، يكون استعمال الأموات في العناصر، استعارة لاشتراكهما، في أن لا روح ولا احساس لهما.

وإنّما عطف بالفاء؛ لأنّه متصل بما عطف عليه، غير متراخ عنه. بخلاف البواقي.

﴿**ثُمَّ يُمِيتُكُمْ**﴾: عند تقضي آجالكم.

﴿**ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**﴾: بحياة أبدية يوم النشور، أو في القبور للسؤال.

﴿**ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ ﴿٢٨﴾: ليحاسبكم أو يجازيكم على أعمالكم.

وإن أريد بقوله: «يحييكم» الحياة في القبر، فينبغي أن يراد «بترجعون»: الاحياء يوم النشور. ويلزم منه إهمال إماتتهم في القبر. اللّهمّ إلّا أن يقال معنى «إليه ترجعون»: أنّهم يرجعون بتلك الإماتة والإحياء يوم النشور.

ولو جعل «ثمّ يحييكم»، متناولاً لإحيائين جميعاً ـ أي: يحييكم مرة بعد أخرى ـ بقرينة المقام، يلزم أيضاً ذلك الاهمال. إلّا أن يقال: يفهم من تعدد الاحيائين، تخلّل إماتة بينهما. والظاهر أنّه لم يعتد بالاحياء في القبر. لأنّه ليس له زمان يعتد به.

---

١. لا يوجد في الأصل و ر.

٢. أ: بالمؤنة.

٣. أ: الحينين.

وقرأ يعقوب: تَرجعون ـ بفتح التاء ـ في جميع القرآن.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾: بيان نعمة ثانية مترتبة على النعمة الأولى. فإنّ الانتفاع بالأرض والسماء وما فيهما، إنّما يكون بعد موهبة الحياة.

و«الخلق» في الأصل: التقدير. ويراد منه الإيجاد.

فإن أريد[١] المعنى الأول، عمّ الأرض وجميع[٢] ما فيها[٣]. وإن أريد الثاني، احتيج في شموله لما سوى العناصر، إلى ارتكاب تجوز.

و«اللام» للانتفاع.

والمعنى: خلق لانتفاعكم في الدنيا[٤] والآخرة، ما في الأرض جميعاً. فعند الأشاعرة، مدخوله غاية. وعند الحكيم عناية، وعند المعتزلة وأهل الذوق غرض. لكن عند المعتزلة ذلك الغرض عائد إلى العبد. وعند أهل الذوق إلى المعبود. فإنّهم قالوا: إنّ للحق كمالين:

كمالاً ذاتياً، كوجوب وجوده ووحدته وحياته وعلمه وغير ذلك من الصفات الذاتية التي لا يحتاج الحق سبحانه في الاتصاف بها إلى سواه.

وكمالاً أسمائياً، يحتاج في الاتصاف بها إليه. فإنّ كمال الأسماء إنّما هو بظهور آثارها وترتب أحكامها عليها. وذلك لا يتم[٥] إلّا بوجود[٦] المظاهر.

فنفي الاحتياج والاستكمال بالغير عنه، إنّما هو بالنظر إلى كماله الذاتي الذي له مرتبة الغنى عن العالمين. وأمّا بالنظر إلى كماله الأسمائي، فليس له هذه المرتبة.

وكلمة «ما» للعموم، خصوصاً إذا قيد بالحال الذي وقع بعده. وقد صرح به أئمّة الأصول.

فدلّت الآية على إباحة جميع الأشياء على أيّ وجه، إلّا ما أخرجه الدليل. واندفع ما

---

١. ليس في أ.
٢. ليس في أ.
٣. أ: فيه.
٤. ليس في أ.
٥. ليس في أ.
٦. : الوجود.

قاله العلّامة السبزواري من أنّها لما كانت مجملة غير ظاهرة في العموم، لا يتم الاستدلال بها على ذلك.

والمراد «بالأرض» إمّا جهة السفل، ليشتمل الغبراء وما فيها. وأمّا الغبراء، فلا يتناول إلّا ما فيها، لامتناع[1] ظرفية الشيء لنفسه.

﴿ثُمَّ اسْتَوىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾: قصد إليها بارادته، من قولهم: استوى إليه، كالسهم المرسل. إذا قصده قصداً مستوياً، من غير أن يلوي على شيء.

وأصل الاستواء: طلب السواء. وإطلاقه على الاعتدال، لما فيه من تسوية وضع الأجزاء. يقال: استوى العود وغيره، إذا قام واعتدل. ولا يمكن حمله عليه، لأنّه من خواص الأجسام.

وقيل[2]: استوى، استولى. قال:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وهذا المعنى غير مناسب للأصل والصلة المعدى بها..

وقيل[3]: أقبل، كما يقال: كان فلان مقبلاً على فلان. ثمّ استوى إليَّ وعليَّ يكلمني، على معنى أقبل إلي وعليَّ.

وقيل[4]: استوى أمره. وصعد إلى السماء.

قال العلّامة السبزواري: وهذا بخلاف ما اشتهر أنّ أوامره وقضاياه تنزل من السماء إلى الأرض، وفيه نظر؛ لأنّ المقصود صعد أمره في الخلق إلى السماء. وهذه الآية مع التي في سورة حم السجدة ـ أعني قوله[5]: «قل أئنّكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ـ إلى قوله ـ: ثمّ استوى إلى السماء» ـ حجة على من ذهب إلى تقدم خلق السماء على الأرض. وما هو في سورة والنازعات، من قوله: «والأرض بعد ذلك دحاها»[6]،

---

١. ر: الامتناع.
٢. أنوار التنزيل، ٤٣/١.
٣. مجمع البيان، ٧٢/١.
٤. نفس المصدر، ٧١/١.
٥. فصلت/ ٩.
٦. النازعات/ ٣٠.

أي: بعد رفع سمك السماء وتسويتها، دحى الأرض وبسطها، حجة له.

وأجاب عن الأول، بأنّ «ثمّ» لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الأرض، كقوله: «ثمّ كان من الذين آمنوا»[1]، لالتراخي في الوقت. وبأن الخلق في الآيتين بمعنى التقدير، لا بمعنى الايجاد.

وقد أوّلت الآية الثانية بأنّ معناه: اذكر الأرض دحاها، بعد ذكر ما سبق.

والحق أنّ خلق الأرض مقدم على خلق السماء. ودحوها مؤخر عنه. وهذا هو وجه الجمع بين تلك الآيات. يدل على ذلك ما روي من أنّه خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر، عليها دخان ملتزق بها. ثمّ أصعد الدخان، وخلق منه السموات. وأمسك الفهر في موضعها. وبسط منها الأرض. فذلك قوله: «كانتا رتقاً»[2].

والفهر: حجر يملأ الكف، أي: في الاستدارة واكتنازها، بحيث لا يتخلّلها خلاء ولا يتميز فيها شيء عن شيء.

والرتق: الالتزاق.

قال العلّامة السبزواري: وما قيل أنّ هذا يناقض قوله تعالى: «والأرض بعد ذلك دحاها»[3] فغير موجّه. أمّا إذا كان الأرض بمعنى الجهة السفلية. فخلق ما في الأرض، لا يستلزم خلق ذلك الجسم المسمّى بالأرض ـ أيضاً ـ لا الصغير منه ولا العظيم. وإن كان بمعنى التقدير، فلا يستلزم وجودها؛ لأنّ إيجاد مادتها التي هي الماء، يكفي في اسناد الخلق بمعنى التقدير إليها.

أقول: لا يخفى أنّ خلق ما في الأرض، يستلزم خلقها؛ لأنّ المراد به الأجسام المواليد والعناصر الثلاثة الباقية، إن أريد بالأرض معناه الحقيقي، أو الأربعة إن أريد به جهة السفل.

وظاهر، أنّ وجود جميع ذلك، لا يمكن إلّا بعد وجود الأرض.

---

١. البلد / ١٧.   ٢. الانبياء / ٣٠.
٣. النازعات / ٣٠.

[وفي كتاب العلل الشرائع[١]: بإسناده إلى محمّد بن يعقوب، عن علي بن محمّد، بإسناده رفعه، قال: قال علي عليه السلام وقد سئل عن مسائل: وسميت السماء سماء؛ لأنها وسم الماء، يعني: معدن الماء.

والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[٢] حديث طويل، عن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وفيه يقول عليه السلام: ومنها استوى ربنا إلى السماء أي: استولى على السماء والملائكة][٣].

﴿فَسَوّٰاهُنَّ﴾: أي: عدل خلقهن، وقوّمه وأخلاه من العوج والفطور.

وضمير «هنّ» إمّا راجع إلى السماء، إن فسّرت بالأجرام؛ لأنّه جمع، أو في معنى الجمع. أو مبهم، يفسره ما بعده، كما في رجلاً. وهو أولى، لما فيه من التفسير بعد الإبهام.

﴿سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ﴾: بدل أو تفسير. وعلى تقدير كون الضمير غير مبهم، بدل عن الضمير، أو حال عنه، أو مفعول للتسوية، على تقدير «فسوّى منهن سبع سموات»، من قبيل «واختار موسى قومه»، أو مفعول ثان لجعل، على تضمين التسوية معنى الجعل، أو تجوزها عنه. لكن على الأخير يفوت معنى التسوية.

فإن قلت: إنّ أصحاب الأرصاد، أثبتوا تسعة أفلاك.

قلت: فيما ذكروه شكوك. وإن صحّ فليس في الآية نفي الزائد. مع أنّه لو ضم العرش والكرسي، لم يبق خلاف.

قيل: فوجه التخصيص على هذا، أنّ السموات على قسمين: قسم منها عنصري، يشترك مع الأرض وما فيها في المادة، عند المحققين، ويدل عليه الكتاب والسنة. وهو سبع. تسمّى عند أهل الشرع بالسموات. وقسم منها طبيعي غيرعنصري. وهو

---

١. علل الشرائع، ٢/١.
٢. تفسير القمي، ٢٧٢/٢.
٣. ما بين القوسين ليس في أ.

الباقيان. منها المسمّيان بالعرش والكرسي، وعند غيرهم بالفلك الأطلس وفلك الثوابت. ولا تميز بينهما عند غيرهم؛ لأنّ الكل عندهم طبيعي غير عنصري. وكان التميز بينها بلسان أهل الشرع، إنّما وقع بناء على أنّ أحكام القيامة كالطي وتكوير[١] الكواكب وانتشارها وغير ذلك مختص بالسموات السبع. لا يتعدّاها إلى العرش والكرسي.

[وفي عيون الأخبار[٢]: حدثنا أبو الحسن محمّد بن عمرو بن عليّ بن عبدالله البصري بإيلاق، قال: حدثنا أبو عبدالله محمّد بن عبدالله بن أحمد بن جبلة الواعظ. قال: حدثنا أبو القاسم[٣] عبدالله بن أحمد بن عامر الطائي. قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا عليّ بن موسى الرضا عليه السلام. قال: حدثنا أبي موسى بن جعفر. قال: حدثنا أبي جعفر بن محمّد. قال: حدثنا أبي محمّد بن علي قال: حدثنا أبي عليّ بن الحسين. قال: حدثنا أبي الحسين بن علي عليهما السلام قال: كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة في مسجد[٤] الجامع، إذ قام إليه رجل من أهل الشام. فقال: يا أميرالمؤمنين! إنّي أسألك عن أشياء.

فقال: سل تفقّهاً، ولا تسأل تعنّتاً.

فأحدق الناس بأبصارهم.

فقال: أخبرني عن أول ما خلق الله تبارك وتعالى.

فقال: خلق النور.

قال: فممَّ خلقت السماوات؟

قال: من بخار الماء.

قال: فممَّ خلقت الأرض؟

قال: من زبد الماء.

قال: فممَّ خلقت الجبال؟

---

١. أ: تكرير.

٢. عيون أخبار ٢٤٠-٢٤١، ح ١ وللحديث تتمة طويلة.

٣. المصدر و ر: القاسم.

٤. ليس في المصدر.

قال: من الأمواج.

قال: فلم سميت مكة أم القرى؟

قال: لأن الأرض دحيت من تحتها.

وسأله عن السماء الدنيا، مما هي؟

قال: من موج مكفوف.

وسأله عن طول الشمس والقمر وعرضهما.

قال: تسعمائة فرسخ، في تسعمائة فرسخ.

وسأله كم طول الكوكب وعرضه؟

قال: اثنا عشر فرسخاً، في اثني عشر فرسخاً[١].

وسأله عن ألوان السماوات السبع وأسمائها.

فقال له: اسم سماء الدنيا: رقيع[٢]. وهي من ماء ودخان. واسم سماء الثانية: قيدوم[٣]. وهي على لون النحاس. والسماء الثالثة اسمها: المأروم[٤]. وهي على لون الشبه. والسماء الرابعة اسمها: أرفلون. وهي على لون الفضة. والسماء الخامسة اسمها: هيعون. وهي على لون الذهب. والسماء السادسة اسمها: عروس، وهي من[٥] ياقوتة خضراء. والسماء السابعة اسمها: عجماء. وهي درة بيضاء.

والحديث طويل. أخذت منه موضع الحاجة][٦].

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٩): اعتراض لبيان أنّ خلق السموات على سبيل الاحكام وخلق ما في الأرض، على حسب حاجات أهلها؛ لأنّ علمه الكامل، برهان لمّي على تحقّق الإتقان في أفعاله. وظهور الاتقان فيها دليل إنّي على إثبات علمه.

---

١. المصدر: في مثلها. ٢. الأصل و ر: رقيع. وما في المتن موافق المصدر.

٣. كذا في المصدر وفي الأصل و ر: قيدم. وفي تفسير نور الثقلين، ٤٨/١: قيذوم.

٤. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر: المادوم. ٥. «من»، ليس في المصدر.

٦. ما بين القوسين ليس في أ.

وقد روى الصدوق في عيون أخبار الرضا[١]، بإسناده، عن الحسن العسكري عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين عليه السلام، قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام في هذه الآية[٢]: «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً» لتعتبروا ولتتوصلوا به إلى رضوانه. وتتوقوا به من عذاب نيرانه. «ثمّ استوى إلى السماء» أخذ في خلقها وإتقانها. «فسوّاهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم» ولعلمه بكل شيء علم بالمصالح[٣]. وخلق[٤] لكم كل ما في الأرض لمصالحكم، يا ابن آدم.

وقد سكّن نافع وأبو عمرو والكسائي «الهاء»، من نحو «فهو» و«وهو»، تشبيهاً له بعضد.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾: تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس[٥]، كلهم. فإنّ خلق آدم واكرامه إنعام يعم ذريته.

و«إذ» ظرف، وضع لزمان عيّن بإضافته إلى نسبة واقعة في الزمان الماضي، كما أنّ «إذا» موضوع لزمان عين، بإضافته إلى نسبة واقعة في الزمان المستقبل. ولهذا وجبت اضافتهما إلى الجملة. والغالب ظرفيتهما لنسبة أخرى مثلهما. وقد يستعمل «إذ» اسماً من غير ظرفية، كما وقع مفعولاً به في قوله[٦]: «واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم» وبُنيتا تشبيهاً بالموصولات.

فـ«إذ» في الآية، منصوب المحل بتقدير: اذكر، أو اذكر الحادث، أو باقلوا، أو بمضمر. دل عليه مضمون الآية المتقدمة، مثل: وبدأ خلقكم إذ قال. وعلى هذا، فالجملة معطوفة على «خلق لكم»، داخلة في حكم الصلة.

وقيل: أنّه مزيد[٧]. والقول: الحكاية، نحو قولك: قال زيد: خرج عمرو[٨].

---

١. عيون أخبار الرضا ١٢/٢، ح ٢٩.
٢. أ: في قول الله عزّ وجلّ.
٣. المصدر: علم المصالح. أ: علم بالصالح.
٤. المصدر: فخلق.
٥. أ: نعم.
٦. الأعراف/ ٨٦.
٧. أنوار التنزيل، ٤٤/١.
٨. مجمع البيان، ٧٢/١.

ويتعدّى أبداً إلى مفعول واحد. ويكون جملة، أو ما يحكى معناها، إلّا إذا ولي حرف الاستفهام ولم ينفصل عنه بغير ظرف. أو كظرف، أو معمول. فإنّه حينئذ ينصب مفعولين، كظن إلّا عند سليم، فإنهم ينصبون به مفعولين وإن لم يل الاستفهام.

﴿**لِلْمَلٰئِكَةِ**﴾: جمع ملئك، على الأصل. فإنّ أصل «ملك»، ملئك كالشمائل، جمع شمئل. واشتقاقه من م ـ ل ـ ك، بزيادة الهمزة لدورانها، مع الشدة والقوة.

ومعنى الشدة والقوة، يعم الملائكة عليهم السلام كلهم. والدليل عليه قوله تعالى: «يسبحون الليل والنهار لا يفترون»[1].

وانّ الله، جعلهم وسائط معظم ما يظهره في هذا العالم.

أو من الألوك والألوكة ـ بفتح الهمزة ـ، بمعنى الرسالة. فالميم زائدة. وفيما بين العين والفاء قلب. والأصل: مألك، على أنّه موضع الرسالة.

أو مصدر، بمعنى المفعول. فعلى هذا يكون إطلاقه عليهم باعتبار بعضهم؛ لأن معنى الرسالة لا يعم كلهم، لقوله تعالى: «الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس»[2].

وأمّا قوله: «جاعل الملئكة رسلاً»[3]، فمخصوص جمعاً بين الآيتين.

وقيل: قد جاء لاك بمعنى أرسل[4]، فلا قلب.

و«التاء»، إمّا لتأنيث الجمع. فإنّ الجمع مؤنث، بتأويل الجماعة. أو لتأكيد تأنيث الجمع. أو لتأكيد معنى الجمع. كما في علّامة ونسابة.

واختلف العلماء في حقيقتهم، بعد اتفاقهم على أنّها ذوات موجودة قائمة بأنفسها. فذهب أكثر المسلمين إلى أنّها أجسام لطيفة قادرة على التشكّل بأشكال مختلفة، مستدلين بأنّ الرسل كانوا يرونهم كذلك. وهو الحق.

وقالت طائفة من النصارى: هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للأبدان.

---

١. الانبياء / ٢٠.
٢. الحج / ٧٥.
٣. فاطر / ١.
٤. مجمع البيان، ٧٣؛ البحر المحيط، ١٣٧١.

وقالت الحكماء: أنّها هي العقول منقسمة إلى قسمين:

قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره، كما وصفهم في محكم تنزيله، فقال: «يسبحون الليل والنهار لا يفترون»[1] وهم العلّيون، والملئكة المقربون.

وقسم تدبّر الأمر من السماء إلى الأرض، على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي. «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»، وهم المدبرات أمراً. فمنهم سماوية. ومنهم أرضية.

والمراد بها، إمّا كلهم، لعموم اللفظ وعدم المخصص. وإمّا ابليس ومن كان معه في محاربة الجن. فإنّه تعالى أسكنهم في الأرض أولاً، فأفسدوا فيها. فبعث الله إليهم ابليس في جند من الملائكة، فدمرهم وفرقهم في الجزائر. وأمّا ملائكة الأرض ـ وهو أولى ـ والمخصص قوله: «في الأرض».

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: وقرئ «خليقة» ـ بالقاف ـ.

و«جاعل» إن كان متعدياً إلى مفعولين، «ففي الأرض» مفعوله الثاني. وإلّا كان متعلقاً به.

و«الخليفة»: من يخلف غيره. و«الهاء» فيه للمبالغة.

والمراد به، إمّا آدم وحده، أو مع بعض بنيه، أو كلهم.

وإفراد اللفظ، أمّا للاستغناء بذكره، كما استغني بذكر أبي القبيلة في قولهم: مضر وهاشم، أو على تأويل من يخلفكم؛ أو: خلفاً يخفلكم.

فعلى الأول، المراد أنّه خليفة الله في أرضه، أو خليفة من سكن الأرض قبله. وعلى الثاني والثالث، أنّهم يخلفون من قبلهم، أو يخلف بعضهم بعضاً.

والاحتياج إلى الخليفة، إنّما هو في جانب المستخلف[2] عليه، لقصورهم عن

---

١. الأنبياء / ٢٠.

٢. أ، ر: المتخلف.

قبول فيضه بغير وسط. ولذلك لم يستنبئ ملكاً. والأنبياء لما فاقت قريحتهم، أرسل إليهم الملائكة. ومن كان منهم أعلى رتبة، كلّمه بلا واسطة، كما كلم موسى في الميقات ومحمّداً في المعراج.

وفائدة قوله هذا للملائكة، تعليم للمشاورة وتعظيم لشأن المجعول، بأن بشّر بوجوده سكّان ملكوته. ولقّبه بالخليفة، قبل خلقه واظهار فضله الراجح، على ما فيه من المفاسد، بسؤالهم وجوابه.

(وفي عيون الأخبار[١]: حدثنا أبوالحسن محمّد بن ابراهيم بن اسحاق رضي الله عنه قال: حدثنا أبو سعيد النسوي. قال: حدثني ابراهيم بن محمّد بن هارون. قال: حدثنا أحمد بن الفضل[٢] البلخي. قال: حدثني خالي[٣] يحيى بن سعيد البلخي، عن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليه السلام، قال بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وآله في بعض طرقات المدينة، إذ لقينا شيخ طوال، كثّ اللحية، بعيد ما بين المنكبين. فسلّم على النبي صلى الله عليه وآله ورحب به. ثمّ التفت إلي، فقال: السلام عليك يا رابع الخلفاء، ورحمة الله وبركاته. أليس كذلك هو يا رسول الله؟

فقال [له][٤] رسول الله صلى الله عليه وآله: بلى.

ثمّ مضى. فقلت: يا رسول الله! ما هذا الذي قال لي هذا الشيخ، وتصديقك له؟

قال: أنت كذلك، والحمد لله. إنّ الله عزّ وجلّ قال في كتابه: «إنّي جاعل في الأرض خليفة»، والخليفة المجعول فيها آدم عليه السلام. وقال عزّ وجلّ: «يا داود إنّا جعلناك في الأرض خليفة فاحكم بين الناس بالحق»[٥]. فهو الثاني. وقال عزّ وجلّ حكاية عن موسى حين قال لهارون عليه السلام[٦]: «أخلفني[٧] في قومي وأصلح» فهو هارون، إذ استخلفه موسى عليه السلام في

---

١. عيون الأخبار ٢/٩ـ١٠، ح ٢٣.
٢. المصدر: أبوالفضل.
٣. المصدر: خال.
٤. من المصدر.
٥. ص/٢٦.
٦. الأعراف/١٤٢.
٧. المصدر: واخلفني.

قومه، وهو[1] الثالث. وقال ﷻ: «وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر»[2].

وكنت[3] أنت المبلغ عن الله ﷻ وعن رسوله. وأنت وصيي ووزيري وقاضي ديني والمؤدّي عني. وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبي بعدي. فأنت رابع الخلفاء كما سلّم عليك الشيخ. أو لاتدري من هو؟

قلت: لا.

قال: ذاك أخوك الخضر عليه السلام فاعلم.

وفي أصول الكافي[4]: بإسناده إلى محمّد بن إسحاق بن عمار. قال: قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: ألا تدلني على من آخذ عنه ديني؟

فقال: هذا ابني علي. إنّ أبي أخذ بيدي، فأدخلني إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: يا بني! إن الله ﷻ قال: «إني جاعل في الأرض خليفة» وإن الله ﷻ إذا قال قولاً وفىٰ به.

وفي كتاب الخصال[5]، عن [أبي][6] لبابة بن عبد المنذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن يوم الجمعة سيّد الأيام وأعظم عند الله تعالى من يوم الأضحى ويوم الفطر. فيه خمس خصال: خلق الله فيه آدم. وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض. وفيه توفّى [الله][7] آدم)[8].

﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾: تعجّب من استخلاف من يفسد في الأرض، لاصلاحها، أو اختيار أهل المعصية على أهل الطاعة. واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة فيه، وعما يزيل شبهتهم، استكشاف المتعلم عن معلمه عما يخالج صدره.

وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة.

---

١. المصدر فهو.
٢. التوبة / ٣.
٣. المصدر: فكنت.
٤. أصول الكافي ٣١٢/١، ح ٤.
٥. الخصال ٣١٥-٣١٦، ح ٩٧ (صدره).
٦. من المصدر وج.
٧. من المصدر.
٨. ما بين القوسين ليس في أ.

وإنّما حكموا بذلك لما علموا أنّ المجعول خليفة، هو النوع الأخير من الحيوان، ولما كانوا يشاهدون من أنواعه المتقدمة عليه، وجود آثار القوة الشهوية والغضبية. تنبهوا لوجودهما فيه، وحكموا عليه بترتّب آثارهما التي من جملتها الإفساد وسفك الدماء.

أو لمّا عرفوا ذلك باخبار من الله. أو تلق من اللوح المحفوظ. أو استنباط عما ثبت في علمهم، أنّ العصمة من خواصهم. أو قياس لأحد الثقلين على الآخر.

والسفك والسبك والسفح والشن والسن، أنواع من الصبّ.

فالسفك، يقال في الدم. والدمع والسبك، في الجواهر المذابة. والسفح في الصبّ من أعلى. والشن والسن والصب، عن فم القربة[1] ونحوها.

وقرئ: يسفك ـ بضم الفاء ـ.

ويسفك ويسفّك: من أسفك وسفّك[2].

ويسفك، على البناء للمفعول، فيكون ضمير «من» الموصولة، أو الموصوفة مقدّراً، أي: يسفك الدماء فيهم.

و«الدماء» جمع الدم، بحذف لامه واواً كان أو ياء، لقولهم: في تثنيته: دموان ودميان. «فالدماء» أصله: دماو، أو دماي. أعلّت إعلال كساء ورداء.

(وفي عيون الأخبار[3]، في باب ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمّد بن سنان، في جواب مسائله في العلل: وعلة الطواف بالبيت: أن الله عزّ وجلّ قال للملائكة: «إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟» فردّوا على الله عزّ وجلّ هذا الجواب، فندموا. فلاذوا بالعرش فاستغفروا. فأحبّ الله عزّ وجلّ أن يتعبد بمثل ذلك العبادة. فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش، يسمّى الضراح. ثمّ وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمّى المعمور، بحذاء الضراح. ثمّ وضع هذا البيت بحذاء البيت

---

١. أ، ر: القرية.
٢. أ: سفك.
٣. عيون الأخبار، ٩١/٢.

المعمور. ثمّ أمر آدم عليه السلام فطاف به. فتاب الله عزّ وجلّ عليه. فجرى[1] ذلك في ولده إلى يوم القيامة.

وفي بصائر الدرجات[2]: أحمد بن محمّد، عن أحمد بن محمّد عن أبي نصر، عن الحسين[3] بن موسى، عن زرارة، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام، فسألني ما عندك من أحاديث الشيعة؟

قلت: إنّ عندي منها شيئاً كثيراً. قد هممت أن أوقد لها ناراً، ثمّ أحرقها.

قال: ولم؟ هات ما أنكرت منها.

فخطر على بالي الأدمون. فقال لي: ماكان علم[4] الملائكة حيث قالت: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء».

وفي تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي[5]، قال: حدثنا عليّ بن حمدون. قال: حدثنا عيسى بن مهران. قال: حدثنا فرج بن فروة. قال: حدثنا سعد[6]، عن صالح بن ميثم، عن أبيه. قال: بينا أنا في السوق إذ أتاني الأصبغ بن نباتة. فقال [لي][7] ويحك يا ميثم! لقد[8] سمعت عن أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام[9] آنفاً، حديثاً صعباً شديداً. فإنّه[10] يكون كما ذكر.

قلت: وما هو؟

قال: سمعته يقول: إن[11] حديثنا أهل البيت صعب مستصعب. لا يحتمله[12] إلّا ملك مقرب، أو نبيّ مرسل، أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان.

---

١. المصدر: وجرى.

٢. بصائر الدرجات، ٢٣٦.

٣. المصدر: الحسن.

٤. المصدر: على.

٥. تفسير فرات، ٥٥.

٦. المصدر: سعدة.

٧. من المصدر.

٨. ليس في المصدر.

٩. «علي بن أبي طالب عليه السلام» ليس في المصدر.

١٠. الأصل و ر: فإنّ.

١١. ليس في المصدر.

١٢. المصدر: لايتحمله.

قال: فقمت من فوري، فأتيت أميرالمؤمنين عليه السلام. فقلت: يا أميرالمؤمنين! جعلت فداك! حديث أخبرني به الأصبغ عنك، قد ضقت به ذرعاً.

قال: فما هو؟ فأخبرني به. [فتبسم، ثمّ][١] قال لي: اجلس يا ميثم! أو كل علم العلماء يحتمل؟ قال الله لملائكته[٢]: «إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» (إلى آخر الآية). فهل رأيت الملائكة احتملوا العلم؟

قال: قلت هذه والله أعظم من تلك. [قال][٣]: والأخرى، من موسى عليه السلام أنزل الله عليه التوراة. فظن أن لا أحد في الأرض أعلم منه. فأخبره الله تعالى أنّ في خلقي من هو أعلم منك. وذاك إذ خاف على نبيه العُجب. قال: فدعا ربّه أن يرشده إلى [ذلك][٤] العالم. فجمع[٥] الله بينه وبين الخضر عليهما السلام، فخرق السفينة، فلم يحتمل ذلك موسى. وقتل[٦] الغلام، فلم يحتمله. وأقام الجدار فلم يحتمل[٧] ذلك. وأمّا المؤمن، قال: فنبينا محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله أخذ بيدي يوم الغدير، فقال[٨]: اللّهمّ من كنت مولاه فعلي مولاه. فهل رأيت المؤمنين احتملوا ذلك إلّا من عصمهم[٩] الله منهم. ألا فابشروا، ثمّ ابشروا. فإنّ الله قد خصكم بما لم يختص[١٠] به الملائكة والنبيين والمؤمنين. بما احتملتم من أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله)[١١].

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: حال من فاعل «تجعل»، يقرر معنى التعجب والاستكشاف المذكورين. ونظيره: أتحسن إلى فلان، وأنا أحق منه بالإحسان.

والمعنى: أتستخلف عصاة؟ ونحن معصومون، أحقّاء بذلك.

---

١. من المصدر.

٢. ليس في المصدر.

٣. من ر والمصدر.

٤. يوجد في المصدر و ج.

٥. الأصل و ر: قال فجمع. والمتن موافق المصدر.

٦. المصدر: وقتل.

٧. المصدر: يحتمله.

٨. المصدر: فأمّا المؤمن، فإنّ نبينا محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله أخذ بيدي يوم غدير خم فقال ...

٩. المصدر: اعتصمه.

١٠. المصدر، ر: لم يخص.

١١. ما بين القوسين ليس في أ.

والمقصود، الاستفسار عن المرجح. لا العجب والتفاخر. وكأنهم علموا أنّ المجعول ذو ثلاث قوى عليها مدار أمره: شهوية وغضبية يؤديان به إلى الفساد. وعقلية، تدعوه إلى المعرفة. ونظروا إليها مفردة. وقالوا: ما الحكمة في استخلاف من هو باعتبار تينك القوتين؟ لا يقتضي الحكمة إيجاده، فضلاً عن استخلافه!؟ وأمّا باعتبار القوة العقلية، فنحن نقيم ما يتوقع منها، سليماً عن المعارض.

وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين، إذا صارت مهذبة مطواعة للعقل، متمرّنة على الخير، كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف. ولم يعلموا أنّ التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد، كالإحاطة بالجزئيات، واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات، من القوة إلى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف، ولذلك[1] حكم عليهم، بعدم العلم، بما يعلم هو تعالى.

و«التسبيح»: تبعيد الله من السوء، وكذلك التقديس، من سبح في الأرض والماء، وقدس في الأرض: إذا ذهب فيها وأبعد. ويقال: قدس، إذا طهر؛ لأنّ مطهر الشيء مبعده عن الأقذار.

وفي كلام بعض الفضلاء: إن التسبيح: تنزيه الجناب الإلهي عن النقائص، ونفيها عنه. والتقديس: تنزيهه عن النقائص وعن صلاحية قبوله إياه وإمكانها فيه. فهو أبلغ من التسبيح. ولذلك أخّر عنه في هذه الآية وفي قولهم: سبوح قدوس.

و«بحمدك» حال؛ أي: نسبح ونقدس، متلبسين بحمدك.

وقيل[2]: [الباء للسببية] فيتعلق بالتسبيح.

والتسبيح، إشارة إلى الثناء عليه بالصفات الثبوتية، والتقديس إلى الثناء عليه بالصفات السلبية.

و«اللام» في «لك»، مزيدة لتأكيد تعلق التسبيح والتقديس به، لا لتقوية العمل، أو للتعليل.

---

١. أ: كذلك.

٢. البحر المحيط، ١٤٣/١.

والمعنى : نطهّر نفوسنا [عن المعاصي ، لأجلك .

وقيل[١]: التسبيح والتقديس ، يعدّى بنفسه ، وباللام . فاللام في معنى يتعلق بهما][٢].

﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٠): ومن جملة «إني أعلم» ان في[٣] هذا الجعل من الحكم والمصالح ، وهو خفي عليكم .

روى عليّ بن ابراهيم في تفسيره[٤]، عن أبيه ، عن الحسن بن محبوب ، عن عمرو ابن أبي المقدام ، عن ثابت الحذاء ، عن جابر بن يزيد الجعفي ، عن أبي جعفر محمّد ابن عليّ بن الحسين صلوات الله عليه عن أبيه ، عن آبائه صلوات الله عليهم عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال : إنّ الله تبارك وتعالى أراد أن يخلق خلقاً بيده ، وذلك بعد ما مضى من الجن والنسناس في الأرض ، سبعة آلاف سنة . وكان من شأنه خلق آدم . (فكشف)[٥] عن أطباق السموات ، وقال للملائكة : انظروا إلى أهل الأرض من خلقي ، من الجن والنسناس .

فلما رأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحق ، عظم ذلك عليهم . وغضبوا لله[٦] وتأسّفوا على أهل الأرض ، ولم يملكوا غضبهم . فقالوا : ربّنا إنك أنت العزيز القادر الجبار القاهر العظيم الشأن . وهذا خلقك الضعيف الذليل . يتقلبون في قبضتك . ويعيشون برزقك . ويتمتعون بعافيتك . وهم[٧] يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام . لا تأسف عليهم ، ولا تغضب ، ولا تنتقم لنفسك ، لما تسمع منهم وترى ؟ وقد عظم ذلك علينا . وأكبرناه فيك .

قال : فلما سمع ذلك من الملائكة ، قال : «إنّي جاعل في الأرض خليفة» تكون[٨]

---

١. نفس المصدر ، بتفاوت .
٢. مابين القوسين ليس في ج .
٣. ليس في ج .
٤. تفسير القمي ، ٣٦/١.
٥. المصدر : كشط .
٦. ليس في أ.
٧. ليس في ج .
٨. المصدر : يكون .

حجة لي في أرضي[١] على خلقي.

فقالت الملائكة: سبحانك! أتجعل فيها من يفسد فيها، كما أفسد بنو الجان؟ ويسفكون الدماء، كما سفك[٢] بنو الجان؟ ويتحاسدون؟ ويتباغضون؟ فاجعل ذلك الخليفة منّا. فإنّا لا نتحاسد ولا نتباغض ولا نسفك الدماء، ونسبح بحمدك ونقدّس لك.

فقال جلّ وعزّ: إنّي أعلم ما لا تعلمون. إنّي أريد أن أخلق خلقاً بيدي. وأجعل من ذرّيّته الأنبياء والمرسلين وعبادي الصالحين والأئمّة المهتدين. وأجعلهم خلفائي في أرضي[٣]. ينهونهم عن معصيتي. وينذرونهم من عذابي. ويهدونهم إلى طاعتي. ويسلكون بهم طريق سبيلي. وأجعلهم لي حجة عليهم، عذراً نذراً[٤]. وأبيد النسناس من أرضي. وأطهرها منهم. وأنقل مردة الجن العصاة من بريتي وخلقي وخيرتي. وأسكنهم في الهواء وأقطار الأرض. فلا يجاورون نسل خلقي منهم. وأجعل بين الجن وبين خلقي حجاباً، فلا يرى نسل خلقي الجن. ولا يجالسونهم ولا يخالطونهم[٥]. فمن عصاني من نسل خلقي الذين اصطفيتهم، أسكنتهم مساكن العصاة وأوردتهم[٦] مواردهم، ولا أبالي.

قال[٧]: فقالت الملائكة: يا ربّنا! افعل ما شئت. لا علم لنا إلّا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

قال: فباعدهم الله من العرش مسيرة خمسمائة عام.

قال: فلاذوا بالعرش، وأشاروا بالأصابع. فنظر الربّ ﷻ إليهم، ونزلت الرحمة. فوضع لهم البيت المعمور.

---

١. المصدر: في الأرض.

٢. كذا في المصدر. والأصل و ر: يسفكوا.

٣. المصدر: أنبياء ومرسلين وعباداً صالحين وأئمّة مهتدين. وأجعلهم خلفاء على خلقي في أرضي.

٤. «عذراً نذراً»، ليس في المصدر.

٥. أ: يجالسوهم ولا يخالطوهم.

٦. المصدر: وأسكنتهم ... أوردتهم.

٧. ليس في أ.

فقال: طوفوا به، ودعوا العرش، فإنّه لي رضا.

فطافوا به. وهو البيت الذي يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك. لا يعودون إليه[١] أبداً. فوضع الله البيت المعمور توبة لأهل السماء. ووضع الكعبة توبة لأهل الأرض.

فقال الله تبارك وتعالى: «إنّي خالق بشراً من صلصال من حمإٍ مسنون فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين»[٢].

قال[٣]: وكان ذلك تقدمة[٤] من الله في آدم، قبل أن يخلقه واحتجاجاً منه عليهم. فاغترف ربّنا ﷻ غرفة بيمينه من الماء العذب الفرات. وكلتا يديه يمين. فصلصلها في كفه حتى جمدت.

فقال لها: منك أخلق النبيين والمرسلين وعبادي الصالحين والأئمّة المهتدين والدعاة إلى الجنة وأتباعهم إلى يوم القيامة، ولا أبالي. ولا أسأل عما أفعل، وهم يسألون.

ثمّ اغترف غرفة أخرى من الماء المالح الأجاج. فصلصلها في كفه، فجمدت.

ثمّ قال لها: منك أخلق الجبارين والفراعنة والعتاة وإخوان الشياطين والدعاة إلى النار إلى يوم القيامة وأشياعهم، ولا أبالي. ولا أسأل عما أفعل، وهم يسألون.

قال: وشرط[٥] في ذلك البداء فيهم[٦]، ولم يشترط في أصحاب اليمين البداء[٧].

ثمّ خلط[٨] المائين جميعاً في كفه، فصلصلها. ثمّ كفأهما[٩] قدام عرشه، وهما سلالة من طين. ثمّ أمر الله الملائكة الأربعة، الشمال والجنوب والصبا والدبور، أن يجولوا على هذه السلالة [من][١٠] الطين.

---

١. «إليه»، ليس في المصدر وهو الظاهر.

٢. الحجر / ٢٨.

٣. ليس في أ.

٤. ليس في المصدر.

٥. المصدر: شرطه.

٦. ليس في أ.

٧. ليس في المصدر.

٨. المصدر: أخلط.

٩. المصدر: كفهما.

١٠. من المصدر.

فأجروها[١]. وأنشئوها. ثمّ أبروها[٢]. وجزّؤوها. وفصّلوها. وأجروا فيها الطبائع الأربعة: الريح والدم والمرة والبلغم. فجالت الملائكة عليها. وهي الشمال والجنوب والصبا والدبور. وأجروا فيها [الطبائع الأربعة][٣]: (الريح في الطبائع الأربعة، من ناحية الشمال. والبلغم في الطبائع الأربعة، من ناحية الصبا. والمرة في الطبائع الأربعة)[٤]، من ناحية الدبور. والدم في الطبائع الأربعة، من ناحية الجنوب.

قال: فاستقلت[٥] النسمة، وكمل البدن. فلزمه من ناحية الريح، حب النساء وطول الأمل والحرص. ولزمه من ناحية البلغم، حب الطعام والشراب والبر والحلم والرفق. ولزمه من ناحية المرة، الغضب[٦] والسفه والشيطنة [والتجبر][٧] والتمرّد والعجلة. [ولزمه][٨] من ناحيه الدم، حب [الفساد و][٩] اللذات وركوب المحارم والشهوات.

قال أبو جعفر عليه السلام: وجدناه في كتاب علي عليه السلام فخلق الله آدم، فبقي أربعين سنة مصوراً. فكان يمر به ابليس اللعين [فيقول][١٠]: لأمر ما خلقت؟

فقال العالم عليه السلام: فقال ابليس: لئن أمرني الله بالسجود لهذه لعصيته[١١].

قال ثمّ نفخ فيه. فلما بلغت الروح إلى دماغه، عطس[١٢]. فقال: الحمد لله.

فقال الله: يرحمك الله.

قال الصادق عليه السلام: سبقت له من الله الرحمة.

[وفي الكافي[١٣]: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن أبي عباد عمران بن عطية، عن أبي عبدالله عليه السلام. قال: بينا أبي عليه السلام وأنا في الطواف، إذ أقبل رجل شرجب من الرجال.

---

١. أ، المصدر: فأمروها.
٢. أ: أبزوها، المصدر: أنزوها.
٣. يوجد في المصدر.
٤. مابين القوسين كررّة في ج.
٥. أ: فاستهلت.
٦. المصدر: الحب والغضب.
٧. يوجد في المصدر.
٨. يوجد في المصدر وج.
٩. يوجد في المصدر.
١٠. يوجد في المصدر وج.
١١. كذا في المصدر وفي الأصل و ر. ولعل الصواب: لأعصيته.
١٢. المصدر: عطس عطسة جلس منها.
١٣. الكافي ١٨٧/٤، ح ١.

فقلت: وما الشرجب؟ أصلحك الله.

فقال: الطويل. فقال: السلام عليكم. وأدخل رأسه بيني وبين أبي.

قال: فالتفت إليه أبي وأنا. فرددنا عليه السلام.

ثمّ قال: أسألك رحمك الله؟

فقال له أبي: نقضي طوافنا، ثمّ تسألني.

فلما قضى أبي الطواف، دخلنا الحجر. فصلّينا الركعات[١].

ثمّ التفت، فقال: أين الرجل؟ يا بني!

فإذا هو وراءه قد صلّى.

فقال: ممن الرجل؟

فقال: من أهل الشام.

قال[٢]: ومن أي أهل الشام؟

فقال: ممن يسكن بيت المقدس.

فقال: قرأت الكتابين؟

قال: نعم.

قال: سل عما بدا لك.

قال: أسألك عن بدء[٣] هذا البيت، وعن قوله: «ن، والقلم وما يسطرون»[٤] وعن قوله: «والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم»[٥].

فقال: يا أخا أهل الشام! اسمع حديثنا، ولا تكذب علينا. فإنّ[٦] من كذب علينا في شيء فقد كذب على رسول الله ﷺ ومن كذب على رسول الله ﷺ فقد كذب على الله.

---

١. المصدر: الركعتين. وهو الظاهر.

٢. المصدر: فقال.

٣. ر: بدو.

٤. القلم / ١.

٥. المعارج / ٢٤.

٦. المصدر: فإنه.

ومن كذب على الله، عذّبه الله ﷻ. أمّا بدء[1] هذا البيت، فإنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: «إني جاعل في الأرض خليفة»، فردّت الملائكة على الله تعالى، فقالت: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» فأعرض عنها. فرأت أنّ في ذلك من سخطه، فلاذت بعرشه. فأمر الله ملكاً من الملائكة أن يجعل له بيتاً في السماء السادسة، يسمى الضراح، بإزاء عرشه. فصيّره لأهل السماء، يطوفون به سبعون ألف ملك في كل يوم، لا يعودون، ويستغفرون. فلما أن هبط آدم إلى السماء الدنيا، أمره بمرمّة هذا البيت، وهو بإزاء ذلك. فصيّره لآدم وذريته، كما صيّر ذلك لأهل السماء.

قال: صدقت، يابن رسول الله!

عليّ بن ابراهيم[2]، عن أبيه، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر وابن محبوب، جميعاً عن المفضل بن صالح، عن محمّد بن مروان، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: كنت مع أبي في الحجر. فبينما هو قائم يصلي، إذ أتاه رجل فجلس إليه. فلمّا انصرف سلم عليه. ثمّ قال: إني أسألك عن ثلاثة أشياء لا يعلمها إلّا أنت ورجل آخر.

قال: ما هي؟

قال: أخبرني أي شيء كان سبب الطواف بهذا البيت؟

فقال: إنّ الله تعالى لما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام فردّوا[3] عليه، فقالوا: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك» قال الله تبارك وتعالى: «إني أعلم ما لا تعلمون»، فغضب عليهم. ثمّ سألوه التوبة. فأمرهم أن يطوفوا بالضراح، وهو البيت المعمور، ومكثوا يطوفون به سبع سنين ويستغفرون الله تعالى مما قالوا. ثمّ تاب عليهم من بعد ذلك ورضي عنهم. فهذا كان أصل الطواف. ثمّ جعل الله البيت الحرام حذو الضراح، توبة لمن أذنب من بني آدم وطهوراً لهم.

فقال: صدقت.

---

١. ر: بدو.
٢. نفس المصدر ١٨٨/٤، ح ٢.
٣. المصدر: ردوا.

وفي كتاب علل الشرائع[١]: حدثنا محمّد بن الحسن، قال: حدثنا محمّد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أحب أن يخلق خلقاً بيده، وذلك بعد ما مضى من الجن والنسناس في الأرض سبعة آلاف سنة.

قال: فلما[٢] كان من شأنه[٣] أن يخلق آدم عليه السلام للذي أراد من التدبير والتقدير، لما هو مكوّنه في السماوات والأرض وعلمه لما أراد من ذلك كله، كشط عن أطباق السماوات، ثمّ قال للملائكة: أنظروا إلى أهل الأرض من خلقي، من الجن والنسناس. فلما رأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحق، عظم ذلك عليهم، وغضبوا لله، وأسفوا على أهل الأرض[٤]، ولم يملكوا غضبهم أن قالوا: يا ربّ! أنت العزيز القادر الجبار القاهر العظيم الشأن. وهذا خلقك الضعيف الذليل في أرضك، يتقلبون في قبضتك، ويعيشون برزقك، ويستمتعون بعافيتك، وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام. لا تأسف ولا تغضب، ولا تنتقم لنفسك لما تسمع منهم وترى. وقد عظم ذلك علينا وأكبرناه فيك، فلما سمع الله عزّ وجلّ ذلك من الملائكة، قال: «إني جاعل في الأرض خليفة» لي عليهم. فيكون حجة لي عليهم في أرضي على خلقي. فقالت الملائكة: سبحانك! أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. [و][٥] قالوا: فاجعل منا. فإنّا لا نفسد في الأرض، ولا نسفك الدماء.

قال الله جلّ جلاله: يا ملائكتي! إني أعلم ما لا تعلمون. إنّي أريد أن أخلق خلقاً بيدي، أجعل ذريته أنبياء مرسلين وعباداً صالحين وأمّة مهتدين، أجعلهم خلفائي على خلقي

---

١. علل الشرائع، ١٠٤ـ١٠٥.
٢. المصدر: ولما.
٣. المصدر: شأن الله.
٤. المصدر: الأرض.
٥. يوجد في المصدر.

في أرضي، ينهونهم عن المعاصي[1]، وينذرونهم عذابي، ويهدونهم إلى طاعتي، ويسلكون بهم طريق سبيلي. وأجعلهم حجة لي عذراً ونذراً. وأبين النسناس من أرضي، فأطهرها منهم. وأنقل مردة الجن والعصاة عن بريتي وخلقي وخيرتي. وأسكنهم في الهواء وفي أقطار الأرض، لا يجاورون نسل خلقي، وأجعل بين الجن وبين خلقي حجاباً. ولا يرى نسل خلقي الجن، ولا يؤانسونهم[2] ولا يخالطونهم ولا يجالسونهم[3]. فمن عصاني من نسل خلقي الذين أصطفيتهم لنفسي، أسكنتهم مساكن العصاة وأوردتهم مواردهم، ولا أبالي.

فقالت الملائكة: يا ربّنا! افعل ما شئت. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وبإسناده[4] إلى يحيى بن أبي العلاء الرازي، عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: وقد سأله رجل فقال: وأخبرني عن هذا البيت، كيف صار فريضة على الخلق أن يأتوه؟

قال: [فالتفت أبو عبدالله عليه السلام إليه وقال: ما سألني عن مسألتك أحد قط قبلك][5] إنّ الله عزّ وجلّ لمّا قال للملائكة: «إنّي جاعل في الأرض خليفة» فضجت الملائكة من ذلك. وقالوا: يا رب! إن كنت لابد جاعلاً في أرضك[6] خليفة، فاجعله منا من يعمل في خلقك بطاعتك.

فردّ عليهم: «إنّي أعلم ما لا تعلمون».

فظنت الملائكة أنّ ذلك سخط من الله عزّ وجلّ عليهم. فلاذوا بالعرش يطوفون به. فأمر الله عزّ وجلّ لهم ببيت من مرمر، سقفه ياقوتة حمراء وأساطينه الزبرجد. يدخله كل يوم

---

١. كذا في المصدر. والأصل و ر: معاصي.
٢. ليس في ج.
٣. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر وج: لا يجانسونهم.
٤. علل الشرائع ٤٠٢، ضمن حديث ٢.
٥. يوجد في المصدر.
٦. المصدر: جاعل في الارض.

سبعون ألف ملك، لا يخرجونه بعد ذلك، إلى يوم القيامة[١].

وبإسناده[٢] إلى عليّ بن حديد، عن ابن أبي عمير، عن بعض[٣] أصحابنا، عن أحدهما عليهما السلام أنّه سئل عن ابتداء الطواف. فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قال للملائكة: «إنّي جاعل في الأرض خليفة».

فقال ملكان من الملائكة: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء»؟

فوقعت الحجب فيما بينهما وبين الله عزّ وجلّ. وكان تبارك وتعالى نوره ظاهراً للملائكة. فلما وقعت الحجب بينه وبينهما، علما أنّه قد سخط قولهما.

فقالا للملائكة: ما حيلتنا؟ وما وجه توبتنا؟

فقالوا: ما نعرف لكما من التوبة، إلّا أن تلوذا[٤] بالعرش.

قال: فلاذا بالعرش، حتى أنزل الله عزّ وجلّ توبتهما، ورفعت الحجب فيما بينه وبينهما. وأحب الله تبارك وتعالى أن يعبد بتلك العباده. فخلق الله البيت في الأرض، وجعل على العباد الطواف حوله. وخلق البيت المعمور في السماء، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة.

وبإسناده[٥] إلى أبي حمزة الثمالي، عن عليّ بن الحسين، قال: قلت لأبي عبدالله[٦] عليه السلام: لم صار الطواف سبعة أشواط؟

قال: لأن الله تبارك وتعالى قال للملائكة: «إنّي جاعل في الأرض خليفة»، فردّوا على الله تبارك وتعالى وقالوا: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء»؟ قال الله: «إنّي أعلم ما لا تعلمون». وكان لا يحجبهم عن نوره. فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام. فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة، فرحمهم وتاب عليهم. وجعل لهم البيت

---

١. المصدر: إلى يوم الوقت المعلوم.
٢. نفس المصدر ٤٠٣، ح ٣.
٣. ليس في المصدر.
٤. كذا في المصدر وفي الأصل: تلوذوا ... فلاذوا.
٥. نفس في المصدر ٤٠٦-٤٠٨، ح ١.
٦. ليس في المصدر.

المعمور الذي في السماء الرابعة. فجعله[١] مثابة. ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور، فجعله مثابة للناس وأمناً. فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد، لكل ألف سنة شوطاً واحداً.

وفي عيون الأخبار[٢]، بإسناده إلى الحسين بن بشار، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام[٣]. قال: سألته أيعلم الله الشيء الذى لم يكن أن لو كان، كيف كان يكون؟

فقال: إن الله هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء. قال عزّ وجلّ: «إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون»[٤] وقال لأهل النار: «ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون»[٥]. فقد علم عزّ وجلّ أن لو ردّهم[٦] لعادوا لما نهوا عنه. وقال للملائكة لما قالت: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك»، قال: «إني أعلم ما لا تعلمون».

فلم يزل الله عزّ وجلّ علمه سابق الأشياء[٧] قديماً قبل أن يخلقها. فتبارك الله ربّنا. وتعالى علوّاً كبيراً. خلق الأشياء كما شاء[٨] وعلمه بها سابق لها كما شاء. كذلك ربّنا. لم يزل ربّاً عالماً سميعاً بصيراً.

وفي كتاب علل الشرايع[٩]: بإسناده إلى أبي خديجة، عن أبي عبدالله عليه السلام. قال: سأل أبي عليه السلام رجل، وقال: حدثني عن الملائكة، حين ردّوا على الرب حيث غضب عليهم، وكيف رضي عنهم؟

فقال: إن الملائكة طافوا بالعرش سبع سنين[١٠]. يدعونه ويستغفرونه[١١]،

---

١. المصدر: وجعله.
٢. عيون الأخبار ١١٨/١، ح ٨.
٣. المصدر: أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام.
٤. الجاثية / ٢٩.
٥. الأنعام / ٢٨.
٦. المصدر: أنّه لو ردوهم.
٧. المصدر: سابقاً للاشياء.
٨. «كماشاء»، ليس في المصدر.
٩. علل الشرائع /٤٠٧، مقاطع من ح ٢.
١٠. يوجد في ر والمصدر.
١١. ليس في ج.

ويسألونه أن يرضى عنهم. فرضي عنهم بعد سبع [سنين][١].

فقال: صدقت. ومضى.

فقال أبي عليه السلام: هذا جبرئيل عليه السلام أتاكم يعلمكم معالم دينكم. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي مجمع البيان[٢]: روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الملائكة سألت الله تعالى أن يجعل الخليفة منهم. وقالوا: نحن نقدسك ونطيعك، ولا نعصيك كغيرنا.

قال: فلما أجيبوا بما ذكر في القرآن، علموا أنّهم تجاوزوا ما لهم. فلاذوا بالعرش استغفاراً. فأمر الله تعالى آدم بعد هبوطه أن يبني في الأرض بيتاً، يلوذ به المخطئون، كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون. فقال الله تعالى للملائكة: إني أعرف بالمصلحة منكم. وهو معنى قوله: أعلم ما لا تعلمون][٣].

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾: وذلك إمّا بخلق علم ضروري بها فيه، أو إلقاء في روعه، لا يفتقر إلى سابقة اصطلاح ليتسلسل.

و«التعليم»: جعل الشيء، عارفاً بشيء، من غير انتساب حكم إليه، من العلم المتعدي إلى مفعول واحد.

و«الإعلام»: جعل الشيء عالماً بنسبة بين الشيئين. من العلم المتعدي إلى مفعولين.

و«آدم»: إمّا من الأدمة ـ بضم الهمزة ـ؛ أي: السمرة. والأَدمة ـ بفتحها ـ أي: الأسورة. أو الأدم والأدمة ـ بالفتح ـ؛ أي: الألفة. أو أديم الأرض، لما روي: أنّه خمرت طينته من جميع وجه الأرض، وهو أديمها. ولذلك يأتي بنوهُ أصنافاً[٤].

[وفي كتاب علل الشرائع[٥]: بإسناده إلى محمّد الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

---

١. يوجد في ر والمصدر.

٢. مجمع البيان، ٧٥/١.

٣. ما بين القوسين ليس في أ.

٤. انظر علل الشرائع ٢/١، ح ١.

٥. نفس المصدر ١٤/١، ح ١.

إنّما سمي آدم آدم، لأنّه خلق من أديم الأرض.

وبإسناده[١] إلى عبدالله بن يزيد بن سلام، أنّه سأل رسول الله ﷺ فقال: أخبرني عن آدم لم سمّي آدم؟

قال: لأنّه من طين الأرض وأديمها].

ووزنه على هذه التقادير: أفعل، أو اسم أعجمي على فاعل، كآذر وعاذر وشالخ. فلا يكون مشتقاً مما ذكر؛ لأنّ اشتقاق الأعجمي من العربي غير معهود.

قيل[٢]: وهو أولى، والأول تعسف[٣] كاشتقاق ادريس من الدرس، ويعقوب من العقب، وابليس من الابلاس، وهو اليأس.

والاسم في اللغة: ما يكون علامة للشيء، يرفعه من مكمن الخفاء إلى منصّة الظهور، من الألفاظ والصفات والأفعال. وفي العرف: اللفظ الموضوع لمعنى، مركباً أو مفرداً، فعلاً كان أو حرفاً، أو غيرهما. وفي الاصطلاح: يخصّ القسم الأخير. والأول والثاني متلازمان هنا.

فإنّ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة، متوقف على العلم بالمعاني.

والمعنى: أنّه سبحانه، أراه الأجناس التي خلقها، وألقى في روعه أنّ هذا، اسمه فرس. وهذا، اسمه بعير. وهذا، اسمه كذا. وهذا، اسمه كذا. وعلّمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية.

والذي يدل على إرادة العموم، ما رواه الشيخ الطبرسي، عن الصادق عليه السلام[٤] أنّه سئل عن هذه الآية. فقال: الأرضين والجبال والشعاب والأودية. ثمّ نظر إلى بساط تحته، فقال: وهذا البساط مما علّمه.

[وفي بصائر الدرجات[٥]: أحمد بن محمّد ويعقوب بن يزيد، عن الحسن بن عليّ

---

١. نفس المصدر ٤٧/١، ح ٣٣.
٢. الكشاف، ١٢٥/١.
٣. أ: نصف.
٤. مجمع البيان، ٧٦/١.
٥. بصائر الدرجات ٨٣، صدر حديث ١.

ابن فضال، عن أبي جميلة، عن محمّد الحلبي[١]، عن أبي عبدالله عليه السلام. قال: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ[٢] الله مثّل لي أمتي في الطين، وعلمني أسماءهم [كلها][٣] كما علم آدم الأسماء كلها.

محمّد بن عيسى[٤]، عن النضر بن سويد، عن الحسين بن موسى، عن الحسين بن زياد، عن محمّد بن مسلم، عن أبي‌عبدالله عليه السلام [قال][٥]: أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والجوج، [فحال] فيه حبّ مختلط. فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يلقي إلى علي حبة حبة، ويسأله أي شيء هذا؟ وجعل علي يخبر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمّا إن جبرئيل أخبرني أنّ الله علّمك اسم كل شيء كما علم آدم الأسماء كلها.

وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[٦]، قوله: «وعلم آدم الأسماء كلها» قال: أسماء الجبال والبحار والأودية والنبات والحيوان][٧].

وأمّا ما رواه رئيس المحدثين، في كتاب كمال الدين وتمام النعمة[٨]، بإسناده عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام: أنّ الله تبارك وتعالى علم آدم عليه السلام أسماء حجج الله تعالى كلّها، ثمّ عرضهم وهم أرواح على الملائكة. فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين بأنكم أحقّاء[٩] بالخلافة في الأرض، لتسبيحكم وتقديسكم، من آدم.

قالوا: سبحانك! لا علم لنا إلّا ما علّمتنا. إنك أنت العليم الحكيم.

قال الله تبارك وتعالى: يا آدم! أنبئهم بأسمائهم.

فلما أنبأهم بأسمائهم، وقفوا على عظيم منزلتهم، عند الله تعالى ذكره. فعلموا

---

١. المصدر: محمّد بن الحلبي.

٢. «أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:» ليس في المصدر. والظاهر أنّه سقط منه.

٣. يوجد في المصدر.

٤. نفس المصدر، ٤١٨.

٥. يوجد في ر والمصدر وج.

٦. تفسير القمي ٤٥/١.

٧. ما بين القوسين: ليس في أ.

٨. كمال الدين ١٣/١ ـ ١٤، مقدمة المصنف.

٩. المصدر: أحق.

أنّهم[1] أحقاء[2] بأن يكونوا خلفاء الله في أرضه وحججه على بريته. ثمّ[3] غيّبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبتهم. وقال لهم: ألم[4] أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض؟ وأعلم ما تبدون وماكنتم تكتمون؟

فيدل على العموم ـ أيضاً ـ. فإنّ المعنى: علّم آدم عليه السلام أسماء الأشياء؛ أي: صفاتهم المختصة بهم وصفات حججه صلوات الله عليهم ـ أيضاً ـ ليظهر أنّهم أحقاء بأن يكونوا خلفاء في أرضه. فإنّه لو لم يعلم أسماء الأشياء، لجاز عند عقولهم مساواة جميع ما سواهم في تلك الأسماء، فلا يظهر أحقيّة الحجج بالخلافة.

لا يقال: المراد أحقيّتهم بالنسبة إلى الملائكة. وهو يظهر بتعليم أسمائهم، فقط.

قلنا: نعم. لكن أحقيّتهم بالنسبة إلى سائر ما من نوعهم، كأنّه معلوم للملائكة. والنزاع إنّما وقع في أحقيتهم بالنسبة إليهم. لكن يظهر من تنزيههم فيها بعد واطمئنانهم أنّه تعالى أظهر خاصية جميع الأشياء وأحوالها لهم وظهر لهم المزيّة. هكذا حقق المقام حتى تتفطن لما قاله العلّامة السبزواري في الجمع بين الحديثين، خصوصاً من أنّ الأخير لا ينافي العموم؛ لأنّه عليه السلام يمكن أن يقتضى في هذا الحديث على ما هو الأهمّ في هذا المقام، وهو إراءتهم الأنبياء والأوصياء، خصوصاً خاتم النبيين وسيّد الأوّلين والآخرين وأولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وقرئ: وعلم آدم الأسماء ـ على البناء للمفعول ـ.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾: وقرأ أبيّ: ثمّ عرضها. وقرأ ابن مسعود: ثمّ عرضهنّ. والضمير على الأول للمسميات: إمّا على الاستخدام. وهو أن يذكر لفظ وأريد معنى. وبضميره معنى آخر، كقوله:

إذا نزلت السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

أريد بالسماء المطر، وبضميره النبت النابت به.

---

١. أ: أنّه.
٢. المصدر: أحقّ.
٣. ليس في ج.
٤. ليس في ج.

أو على حذف المضاف إليه، وإقامته مقامه في إفادة تعريف المضاف؛ نحو: «واشتعل الرأس شيباً»، ويكون من تغليب العقلاء الذكور على غيرهم.

وعلى الثاني والثالث، للأسماء: إمّا على الاستخدام ـ أيضاً ـ. أو على حذف مضاف.

والمعنى: عرض مسمّياتهن، أو مسمّياتها.

﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ﴾: الإنباء: إخبار فيه إعلام.

فطلب العالم الإنباء بما يعلمه، تحصيل للحاصل. وأمر الجاهل بالإنباء بما يجهله، تكليف بما لا يطاق.

فالأمر هنا، ليس على حقيقته. بل لإظهار عجزهم من أمر الخلافة. فإنّ الجاهل بأحوال المستخلف عليهم، لا يتأتى منه ذلك.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١): فيما يلزم مقالتكم. وهي أتجعل فيها ـ إلى آخره ـ من دعوى استحقاقكم الخلافة.

والتصديق: متعلق بالإنشاء باعتبار لازمه.

والمعنى: إن كنتم صادقين في دعواكم استحقاق الخلافة، فأنبئوني بأسماء المستخلف عليهم وأحوالهم. فإنّ منصب الخلافة لا يتيسّر بدون ذلك.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾: سبحان: مصدر، كغفران. ويندر انقطاعه عن الإضافة. ويمتنع حينئذ من الصرف. ويحكم عليه بأنّه علم الجنس التسبيح، قال:

سبحان من علقمة الفاخر

وإذا أضيف، ينتصب بفعل مضمر؛ نحو: معاذ الله.

وتصدير الكلام به، لتنزيه الحق سبحانه عن منقصة ينبئ الكلام عنها، بالنسبة إلى غيره، كنفي العلم في الآية، والتوبة المنبئة عن الذنوب، في قول موسى عليه السلام: «سبحانك تبت إليك»[1]، ونسبة الظلم، في قول يونس عليه السلام: «سبحانك إني كنت من الظالمين»[2].

---

١. الأعراف / ١٤٣. ٢. الأنبياء / ٨٧.

وهو إمّا مصدر مضاف إلى المفعول، إن كان قائماً مقام فعل متعد؛ مثل: نسبحك. أو إلى الفاعل، إن كان قائم مقام فعل لازم؛ مثل: تنزهت.

والتقدير في قوله: «إلّا ما علمتنا»، إمّا إلّا علم ما علمتنا، أو بسبب ما علمتنا، إن كان «ما» موصولاً، أو بسبب تعليمك إيانا، إن كانت مصدرية. أو لا علم لنا إلّا ما أعطيتناه، على أن يراد بالتعليم جزء معناه. فإنّ التعليم إعطاء العلم.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾(٣٢): الذي لا يخفى عليك خافية.

الحكيم المحكم لمدعاته الذي لا يفعل إلّا ما فيه حكمة بالغة.

و«أنت» فصل، أو تأكيد للكاف، كما في مررت بك أنت، وقد يجوز في المتبوع ما لا يجوز في التابع؛ نحو: يا هذا الرجل. أو مبتدأ خبره ما بعده، والجمله خبر أنّ.

قال العلامة السبزواري: يمكن أن يقال في بيان أنّهم كيف يعلمون أنّ ما قرّره آدم وبيّنه لهم حق وصدق أنّهم علموا بذلك لما شاهدوا تصديق الله إيّاه، أو خلق العلم الضروري فيهم عقيب تقريره، أو تصديق الملائكة الكروبيين إيّاه فيما ناله، أو حصول العلم عن المجموع بمجموع ما قاله وبينه على طريق التوزيع، فلمّا سمع الكلّ الكل صدقوه في الجميع لمطابقة علمهم وتصديق نظرائهم، أو علمهم نبوّته وبعثته على الجان وعلى أولاده اللذين سيوجد من صلبه بإخبار الله تعالى إيّاهم، أو بظهور خوارق العادة على يده مقارناً لدعوى النبوّة.

وأقول: يحتمل أن يكون ذلك بإراءَتهم عند ذلك في اللوح المحفوظ فيحصل لهم المطابقة مع ما فيه ليست حقيقيّة ولا مانعة الجمع وهو ظاهر العلم، فعلى هذا يلزم على العلامة إمّا إثبات قسم آخر للمنفصلة. أو إبطال منفصلته؛ لأنّها ليست حقيقية، ولا مانعة الجمع. وهو ظاهر. ولا مانعة الخلو، لجواز ارتفاع جميع تلك الوجوه لما ذكرنا. اللّهمّ إلّا أن يقال: أنّها ليست منفصلة. ولا يخفى ما فيه.

[وفي كتاب التوحيد[١]: خطبة لعلي عليه السلام ويقول فيها: عجزت الملائكة على قربهم من كرسي كرامته وطول ولههم إليه وتعظيم جلال عزّه وقربهم من غيب ملكوته، أن يعلموا من أمره إلّا ما أعلمهم. وهم من ملكوت القدس بحيث هم، ومن معرفته على ما فطرهم عليه، أن قالوا: سبحانك لا علم لنا إلّا ما علمتنا إنّك أنت العليم الحكيم. فما ظنك أيّها السائل بمن هو هكذا؟][٢].

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾: للرد عليهم. والتنبيه على أنّ فيمن يستخلفه، فضيلة العلم التي هي مناط استئهال الاستخلاف.

وقرئ بقلب الهمزة ياء، وبحذفها ـ أيضاً ـ. والهاء مكسورة فيهما.

﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾: حيث قلت إنّي أعلم ما لا تعلمون.

﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فإنّ ما لا تعلمون، أعمّ من غيب السماوات والأرض. والقول بالعلم الأعم على وجه الشمول، قول بالعلم بالأخص.

﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٣٣): هذا ـ أيضاً ـ من تتمة مقول القول. وإنّما يلزم القول به بالطريق الأولى؛ لأنّه إذا علم ما لا يعلمون، فبالطريق الأولى يعلم ما يعلمون.

والمراد بالأول أحوالهم الظاهرة. وبالثاني الباطنة.

أو، بالأول قولهم: أتجعل ـ إلى آخره ـ. وبالثاني ما يلزمه من استبطانهم أنّهم أحقاء بالخلافة.

أو، بالأول ما أظهروا من الطاعة. وبالثاني ما أسرّ منهم إبليس من المعصية.

وفي الآية دلالة:

على أنّ العلوم كلها من جهته تعالى، والأمر كذلك؛ لأنّها إمّا ضرورية فعلها الله، أو نظرية أقام الأدلة عليها. فالعلم كله من عند الله.

---

١. التوحيد، ٥٠.

٢. ما بين القوسين، ليس في أ.

وعلى شرف الإنسان، من حيث أنّه إنسان.

وعلى مزيّة العلم على العبادة.

وعلى أنّه شرط في الخلافة.

وأنّه لا يكون الأسفل خليفة للأفضل. وإن كان له شرف التقدم. وقد قال: «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون»[١].

قال بعض الفضلاء: وتأويل الآية في بعض بطونها، أنّ الله سبحانه «علّم آدم»؛ أي: الأناسي الكاملين «أسماءه كلّها»، سواء كانت إلهية، أو كونية. فإنّ الحقيقة الانسانية الكمالية أحدية، جمع[٢] الحقائق المظهرية الكمالية، والأسماء الالهية الظاهرة فيها وبها. فإنّ الكل أسماء وتعينات وجوده. وتعليمهم إيّاه عبارة عن جعلهم عارفين بما في أنفسهم.

«ثمّ عرضهم»؛ أي: أوردهم في معرض المعارضة للملائكة. فقال لهم ـ أي: للملائكة ـ: «أنبئوني» من حيث ظهوري فيهم. فإنّ إنبائي من هذه الحيثية، إنباؤهم بأسماء هؤلاء الأناسي الكاملين؛ أي: بأسمائي المودعة فيهم، إلهية كانت أو كونية. وإنباءكم عنها، لا يتصور إلّا بتحققكم بها والظهور بأحكامها.

«قالوا: سبحانك لا علم لنا» بتلك الأسماء، «إلّا ما علمتنا» بإيداعه فينا. وجعلنا عارفين به. وذلك هنا لا يستوعب جميع تلك الأسماء. فكيف ننبئهم بها؟ «إنك أنت العليم» بما فينا وفيهم، «الحكيم» المجري علينا أحكامنا على ما يقتضيه علمك. وبهذا ظهر عدم استحقاق الملائكة للخلافة؛ لأنّ من شرطها الإحاطة بأحوال المستخلف عليه.

ثمّ أقبل سبحانه على آدم لإظهار استحقاقه لها. «فقال يا آدم أنبئهم بأسمائهم» المودعة فيهم. فإنّه بعض ما أودعنا فيك. فعلمك بتفاصيل ما فيك، يستلزم العلم بما فيهم.

---

١. الزمر / ٩.

٢. ر: جميع.

«فلما أنبأهم بأسمائهم، قال لهم: ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات» الأسماء؛ أي: ما استجنّ فيها من الأحكام والآثار وغيب أرض الحقائق الإمكانية من الاستعدادات الغير الظاهرة، إلّا بعد ظهور[1] أحكام الأسماء وآثارها فيها. «وأعلم ما تبدون» لاقتضاء استعدادكم إبدائها من تلك الأحكام والآثار. «وأعلم ما كنتم تكتمون» لعدم وفاء استعدادكم بإبدائه.

وإنّما قال أولاً: «أنبئوني» وثانياً: «أنبئهم» إشارة إلى صحة إسناد الأفعال وإيقاعها على كل من الظاهر والمظهر.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: عطف على الظرف السابق، إن نصبته بمضمر. وإلّا عطف، مع ما يقدّر عاملاً فيه، على الجملة المتقدمة، لبيان نعمة رابعة عامة لجميع الناس.

والمراد بالملائكة: كلهم.

وقيل: المراد، ما عدا الملائكة المهيمنين الذين منذ خلقوا هاموا في جمال الله وجلاله، ولا شعور لهم بوجود العالم، فكيف بوجود آدم؟ وبعد ذلك، إمّا مخصوصة بملائكة الأرضين، أو أعم.

قيل: وهذا القول، بعد الإنباء واظهار فضل آدم، على الملائكة.

والأظهر، أنّه أمرهم به قبل أن يسوى خلقه، لقوله تعالى: «فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين»[2]، امتحاناً لهم واظهاراً لفضله. ولما رويناه سابقاً من قول أميرالمؤمنين عليه السلام وكان ذلك من الله تقدمة في آدم، قبل أن يخلقه واحتجاجاً منه عليهم.

و«السجود»: الخضوع والتذلل، صورته الكاملة: وضع الجبهة على الأرض. وهو لله سبحانه على سبيل العبادة، ولغيره على وجه التكرمة.

---

١. ليس في ج.

٢. ص / ٧٢.

والمسجود له، إمّا الله سبحانه، وآدم جعل قبلة، فاللام فيه كاللام في قوله حسّان:

أليس أول من صلّى لقبلتكم   وأعرف الناس بالقرآن والسُّنن؟

أو سبباً لوجوبه، فاللّام فيه كاللّام في قوله: «أقم الصلوة لدلوك الشمس»[١].

أو آدم، فاللام فيه كاللام في قولهم: سجدت له.

﴿فَسَجَدُوا﴾: قيل: الضمير راجع إلى المأمورين بالسجود، أعم من الملائكة والجن. فإنّ الجن كانوا ـ أيضاً ـ مأمورين، لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم. فإنّه إذا علم أنّ الأكابر مأمورون بالتذلل لأحد والتوسل به، علم ـ أيضاً ـ أنّ الأصاغر مأمورون به.

[وفي تفسير العياشي[٢]: عن بدر بن خليل الأسدي، عن رجل من أهل الشام، قال: قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: أول بقعة عبد الله عليها، ظهر الكوفة. لمّا أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم، سجدوا على ظهر الكوفة][٣].

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: اختلفوا في أنّه من الملائكة، أو من الجن. والحق هو الثاني. يدل عليه ما رواه عليّ بن ابراهيم[٤]، قال: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سئل عما ندب الله الخلق[٥] إليه، أدخل فيه الضلّال؟

قال: نعم. والكافرون دخلوا فيه، لأنّ الله تبارك وتعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم، فدخل في أمره الملائكة وابليس، وإنّ[٦] ابليس كان مع الملائكة في السماء يعبد الله، وكانت الملائكة تظن أنّه معهم، ولم يكن منهم. فلما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، أخرج ما كان في قلب ابليس من الحسد. فعلم الملائكة عند ذلك أنّ ابليس لم يكن منهم[٧].

---

١. الإسراء/٧٨.

٢. تفسير العياشي ٣٤/١، ح ١٨.

٣. ما بين القوسين، ليس في أ.

٤. تفسير القمي ٣٥/١ـ٣٦.

٥. ليس في أ.

٦. المصدر: فإنّ من.

٧. المصدر: مثلهم.

فقيل له عليه السلام : فكيف وقع[1] الأمر على ابليس وإنّما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ؟

فقال : كان ابليس منهم بالولاء ، ولم يكن من جنس الملائكة . وذلك أنّ الله خلق خلقاً قبل آدم وكان ابليس فيهم[2] حاكماً في الأرض ، فعتوا وأفسدوا وسفكوا الدماء ، فبعث الله الملائكة فقتلوهم . وأسروا إبليس ورفعوه إلى السماء . فكان[3] مع الملائكة يعبد الله ، إلى أن خلق الله تبارك وتعالى آدم .

وما رواه الشيخ الطبرسي[4] ، عن رئيس المحدثين أبي جعفر ابن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة ، بإسناده عن ابن أبي عمير ، عن جميل بن دراج ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن ابليس ، أكان من الملائكة ، أو كان يلي شيئاً من أمر السماء ؟

قال : كان من الجن ، وكان مع الملائكة . وكانت الملائكة ترى أنّه منها . وكان الله سبحانه يعلم أنّه ليس منها . فلما أمر بالسجود لآدم ، كان منه الذي كان .

وما وقع في القرآن من قوله : « إلّا ابليس كان من الجن »[5] ، ومن قوله : « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »[6] ، فنفي المعصية عنهم ، نفياً عاماً .

وفي روضة الكافي[7] : أبو علي الأشعري ، عن محمّد بن عبدالجبار ، عن عليّ بن حديد ، عن جميل بن دراج ، قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن ابليس ، أكان من الملائكة ، أم كان يلي شيئاً من أمر السماء ؟

فقال : لم يكن من الملائكة ، ولم يكن يلي من أمر السماء ولا كرامة ، فأتيت الطيار فأخبرته بما سمعت ، فأنكره وقال : كيف لا يكون من الملائكة ؟ والله عزّ وجلّ يقول : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا ابليس » . فدخل عليه الطيار ، وسأله وأنا عنده .

فقال له : جعلت فداك ! أرأيت[8] قوله عزّ وجلّ : « يا أيها الذين آمنوا » ، في غير مكان من مخاطبة المؤمنين ؟ أيدخل في هذا المنافقون ؟

---

١. كذا في المصدر . والأصل و ر : وقع فكيف .
٢. المصدر : منهم .
٣. المصدر : وكان .
٤. مجمع‌البيان ، ٨٢/١.
٥. الكهف / ٥٠.
٦. التحريم /٦.
٧. الكافي ٢٧٤/٨، ح ٤١٣.
٨. المصدر : رأيت .

قال: نعم. يدخل في هذا المنافقون والضّلّال وكل من أقر بالدعوة الظاهرة.

وفي أصول الكافي[١]: عليّ بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل، قال: كان الطيار يقول لي: ابليس ليس من الملائكة. وإنّما أمرت الملائكة بالسجود لآدم، فقال ابليس: لا أسجد. فما لابليس يعصى حين لم يسجد، وليس هو من الملائكة.

قال: فدخلت أنا وهو على أبي عبدالله عليه السلام.

قال: فأحسن والله في المسألة.

فقال: جعلت فداك! أرأيت ما ندب الله عزّ وجلّ إليه المؤمنين من قوله: «يا أيها الذين آمنوا»؟ أدخل في ذلك المنافقون معهم؟

قال: نعم. والضلاّل وكل من أقر بالدعوة الظاهرة، وكان ابليس ممن أقر بالدعوة الظاهرة معهم!

وبإسناده[٢] إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الملائكة كانوا يحسبون أنّ ابليس منهم. وكان في علم الله أنّه ليس منهم. فاستخرج ما في نفسه بالحمية والغضب. فقال: خلقتني من نار، وخلقته من طين.

الحسين بن محمّد[٣]، عن معلى بن محمّد، عمن أخبره، عن عليّ بن جعفر، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لما رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله تيماً وعدياً وبني أمية يركبون منبره، أفظعه. فأنزل الله تبارك وتعالى قرآناً يتأسّى به: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا ابليس أبى». ثمّ أوحى إليه: يا محمّد! إني أمرت فلم أطع. فلا تجزع أنت إذا أمرت فلم تطع في وصيك!

وفي كتاب الاحتجاج[٤]، للطبرسي رحمه الله: وروي عن موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: إن يهودياً من يهود الشام وأحبارهم، قال

---

١. أصول الكافي ٤١٢/٢، ح ١.

٢. نفس المصدر ٣٠٨/٢، ح ٦.

٣. نفس المصدر ٤٢٦/١، ح ٧٣.

٤. الاحتجاج، ٣١٤/١.

لعليّ عليه السلام في كلام طويل: هذا آدم، أسجد الله له ملائكته، فهل فعل بمحمّد[1] شيئاً من هذا؟

فقال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ولئن أسجد الله لآدم ملائكته، سجودهم لم يكن سجود طاعة [و][2] أنّهم عبدوا آدم من دون الله عزّ وجلّ. ولكن اعترافاً لآدم[3] بالفضيلة، ورحمة من الله له. ومحمّد صلّى الله عليه وآله أعطي ما هو أفضل من هذا؛ إن الله عزّ وجلّ صلّى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها، وتعبد المؤمنون بالصلاة عليه، فهذه زيادة له يا يهودي!

وفي عيون الأخبار[4]، عن الرضا عليه السلام حديث طويل، وفيه: إن الله تبارك وتعالى خلق آدم وأودعنا[5] صلبه. وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً. وكان سجودهم لله تعالى عبودية، ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه. فكيف لا نكون أفضل من الملائكة؟ وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة[6]، بإسناده إلى محمّد بن الفضل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليهما السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام بعد أن ذكر وفاة آدم عليه السلام وهبة الله: حتى إذا بلغ الصلاة عليه، قال هبة الله: يا جبرئيل! تقدم، فصلّ على آدم.

فقال له جبرئيل عليه السلام: يا هبة الله! ان الله أمرنا أن نسجد لأبيك في الجنة، فليس لنا أن نؤمّ أحداً من ولده.

وفي كتاب علل الشرائع[7]: بإسناده إلى هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما أسري برسول الله صلّى الله عليه وآله وحضرت الصلاة، أذّن جبرئيل وأقام الصلاة. فقال: يا محمّد! تقدم.

---

١. المصدر: لمحمّد.
٢. يوجد في المصدر.
٣. ليس في المصدر.
٤. عيون الأخبار ٢٦٣/١. والحديث عن الرضا، عن آبائه. عن رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين.
٥. المصدر: فأودعنا.
٦. كمال الدين وتمام النعمة، ٢١٤.
٧. علل الشرائع ٨، ح ٤.

فقال له رسول الله ﷺ : تقدم يا جبرئيل !

فقال له : إنّا لا نتقدم على الآدميين ، منذ أمرنا بالسجود لآدم .

وفي كتاب التوحيد[١] : عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل ، يقول في آخره : لعلك ترى أنّ الله إنّما خلق هذا العالم الواحد أو[٢] ترى أنّ الله لم يخلق بشراً غيركم ؟! بلى والله لقد خلق الله[٣] ألف ألف عالم وألف ألف آدم[٤] ، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين .

وقد سبق في الفاتحة .

وفي كتاب معاني الأخبار[٥] : بإسناده إلى العبّاس بن هلال ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه ذكر أنّ اسم ابليس الحرث[٦] ، وإنّما قول الله عزّ وجلّ : يا ابليس ! يا عاصي !

وسمّي ابليس ، لأنّه أبلس من رحمة الله عزّ وجلّ .

وفي كتاب الخصال[٧] ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الآباء ثلاثة : آدم ، ولد مؤمناً . والجان ، ولد كافراً ومؤمناً . وابليس ، ولد كافراً . وليس فيهم نتاج . و[٨]إنّما يبيض ويفرخ . وولده ذكور ، ليس فيهم أناث][٩] .

﴿ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٤) : أي : امتنع أشدّ امتناع عن قبول ما أمر به ، وتعظّم على آدم .

وكان في علم الله قبل ظهور هذا الامتناع والاستكبار ، من الكافرين المطرودين . فظهر آخراً ما كان أوّلاً .

[وفي أصول الكافي[١٠] : بإسناده إلى موسى بن بكير[١١] ، قال : سألت أبا الحسن عليه السلام

---

١. التوحيد ٢٧٧ ، ذيل حديث ٢.
٢. المصدر : و .
٣. ليس في ج .
٤. ليس في ج .
٥. معاني الأخبار ، ١٣٨ ، ح ١.
٦. المصدر : الحارث .
٧. الخصال ، ١٥٢/١ .
٨. ليس في ج .
٩. ما بين القوسين ليس في أ .
١٠. أصول الكافي ٣٨٥/٢ ، ح ٦ .
١١. الأصل و ر : بكر .

عن الكفر والشرك، أيهما أقدم؟

قال: فقال لي: ما عهدي بك تخاصم الناس؟

قلت: أمرني هشام بن سالم أن أسألك عن ذلك.

فقال لي: الكفر أقدم، وهو الجحود. قال الله ﷻ: «إلّا ابليس أبى واستكبر. وكان من الكافرين».

وفي شرح الآيات الباهرة[١]: ذكر في تفسير الحسن العسكري عليه السلام: أن الحسين عليه السلام قال لأصحابه بالطف: أولا أحدّثكم بأول أمرنا وأمركم؟ معاشر أوليائنا ومحبينا والمبغضين لأعدائنا يسهل عليكم احتمال ما أنتم له معرضون.

قالوا: بلى، يا ابن رسول الله!

قال: إن الله لما خلق آدم وسوّاه، وعلّمه أسماء كل شيء، وعرضهم على الملائكة، جعل محمّداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين أشباحاً خمسة، في ظهر آدم. وكانت أنوارهم تضيء في الآفاق من السماوات والحجب والجنان والكرسي والعرش. ثمّ أمر الله الملائكة بالسجود لآدم تعظيماً له. وأنّه [قد][٢] فضّله بأن جعله وعاء لتلك الأشباح التي قد عمّ أنوارها الآفاق. فسجدوا إلّا ابليس، أبى أن يتواضع لجلال عظمة الله، وأن يتواضع لأنوارنا أهل البيت، وقد تواضعت الملائكة كلها. فاستكبر وترفّع، وكان بإبائه ذلك وتكبّره من الكافرين[٣].

وفي تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي[٤]، قال: حدثني أبوالحسن أحمد بن صالح الهمداني، قال: حدثنا الحسن بن علي، عن[٥] زكريا بن صالح بن عاصم بن زفر البصري، قال: حدثنا زكريا بن يحيى التستري، قال: حدثنا أحمد بن قتيبة الهمداني، عن عبدالرحمن بن يزيد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء.

---

١. شرح الآيات الباهرة، ٤٤/١.

٢. يوجد في المصدر.

٣. المصدر: بإبائه ذلك وتكبر وكان من الكافرين.

٤. تفسير فرات، ٥٦.

٥. المصدر وج: يعني.

فخلق خمسة من نور جلاله، ولكل واحد منهم اسماً من أسمائه المنزلة؛ فهو الحميد وسمّى [نبيّه] محمّداً ﷺ، وهو الأعلى وسمّى أميرالمؤمنين علياً عليه السلام، وله الأسماء الحسنى، فاشتق منها حسناً وحسيناً، وهو فاطر فاشتق لفاطمة من أسمائه اسماً[١]. فلما خلقهم جعلهم في الميثاق، فأقامهم[٢] عن يمين العرش. وخلق الملائكة من نور. فلما أن نظروا إليهم وعظّموا أمرهم وميثاقهم[٣] وشأنهم ولقنوا التسبيح، فذلك قوله تعالى[٤]: «وإنا لنحن الصافون، وإنا لنحن المسبّحون»[٥].

فلما خلق الله تعالى آدم صلوات الله وسلامه عليه نظر إليهم عن يمين العرش، فقال: يا ربّ! من هؤلاء؟

قال: يا آدم! هؤلاء صفوتي وخاصتي. خلقتهم من نور جلالي، وشققت لهم اسماً من أسمائي.

قال: يا ربّ! فبحقّك عليهم، علّمني أسماءهم.

قال: يا آدم! فهم عندك أمانة سرّى من سرّي، لا يطّلع عليها[٦] غيرك إلّا باذني.

قال: نعم، يا ربّ.

قال: يا آدم! أعطني على ذلك العهد فأخذ عليه العهد[٧].

ثمّ علمه أسماءهم، ثمّ عرضهم على الملائكة، ولم يكن علّمهم بأسمائهم.

فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.

قالوا: سبحانك! لا علم لنا إلّا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

قال: يا آدم! أنبئهم بأسمائهم.

فلما أنبأهم بأسمائهم، علمت الملائكة أنّه مستودع، وأنّه مفضل[٨] بالعلم.

---

١. المصدر: اسماً من أسمائه.

٢. المصدر: فإنهم.

٣. ليس في المصدر.

٤. ليس في ج.

٥. الصافات / ١٦٥.

٦. المصدر: عليه.

٧. المصدر: عهداً فأخذ عليه العهد.

٨. النسخ: تفضل، والمثبت من المصدر.

وأمروا بالسجود إذ كانت سجدتهم لآدم تفضيلاً له وعبادة لله إذ كان ذلك يحقّ له. فأبى ابليس الفاسق عن أمر ربّه. فقال: ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك؟

قال: أنا خير منه.

قال: فقد فضّلته عليك، حيث أقر[١] بالفضل للخمسة الذين لم أجعل[٢] لك عليهم سلطاناً ولا من يشبههم. فذلك[٣] استثناء اللعين: «إلّا عبادك منهم المخلصين»[٤].

قال[٥]: إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان، وهم الشيعة][٦].

﴿وَقُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما وَلا تَقْرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ﴾(٣٥): رغداً: وصف للمصدر، أي: أكلا رغداً واسعاً. و[٧]« فتكونا » جزم عطف على « تقربا » أو نصب، جواب للنهي[٨].

قيل[٩]: الشجرة الحنطة. وقيل: الكرمة. وقيل: التينة.

وفي عيون الأخبار[١٠]، بإسناده إلى عبدالسلام بن صالح[١١] الهروي، قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله! أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ماكانت؟ فقد اختلف الناس فيها؛ فمنهم من يروي أنّها الحنطة، ومنهم من يروي أنّها العنب، ومنهم من يروي أنّها شجرة الحسد!

فقال عليه السلام: كل ذلك حق.

قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟

فقال: يا أبا الصلت! إن شجرة الجنة تحمل أنواعاً، فكانت[١٢] شجرة الحنطة وفيها

---

١. المصدر: أمر.
٢. المصدر: لم يجعل.
٣. المصدر: ولا على شيعتهم، فبان لك.
٤. الحجر / ٤٠.
٥. الحجر / ٤٢.
٦. ما بين القوسين ليس في أ.
٧. ليس في ج.
٨. العبارة الأخيرة، ليست في أ.
٩. أنوار التنزيل ٤٩/١، مجمع البيان ٨٥/١.
١٠. عيون الأخبار، ٣٠٦؛ معاني الأخبار، ١٢٤.
١١. ليس في ج.
١٢. الأصل و ر: وكانت.

عنب، و[1]ليست كشجرة الدنيا. وإن آدم لما أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاد ملائكته له وبإدخاله الجنة، قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل مني؟ فعلم الله ﷻ ما وقع في نفسه، فناداه: ارفع رأسك يا آدم! وانظر الى ساق عرشي[2].

فنظر آدم إلى ساق العرش، فوجد عليه مكتوبا: لا إله إلّا الله. محمّد رسول الله ﷺ. عليّ بن أبي طالب عليه السلام أميرالمؤمنين. وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين. والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة.

فقال آدم عليه السلام: يا ربّ! من هؤلاء؟

فقال[3] ﷻ: هؤلاء من ذريتك، وهم خير منك ومن جميع خلقي. ولو لا هم ما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار ولا السماء ولا الأرض. فإياك أن تنظر إليهم بعين الحسد، [فأخرجك عن جواري.

فنظر إليهم بعين الحسد][4] وتمنّى منزلتهم. فتسلط عليه الشيطان حتّى أكل من الشجرة التي نُهي عنها، وتسلط على حواء لنظرها إلى فاطمة عليها السلام[5] بعين الحسد، حتى أكلت من الشجرة، كما أكل آدم. فأخرجهما الله تعالى عن جنته، فأهبطهما من جواره إلى الأرض.

وفي مجمع البيان[6]: «ولا تقربا هذه الشجرة» أي: [لا] تأكلا منها. وهو المروي عن الصادق عليه السلام. وقيل: هي شجرة الكافور ـ يروى عن علي عليه السلام.

[وفي شرح الآيات الباهرة[7]: قال الإمام عليه السلام: إن الله ﷻ لما لعن ابليس بإبائه، وأكرم الملائكة بسجودها لآدم وطاعتهم لله ﷻ أمر آدم وحواء إلى الجنة. وقال: يا آدم! أسكن

---

١. ليس في ج.

٢. المصدر: إلى ساق العرش، فرفع آدم رأسه و«فرفع آدم رأسه» يوجد أيضاً في أ.

٣. ليس في ج.

٤. مابين القوسين يوجد في المصدر.

٥. ليس في ج.

٦. مجمع البيان، ٨٥/١.

٧. شرح الآيات الباهرة، ٤٥/١؛ تفسير الإمام، ٢٢١.

أنت وزوجك الجنة، وكلا منها رغداً واسعاً حيث شئتما بلا تعب. ولا تقربا هذه الشجرة، شجرة العلم؛ علم محمّد وآل محمّد الذي آثرهم الله به دون سائر خلقه، فإنّها[1] لمحمّد وآل محمّد خاصة دون غيرهم. لا يتناول منها بأمر الله إلّا هم. ومنها كان يتناول النبيّ ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات‌الله عليهم بعد إطعامهم اليتيم والمسكين[2] والأسير، حتى لم يحسّوا بعد بجوع[3] ولا عطش ولا تعب، وهي شجرة تميزت[4] بين أشجار الجنة، إنّ سائر أشجار الجنة كان كل نوع منها يحمل أنواعاً من الثمار والمأكول. وكانت هذه الشجرة وحدها تحمل[5] البر والعنب والتين والعناب وسائر أنواع الثمار والفواكه والأطعمة، فلذلك[6] اختلف الحاكون لذكر الشجرة؛ فقال بعضهم: برة. وقال آخرون: هي عنبة[7] وقال آخرون: هي تينة. وقال آخرون: هي عنابة. قال الله: «ولا تقربا هذه الشجرة» تلتمسان بذلك درجة محمّد وآل محمّد في فضلهم، فإنّ الله خصهم بهذه الدرجة دون غيرهم. وهي الشجرة التي من يتناول[8] منها بإذن الله، ألهم علم الأوّلين والآخرين بغير تعلم. ومن تناول منها بغير إذن الله، خاب من مراده، وعصى ربه، «فتكونا من الظالمين» بمعصيتكما[9] والتماسكما درجة قد[10] أوثر بها غيركما، كما أردتما بغير حكم الله.

وفي أصول الكافي[11] بإسناده إلى محمّد[12] بن مسلم بن شهاب، قال: سئل عليّ بن الحسين عليه السلام: أي الأعمال أفضل عند الله عزّ وجلّ؟

فقال: ما من عمل بعد معرفة الله عزّ وجلّ ومعرفة رسول الله ﷺ أفضل من بغض الدنيا. وإن لذلك لشعباً كثيرة، وللمعاصي شعباً: فأول ما عصي الله به الكبر، وهي معصية

---

١. المصدر: وأنّها.
٢. المصدر: المسكين واليتيم.
٣. المصدر: لم يشعروا الجوع.
٤. المصدر: وهي شجرة ممتازة بميزات.
٥. كذا في المصدر والأصل و ر: وجنسها يحمل.
٦. المصدر: ولذلك.
٧. العبارة الاخيرة، ليست في المصدر.
٨. كذا في ر والمصدر ونسخة المتن: يتناول.
٩. المصدر: بمعصيتها.
١٠. ليس في ج.
١١. أصول الكافي ١٣٠/٢، ح ١١. وله تتمة.
١٢. المصدر: الزهري محمّد...

ابليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين. ثمّ[1] الحرص، وهي معصية آدم وحوا حين قال الله ﷻ لهما: كلا من حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأخذا ما لا حاجة بهما إليه. فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة. وذلك أنّ أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه.

عليّ بن ابراهيم[2]، عن أبيه، عن عليّ بن معبد، عن واصل بن سليمان، عن عبدالله ابن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: أمر الله ولم يشأ، وشاء ولم يأمر، أمر ابليس أن يسجد لآدم، وشاء أن لا يسجد، ولو شاء لسجد. ونهى آدم عن أكل الشجرة، وشاء أن يأكل منها، ولو لم يشأ لم يأكل.

عليّ بن ابراهيم[3]، عن المختار بن محمّد الهمداني، ومحمّد بن الحسن، عن[4] عبدالله بن الحسن العلوي، جميعاً، عن الفتح بن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسن عليه السلام قال: إن لله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء. أو ما رأيت أنّه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك؟ ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله. وأمر ابراهيم أن يذبح اسحاق ولم يشأ أن يذبحه. ولو شاء لما غلبت مشيئة ابراهيم مشيئة الله][5].

﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا** ﴾: أي: الشجرة، أي: بسببها.

﴿ **فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ** ﴾: من الجنة.

[في كتاب علل الشرائع[6]: حدثنا محمّد بن الحسن رحمه الله، قال: حدثنا محمّد بن الحسن الصفار، عن ابراهيم بن هاشم، عن عثمان، عن الحسن بن بشار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن جنة آدم.

---

١. المصدر: و.

٢. نفس المصدر ١/١٥٠ ـ ١٥١، ح ٣.

٣. نفس المصدر ١/١٥١، ح ٤.

٤. الاصل و ر: بن.

٥. ما بين القوسين ليس في أ. ويوجد فيه: «فتكونا» جزم عطف على «تقربا»، أو نصب جواب النهي. وهذه العبارة يورد في المتن ور، في أوائل تفسير الآية.

٦. علل الشرائع ٦٠٠، ح ٥٥.

فقال: جنة من جنان الدنيا يطلع[1] عليها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الخلد، ما خرج منها أبداً.

وفي الكافي[2]: عليّ بن ابراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمّد بن أبي‌نصر، عن الحسين بن ميسر، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن جنة آدم.

فقال: جنة من جنات[3] الدنيا، يطلع[4] فيها الشمس والقمر. ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبداً.

وفي تفسير العياشي[5]: عن أبي بصير، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إن أول كفر بالله، حيث خلق الله آدم، كفر ابليس، حيث ردّ على الله أمره. وأول الحسد حيث حسد ابن آدم أخاه. وأول الحرص حرص آدم، حيث نهي عن الشجرة فأكل منها. فأخرجه[6] حرصه من الجنة][7].

﴿فَقُلْنَا﴾: لآدم وحوا بالمشافهة، ولذريتهما بالتبعية.

﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: متعادون[8].

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: أي: محل استقرار.

﴿وَمَتَاعٌ﴾: أي: تمتّع.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾﴿٣٦﴾: مجيء الموت، أو القيامة.

وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[9]: قال: فهبط آدم على الصفا، وإنّما سميت الصفا؛ لأنّ صفوة الله هبط[10] عليها. ونزلت حواء على المروة، وإنّما سميت المروة؛ لأنّ المرأة نزلت عليها.

---

١. المصدر: تطلع.
٢. الكافي ٢٤٨/٣، ح ٢.
٣. المصدر و: جنان.
٤. المصدر: تطلع.
٥. تفسير العياشي ٣٤/١، ح ١٧.
٦. الأصل و ر: فأخرج.
٧. ما بين القوسين ليس في أ.
٨. أ، ر: تتعادون.
٩. تفسير القمي ٤٤/١.
١٠. المصدر: نزل.

فبقي آدم أربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنة.

فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم! ألم يخلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته؟

قال: بلى.

قال: وأمرك أن لا تأكل من الشجرة، فلم عصيته؟

قال: يا جبرئيل! إن ابليس حلف لي بالله أنّه لي ناصح، وما ظننت أنّ خلقاً خلقه[1] الله [أنّ][2] يحلف بالله كاذباً!

قال: وحدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن موسى عليه السلام سأل ربه أن يجمع بينه وبين آدم عليه السلام، فجمع. فقال له موسى: يا أبة! ألم يخلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأمرك أن لا تأكل من الشجرة؟ فلم عصيته؟

قال[3]: يا موسى! بكم وجدت خطيئتي، قبل خلقي في التوراة؟

قال: ثلاثين ألف سنة، [قبل أن خلق آدم][4].

قال[5]: قال: فهو ذلك.

قال الصادق عليه السلام: فحجّ آدم موسى عليه السلام.

وفيه حديث طويل، عن الصادق عليه السلام[6]، وفي آخره: فقال الله لهما: اهبطوا بعضكم لبعض عدو، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين، قال: إلى يوم القيامة.

وفي من لا يحضره الفقيه[7]: وروي عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام أنّه قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فسأله أعلمهم عن مسائل. فكان فيما سأله أنـه

---

١. المصدر: يخلقه.

٢. يوجد في المصدر.

٣. المصدر: فقال.

٤. يوجد في المصدر.

٥. ليس في المصدر.

٦. تفسير القمي، ٤٣/١.

٧. من لايحضره الفقيه ٧٥/١، ح ١٧٠.

قال له: لأي شيء فرض الله ﷻ الصوم على أمتك بالنهار ثلاثين يوماً، وفرض الله على الأمم أكثر من ذلك؟

فقال النبيّ ﷺ: إن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة، بقي في بطنه ثلاثين يوماً. ففرض الله على ذريته ثلاثين يوماً الجوع والعطش. والذي يأكلونه بالليل، تفضّل من الله ﷻ عليهم، وكذلك كان على آدم.

وفي نهج‌البلاغة[1]: قال عليه السلام بعد أن ذكره عليه السلام: فأهبط بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله، ويقيم الحجة به على عباده.

وفيه ـ أيضاً ـ[2]: ثمّ أسكن الله سبحانه آدم داراً أرغد فيها عيشته[3]، وأمن فيها محلّته، وحذّره ابليس وعداوته. فاغتره عدوّه نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة[4] الأبرار. فباع اليقين بشكه، والعزيمة بوهنه، واستبدل بالجذل وجلاً وبالاغرار ندماً. ثمّ بسط الله سبحانه له في توبته، ولقاه[5] كلمة رحمته، ووعده الرد[6] إلى جنته. فأهبطه[7] إلى دار البلية وتناسل الذرّية.

وفي روضة الكافي[8]: عليّ بن ابراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن مقاتل بن سليمان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام: كم كان طول آدم حين هبط به إلى الأرض؟ وكم كان طول حوا؟

قال: وجدنا في كتاب علي [بن أبي طالب][9] عليه السلام أنّ الله ﷻ لما أهبط آدم وزوجته حوا عليهما السلام إلى الأرض، كانت رجلاه بثنية الصفا ورأسه دون أفق السماء، وأنّه شكا إلى الله ﷻ ما يصيبه من حر الشمس. فأوحى الله ﷻ إلى جبرئيل عليه السلام: انّ آدم قد شكا

---

١. نهج‌البلاغة ١٣٣، ضمن خطبة ٩١.
٢. نفس المصدر ٤٣، ضمن خطبة ١.
٣. المصدر: عيشه.
٤. الاصل و ر: مرافقته.
٥. كذا في المصدر، وفي الأصل و ر: لقيه.
٦. المصدر: المرد.
٧. المصدر: وأهبطه.
٨. الكافي ٢٣٣/٨، ح ٣٠٨.
٩. يوجد في المصدر.

ما يصيبه من حر الشمس، فاغمزه غمزة وصير طوله سبعين ذراعاً بذراعه. واغمز حوا غمزة، فصير طولها خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها.

وفي عيون الأخبار[١]: بإسناده إلى الرضا عليه السلام قال: إن الله تعالى لما أهبط آدم عليه السلام من الجنة، أهبطه[٢] على أبي قبيس، وشكى[٣] إلى ربّه عزّ وجلّ الوحشة، وأنّه لا يسمع ما كان يسمع في الجنة. فأهبط الله تعالى إليه[٤] ياقوتة حمراء، فوضعها في موضع البيت. فكان يطوف بها آدم عليه السلام. وكان ضوؤها يبلغ موضع الأعلام [فعلمت الأعلام][٥] على ضوئها، فجعله الله حرماً.

وبإسناده[٦] إلى صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن عليه السلام مثله.

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام حديث طويل[٧]. وسأله عن أكرم واد على وجه الأرض؟ فقال: واد يقال له سرنديب، سقط[٨] فيه آدم من السماء.

وفي كتاب الخصال[٩]: عن محمّد بن سهل البحراني، يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: البكاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمّد وعليّ بن الحسين عليهم السلام. فأمّا آدم فبكى على الجنة حتى صار في خدّيه أمثال الأودية، الحديث.

عن أبي لبابة بن عبدالمنذر[١٠]، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يوم الجمعة سيّد الأيام؛ خلق الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض.

عن جعفر بن محمّد[١١]، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام[١٢]. قال: إنّما كان لبث آدم وحوا في الجنة حتى أخرجا[١٣] منها سبع ساعات من أيام الدنيا، حتى أهبطهما الله تعالى من يومهما ذلك.

---

١. عيون الأخبار ٢٨٤/١ ـ ٢٨٥، ح ٣١.

٢. المصدر: أهبط.

٣. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر: وشكا.

٤. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر: عليه.

٥. يوجد في المصدر.

٦. نفس المصدر ٢٨٥/١، ح ٣٢.

٧. نفس المصدر ٢٤٤/١.

٨. المصدر: فسقط.

٩. الخصال ٢٧٢/١، ح ١٥.

١٠. نفس المصدر، ٣١٥/١.

١١. نفس المصدر ٣٩٦ ـ ٣٩٧، ح ١٠٣. وفيه: عن أبي جعفر محمّد بن علي.

١٢. المصدر: عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

١٣. الأصل و ر: خرجا.

عن أبي عبدالله عليه السلام[١]: قال نخر ابليس نخرتين: حين أكل آدم من الشجرة، وحين أهبط به من الجنة.

وفيه[٢]: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة، أهبط معه مائة وعشرين قضيباً[٣] منها أربعون ما يؤكل داخلها وخارجها، وأربعون منها [ما][٤] يؤكل داخلها ويرمى خارجها[٥]، وأربعون منها [ما][٦] يؤكل خارجها ويرمى داخلها[٧]. وغرارة فيها بذر كل شيء من النبات[٨].

وفي كتاب علل الشرائع[٩]: بإسناده إلى عبدالحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمّي الصفا صفا؛ لأن المصطفى آدم هبط عليه، فقطع للجبل اسم من اسم آدم عليه السلام[١٠]. وهبطت حوا على المروة، وإنّما سمّيت المروة مروة[١١]؛ لأن المرأة هبطت عليها، فقطع للجبل اسم من اسم المرأة.

وبإسناده[١٢]، إلى أبي خديجة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن آدم أُنزل، فنزل في الهند.

وبإسناده[١٣] إلى عليّ بن حسان الواسطي، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أهبط الله آدم من الجنة على الصفا، وحوا على المروة، وقد كان امتشطت في الجنة. فلما صارت في الأرض قالت: ما أرجو من المشط وأنا مسخوط عليَّ. فحلّت

---

١. نفس المصدر ٢٦٣، ذيل ح ١٤١، مع بعض التغيير في أوله.
٢. نفس المصدر ٦٠١، ح ٤.
٣. المصدر: عشرين ومائة قضيب.
٤. يوجد في المصدر.
٥. المصدر:: بخارجها.
٦. المصدر: بداخلها.
٧. يوجد في المصدر.
٨. «من النبات»، ليس في المصدر.
٩. علل الشرائع ٤٣١ـ٤٣٢.
١٠. بعد هذه العبارة، يوجد في المصدر: يقول الله تعالى: «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين».
١١. ليس في المصدر.
١٢. نفس المصدر ٤٠٧، قطعة من ح ٢.
١٣. نفس المصدر ٤٩١، ح ١.

مشطتها، فانتشر من مشطتها[١] العطر الذي كانت امتشطت به في الجنة. فطارت به الريح، فألقت أثره في الهند. فلذلك صار العطر بالهند.

وفي حديث آخر[٢]: أنّها حلّت عقيصتها، فأرسل الله ﷻ على ما كان فيها من ذلك الطيب ريحاً، فهبت به في المشرق والمغرب.

أبي ﵀ قال[٣]: حدثنا عليّ بن سليمان الرازي، قال: حدثنا محمّد بن الحسين، عن أحمد بن محمّد بن أبي‌نصر، عن أبي الحسن الرضا ؑ قال: قلت: كيف كان أول الطيب؟

قال: فقال لي: ما يقول من قبلكم فيه؟

قلت: يقولون: إنّ آدم لما هبط إلى أرض الهند، فبكى على الجنة، سالت دموعه، فصارت عروقاً في الأرض، فصارت طيباً.

فقال: ليس كما يقولون. ولكن حوا كانت تعلق[٤] قرونها من أطراف شجرة[٥] الجنة، فلما هبطت إلى الأرض وبليت بالمعصية، رأت الحيض. فأمرت بالغسل، فنقضت[٦] قرونها. فبعث الله ﷻ ريحاً طارت به وحفظته. فذرت[٧] حيث شاء الله ﷻ. فَمِن ذلك الطيب (كان طيب الدنيا)[٨].

وبإسناده إلى عمر بن علي، عن أبيه، عليّ بن أبي طالب ؑ: أن النبيّ ﷺ سئل مما خلق الله ﷻ الكلب؟

قال: خلقه من بزاق ابليس لعنه الله.

قيل: وكيف ذلك[٩] يا رسول الله؟

---

١. الأصل و ر: مشطها.
٢. نفس المصدر.
٣. نفس المصدر ٤٩٢، ح ٢.
٤. المصدر: تغلف.
٥. المصدر: شجر.
٦. المصدر: فنفضت.
٧. المصدر: فذرته.
٨. ليس في المصدر.
٩. المصدر: ذاك.

قال: لمّا أهبط الله ﷻ آدم وحوا إلى الأرض، أهبطهما كالفرخين المرتعشين. فعدا ابليس الملعون إلى السباع، وكانوا قبل آدم في الأرض. فقال لهم: إنّ طيرين قد وقعا من السماء، لم ير الراؤون أعظم منهما. تعالوا فكلوهما. فتعادت السباع معه، وجعل ابليس يحثّهم ويصيح ويعدهم بقرب المساحة. فوقع من فيه من عجلة كلامه بزاق، فخلق الله من ذلك البزاق كلبين؛ أحدهما ذكر، والآخر أنثى. فقاما حول آدم وحوا؛ الكلبة بجدة، والكلب بالهند. فلم يتركوا السباع أن يقربوهما. ومن ذلك اليوم[1] الكلب عدوّ السبع، والسبع عدوّ الكلب.

وبإسناده[2] إلى زيد بن عليّ، عن آبائه، (عن عليّ)[3] صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله ﷻ حين أمر آدم أن يهبط، هبط آدم وزوجته، وهبط ابليس ولا زوجة له، وهبطت الحية ولا زوج لها. فكان أول من يلوط بنفسه ابليس لعنه الله. فكانت ذريته من نفسه. وكذلك الحية، وكانت ذرّية آدم من زوجته. فأخبرهما أنّهما عدوّان لهما.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة[4]: بإسناده إلى أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن عليّ عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام لبعض اليهود، وقد سأله عن مسائل: يا يهودي! أمّا أول حجر وضع على وجه الأرض، فإنّ اليهود يزعمون أنّها صخرة بيت المقدس، وكذبوا. ولكن الحجر الأسود الذي[5] نزل به آدم عليه السلام معه من الجنة. وأمّا أول شجرة نبتت على وجه الأرض، فإنّ اليهود يزعمون أنّها الزيتونة، وكذبوا. ولكنها نخلة من العجوة، نزل بها آدم عليه السلام معه من الجنة، وبالفجل.

وبإسناده[6] إلى يحيى المدايني[7]، عن أبي عبدالله عليه السلام عن عليّ عليه السلام مثله. إلّا ذكر

---

١. ليس في ج.
٢. نفس المصدر ٥٤٧، ح ٢.
٣. ليس في المصدر.
٤. كمال الدين وتمام النعمة ٢٩٥ـ٢٩٦.
٥. ليس في المصدر.
٦. نفس المصدر ٢٩٧ـ٢٩٨.
٧. المصدر: ابراهيم بن يحيى المديني.

الفجل[١].

وبإسناده[٢] إلى الحكم بن مسكين الثقفي، عن صالح [بن عقبة][٣]، عن جعفر بن محمّد، عن عليّ عليه السلام مثله. إلّا ذكر الفجل ـ أيضاً ـ.

وفي الكافي[٤]، بإسناده إلى مسمع، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما هبط آدم[٥] إلى الأرض، احتاج إلى الطعام والشراب، فشكى[٦] إلى جبرئيل.

فقال له جبرئيل: يا آدم! كن حراثاً.

قال: فعلّمني دعاء.

قال: قل: «اللّهمّ اكفني مؤنة الدنيا وكلّ هول دون الجنة. وألبسني العافية حتى تهنئني المعيشة][٧].

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٣٧): والمراد بالكلمات، إمّا قوله: «ربّنا ظلمنا أنفسنا»[٨]. ـ الآية ـ أو قوله: سبحانك اللّهمّ وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى حمدك[٩]. لا إله إلّا أنت. ظلمت نفسي فاغفر لي، إنّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت.

والأصح، أنّ المراد قوله: اللّهمّ بجاه محمّد وآله الطيبين، بجاه محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلهم، لمّا تفضّلت عليّ بقبول توبتي وغفران زلّتي وإعادتي من كراماتك إلى مرتبتي.

[وفي شرح الآيات الباهرة[١٠]: في تفسير الإمام (الحسن)[١١] العسكري عليه السلام، قال: قال الله عزّ وجلّ: «فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه إنّه هو التواب الرحيم»، التواب[١٢]:

---

١. المصدر: الفحل.

٢. نفس المصدر، ٣٠١.

٣. يوجد في المصدر.

٤. الكافي ٢٦٠/٥، ح ٤.

٥. المصدر: بآدم.

٦. المصدر: فشكى ذلك.

٧. ما بين القوسين ليس في أ.

٨. الأعراف / ٢٣.

٩. أ: جدك.

١٠. شرح الآيات الباهرة، ٤٧/١؛ تفسير الإمام، ٢٢٥.

١١. يوجد في المصدر.

١٢. ليس في المصدر.

القابل للتوبة[١]، الرحيم: بالتائبين. فلما نزلت[٢] من آدم الخطيئة، فاعتذر إلى ربّه ﷻ قال: يا ربّ! تُب عليّ واقبل معذرتي، وأعدني إلى مرتبتي، وارفع لديك درجتي. فلقد تبين نقص الخطيئة وزلتها[٣] بأعضائي وسائر بدني.

قال الله ﷻ: يا آدم! أما تذكر أمري إياك أن تدعوني بمحمّد وآله الطيبين عند شدائدك ودواهيك، وفي النوازل تبهضك؟[٤]

قال آدم: بلى، يا ربّ! بلى[٥].

قال الله ﷻ: فهم محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم خصوصاً ادعني أجبك إلى ملتمسك[٦]، وأزدك فوق مرادك.

فقال آدم: يا ربّ وإلهي! وقد بلغ عندك من محلهم أنّك بالتوسّل بهم تقبل توبتي وتغفر خطيئتي، وأنا الذي أسجدت لي ملائكتك وأسكنته جنتك وزوجته أمتك وأخدمته كرام ملائكتك.

قال: يا آدم! إنّما أمرت الملائكة بتعظيمك بالسجود، إذ كنت وعاء لهذه الأنوار. ولو كنت سألتني بهم قبل خطيئتك أن أعصمك منها وأن أفطنك لدواعي عدوك ابليس حتى تحترز منها، لكنت قد فعلت ذلك. ولكن المعلوم في سابق علمي يجري موافقاً لعلمي، فالآن [فيهم][٧] فادعني لأجيبك[٨].

فعند ذلك قال آدم: اللّهمّ (بجاه محمّد وآله الطيبين)[٩] بجاه محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (والطيبين من)[١٠] آلهم، لمّا تفضلت (عليّ)[١١] بقبول توبتي وغفران زلتي وإعادتي من كراماتك إلى مرتبتي.

---

١. المصدر: للتوبات.
٢. المصدر: زالت.
٣. المصدر: زلها.
٤. المصدر: التي تبغضك.
٥. ليس في المصدر.
٦. الأصل و ر: إلى ملتمسك.
٧. يوجد في المصدر.
٨. الأصل و ر: لأجيبك.
٩. ليس في المصدر.
١٠. ليس في المصدر.
١١. ليس في المصدر.

فقال آدم: يا ربّ! لو بيّنتها لي.

فقال الله ﷻ: قد قبلت توبتك، وأقبلت برضواني عليك، وصرفت آلائي ونعمائي إليك، وأعدتك إلى مرتبتك من كراماتي، ووفرت نصيبك من رحماني.

فذلك قول الله ﷻ: «فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه إنّه هو التوّاب الرحيم».

وقال عليّ بن الحسين عليه السلام: حدثني أبي، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنّه[1] قال: يا عباد الله! إن آدم لما رأى النور ساطعاً في[2] صلبه، إذ كان الله قد نقل أشباحنا[3] من ذروة العرش إلى ظهره، رأى النور ولم يتبيّن الأشباح. [فقال: يا ربّ! ما هذه الأنوار؟][4].

قال[5] الله ﷻ: أنوار أشباح، نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك. ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك، إذ كنت وعاء لتلك الأشباح.

فقال آدم: يا ربّ! لو بيّنتها لي[6].

فقال الله ﷻ: أنظر يا آدم إلى ذروة العرش.

(فنظر آدم عليه السلام ووقع أشباحنا من ظهر آدم عليه السلام إلى ذروة العرش)[7]. فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره، كما ينطبع وجه الانسان في المرآة الصافية. فرأى أشباحنا فقال: ما هذه الأشباح يا ربّ؟!

قال الله ﷻ: يا آدم! هذه أشباح أفضل خلائقي وبريّاتي. هذا محمّد وأنا الحميد المحمود[8] في أفعالي، شققت له اسماً من اسمي. وهذا علي وأنا العليّ العظيم، شققت له اسماً من اسمي. وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض، فاطم[9] أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي، وفاطم[10] أوليائي عمّا يضرّهم ويشينهم. وشققت[11]

---

١. ليس في ج.
٢. المصدر: من.
٣. المصدر: أرواحنا.
٤. يوجد في المصدر.
٥. الأصل و ر: وقال.
٦. ليس في ج.
٧. ليس في المصدر.
٨. كذا في المصدر، والأصل و ر: الحمد والمحمود.
٩. المصدر: أفاطم.
١٠. المصدر: أفاطم.
١١. المصدر: فشققت.

لها اسماً من (اسمي، وهذان)[١] الحسن والحسين وأنا المحسن المجمل، شققت اسمهما من اسمي. هؤلاء خيار خلقي وكرام[٢] بريّتي. بهم آخذ وبهم أعطي، وبهم أعاقب وبهم أثيب، فتوسّل بهم إليّ يا آدم! وإذا دهتك داهية، فاجعلهم إليّ شفعاءك، فإني[٣] آليت على نفسي قسماً حقاً، لا أخيب بهم آملاً ولا أردّ بهم سائلاً.

فلذلك حين نزلت[٤] منه الخطيئة، دعا الله ﷻ [بهم][٥]. فتاب عليه وغفر له.

ويؤيده ما رواه الشيخ الطوسي ﵀[٦] عن[٧] رجاله، عن ابن عبّاس، قال: لما خلق الله آدم ﵇ ونفخ فيه من روحه، عطس. فألهمه الله أن قال: الحمد لله ربّ العالمين.

فقال الله: يرحمك ربّك.

فلما أسجد له الملائكة، تداخله العجب. فقال: يا ربّ! خلقت خلقاً هو أحب إليك مني؟

فلم يجب. فقال ثانية، فلم يجب. فقال الثالثة، فلم يجب.

ثمّ قال الله سبحانه: نعم، ولو لا هم ما خلقتك.

فقال: يا ربّ! فأرنيهم.

فأوحى الله إلى ملائكة الحجب: ارفعوا الحجب.

فلما رفعت، فإذا بخمسة[٨] أشباح قدّام العرش.

فقال: يا ربّ! من هؤلاء؟

قال: يا آدم! هذا محمّد نبيي. وهذا عليّ ابن عمه ووصيه. وهذه فاطمة بنت[٩] نبيّي. وهذان[١٠] الحسن والحسين ابناهما وولدا نبيّي. ثمّ قال: يا آدم! هم ولدك.

---

١. المصدر: أسمائي.
٢. المصدر: أكرم.
٣. المصدر: وإني.
٤. المصدر: زالت.
٥. يوجد في المصدر.
٦. نفس المصدر /٤٧٨، اليقين في امرة أميرالمؤمنين /١٧٤.
٧. المصدر: في.
٨. المصدر: الخمسة.
٩. المصدر: ابنت.
١٠. المصدر: هذا.

ففرح [آدم][١] بذلك. فلما اقترف الخطيئة قال: يا ربّ! أسألك بمحمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، إلّا[٢] غفرت لي.

فغفر له. وهو قوله تعالى: «فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه إنّه هو التوّاب الرحيم».

وما ورد أنّ آدم وغيره من أولي العزم عليهم السلام سألوا الله تعالى بحقّ محمّد وآل محمّد عليهم السلام، فاستجاب لهم الدعاء، ونجّاهم من البلاء. وهذا يدلّ على أنهم ليسوا في الفضل سواء، بل فيه دلالة على أنّ المسؤول أفضل من السائل. وهذه الدلالة من أوضح الدلائل.

ويؤيده[٣] ما رواه الشيخ محمّد ابن بابويه رحمه الله في أماليه، عن[٤] رجاله، عن معمر بن راشد، قال: سمعت أبا عبدالله الصادق عليه السلام يقول: أتى يهوديٌّ النبيَّ صلى الله عليه وآله، قال: فقام بين يديه، وجعل يحدّ النظر إليه!

فقال: يا يهودي! ما حاجتك؟

قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذي كلّمه الله وأنزل عليه التوراة والعصا، وفلق له البحر وظلّله[٥] الغمام؟

فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّه يكره للعبد أن يزكّي نفسه. ولكن أقول: إن آدم لما أصاب الخطيئة، كانت توبته: اللّهمّ إني أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد إلّا ما[٦] غفرت لي. فغفرها الله له. وإنّ نوحاً لما ركب السفينة وخاف الغرق، قال: اللّهمّ [إني][٧] أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد، لمّا نجّيتني من الغرق. فنجاه الله منه. وإن ابراهيم لما أُلقي في النار، قال: اللّهمّ إني أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد، لمّا نجّيتني منها. فجعلها عليه برداً

---

١. يوجد في المصدر.
٢. المصدر: إلّا ما.
٣. المصدر: هو.
٤. المصدر: من.
٥. المصدر: أظله.
٦. المصدر: لما.
٧. يوجد في المصدر.

وسلاماً. وإن موسى لما ألقى عصاه فأوجس[١] في نفسه خيفة، قال: اللّهمّ أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد، لما أمّنتني[٢]. فقال الله ﷻ: لا تخف! إنّك أنت الأعلى.

يا يهودي! لو أدركني موسى، ثمّ لم يؤمن بي وبنبوّتي، ما نفعه إيمانه شيئاً، ولا نفعته النبوة.

[يا يهودي]![٣] ومن ذريتي المهدي. إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته، وقدّمه وصلّى خلفه.

وفي تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي[٤]، قال: حدثنا محمّد بن القاسم بن عبيد، قال: حدثنا الحسن بن جعفر، قال: حدثنا الحسين بن سواد، قال: حدثنا محمّد بن عبدالله، قال: حدثنا شجاع بن الوليد وأبو مليك[٥] السكوني، قال: حدثنا سليمان بن مهران الأعمش، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما نزلت الخطيئة بآدم وأخرج من الجنة، أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم! ادع ربّك.

قال: يا[٦] حبيبي، جبرئيل! ما أدعو؟

قال: قل «يا[٧] ربّ! أسألك بحقّ الخمسة الذين تخرجهم من صلبي [في] آخرالزمان، إلّا تبت عليّ ورحمتني».

فقال له آدم: ياجبرئيل! (هم من)؟[٨] سمّهم لي.

قال: قل «اللّهمّ إني أسألك بحقّ محمّد نبيّك، وبحقّ علي وصي نبيّك، وبحقّ فاطمة بنت نبيّك، وبحقّ الحسن والحسين سبطي نبيّك، إلّا تبت عليّ، فارحمني».

فدعا بهنّ آدم، فتاب الله عليه. وذلك قول الله تعالى: «فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه». وما من عبد مكروب يخلص النية ويدعو بهنّ، إلا استجاب الله له.

---

١. المصدر: وأوجس.

٢. كذا في المصدر، والأصل و ر: انجيتنى.

٣. يوجد في المصدر و ر.

٤. تفسير فرات، ٥٧.

٥. المصدر: أبو بدر.

٦. ليس في المصدر.

٧. ليس في المصدر.

٨. ليس في المصدر.

وفي روضة الكافي[1]، وفي رواية أخرى: و[2] قوله ﷻ: «فتلقّى آدم من ربّه كلمات» قال: سأله بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[3].

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله[4]: وعن معمر بن راشد، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة، كانت توبته أن قال: اللّهمّ إني أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا غفرت لي. فغفر[5] الله له.

والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب معاني[6] الأخبار، بإسناده إلى أبي سعيد المدائني، رفعه[7]، في قول الله ﷻ «فتلقّى آدم من ربّه كلمات». قال: سأله بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وبإسناده[8] إلى محمّد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل، فيه يقول عليه السلام بعد أن ذكر أنّ آدم وحوا تمنّيا منزلة أهل البيت عليهم السلام: فلما أراد الله ﷻ أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل عليه السلام فقال لهما: إنكما إنّما ظلمتما أنفسكما بتمنّي منزلة من فضّل[9] عليكما. فجزاؤكما [ما][10] قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله ﷻ إلى أرضه. فاسألا[11] ربكما بحقّ الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش، حتى يتوب عليكما.

فقالا: اللّهمّ إنّا نسألك بحقّ الأكرمين عليك؛ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة، إلّا تبت علينا ورحمتنا.

فتاب الله عليهما، إنّه هو التوّاب الرحيم.

---

١. الكافي ٣٠٥/٨، ذيل ح ٤٧٢.
٢. المصدر: في.
٣. المصدر: الحسن والحسين وفاطمة صلّى الله عليهم.
٤. الاحتجاج ٥٤/١ـ٥٥.
٥. المصدر: فغفرها.
٦. معاني الأخبار ١٢٥، ح ٢.
٧. المصدر: يرفعه.
٨. نفس المصدر، ١٠٨ـ١١٠، ح ١.
٩. كذا في المصدر. والأصل و ر: فضلت.
١٠. يوجد في المصدر.
١١. في المصدر: فسلا.

وفي كتاب الخصال[١]، عن ابن عبّاس. قال: سألت النبيّ صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه، فتاب عليه.

قال: سأله بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، إلّا تبت عليّ. فتاب عليه.

عن المفضل بن عمر[٢]، عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: «وإذ ابتلى ابراهيم ربّه بكلمات» ما هذه الكلمات؟

قال: هي الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه، فتاب عليه. وهو أنّه قال: يا ربّ! أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، إلّا تبت عليّ. فتاب الله عليه، إنّه هو التوّاب الرحيم.

وأمّا ما رواه العيّاشي في تفسيره[٣]، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله حين أهبط آدم إلى الأرض، أمره أن يحرث بيده، فيأكل من كدّه، بعد الجنة ونعيمها. فلبث يحارث[٤] ويبكي على الجنة مائتي سنة. ثمّ إنّه سجد لله، فلم يرفع رأسه ثلاثة أيّام ولياليها. ثمّ قال: أي ربي! ألم تخلقني؟

فقال الله: و[٥] قد فعلت.

فقال: ألم تنفخ فيَّ من روحك.

قال: قد فعلت.

قال: ألم تسكنّي جنتك.

قال: قد فعلت.

قال: ألم تسبق لي رحمتك غضبك؟

قال الله: قد فعلت. فهل صبرت أو شكرت؟

---

١. الخصال ٢٧٠، ح ٨.

٢. نفس المصدر ٣٠٤ـ٣٠٥، صدر ح ٨٤.

٣. تفسير العياشي ١/٤٠ـ٤١، ح ٢٤.

٤. المصدر: يجار.

٥. ليس في ج.

قال آدم: لا إله إلّا أنت. سبحانك إني ظلمت نفسي. فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم.

فرحم الله نداءه، فتاب[١] عليه، إنّه هو التوّاب الرحيم.

عن محمّد بن مسلم[٢]، عن أبي جعفر عليه السلام: قال [قال][٣]: الكلمات التي تلقّاهن آدم من ربّه، فتاب عليه وهدى؛ قال: سبحانك اللّهمّ وبحمدك، إنّي عملت سوء وظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم[٤]. اللّهمّ إنك[٥] لا إله إلّا أنت، سبحانك وبحمدك. إني عملت سوء وظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت (خيرالغافرين. اللّهمّ إنّه لا إله إلّا أنت، سبحانك وبحمدك إني علمت سوء وظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت)[٦] الغفور الرحيم.

وفي روضة الكافي[٧]: عليّ بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن ابراهيم صاحب الشعير، عن كثير بن كلثمة[٨]، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ «فتلقّى آدم من ربّه كلمات»، قال: لا إله إلّا أنت. سبحانك وبحمدك، عملت سوء وظلمت نفسي، فاغفر لي، وأنت خير الغافرين. لا إله إلّا أنت. سبحانك اللّهمّ وبحمدك، عملت سوء وظلمت نفسي، فاغفر لي وارحمني وأنت أرحم الراحمين. لا إله إلّا أنت، سبحانك اللّهمّ وبحمدك. عملت سوء وظلمت نفسي، فتب عليَّ إنك أنت التوّاب الرحيم.

فلا ينافي ما تقدّم لإمكان الجمع، وكون تلك الكلمات للتحميد والتمجيد والاعتراف، والكلمات السابقة لإيجاب المغفرة واستحقاق المثوبة.

---

١. المصدر: فرحمه الله بذلك وتاب.
٢. نفس المصدر ٤١/١، ح ٢٥.
٣. يوجد في المصدر.
٤. المصدر: إنك أنت خير الغافرين.
٥. المصدر: أنّه.
٦. ليس في المصدر. وفي عبارات المتن تكرار.
٧. الكافي ٣٠٤/٨، ح ٤٧٢.
٨. كذا في المصدر وهو الصواب. والأصل و ر: كثر بن كلمة.

وفي كتاب الخصال[١]: عن جعفر بن محمّد الصادق، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمّد صلى الله عليه وآله قبل أن يخلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار - إلى أن قال - حتّى أخرجه من صلب عبدالله بن عبدالمطلّب. فأكرمه بستّ كرامات: ألبسه قميص الرضا، ورداه رداء الهيبة، وتوّجه بتاج الهداية، وألبسه سراويل المعرفة، وجعل تكّته تكّة المحبّة؛ يشدّ بها سراويله، وجعل نعله نعل[٢] الخوف، وناوله عصا المنزلة. ثمّ قال عزّ وجلّ: يا محمّد! اذهب إلى الناس، وقل[٣] لهم: قولو لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله.

وكان أصل ذلك القميص من[٤] ستة أشياء: قامته من الياقوت. وكمّاه من اللؤلؤ. ودخريصه من البلور الأصفر. وإبطاه من الزبرجد. وجريانه من المرجان الأحمر. وجيبه من نور الرب جلّ جلاله. فقبل الله عزّ وجلّ توبة آدم بذلك القميص. وردّ خاتم سليمان به. وردّ يوسف إلى يعقوب به. ونجّى يونس من بطن الحوت به. وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام نجّاهم من المحن به. ولم يكن ذلك القميص إلّا قميص محمّد صلى الله عليه وآله.

وفي كتاب علل الشرايع[٥]: بإسناده إلى فرات بن أحنف، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لو لا أنّ آدم أذنب، ما أذنب مؤمن أبداً. ولو لا أن الله عزّ وجلّ تاب على آدم، ما تاب على مذنب أبداً.

وبإسناده[٦] إلى الحسن بن عبدالله، عن آبائه، عن جدّه الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله حديث طويل، يقول فيه صلى الله عليه وآله وقد سأله بعض اليهود عن مسائل: وأمّا صلاة العصر فهي الساعة التي أكل آدم فيها من الشجرة، فأخرجه الله من الجنة. فأمر الله عزّ وجلّ ذريته بهذه الصلاة إلى يوم القيامة. واختارها لأمّتي. فهي من أحبّ الصلوات إلى الله عزّ وجلّ وأوصاني أن أحفظها من بين الصلوات، وأمّا صلاة المغرب فهي

---

١. الخصال ٤٨١-٤٨٣، ضمن ح ٥٥.
٢. ليس في المصدر.
٣. المصدر: فقل.
٤. المصدر: في.
٥. علل الشرائع ٨٤، ح ١.
٦. نفس المصدر ٣٣٨، قطع من ح ١.

الساعة التي تاب الله ﷻ فيها على آدم. وكان بين ما أكل من الشجرة وبين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا. وفي أيّام الآخرة، يوم كألف سنة ما بين العصر والعشاء. فصلى آدم ثلاث ركعات: ركعة لخطيئته، وركعة لخطيئة حوا[١]، وركعة لتوبته. فافترض الله ﷻ هذه الثلاث ركعات على أمّتي. وهي الساعة التي يستجاب فيها الدعاء، فوعدني ربّي ﷻ أن يستجيب لمن دعاه فيها.

وبإسناده[٢] إلى عبدالحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى لما أراد أن يتوب على آدم عليه السلام أرسل إليه جبرئيل. فقال له: السلام عليك يا آدم! الصابر على بليّته، التائب عن خطيئته. إنّ الله تبارك وتعالى بعثني إليك لأعلّمك المناسك التي يريد أن يتوب عليك بها.

وأخذ جبرئيل بيده، وانطلق به حتّى أتى به[٣] البيت. فنزلت عليه غمامة من السماء. فقال له جبرئيل: خط برجلك حيث أظلّت[٤] هذا الغمام.

ثمّ انطلق به حتّى أتى به إلى[٥] منى. فأراه موضع مسجد منى، فخطه وخط المسجد الحرام بعد ما خط مكان البيت. ثمّ انطلق به[٦] إلى عرفات، فأقامه على عرفة، وقال له: إذا غربت الشمس، فاعترف بذنبك سبع مرات.

ففعل ذلك آدم. ولذلك سمي عرفة[٧]؛ لأنّ آدم عليه السلام اعترف عليه بذنبه فجعل ذلك سنّة في ولده، يعترفون بذنوبهم، كما اعترف أبوهم. ويسألون الله ﷻ التوبة، كما سألها أبوهم [آدم] عليه السلام[٨].

ثمّ أمره جبرئيل عليه السلام فأفاض من عرفات، فمرّ على الجبال السبعة، فأمره أن يكبّر على كل جبل أربع تكبيرات. ففعل ذلك آدم. ثمّ انتهى به إلى جمع ثلث الليل. فجمع

---

١. ليس في ج.
٢. نفس المصدر ٤٠٠ـ٤٠١، ح ١.
٣. ليس في المصدر.
٤. المصدر: أظلك.
٥. ليس في المصدر.
٦. ليس في ج.
٧. النسخ: المعرف. والمصدر: العرفة.
٨. يوجد في ر والمصدر.

فيها بين صلاة المغرب وبين صلاة العشاء، فلذلك سمي جمعاً؛ لأنّ آدم جمع فيها بين الصلاتين. فهو وقت[1] العتمة [في][2] تلك الليلة، ثلث الليل، في ذلك الموضع. ثمّ أمره أن ينبطح في بطحاء جمع، فانبطح حتّى انفجر الصبح. ثمّ أمره أن يصعد على الجبل، جبل جمع. وأمره إذا طلعت الشمس أن يعترف بذنبه سبع مرات. ويسأل الله ﷻ التوبة والمغفرة سبع مرّات. ففعل ذلك آدم كما أمره جبرئيل.

وإنّما جعل اعترافين، ليكون سنّة في ولده، فمن لم يدرك عرفات وأدرك جمعاً فقد وفى بحجّه.

فأفاض آدم من جمع إلى منى، فبلغ منى أضحى. فأمره أن يصلي ركعتين في مسجد منى. ثمّ أمره أن يقرّب إلى الله ﷻ قرباناً ليتقبّل الله منه ويعلم أنّ الله قد تاب عليه. ويكون سنّة في ولده القربان. فقرّب آدم عليه السلام قرباناً، فقبل الله منه قربانه، وأرسل الله ﷻ ناراً من السماء، فقبضت قربان آدم.

فقال له جبرئيل: إنّ الله تبارك وتعالى قد أحسن إليك إذ علّمك المناسك التي تاب عليك بها، وقبل قربانك. فاحلق رأسك تواضعاً لله ﷻ إذ قبل قربانك.

فحلق آدم رأسه تواضعاً لله تبارك وتعالى. ثمّ أخذ جبرئيل بيد آدم، فانطلق به إلى البيت. فعرض له ابليس عند [الجمرة][3] العقبة.

فقال له: يا آدم! أين تريد؟

قال جبرئيل: [يا آدم][4] ارمه بسبع حصيات، وكبّر مع كل حصاة تكبيرة.

ففعل ذلك آدم كما أمره جبرئيل. فذهب ابليس، ثمّ أخذ [جبرئيل][5] بيده في اليوم الثاني، فانطلق به إلى الجمرة الأولى، فعرض له ابليس.

فقال له [جبرئيل][6]: ارمه بسبع حصيات، وكبّر مع كل حصاة تكبيرة.

---

١. المصدر: فوقت.
٢. يوجد في المصدر.
٣. يوجد في المصدر.
٤. يوجد في المصدر.
٥. يوجد في المصدر.
٦. يوجد في المصدر.

ففعل ذلك آدم. فذهب ابليس، ثمّ عرض له عند الجمرة الثانية.

فقال له[١]: يا آدم! أين تريد؟

فقال له جبرئيل: ارمه بسبع حصيات، وكبّر مع كل حصاة تكبيرة[٢].

ففعل ذلك آدم. فذهب ابليس، ثمّ عرض له عند الجمرة الثالثة.

فقال له: يا آدم! أين تريد؟

فقال له جبرئيل: ارمه بسبع حصيات، وكبّر مع كل حصاة تكبيرة.

ففعل ذلك آدم. فذهب ابليس، ثمّ فعل ذلك [به][٣] في اليوم الثالث والرابع، فذهب ابليس.

فقال له جبرئيل عليه السلام: إنّك لن تراه بعد مقامك هذا أبداً.

ثمّ انطلق به إلى البيت، فأمره أن يطوف بالبيت سبع مرات. ففعل ذلك آدم.

فقال له جبرئيل: إن الله تبارك وتعالى قد غفر لك، وقبل توبتك، وحلّت لك زوجتك.

وبإسناده[٤] إلى أبي خديجة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سأل أبي عبدالله عليه السلام رجل و[٥]قال: حدثني عن رضا الرب عن آدم عليه السلام. فقال: إن آدم أنزل، فنزل في الهند. وسأل ربّه عزّ وجلّ هذا البيت. فأمره أن يأتيه فيطوف به أسبوعاً، ويأتي منى وعرفات، فيقضي مناسكه كلها. فجاء من الهند، وكان موضع قدميه حيث يطأ عليه عمران، وما بين القدم إلى القدم صحارى ليس فيها شيء. ثمّ جاء إلى البيت، فطاف أسبوعاً، وأتى مناسكه فقضاها كما أمره الله. فقبل الله منه التوبة وغفر له.

قال: فجعل طواف آدم عليه السلام لما طافت الملائكة بالعرش سبع سنين. فقال جبرئيل عليه السلام: هنيئاً لك يا آدم! لقد غفر لك، لقد طفت بهذا البيت قبلك بثلاثة آلاف سنة.

---

١. ليس في ج.
٢. ليس في المصدر.
٣. يوجد في المصدر.
٤. نفس المصدر ٤٠٧، ضمن ح ٢.
٥. ليس في ج.

فقال آدم عليه السلام: يا ربّ! اغفر لي ولذريتي من بعدي.

فقال: نعم، من آمن بي وبرسلي. فقال: صدقت ومضى.

فقال أبي عليه السلام: هذا جبرئيل عليه السلام أتاكم يعلمكم معالم دينكم.

والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي عيون الأخبار[١]: حدثنا تميم بن عبدالله بن تميم القرشي رضي الله عنه، قال: حدثني أبي، عن حمدان بن سليمان النيسابوري، عن عليّ بن محمّد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليّ بن موسى عليه السلام. فقال له المأمون: يا ابن رسول الله! أليس من قولك أنّ الأنبياء معصومون؟

قال: بلى.

قال: فما معنى قول الله تعالى[٢]: «وعصى آدم ربّه فغوى»؟

فقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى قال لآدم: «اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة»، وأشار لهما إلى شجرة الحنطة. «فتكونا من الظالمين». ولم يقل لهما: [و][٣] لا تأكلا من هذه الشجرة، ولا مما كان من جنسها. فلم يقربا تلك الشجرة. [ولم يأكلا منها][٤] وإنّما أكلا من غيرها، لما أن وسوس الشيطان إليهما. وقال: ما نهاكما ربّكما عن هذه الشجرة، وإنّما نهاكما[٥] أن تقربا غيرها، ولم ينهكما عن الأكل منها، إلّا أن تكونا ملكين، أو تكونا من الخالدين. وقاسمهما إنّي لكما من[٦] الناصحين. ولم يكن آدم وحوا شاهدا قبل ذلك مَن يحلف بالله كاذباً «فدلّيهما بغرور» فأكلا منها ثقة بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم، قبل النبوة، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار. وإنّما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم. فلمّا اجتباه الله تعالى وجعله نبياً، كان معصوماً

---

١. عيون الأخبار ١٩٥ـ١٩٦، صدر ح ١.

٢. طه / ١٢١.

٣. يوجد في المصدر.

٤. يوجد في المصدر.

٥. المصدر: ينهيكما.

٦. المصدر: لمن.

لا يذنب صغيرة ولا كبيرة. قال الله ﷻ: «وعصى آدم ربه فغوى، ثمّ اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى»[١]. وقال ﷻ: «إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين»[٢].

عن عليّ عليه السلام حديث طويل[٣]. وفيه: وسأله وكم كان عمر آدم عليه السلام؟

قال: تسعمائة وثلاثون سنة[٤].

وفي كمال الدين وتمام النعمة[٥]، بإسناده إلى محمّد بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال عاش أبوالبشر آدم عليه السلام تسعمائة[٦] وثلاثين سنة][٧].

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدَىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٣٨): وقرئ: «فمن تبع هدي» على لغة هذيل، «فلا خوف» بالفتح.

وفي تفسير العياشي[٨]: عن جابر، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن تفسير هذه الآية في باطن القرآن: «فإمّا يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

قال: تفسيرها: عليٌّ الهدى. قال الله فيه: فمن تبع هداي ـ الآية ـ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٣٩) **﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾**: يعني أولاد يعقوب.

واسرائيل في الأصل: صفوة الله، أو عبدالله. سمّي به يعقوب للمدح.

وفي كتاب علل الشرائع[٩]: بإسناده إلى جعفر بن محمّد بن عمارة، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: ويعقوب هو اسرائيل، ومعنى اسرائيل:

---

١. طه / ١٢١.
٢. آل عمران / ٣٣.
٣. نفس المصدر ٢٤٢/١.
٤. المصدر: فقال تسعمائة سنة وثلاثون سنة.
٥. كمال الدين وتمام النعمة ٥٢٣، قطعة من ح ٣.
٦. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر: سبعمائة.
٧. ما بين القوسين ليس في أ.
٨. تفسير العياشي ٤١/١، ح ٢٩.
٩. علل الشرائع ٤٣/١، ح ١.

عبدالله ؛ لأنّ أسرا هو عبد[١]، وايل هو الله ﷻ.

وروي في خبر آخر[٢]: أنّ أسرا هو القوة، وأيل هو الله ﷻ. فمعنى اسرائيل: قوّة الله ﷻ.

وفي عيون الأخبار[٣]: بإسناده إلى أميرالمؤمنين ؑ حديث طويل، وفيه: وسأله عن ستّة من الأنبياء لهم اسمان.

[فقال: يوشع بن نون وهو ذو الكفل، ويعقوب وهو اسرائيل][٤].

﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾: من الإنجاء من فرعون، مثلاً.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾: من الايمان بي والطاعة لي.

﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: من حسن الثواب على حسناتكم.

﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾﴿٤٠﴾: فلا تنقضوا عهدي.

[وفي كتاب معاني الأخبار[٥]: بإسناده إلى ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: لمّا نزّل[٦] الله ﷻ «وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم» والله لقد خرج آدم من الدنيا وقد عاهد قومه على الوفاء لولده شيث، فما وفي له. ولقد خرج نوح من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيه سام، فما وفت أمّته له. ولقد خرج ابراهيم من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء[٧] لوصيه اسماعيل، فما وفت أمّته. ولقد خرج موسى من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيه يوشع بن نون، فما وفت أمّته. ولقد رفع عيسى بن مريم إلى السماء وقد عاهد قومه على الوفاء لوصيه شمعون بن حمون الصفا، فما وفت أمّته. وإني مفارقكم عن قريب وخارج من بين أظهركم، ولقد عهدت إلى أُمتي في عهد عليّ بن أبي طالب، وإنّها لراكبة سنن من قبلها من الأمم، في مخالفة وصيي وعصيانه. ألا وإني مجدّد

---

١. ليس في ج.
٢. نفس المصدر، ح ٢.
٣. عيون الأخبار ١٩٢/١، ح ١.
٤. ما بين القوسين ليس في أ.
٥. معاني الأخبار ٣٧٢ـ٣٧٣، ح ١.
٦. ر والمصدر: أنزل.
٧. ليس في ج.

عليكم عهدي في علي، فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله، فسيؤتيه أجراً عظيماً.

أيها الناس! إن علياً إمامكم وخليفتي من بعدي عليكم. وهو وصيي ووزيري وأخي وناصري وزوج ابنتي وأبو ولدي وصاحب شفاعتي وحوضي ولوائي. من أنكره فقد أنكرني، ومن أنكرني فقد أنكر الله تعالى. ومن أقرّ بإمامته، فقد أقر بنبوتي. ومن أقر بنبوتي، فقد أقر بوحدانية الله ﷻ.

يا أيها[1] الناس! من عصى علياً فقد عصاني. ومن عصاني فقد عصى الله. ومن أطاع علياً فقد أطاعني. ومن أطاعني فقد أطاع الله ﷻ.

يا أيها[2] الناس! من ردّ على علي في قول أو فعل، فقد رد عليَّ. ومن رد عليَّ فقد رد على الله فوق عرشه.

يا أيها[3] الناس! من اختار منكم على علي إماماً، فقد اختار عليَّ نبياً. ومن اختار عليَّ نبياً، فقد اختار على الله ﷻ رباً.

أيها الناس! إن علياً سيد الوصيين وقائد الغر المحجلين ومولى المؤمنين. و[4]وليه وليي. ووليي ولي الله. وعدوه عدوي. وعدوي عدو الله ﷻ.

أيها الناس! أوفوا بعهد الله [في علي][5]، يوفَ لكم بالجنة[6] يوم القيامة.

وفي أصول الكافي[7]: عليّ بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سماعة، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله ﷻ: «أوفوا بعهدي»، قال: بولاية أمير المؤمنين عليه السلام «أوف بعهدكم» أوف لكم بالجنة.

أحمد بن محمّد[8] عن محمّد بن الحسين، عن عبدالله بن محمّد، عن الخشاب،

---

١. ليس في المصدر.
٢. ليس في المصدر.
٣. ليس في المصدر.
٤. ليس في ج.
٥. يوجد في المصدر.
٦. المصدر: في الجنة.
٧. الكافي ٤٣١/١، ح ٨٩.
٨. نفس المصدر ٢٢١/١، ح ٣.

قال: حدثنا بعض أصحابنا، عن خيثمة، قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا خيثمة! نحن عهد الله. فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله. ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده.

والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[1]: حدثني أبي، عن محمّد بن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال له رجل ـ: جعلت فداك! إن الله يقول: «ادعوني استجب لكم»[2] وإنّا ندعو فلا يستجاب لنا!

قال: لأنكم لا توفون لله بعهده. وإن الله يقول: «أوفوا بعهدي أوف بعهدكم» والله! لو وفيتم لله، لوفى الله لكم.

وفي تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي[3]، قال: حدثني جعفر بن محمّد الفزاري، قال: حدثنا محمّد، يعني ابن الحسين الصائغ، قال: حدثنا محمّد بن عمران الوشاء، عن موسى بن القسم، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران، عن أبي عبدالله عليه السلام قال [في][4] قول الله تعالى: «أوفوا بعهدي أوف بعهدكم»، قال: أوفوا بولاية علي [بن أبي طالب عليه السلام فرضاً من الله لكم، أوف لكم بالجنة][5].

وفي شرح الآيات الباهرة[6]: قال الإمام عليه السلام: قال الله عزّ وجلّ: «يا بني إسرائيل» ولد يعقوب اسرائيل الله، «اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم» لما بعثت[7] محمّداً وأقررته في مدينتكم[8]، ولم أجشّمكم[9] الحطّ والترحال[10] إليه، وأوضحت علاماته ودلائل صدقه لئلا يشتبه عليكم حاله. «وأوفوا بعهدي» الذي أخذته على أسلافكم

---

١. تفسير القمي، ٤٩/١.
٢. غافر / ٥٨.
٣. تفسير فرات / ١١.
٤. يوجد في المصدر.
٥. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر: فرض من الله، أوف لكم الجنة.
٦. شرح الآيات الباهرة ٥٠/١، تفسير الامام، ٢٢٧.
٧. المصدر: بعث.
٨. المصدر: مرتبتكم.
٩. المصدر: اجشمك.
١٠. المصدر: الرجال.

وأنبيائهم[١]. و[٢]أمروهم أن يؤدّوه إلى أخلافهم، ليؤمننّ بمحمّد العربي القرشي المبان بالآيات والمؤيد بالمعجزات التي منها أن كلّمه ذراع مسموم، وناطقه ذئب، وحنّ إليه عود المنبر، وكثر الله له القليل من الطعام، وألان[٣] له الصلب من الحجارة، وصلبت لديه المياه السائلة. ولم يؤيد نبياً من أنبيائه بدلالة إلّا جعل له مثلها وأفضل منها. والذي جعل من[٤] أكبر آياته، عليّ بن أبي طالب عليه السلام شقيقه[٥] ورفيقه، عقله من عقله، وعلمه من علمه، وحلمه من حلمه، مؤيد دينه بسيفه الباتر، بعد أن قطع معاذير المعاندين بدليله القاهر، وعلمه الفاضل وفضله الكامل. «أوف بعهدكم» الذي أوجبت به لكم نعيم الأبد في دار الكرامة ومستقر الرحمة. «وإياي فارهبون» في مخالفة محمّد. فإني القادر على صرف بلاء من يعاديكم على موافقتي، وهم لا يقدرون على صرف انتقامي إذا آثرتم مخالفتي][٦].

﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾: من القرآن.

﴿مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾: من التوراة والانجيل وغيرهما.

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾: أول فوج كفر به.

[وفي تفسير العياشي[٧]: عن جابر الجعفي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن تفسيره هذه الآية في باطن القرآن: «وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به» يعني: فلاناً وصاحبه ومن تبعهم، ومن دان بدينهم. قال الله يعنيهم: «ولا تكونوا أول كافر به» يعني: علياً عليه السلام][٨].

﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾: لا تستبدلوا.

---

١. المصدر: أنبيائكم.

٢. ليس في ج.

٣. المصدر: لأن.

٤. ليس في المصدر.

٥. المصدر: شفيقه.

٦. ما بين القوسين ليس في أ.

٧. تفسير العياشي ٤٢/١، ح ٣١.

٨. ما بين القوسين ليس في أ.

﴿بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾: من الرئاسة التي تخافون أن تفوت منكم[١] باتّباع محمّد أو الشيء[٢] الذي تأخذونه من رعاياكم على تحريف الكلم، وتسهيل ما صعب عليهم من الشرايع.

﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ﴾ ⁽٤١⁾: [وفي شرح الآيات الباهرة[٣]: قال الإمام عليه السلام: ثمّ قال الله عزّ وجلّ لليهود: «وآمنوا» يا أيها اليهود «بما أنزلت» على محمّد من ذكر نبوته وانباء إمامة أخيه عليّ وعترته الطيبين، «مصدقاً لما معكم». فإنّ مثل هذا الذكر في كتابكم أنّ محمّداً النبي سيّد الأولين والآخرين، المؤيد بسيد الوصيين وخليفة ربّ العالمين، فاروق الأمة، وباب مدينة الحكمة، ووصي رسول الرحمة. «ولا تشتروا بآياتي» المنزلة لنبوة محمّد وإمامة علي والطاهرين من عترته «ثمناً قليلاً» بأن[٤] تجحدوا نبوة النبي وإمامة الإمام عليهما السلام وتعتاضوا عنها عرض[٥] الدنيا. فإنّ ذلك وإن كثر، فإلى نفاد وخسار وبوار.

ثمّ قال عزّ وجلّ: «وإياي فاتقون» في كتمان أمر محمّد وأمر وصيه. فإن لم تتقوا[٦] لم تقدحوا في نبوة النبي ولا في وصية الوصي، بل حجج الله عليكم قائمة، وبراهينه بذلك واضحة، قد قطعت معاذيركم، وأبطلت تمويهكم. وهؤلاء يهود المدينة[٧]، جحدوا نبوة محمّد وخانوه، وقالوا: نحن نعلم أنّ محمّداً نبي، وأنّ علياً وصيه. ولكن لستَ أنت ذلك[٨] ولا هذا. ـ يشيرون إلى علي عليه السلام ـ. فأنطق الله تعالى ثيابهم التي عليهم وخفافهم التي في أرجلهم، يقول كل واحد منها لملابسه: كذبت يا عدو الله! بل النبي محمّد هذا، والوصي علي هذا. ولو أذن الله لنا أضغطناكم وعقرناكم وقتلناكم.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إن الله عزّ وجلّ يمهلهم لعلمه بأنّه سيخرج من أصلابهم ذريّات

---

١. أ: عنكم. ٢. أ: محمّداً والشيء. ر: محمّد والشيء.

٣. شرح الآيات الباهرة ٥١/١؛ تفسير الامام /٢٢٨.

٤. الأصل و ر: فإنّ.

٥. كذا في تفسير البرهان ٩١/١، نقلاً عن الامام العسكري عليه السلام. وفي المصدر: عرض، وفي الأصل و ر: منها عوض.

٦. المصدر: فانكم إن تتقوا.

٧. المصدر: اليهود بالمدينة. ٨. ليس في المصدر.

طيبات مؤمنات[١]. ولو تزيّلوا لعذّب هؤلاء عذاباً أليما[٢]، وإنّما يعجل من يخاف الفوت.

وفي مجمع البيان[٣]، روي عن النبي ﷺ: من سنّ سنّة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. ومن سنّ سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وروي عن أبي جعفر عليه السلام[٤] في هذه الآية، قال: كان حيّ بن أخطب وكعب بن الأشرف وآخرون من اليهود، لهم مأكلة على اليهود في كل سنة. فكرهوا بطلانها بأمر النبي ﷺ. فحرّفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره. فذلك الثمن الذي أريد في الآية][٥].

﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤٢): [في شرح الآيات الباهرة[٦]: قال الإمام عليه السلام: ثمّ خاطب الله عزّ وجلّ قوماً من اليهود، قال: «ولا تلبسوا[٧] الحق بالباطل» بأن زعموا أنّ محمّداً نبي وأنّ علياً وصي، ولكنّهما يأتيان بعد وقتنا هذا بخمس مائة سنة.

فقال لهم رسول الله ﷺ: أترضون التوراة بيني وبينكم حكماً؟

قالوا: بلى.

فجاؤوا بها، وجعلوا يقرؤون منها خلاف ما فيها. فقلب الله عزّ وجلّ الطومار الذي كانوا منه يقرؤون، وهو في يد قارئين[٨] منهم، مع أحدهما أوله ومع الآخر آخره، ثعباناً له رأسان، وتناول كل رأس منهما يمين[٩] الذي هو في يده. وجعلت ترضضه وتهشمه،

---

١. المصدر: ومؤمنات.
٢. ليس في المصدر.
٣. مجمع البيان، ٩٥/١.
٤. نفس المصدر.
٥. ما بين القوسين ليس في أ.
٦. شرح الآيات الباهرة ٥٢/١، تفسير الامام ٢٣٠.
٧. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر: لبسوا.
٨. المصدر: قرائين.
٩. المصدر: عين.

ويصيح الرجلان ويصرخان، وكانت هناك طوامير أخر، فنطقت وقالت: لا تزالان في هذا العذاب حتى تقرءا بما فيها من صفة محمّد ونبوته وصفة علي وإمامته، على ما أنزل الله تعالى. فقرءاه صحيحاً، وآمنا برسول الله ﷺ وإمامة علي ولي الله[1].

فقال الله تعالى: «ولا تلبسوا الحق الباطل» بأن تقرّوا بمحمّد وعلي من وجه، وتجحدوهما من وجه، «وتكتموا[2] الحق» من نبوة هذا وإمامة هذا «وأنتم تعلمون»][3].

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾: أي: صلاة المسلمين.

﴿وآتُوا الزَّكَوٰةَ﴾: زكاتهم.

﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾﴿٤٣﴾: منهم؛ لأنّ اليهود لا ركوع في صلاتهم.

[وفي شرح الآيات الباهرة[4]: قال الإمام عليه السلام: ثمّ قال الله عزّ وجلّ لهؤلاء: «وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين» قال: أقيموا الصلوات المكتوبات التي جاء بها محمّد، وأقيموا ـ أيضاً ـ الصلوة على محمّد وآل محمّد الطيبين الطاهرين الذين عليّ سيدهم وفاضلهم. وآتوا الزكاة من أموالكم إذا وجبت، ومن أبدانكم إذا لزمت، ومن معونتكم إذا التمست. واركعوا مع الراكعين؛ أي: تواضعوا مع المتواضعين لعظمة الله عزّ وجلّ في الانقياد لأولياء الله؛ لمحمّد نبي الله، ولعلي ولي الله، وللأئمة بعدهما سادات أصفياء الله.

ونقل ابن مردويه وأبونعيم الحافظ[5] في قوله تعالى: «واركعوا مع الراكعين» أنّها نزلت في رسول الله وفي علي صلوات الله عليهما خاصة؛ لأنّهما أول من صلّيا وركعا[6].

وفي تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي[7]، قال: حدثنا الحسن بن الحسين

---

١. المصدر: واعتقدوا إمامة علي ولي رسول الله.
٢. كذا في المصدر وفي الأصل و ر: فتكتمون.
٣. ما بين القوسين ليس في أ.
٤. شرح الآيات الباهرة ٥٣/١، تفسير الامام ٢٣١.
٥. نفس المصدر.
٦. كذا في المصدر وفي الأصل و ر: صلى وركع.
٧. تفسير فرات ٥٩، في ذيل حديث.

الأنصاري. قال: حدثنا عيان بن علي العنزي[١]، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس ﷺ أن قوله: «اركعوا مع الراكعين» نزلت في رسول الله وعليّ بن أبي طالب عليهما السلام خاصة. وهما[٢] أول من صلّيا وركعا.

وفي كتاب علل الشرائع[٣]: بإسناده إلى زرارة بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: المرأة عليها أذان واقامة؟

فقال: إن كانت تسمع أذان القبيلة، فليس عليها شيء، وإلّا[٤] فليس عليها أكثر من الشهادتين؛ لأنّ الله تبارك وتعالى قال للرجال: «أقيموا الصلاة» وقال للنساء: «و[٥]أقمن الصلاة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله».

والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تهذيب الأحكام[٦]: الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن اسحاق بن المبارك، قال: سألت أبا ابراهيم عليه السلام عن صدقة الفطرة، أهي مما قال الله: «أقيموا الصلاة وآتوا الزكوة»؟

فقال: نعم.

وفي عيون الأخبار[٧]: في العلل التي ذكرها الفضل بن شاذان، عن الرضا عليه السلام، قال عليه السلام: فإن قال [قائل][٨]: فلم أمروا بالصلاة؟

قيل: لأن في الصلاة الإقرار بالربوبية، وهو صلاح عام؛ لأنّ فيه خلع الأنداد والقيام بين يدي الجبار بالذلّ والاستكانة والخضوع [والخشوع][٩] والاعتراف وطلب الإقالة من سالف الذنوب ووضع الجبهة على الأرض كل يوم وليلة، ليكون العبد ذاكراً لله

---

١. كذا في المصدر، وهو الصواب. وفي الأصل و ر: العزى.
٢. المصدر: فهما.
٣. علل الشرائع ٣٥٥، صدر ح ١.
٤. ليس في ج.
٥. ليس في ج.
٦. تهذيب الأحكام ٨٩/٤، صدر ح ٢٦٢.
٧. عيون الأخبار ١٠٣/٢ ـ ١٠٤.
٨. من المصدر.
٩. يوجد في المصدر.

تعالى، غيرناس له، ويكون خاشعاً وجلاً متذلّلاً طالباً راغباً في الزيادة للدين والدنيا، مع ما فيه من الانزجار عن الفساد. وصار ذلك عليه في كل يوم وليلة، لئلّا ينسى العبد مدبره وخالقه، فيبطر ويطغى. وليكون في ذكر[1] خالقه والقيام بين يدي ربّه، زاجراً له عن المعاصي، وحاجزاً ومانعاً عن أنواع الفساد.

وفيه[2]: بإسناده إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إن الله عزّ وجلّ أمر بثلاثة مقرون بها ثلاثة [أخرى][3]: أمر بالصلاة والزكاة. فمن صلّى ولم يزك، لم تقبل[4] صلاته ـ الحديث ـ.

وفي من لا يحضره الفقيه[5]: وكتب الرضا عليّ بن موسى عليه السلام إلى محمّد بن سنان، فيما كتب إليه من جواب مسائله: إنّ علة الزكاة من أجل قوت الفقراء وتحصين أموال الأغنياء؛ لأنّ الله عزّ وجلّ كلّف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة والبلوى. كما قال الله[6]: «لتبلونّ في أموالكم وأنفسكم»: في أموالكم: إخراج الزكاة. وفي أنفسكم: توطين النفس[7] على الصبر، مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله عزّ وجلّ والطمع في الزيادة، مع ما فيه من الزيادة والرأفة والرحمة لأهل الضعف والعطف على أهل المسكنة، والحثّ لهم على المواساة وتقوية الفقراء والمعونة لهم على أمر الدين. وهو عظة لأهل الغنى وعبرة لهم ليستدلّوا على فقراء الآخرة بهم. وما لهم من الحثّ في ذلك على الشكر لله عزّ وجلّ لما خوّلهم وأعطاهم، والدعاء والتضرع والخوف من أن يصيروا مثلهم في أمور كثيرة في أداء الزكاة والصدقات وصلة الأرحام واصطناع المعروف][8].

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ﴾: من أقاربكم في الخفية.

﴿بِالْبِرِّ﴾: اتّباع محمّد.

---

١. المصدر: طاعة.

٢. نفس المصدر ٢٥٨/١، صدر ح ١٣.

٣. من المصدر.

٤. المصدر: لم يقبل منه.

٥. من لايحضره الفقيه ٨؛ علل الشرائع ٣٦٩.

٦. المصدر: تبارك وتعالى.

٧. المصدر: الانفس.

٨. ما بين القوسين ليس في أ.

﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: [في شرح الآيات الباهرة[١] من تفسير العسكري عليه السلام: إن رؤساء هؤلاء اليهود اقتطعوا أموال ضعفائهم من الصدقات والمواريث ليأكلوها، وقالوا: نقتل محمّداً صلى الله عليه وآله. فلما جاؤوا[٢] دفعهم الله عنه.

فقال لرؤسائهم: أنتم فعلتم وفعلتم، وأخذتم أموال هؤلاء، وهي موجودة عندكم.

فأنكروا ذلك. فأمر النبيّ صلى الله عليه وآله الملائكة بإحضار الأموال. فلمّا حضرت، اعترفوا بذنوبهم. فأسلم بعض وأقام على دينه بعض.

قال الإمام عليه السلام: فقال الرؤساء الذين همّوا بالإسلام: نشهد يا محمّد أنك النبي الأفضل. وأنّ أخاك هذا، هو الوصي الأجل الأكمل. فقد فضحنا الله تعالى بذنوبنا[٣]. أرأيت إن تبنا مما اقتطعنا، ما يكون حالنا؟

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذاً أنتم في الجنان رفقاؤنا، وفي الدنيا في دين الله إخواننا. ويوسع الله أرزاقكم، وتجدون في مواضع أموالكم التي أخذت منكم أضعافها[٤]. وينسى هؤلاء الخلق فضيحتكم حتّى لا يذكرها أحد منهم.

فقالوا: نشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له. وأنك يا محمّد عبده ورسوله وصفيّه وخليله. وأنّ علياً أخوك ووزيرك والقيّم بدينك، والنائب عنك، والمنازل دونك. وهو منك بمنزلة هارون من موسى، إلّا أن لا نبي بعدك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فإذاً أنتم المفلحون.

وفي مجمع البيان[٥]: روى أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار. فقلت: من هؤلاء؟! يا جبرئيل؟!

فقال: هؤلاء خطباء من أهل الدنيا، ممن كانوا يأمرون الناس بالبرّ وينسون أنفسهم.

---

١. شرح الآيات الباهرة، ٥٣/١.

٢. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر: جاء.

٣. المصدر: لولاك.

٤. المصدر: بأضعافها.

٥. مجمع البيان، ٩٨/١.

وفي مصباح الشريعة[١]: قال الصادق عليه السلام: من لم ينسلخ من هواجسه[٢] حسبه ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها ولم يهزم الشيطان ولم يدخل في كنف الله تعالى وتوحيده وأمان[٣] عصمته، لا يصلح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنّه إذا لم يكن بهذه الصفة، فكلّما أظهر يكون حجة عليه، ولا ينتفع الناس به. قال الله تعالى: «أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم» ويقال له: يا خائن، أتطالب خلقي بما خنت به نفسك وأرخيت عنه عنانك؟

وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[٤]: و[أمّا][٥] قوله: «أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم» قال: نزلت في القصّاص والخطّاب. وهو قول أميرالمؤمنين عليه السلام: وعلى كل منبر منهم خطيب مصقع، يكذب على الله وعلى رسوله وعلى كتابه.

وفي أصول الكافي[٦]: بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال في قول الله عزّ وجلّ «فكبكبوا فيها هم والغاوون» قال: يا أبا بصير! هم قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم، ثمّ خالفوه إلى غيره.

وبإسناده[٧] إلى خيثمة، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: أبلغ شيعتنا أنّ أعظم الناس حسرة يوم القيامة، من وصف عدلاً ثمّ خالفه إلى غيره.

وبإسناده[٨] إلى ابن أبي يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ من أعظم الناس حسرة يوم القيامة، من وصف عدلاً ثمّ خالفه إلى غيره.

وبإسناده[٩] إلى قتيبة الأعشى، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: [إن][١٠] من أشدّ الناس

---

١. شرح فارسي مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، ٣٥٧ـ٣٥٩.

٢. الأصل و ر: من هوى حسبه. والمصدر: من هوى حسبه. وقال مصحّح المصدر (العلامة الفقيد الأرموي رحمه الله) في هامشه: در بحار ومستدرك ومحجّه ونسخه آقاى مصطفوى: «عن هواجسه» وهو الأصح.

٣. كذا في المصدر، وفي الأصل و ر: أوان.

٤. تفسير القمي، ١/٤٦.

٥. من المصدر.

٦. الكافي ٢/٣٠٠، ح ٤.

٧. نفس المصدر، ذيل ح ٥.

٨. نفس المصدر، ح ٣.

٩. نفس المصدر، ح ٢.

١٠. من المصدر.

عذاباً يوم القيامة، من وصف عدلاً ثمَ[١] عمل بغيره.

وبإسناده إلى معلّى بن خنيس، عن أبي عبدالله عليه السلام [أنّه][٢] قال: من أَشد الناس حسرة يوم القيامة[٣]، من وصف عدلاً ثمّ عمل بغيره[٤].

وفي تفسير العياشي[٥]، عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: «أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم»[٦]؟

قال: فوضع يده على حلقه. قال: كالذابح نفسه[٧].

وقال الحجال[٨] عن ابن اسحاق، عمن ذكره: «وتنسون أنفسكم»؛ أي: تتركون][٩].

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤٤): [في كتاب علل الشرائع[١٠] بإسناده إلى عيسى بن جعفر بن محمّد بن عبدالله[١١] بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي‌طالب، عن آبائه، عن عمر بن علي، عن أبيه عليّ بن أبي‌طالب: انّ النبيّ صلى الله عليه وآله سئل: مما خلق الله عزّ وجلّ العقل؟

قال: خلقه ملك له رؤوس بعدد الخلائق، من خلق ومن يخلق إلى يوم القيامة. ولكل رأس وجه، ولكل آدمي رأس من رؤوس العقل، واسم ذلك الانسان على وجه ذلك الرأس مكتوب، وعلى كل وجه ستر ملقى لا يكشف[١٢] ذلك الستر من ذلك الوجه حتى يولد هذا المولود ويبلغ حد الرجال أو حد النساء. فإذا بلغ، كشف ذلك الستر [من ذلك][١٣] فيقع في قلب هذا الانسان نور، فيفهم الفريضة والسنّة والجيّد والرديء. ألا ومثل العقل في القلب، كمثل السراج في وسط البيت.

وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[١٤]: وقال الصادق عليه السلام: موضع العقل الدماغ. ألا ترى

---

١. المصدر: و.
٢. نفس المصدر، ٢٩٩/٢، ح ١.
٣. من المصدر.
٤. من المصدر.
٥. تفسير العياشي ٤٣/١، ح ٣٧.
٦. كذا في المصدر وفي الأصل و ر: كما إذا ذبح.
٧. كذا في المصدر وفي الأصل و ر: كما إذا ذبح.
٨. نفس المصدر، ح ٣٨.
٩. ما بين القوسين ليس في أ.
١٠. علل الشرائع ٩٨، ح ١.
١١. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر: عبيدالله.
١٢. كذا في المصدر وفي الأصل و ر: ما يكشف.
١٣. ليس في المصدر.
١٤. تفسير القمي، ٢٣٩/٢.

الرجل إذا كان قليل العقل، قيل له ما أخفّ دماغك ؟

والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي أصول الكافي[١]: أحمد بن ادريس، عن محمّد بن عبدالجبار، عن بعض أصحابنا، رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ما العقل ؟

قال: ما عُبد به الرحمن، واكتسب به الجنان.

قال: قلت: فالذي كان في معاوية ؟

فقال: تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل، وليست بالعقل][٢].

﴿وَاسْتَعِينُوا﴾: في حوائجهم.

﴿بِالصَّبْرِ﴾: أي: الصوم.

﴿وَالصَّلٰوةِ وَإِنَّهَا﴾: أي: الصلاة.

﴿لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾(٤٥): [في شرح الآيات الباهرة[٣]: قال الإمام عليه السلام: قال الله عزّ وجلّ لسائر الكافرين واليهود والمشركين: «واستعينوا بالصبر والصلوة»؛ أي: بالصبر عن[٤] الحرام وعلى تأدية الأمانات. وبالصبر عن[٥] الرياسات الباطلة، و[٦]على الاعتراف لمحمّد[٧] بنبوته، ولعلي[٨] بوصيته. واستعينوا بالصّبر على خدمتها وخدمة من يأمرانكم بخدمته، على استحقاق الرضوان والغفران ودائم نعيم الجنان في جوار الرحمن، وموافقة[٩] خيار المؤمنين والتمتّع بالنظر إلى غرة محمّد سيّد الأوّلين والآخرين، وعلي سيّد الوصيين والسادة الأخيار المنتجبين. فإنّ ذلك أقر لعيونكم وأتمّ لسروركم وأكمل لهدايتكم من سائر نعيم الجنان، واستعينوا ـ أيضاً ـ [بالصلوات

---

١. الكافي ١١/١، ح ٣.

٢. ما بين القوسين ليس في أ.

٣. شرح الآيات الباهرة ٥٤/١، تفسير الإمام ٢٣٧.

٤. المصدر: على.

٥. المصدر: على.

٦. ليس في ج.

٧. المصدر: بمحمّد ... بعلي.

٨. المصدر: بمحمّد ... بعلي.

٩. المصدر: مرافق.

الخمس و][1] بالصلاة على محمّد وآله الطيبين، علـى قـرب الوصـول إلى جنّات[2] النعيم. وأيضاً أنّ هذه الفعلة من الصلوات الخمس، ومـن الصـلاة عـلى مـحمّد وآله الطيبين، والانقياد لأوامرهم والإيمان بسرّهم وعلانيتهم، وترك معارضتهم بِلِمَ وكيف، لكبيرة عظيمة إلّا على الخاشعين الخائفين عقاب الله، في مخالفته في فرائضه.

وفي تفسير العياشي[3]: عن عبدالله بن طلحة، قال أبو عـبدالله عليه السلام: «الصـبر» هـو الصوم.

وفيه[4]، عن مسمع، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا مسمع! ما يمنع أحدكم إذا دخـل عليه غم من غموم الدنيا، يتوضّأ ثمّ يدخل مسجده ويركع ركعتين، فيدعو الله فيهما، أما سمعت الله يقول: «واستعينوا بالصبر والصلوة».

وفيه[5]، عن سليمان الفراء، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله: «واسـتعينوا بـالصبر والصلوة» قال: «الصبر» الصوم. إذا نزلت بالرجل الشدة أو النازلة، فليصم. قال: الله[6] يقول: «استعينوا بالصبر والصلوة» والصبر الصوم.

وفي الكافي[7]: علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سليمان، عمن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «واستعينوا بالصبر» قال: يعني بالصبر الصيام[8].

وقال: إذا نزلت بالرجل النازلة والشدة[9]، فليصم. فإنّ الله عزّ وجلّ يـقول: «واسـتعينوا بالصبر» يعني: الصيام.

وفي من لا يحضره الفقيه مرسلاً، عن الصادق عليه السلام مثله[10].

وفي تفسير فرات بن ابراهيم[11]: قال: حدثنا الحسين بـن الحكـم. قـال: حـدثنا

---

١. ليس في المصدر.
٢. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر: جنان.
٣. تفسير العياشي ٤٣/١، ح ٤٠.
٤. نفس المصدر، ح ٣٩.
٥. نفس المصدر، ح ٤١.
٦. ليس في ج.
٧. الكافي ٦٣/٤، ح ٧.
٨. المصدر: قال: الصبر، الصيام.
٩. المصدر: الشديدة.
١٠. من لايحضره الفقيه ٤٥/٢، ح ٢٠٢.
١١. تفسير فرات ٦٠.

الحسن بن الحسين. قال: حدثنا حيان بن علي، عن الكلبي، عن أبي صالح[١]، عن ابن عبّاس ﷺ في قوله تعالى: «واستعينوا بالصبر والصلوة وإنّها لكبيرة إلّا على الخاشعين»: الخاشع، الذليل في صلاته المقبل عليها رسول الله ﷺ وعليّ بن أبي طالب عليه السلام][٢].

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(٤٦): [في كتاب التوحيد[٣]، حديث طويل، عن عليّ عليه السلام يقول فيه وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات: فأمّا قوله: «بل هم بلقاء ربّهم كافرون»[٤] يعنى: البعث. فسماه الله عزّ وجلّ لقاءه[٥]. وكذلك ذكر المؤمنين، «الذين يظنون أنّهم ملاقوا ربّهم»؛ يعني: أنّهم يبعثون ويحشرون ويحاسبون ويجزون بالثواب والعقاب. والظن هاهنا اليقين.

وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[٦]، قال: الظن في كتاب الله[٧] على وجهين: فمنه ظن يقين، ومنه ظن شك. ففي هذا الموضع، الظن يقين. وأمّا[٨] الشك، فقوله: «إن نظنّ إلّا ظناً وما نحن بمستيقنين»[٩]. وقوله: «وظننتم ظن السوء»[١٠]][١١].

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾: التكرير للتوكيد، وتذكير التفضيل الذي هو أجلّ النعم خصوصاً، والربط بالوعيد الشديد، تخويفاً لمن غفل عنها وأخلّ بحقوقها.

﴿وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾: نصب عطف على نعمتي، أي: وتفضيلي.

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٤٧): أي: عالمي زمانهم. المراد تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر

---

١. ليس في المصدر. والظاهر أنّه سقط عنه.
٢. ما بين القوسين ليس في أ.
٣. التوحيد /٢٦٧.
٤. السجدة / ١٠.
٥. كذا في المصدر وفي الأصل و ر: لقاءهم.
٦. تفسير القمي، ٤٦/١.
٧. المصدر: الكتاب.
٨. المصدر: انما.
٩. المصدر: وقوله تعالى، وهو في الجاثية / ٣٢.
١٠. الفتح / ١٢.
١١. ما بين القوسين ليس في أ.

موسى عليه السلام وبعده، قبل أن يغيروا بما منحهم الله من العلم والإيمان والعمل الصالح، وجعلهم أنبياء وملوكاً مقسطين.

ويحتمل أن يكون المعنى: على الجمّ الغفير من الناس، كقوله: «باركنا فيها للعالمين»، يقال: رأيت عالماً من الناس، يراد الكثرة. فعلى هذا، لا يستقيم ما قيل[1] أنّ في الآية دلالة على تفضيل البشر على الملك.

﴿وَاتَّقُوا يَوْماً﴾: فيه مجاز عقلي؛ أي: ما فيه من الحساب[2] والعذاب، والتنكير للتفخيم.

﴿لاٰ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾: أي: لا تقضي عنها شيئاً من الحقوق، فيكون شيئاً مفعولاً به. أو لا تجزي عنها شيئاً من الجزاء؛ أي: قليلاً منه. فيكون نصباً على المصدر، كقوله: «ولا يظلمون شيئاً»[3].

وقرئ لا تجزئ، من أجزأ عنه، إذا أغنى. وعلى هذا تعين أن يكون مصدراً؛ أي: شيئاً من الاغناء.

وقرئ ولا تجزى نسمة عن نسمة شيئاً.

وتنكير الشيء مع النفسين[4]، للإقناط الكلي والتعميم.

والجملة في محل النصب، صفة «ليوماً»، والعائد محذوف. والتقدير: لا تجزي فيه، وإن لم يجوز حذف العائد المجرور. يقال: اتسع فيه. فحذف عنه الجار أوّلاً وأجري مجرى المفعول به، ثمّ حذف كما حذف من قوله:

كتبت إليهم كتاباً مراراً ... فلم يرجع إليّ منهم جوابُ
فما أدري أغيرهم تناءٍ ... وطول العهد أم مالٍ أصابوا؟

أي: أصابوه.

---

١. أنوار التنزيل، ٥٥/١.
٢. أ: الحسنات.
٣. مريم / ٦٠.
٤. أ: النفيين. والظاهر: النفي.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾: من الشفع. كأنّ المشفوع كان فرداً، فجعله الشفيع زوجاً، بضمّ نفسه اليه.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: لا تقبل ـ بالتاء ـ.

[وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[١]: و[٢] قوله: «واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة» وهو قوله عليه السلام: لو أنّ كل ملك مقرب وكل نبي[٣] مرسل، شفّعوا في ناصب، ما شفعوا.

وفي كتاب الخصال[٤]: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ثلاث من كنّ فيه استكمل خصال الإيمان: من صبر على الظلم وكظم غيظه واحتسب وعفا وغفر، كان ممن يدخله الله تعالى الجنة بغير حساب، ويشفعه في مثل ربيعة ومضر.

عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٥] عن النبيّ صلى الله عليه وآله حديث طويل، يقول فيه صلى الله عليه وآله: وأمّا شفاعتي، ففي أهل الكبائر، ما خلا أهل الشرك والظلم][٦].

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾: أي: من النفس الثانية العاصية، أو الأولى.

﴿عَدْلٌ﴾: المراد به الفدية. وقيل[٧]: مطلق البدل. وأصله التسوية. سمّيت به الفدية؛ لأنّها سويت بالمفدّى.

والمقصود بالآية، نفي أن يدفع العذاب أحد عن كل أحد من كل وجه محتمل. فإنّه إمّا أن يكون قهراً أو غيره. والأول النصرة، والثاني إمّا أن يكون مجاناً أو غيره، والأول أن يشفع له. والثاني إمّا بأداء ما كان عليه، وهو أن يجزي عنه أو بغيره، وهو أن يعطي عنه عدلاً.

[وفي مجمع البيان[٨]: وأمّا ما جاء في الحديث: «لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»

---

١. تفسير القمي، ٤٦/١.
٢. ليس في ج.
٣. المصدر: أو.
٤. الخصال ١٠٤، ح ٦٣.
٥. نفس المصدر ٣٥٥، ذيل ح ٣٦.
٦. ما بين القوسين ليس في أ.
٧. أنوار التنزيل، ٥٥/١.
٨. مجمع البيان، ١٠٤/١.

فاختلف في معناه. قال الحسن: الصرف، العمل. والعدل، الفدية. وقال الأصمعي: الصرف، التطوع. والعدل، الفريضة. وقال أبوعبيدة: الصرف، الحلية. والعدل، الفدية. وقال الكلبي: الصرف، الفدية. والعدل، رجل مكانه.

وفي تفسير العياشي[1] عن يعقوب الأحمر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: العدل، الفريضة.

عن ابراهيم بن الفضيل[2]، عن أبي عبدالله عليه السلام. قال: العدل في قول أبي جعفر عليه السلام الفداء.

ورواه أسباط الزطي[3] قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام قول الله: «لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»، قال: الصرف، النافلة. والعدل، الفريضة][4].

﴿وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (٤٨): الضمير يرجع إلى النفوس الكثيرة التي دلّت عليها النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي.

والنصرة أخصّ من المعونة، لاختصاصه بدفع الضر.

واستدلّت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر.

قال البيضاوي[5]: وأجيب بأنّها مخصوصة بالكفار، للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة.

قال: ويؤيده أنّ الخطاب معهم، والآية نزلت رداً لما كانت اليهود تزعم أنّ آباءهم تشفع لهم.

أقول: الآية يحتمل أن تكون مخصّصة للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة الدالة على عمومها، كما أنّ كون الخطاب معهم، يحتمل أن يكون مؤيداً للتخصيص بالكفار، فلا يتمّ الاستدلال من الجانبين. فتأمل!

---

١. تفسير العياشي ١/٥٧، ح ٨٥. ٢. نفس المصدر، ح ٨٦.

٣. الأصل و ر: أوساط الرجل. والحديث في نفس المصدر، ح ٨٧.

٤. ما بين القوسين ليس في أ. ٥. أنوار التنزيل، ١/٥٥.

[وفي شرح الآيات الباهرة[١]، قال الإمام عليه السلام: ثمّ قال الله عزّ وجلّ: «واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً»؛ أي: لا تدفع عنها عذاباً[٢] قد استحقّته عند النزع «ولا يقبل منها شفاعة» من يشفع لها بتأخير الموت عنها «ولا يؤخذ منها عدل» أي[٣]: لا يقبل منها فداء مكانه، يموت الفداء ويترك هو.

وقال الصادق عليه السلام: وهذا اليوم، يوم الموت. فإنّ الشفاعة والفداء لا يغني فيه. فأمّا يوم القيامة، فإنّا وأهلنا[٤] نجزي عن شيعتنا كل جزاء، لنكوننّ[٥] على الأعراف بين الجنة والنار[٦] ومحمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والطيبون من آلهم. فنرى[٧] بعض شيعتنا في تلك[٨] العرصات، ممّا كان منهم مقصراً في بعض شدائدها، فنبعث عليهم خيار شيعتنا كسلمان والمقداد وأبي ذر وعمّار ونظرائهم في العصر الذي يليهم، ثمّ في كل عصر إلى يوم القيامة، فينقضون عليهم[٩] كالبزاة والصقور، تتناولهم كما تتناول الصقور صيدها. ثمّ يزفّون إلى الجنة زفاً. وإنّا لنبعث على آخرين من محبّينا من خيار شيعتنا كالحمام، فيلتقطونهم من العرصات كما يلتقط الطير الحب، وينقلونهم إلى الجنان بحضرتنا. وسيؤتى بالواحد ويوقف[١٠] بإزائه ما بين مائة وأكثر من ذلك إلى مائة ألف من النصاب. فيقال له: هؤلاء فداؤك من النار. فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنة، وأولئك النصاب النار. وذلك مما قال الله عزّ وجلّ: «ربما يودّ الذين كفروا» بالولاية «لو كانوا مسلمين»[١١] في الدنيا، منقادين للإمامة، ليجعل مخالفوهم فداءهم من النار][١٢].

---

١. تأويل الآيات الباهرة، ٥٥/١؛ تفسير الامام، ٢٤١.

٢. المصدر عنه.

٣. المصدر: و.

٤. المصدر: فإنا وشيعتنا وأهلنا.

٥. المصدر: ليكونن.

٦. الواو ليس في المصدر.

٧. المصدر: فترى.

٨. المصدر: فبعث.

٩. المصدر: يتناولونهم كما يتناول صيودها.

١٠. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر: يقف.

١١. الحجر / ٢.

١٢. ما بين القوسين ليس في أ.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾: عطف على «نعمتي» كعطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة. فصل بعد الإجمال في قوله: «نعمتي» لأنّه أوقع وأمكن في النفس.

وقرئ: نجيناكم وأنجيتكم.

﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: أصل آل أهل؛ لأن تصغيره أهيل أعل، وخصّ استعماله بالاضافة إلى أولى الخطر، كالأنبياء والملوك.

قال الكسائي: سمعت أعرابياً يقول: آل وأؤيل وأهل وأهيل، فأصله أءل. ـ بالهمزة ـ.

و«فرعون»: لقب لمن ملك العمالقة، ككسرى، لملك الفرس، وقيصر لملك الروم. ولعتوّ الفراعنة، اشتق منه: تفرعن الرجل، إذا عتى وتجبّر.

قال البيضاوي[١]: وكان فرعون موسى، مصعب بن ريان. وقيل: اسمه[٢] وليد، من بقايا عاد. وفرعون يوسف عليه السلام ريان، وكان بينهما أكثر من أربعمائة سنة.

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: أي: يبغونكم. يقال: سامه خسفاً، إذا أولاه ظلماً؛ أي: أصابه[٣] إياه.

وأصل «السوم»: الذهاب في طلب الشيء.

﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أي: أفظعه. فإنّه قبيح بالإضافة إلى سائره. يقال: أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل. يراد قبيحهما.

«والسوء» مصدر ساء يسوء. ونصبه على المفعول، ليسومونكم.

والجملة حال[٤] من الضمير، في «أنجيناكم» أو «من آل فرعون» أو منهما.

﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾: بيان لـ «يسومونكم»، ولذلك فصل.

وقرئ بالتخفيف.

وإنّما فعلوا بهم ذلك؛ لأنّ فرعون رأى في المنام، أو قال له الكهنة: سيولد منهم من يذهب بملكه. فلم يردّ اجتهادهم من قدر الله شيئاً.

---

١. أنوار التنزيل، ١/٥٥.

٢. المصدر: ابنه.

٣. ليس في أ.

٤. ليس في أ.

[في كتاب الخصال[١]، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قام رجل إلى أميرالمؤمنين عليه السلام في الجامع بالكوفة، فقال: يا أميرالمؤمنين! أخبرني عن يوم الأربعاء والتطير منه وثقله، أيّ أربعاء هو؟

فقال: أربعاء في آخر الشهر - إلى قوله -: يوم الأربعاء أمر فرعون بذبح العلماء][٢].

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسٰاءَكُمْ﴾: أي: يبقونهنّ طلباً لحياتهن. ويتّخذونهنّ إماء.

وزعم بعضهم أنّه من طلب الحياء - أي: الفرج - أي: ينظرون هل هنّ حبالى أم لا؟

[وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة[٣]، بإسناده إلى سعد بن جبير، عن سيّد العابدين عليّ بن الحسين، عن أبيه سيّد الشهداء الحسين بن عليّ، عن أبيه سيّد الوصيين أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما حضرت يوسف عليه السلام الوفاة، جمع شيعته وأهل بيته، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ حدّثهم بشدّة تنالهم؛ تقتل فيها الرجال، وتشقّ فيها بطون الحبالى، وتذبح الأطفال، حتى يظهر الله الحق في القائم من ولد لاوي بن يعقوب، وهو رجل أسمر طوال - ونعّته لهم بنعته - فتمسّكوا بذلك.

ووقعت الغيبة والشدة على بني اسرائيل، وهم ينتظرون[٤] قيام القائم أربعمائة سنة، حتّى إذا بشّروا بولادته ورأوا علامات ظهوره ودلالته[٥]، اشتدت البلوى عليهم، وحمل عليهم بالحجارة والخشب. وطلب الفقيه الذي كان[٦] يستريحون إلى أحاديثه، فاستتر وراسلهم[٧]. فقالوا: كنا مع الشدة نستريح إلى حديثك.

فخرج [بهم][٨] إلى بعض الصحاري، وجلس يحدّثهم حديث القائم ونعته وقرب الأمر، وكانت ليلة قمراء فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم موسى عليه السلام. وكان في ذلك

---

١. الخصال ٣٨٨/٢، ح ٧٨.
٢. ما بين القوسين ليس في أ.
٣. كمال الدين وتمام النعمة ١٤٥-١٤٧، ح ١٢.
٤. النسخ و: ينظرون.
٥. ليس في المصدر.
٦. المصدر: كانوا.
٧. المصدر: راسلوه.
٨. يوجد في المصدر.

الوقت حديث السن، وقد خرج من دار فرعون، يظهر النزهة. فعدل عن موكبه[١] وأقبل إليهم، وتحته بغلته[٢] وعليه طيلسان خز. فلما رآه الفقيه، عرفه بالنعت، فقام إليه فانكب على قدميه فقبّلهما، ثمّ قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك[٣]. فلما رأى الشيعة ذلك، علموا أنّه صاحبهم، فانكبوا على الأرض شكراً لله ﷻ فلم يزدهم إلّا[٤] أن قال: أرجو أن يعجّل الله فرجكم.

ثمّ غاب بعد ذلك، وخرج إلى مدينة مدين، فأقام عند شعيب النبيّ عليه السلام ما أقام.

فكانت الغيبة الثانية، أشدّ عليهم من الأولى. وكانت نيفاً وخمسين سنة، واشتدت البلوى عليهم، واستتر الفقيه. فبعثوا إليه أنّه لا صبر لنا على استتارك عنا، فخرج إلى بعض الصحاري واستدعاهم وطيب نفوسهم، وأعلمهم أنّ الله ﷻ أوحى إليه أنّه مفرّج عنهم بعد أربعين سنة.

فقالوا بأجمعهم: الحمد لله.

فأوحى الله ﷻ إليه: قل لهم: قد جعلتها ثلاثين سنة لقولهم: «الحمد لله».

فقالوا: كل نعمة فمن الله.

فأوحى الله إليه: قل لهم: قد جعلتها عشرين سنة.

فقالوا: لا يأتي بالخير إلّا الله.

فأوحى الله إليه: قل لهم: قد جعلتها عشراً.

فقالوا: لا يصرف السوء إلّا الله.

فأوحى الله ﷻ إليه: قل لهم: لا تبرحوا، فقد أذنت لكم في فرجكم. فبيناهم كذلك، إذ طلع موسى عليه السلام راكباً على حمار، فأراد الفقيه أن يعرّف الشيعة ما يستبصرون به فيه، فجاء موسى عليه السلام حتّى وقف عليهم وسلّم عليهم.

فقال له الفقيه: ما اسمك؟

---

١. ليس في ج.

٢. المصدر و: بغلة. وهو الظاهر.

٣. المصدر: أرانيك، وهو الظاهر.

٤. المصدر: على.

قال: موسى.

قال: ابنُ مَن؟

قال: ابن عمران.

قال: ابنُ مَن؟

قال: ابن قاهث[١] بن لاوي بن يعقوب.

قال: بماذا جئت؟

قال: جئت بالرسالة من عند الله ﷻ.

فقام إليه. فقبل يده، ثمّ جلس بينهم وطيب نفوسهم، وأمرهم أمره ثمّ فارقهم[٢]، فكان بين ذلك الوقت وبين فرجهم بغرق فرعون أربعين سنة.

وبإسناده[٣] إلى محمّد الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ يوسف بن يعقوب صلوات الله عليهما حين حضرت الوفاة، جمع آل يعقوب، وهم ثمانون رجلاً، فقال: إن هؤلاء القبط سيظهرون عليكم، ويسومونكم سوء العذاب. وإنّما ينجيكم الله من أيديهم برجل من ولد لاوي بن يعقوب، اسمه موسى بن عمران عليه السلام غلام طوال جعد آدم. فجعل الرجل من بني اسرائيل يسمّي ابنه عمران، ويسمي عمران ابنه موسى.

فذكر أبان بن عثمان، عن أبي الحصين[٤]، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: ما خرج موسى حتّى خرج قبله خمسون كذاباً من بني اسرائيل، كلّهم يدّعي أنّه موسى بن عمران. فبلغ فرعون أنّهم يرجفون به ويطلبون هذا الغلام، وقال له كهنته وسحرته: أنّ هلاك دينك وقومك على يدي هذا الغلام الذي[٥] يولد العام من بني اسرائيل.

فوضع القوابل على النساء، وقال: لا يولد العام ولداً إلا ذبح. ووضع على أمّ موسى قابلة.

---

١. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر: ابن قاهب. ٢. المصدر و ح: أبي الحسين عليه السلام.

٣. نفس المصدر ١٤٧ ـ ١٤٨، صدر ح ١٣. ٤. المصدر: فرقهم.

٥. ليس في ج.

فلما رأى ذلك بنو اسرائيل، قالوا: إذا ذبح الغلمان واستحيي النساء هلكنا، فلم نبق. فقالوا[١]: لا نقرب النساء.

فقال عمران بن وموسى عليه السلام: بل ائتوهنّ[٢]. فإنّ أمر الله واقع ولو كره المشركون. اللّهمّ من حرم، فإنّي لا أحرّمه، ومن تركه فإنّي لا أتركه.

فوقع على أمّ موسى، فحملت. فوضع على أمّ موسى قابلة تحرسها. فإذا قامت، قامت. وإذا قعدت، قعدت. فلمّا حملته أمه، وقعت عليه المحبّة. وكذلك حجج الله على خلقه.

فقالت لها القابلة: ما لك يابنية، تصفرين وتذوبين؟

قالت: لا تلوميني، فإني إذا ولدت، أخذ ولدي فذبح.

قالت: لا تحزني. فإنّي سوف أكتم عليك، فلم تصدقها.

فلما أن ولدت التفتت إليها وهي مقبلة. فقالت: ما شاء الله.

فقالت لها: ألم أقل إنّي سوف أكتم عليك؟

ثمّ حملته. فأدخلته المخدع وأصلحت أمره، ثمّ خرجت إلى الحرس. فقالت: انصرفوا ـ وكانوا على الباب ـ فإنّما خرج دم مقطع[٣]. فانصرفوا ـ الحديث، وهو بتمامه مذكور في القصص.

وفي كتاب الغيبة[٤]: للشيخ الطوسي رحمه الله بإسناده إلى الصادق عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: أمّا مولد موسى عليه السلام فإنّ فرعون لما وقف على أنّ زوال ملكه على يده، أمر بإحضار الكهنة. فدلّوا على نسبه وأنّه يكون من بني اسرائيل، فلم يزل يأمر أصحابه بشق بطون الحوامل من نساء بني اسرائيل، حتى قتل في طلبه نيف وعشرون ألف مولود. وتعذر عليه الوصول إلى قتل موسى عليه السلام بحفظ الله تعالى إياه][٥].

---

١. المصدر: فتعالوا.

٢. المصدر: باشروهن.

٣. المصدر: منقطع. وهو الظاهر.

٤. الغيبة/ ١٠٦.

٥. ما بين القوسين ليس في أ.

﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ﴾: محنة، إن أشير بـذلك إلى صـنعهم. ونـعمة، إن أشـير بـه إلى الإنجاء.

وأصله: الاختبار. لكن لما كان اختبار الله عباده، تارة بالنعمة، وتارة بالمحنة، أطلق عليهما. ويجوز أن يشار بذلك إلى الجملة. ويراد به الامتحان الشائع بينهما.

﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: بتسليطهم عليكم، أو ببعث[١] موسى وتوفيقه لتخليصكم، أو بهما.

﴿عَظِيمٌ﴾ (٤٩): صفة «بلاء» وفي الآية إشعار بأنّه قد يكـون إصـابة العـبد[٢] بـالخير والشر، من اختبار الله سبحانه العبد. فيجب أن لا يغتر بما أنعم عـليه فـيطغى[٣]. ولا ييأس من روح الله بما ضيق عليه فيعيش ضنكاً. وأن يكون دائماً راجياً خائفاً مستشعراً لما أريد منه.

قال البيضاوي[٤]: وفي الآية تنبيه على أنّ ما يصيب العبد من خير أو شر، اختبار من الله. فعليه أن يشكر على مساره ويصبر على مضاره، ليكون من خير المختبرين.

ولا يخفى عليك، أنّه إنّما يصحّ بناء، على قاعدة كسب الأعمال، وقد أبطلناها في مقامها، مع أنّه ينافي ما سبقها من إسناد الذبح والاستحياء إلى آل فـرعون. والله أعـلم بحقائق الأمور.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾: فصلنا بين بعضه وبعض[٥]، حتى جـرت[٦] فـيه مسـالك بسلوككم فيه، أو بسبب إنجائكم، أو متلبّساً بكم.

و«الفرق» هو الفصل بين شيئين ـ بالفتح ـ مصدر، وبالكسر: الطائفة من كل شيء.

و«البحر» يسمّى بحراً لاستبحاره. وهو سعته وانبساطه.

وقرأ الزهري في الشواذ، على بناء التكثير؛ لأنّ المسالك كانت اثـني عشـر بـعدد الأسباط.

---

١. أ: يبعث.
٢. أ: العهد.
٣. أ: فيطفى.
٤. أنوار التنزيل، ١/٥٦.
٥. أ. بعضه.
٦. أ: حصلت.

﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا﴾: «الغرق»: الرسوب في الماء.

و«النجاة»: ضد الغرق، كما أنّها ضد الإهلاك.

﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾: أراد به فرعون وقومه. اقتصر على ذكرهم للعلم بأنّه كان أولى بـه. وقيل[١]: شخصه، كما يقال: اللّهمّ صلّ على آل محمّد؛ أي: شخصه. واستغنى بذكره عن اتباعه. والأحسن فيه أنّه من باب راكب الناقة طليحان، اعتباراً للمضاف والمضاف إليه؛ أي: هو والناقة.

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾۝: ذلك، أو غرقهم، أو انفلاق البحر، عـن طـرق يـابسة[٢]، أو جثثهم التي قذفها البحر إلى الساحل، أو ينظر بعضكم بعضاً.

ذكر الشيخ الطبرسي في تفسيره[٣]، عن ابن عبّاس: إن الله تعالى أوحى إلى موسى أن يسري ببني اسرائيل من مصر. فسرى موسى عليه السلام[٤] بهم[٥] ليلاً. فأتبعهم فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث. وكان موسى فـي سـتمائة ألف وعشـرين ألفـاً. فـلما عاينهم فرعون، قال: إن هؤلاء لشـرذمة قـليلون. [وإنـهم لنـا لغـائظون وإنـا لجـميع حاذرون][٦].

فسرى موسى بهم[٧] حتى هـجموا عـلى البـحر، فـالتفتوا فـإذا هـم بـرهج دواب فرعون.

فقالوا: يا موسى! أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا؟ هذا البحر أمامنا، وهذا فرعون قد رهقنا بمن معه.

فقال موسى عليه السلام: عسى ربّكم أن يهلك عدوّكم (الخ).

فقال له[٨] يوشع بن نون: بم أمرت؟

---

١. أنوار التنزيل، ٥٦/١.

٢. كذا في أ و ر. والأصل: ياتيه.

٣. مجمع البيان، ١٠٧/١.

٤. المصدر: ببني اسرائيل.

٥. المصدر: ببني اسرائيل.

٦. يوجد في المصدر.

٧. المصدر: ببني اسرائيل.

٨. ليس في ج.

قال: أمرت أن أضرب بعصاي البحر.

قال: اضرب.

وكان الله تعالى أوحى إلى البحر أن أطع موسى إذا ضربك.

[قال][1] فبات البحر له أفكل ـ أي: رعدة ـ لا يدري في أي جوانبه يضربه. فضرب بعصاه البحر، فانفلق، وظهر اثني عشر طريقاً. فكان لكل سبط [منهم][2] طريق يأخذون فيه.

فقالوا: [إنّا][3] لا نسلك طريقاً ندياً.

فأرسل الله ريح الصبا حتى جففت[4] الطريق، كما قال: فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً. فجروا فيه، فلما أخذوا في الطريق، قال بعضهم لبعض: ما لنا لا نرى أصحابنا؟

فقالوا لموسى: أين أصحابنا؟

فقال: في طريق مثل طريقكم.

فقالوا: لا نرضى حتّى نراهم.

فقال موسى عليه السلام: اللّهمّ أعنّي على أخلاقهم السيّئة.

فأوحى الله إليه أن قل[5] بعصاك هكذا وهكذا، يميناً وشمالاً.

فأشار بعصاه يميناً وشمالاً. فظهر كالكواء ينظر منها بعضهم إلى بعض. فلما انتهى فرعون إلى ساحل البحر وكان على فرس حصان أدهم، فهاب دخول الماء، فتمثّل[6] له جبرئيل على فرس أنثى وريق وتقحم البحر. فلما رآها الحصان، تقحم خلفها، ثمّ تقحم قوم فرعون. ولما خرج آخر من كان مع موسى من البحر، ودخل آخر من كان مع فرعون البحر، أطبق الله عليهم الماء، فغرقوا جميعاً، ونجى موسى ومن معه.

---

١. يوجد في المصدر.
٢. يوجد في المصدر.
٣. يوجد في المصدر.
٤. أ: خففت.
٥. المصدر: مل، وهو الظاهر.
٦. النسخ: تمثل.

واعلم أنّ هذه الواقعة، من أعظم ما أنعم الله به على بني اسرائيل، ومن آياته الملجئة إلى العلم بوجود الصانع الحكيم، وتصديق موسى عليه السلام. ثمّ إنّهم اتّخذوا العجل، وقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، ونحو ذلك! فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن أمّة محمّد صلى الله عليه وآله فإنّهم اتبعوه[1] مع أنّ ما تواتر من معجزاته، أمور نظرية دقيقة يدركها الأذكياء، وإخباره عليه السلام عنها، من جملة معجزاته صلى الله عليه وآله.

[وفي شرح الآيات الباهرة[2]: قال الإمام عليه السلام: إن موسى لما انتهى إلى البحر، أوحى الله عزّ وجلّ إليه: قل لبني اسرائيل: جدّدوا توحيدي وأمروا بقلوبكم ذكر محمّد سيّد عبيدي وإمائي، وأعيدوا على أنفسكم الولاية لعلي أخ محمّد، وآله الطيبين، وقولوا: اللّهمّ بجاههم جوّزنا على متن هذا الماء، فإنّ الماء يتحوّل لكم أرضاً.

فقال لهم موسى ذلك. فأبوا، وقالوا: نحن لا نسير إلّا على الأرض.

فأوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام أن اضرب بعصاك البحر، وقل: اللّهمّ بجاه محمّد وآله الطيبين لمّا فلقته لنا.

ففعل، فانفلق وظهرت الأرض إلى آخر الخليج.

فقال موسى: ادخلوها.

قالوا: الأرض وحلة، نخاف أن نرسب فيها.

فقال عزّ وجلّ: يا موسى! قل: اللّهمّ بحقّ محمد وآله الطيبين، جَفِّفها.

فقالها، فأرسل الله عليها ريح الصبا، فجففت[3]. و[4] قال موسى: أدخلوها.

قالوا: يا نبيّ الله! نحن اثنتا عشرة قبيلة، بنو اثني عشر أباً. وإن دخلنا وأمّ[5] كل فريق

---

١. ر: اتبعوهم.
٢. شرح الآيات الباهرة ٥٦/١؛ تفسير الامام، ٢٤٥.
٣. المصدر: فجفت. وهو الظاهر.
٤. ليس في المصدر.
٥. في الأصل و ر، وفي المصدر: دام. ولعل الصواب: رام.

منا تقديم[١] صاحبه، فلا نأمن وقوع الشرّ بيننا. فلو كان لكل فريق منا طريق على حدته، لأمنا ما نخافه.

فأمر الله ﷻ موسى أن يضرب[٢] البحر، بعددهم، اثنتى عشرة ضربة في[٣] اثني عشر موضعاً، ويقول: اللّهمّ بجاه محمّد وآله الطيبين [بيّن الأرض لنا، وأمط الماء عنا.

فصار فيه تمام اثني عشر طريقاً.

فقال: ادخلوها!

قالوا: إن كل فريق يدخل في سكة من هذه السكك، لا يدري ما يحدث على الآخرين.

فقال الله ﷻ: فاضرب كل طود من الماء بين هذه السكك، وقل: اللّهمّ بجاه محمّد وآله الطيبين][٤] لمّا جعلت في هذا الماء طبقات واسعة، يرى بعضهم بعضاً[٥] منها.

فحدثت طبقات واسعة، يرى بعضهم بعضاً منها، ثمّ دخلوها. فلما بلغوا آخرها، جاء فرعون وقومه، فلما دخل آخرهم[٦] وهمّ بالخروج أولهم، أمر الله البحر فانطبق عليهم، فغرقوا. وأصحاب موسى ينظرون إليهم. فقال الله ﷻ لبني اسرائيل الذين[٧] في عهد محمّد ﷺ: فإذا كان الله فعل هذا كله بأسلافكم، لكرامة محمّد وآله عليهم السلام ودعاء موسى بهم، دعاء تقرّب[٨] إلى الله، أفلا تعقلون أنّ عليكم الإيمان بمحمّد وآله، إذ شاهدتموه الآن؟][٩].

﴿**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**﴾: بعد عودهم إلى مصر وهلاك فرعون، وعد الله موسى أن يعطيه التوراة، وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي الحجة، وعبّر عنها

---

١. المصدر: يتقدم.
٢. المصدر: ليضرب.
٣. المصدر: بعددهم اثني عشر موضعاً.
٤. ما بين القوسين لا يوجد في المصدر.
٥. لا يوجد في المصدر.
٦. ساقطة من ج.
٧. المصدر: الذي.
٨. المصدر: يتقرب.
٩. ما بين القوسين ليس في أ.

بالليالي؛ لأنّها غرر الشهور، أو لأنّ وعد موسى وعد قيام الأربعين، والقيام بالليل أهم. فذكر الليل إشعاراً بوعدةٍ قيام الليل، أو لأنّ الظلمة سابقة على النور.

والقراءة المشهورة: «واعدنا» لأنّه تعالى وعده الوحي، ووعده موسى المجيء للميقات إلى الطور.

[وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[١] في قصة حنين: ثمّ رفع رسول الله ﷺ يده، فقال: اللّهمّ لك الحمد وإليك المشتكى، وأنت المستغاث.

فنزل عليه جبرئيل، فقال [له][٢]: يا رسول الله! دعوت بما دعا به موسى حين فلق الله له البحر، ونجاه من فرعون.

وفيه[٣] حديث طويل، مذكور في «طه». وفيه قالوا: لن نبرح عليه عاكفين حتّى يرجع إلينا موسى.

فهمّوا بهارون، فهرب منهم[٤]. وبقوا في ذلك حتى تمّ ميقات ربّه[٥] أربعين ليلة. فلمّا كان يوم عشرة من ذي الحجة، أنزل الله عليه الألواح، فيها التوراة وما يحتاجون إليه من أحكام السير والقصص.

وفي أصول الكافي[٦]: الحسين بن محمّد، عن معلى بن محمّد، عن الحسين[٧] بن علي الخزاز، عن عبدالكريم بن عمرو[٨] الخثعمي، عن الفضيل[٩] بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: لهذا الأمر وقت؟

فقال: كذب الوقّاتون. كذب الوقّاتون. كذب الوقّاتون. إن موسى عليه السلام لما خرج وافداً إلى ربّه، واعدهم ثلاثين يوماً. فلما أن زاده الله على الثلاثين عشراً، قال قومه: قد

---

١. تفسير القمي، ٢٨٧/١.
٢. يوجد في المصدر.
٣. نفس المصدر، ٦٢/٢.
٤. المصدر: حتّى هرب من بينهم.
٥. المصدر: موسى.
٦. الكافي ٣٦٨/١ـ٣٦٩، ح ٥.
٧. المصدر: الحسن، وهو خطأ.
٨. المصدر: عمر، وهو خطأ.
٩. المصدر: الفضل، وهو ـأيضاً خطأ ـ.

أخلفنا موسى، فصنعوا ما صنعوا. فإذا حدثناكم الحديث، فجاءكم[1] على ما حدثناكم به[2]، فقولوا: صدق الله. وإذا حدثناكم الحديث، فجاء على خلاف ما حدثناكم به، فقولوا: صدق الله، تؤجروا مرّتين][3].

﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾: معبوداً[4].

فقيل[5]: لأنّهم بنفس فعلهم لصورة العجل، لا يكونون ظالمين؛ لأنّ فعل ذلك ليس بمحظور، بل مكروه. وأمّا الخبر الذي روي عنهم عليهم السلام أنّه لعن المصوّرين، فالمراد به: من شبّه الله تعالى، أو اعتقد أنّه صورة.

[وفي عيون الأخبار[6]: بإسناده إلى الحسين بن خالد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له: [عن]كم تجزي البدنة؟

قال: عن نفس واحدة.

قلت: فالبقرة؟

قال: تجزي عن خمسة، إذا كانوا يأكلون على مائدة واحدة.

قلت: كيف صارت البدنة، لا تجزي إلّا عن واحدة، والبقرة تجزي عن خمسة؟

قال: لأنّ البدنة لم يكن فيها من العلة ما كان في البقرة. إن الذين أمروا قوم موسى بعبادة العجل، كانوا خمسة أنفس، وكانوا أهل بيت يأكلون على خوان واحد. وهم أدينونه[7]، وأخوه ميندونه[8]، وابن أخيه وابنته وامرأته، هم الذين أمروا بعبادة العجل، وهم الذين ذبحوا البقرة التي أمر الله تبارك وتعالى بذبحها.

عن الرضا عليه السلام[9] عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، وفيه: وسأله عن الثور،

---

١. المصدر: فجاء.
٢. ليس في المصدر.
٣. ما بين القوسين ليس في أ.
٤. أ: مصوراً.
٥. مجمع البيان، ١٠٩/١.
٦. عيون الأخبار ٨٣/٢، ح ٢٢، خصال ٢٩٢.
٧. المصدر: أذينوية.
٨. المصدر: مبذونه. ر: يندونه.
٩. نفس المصدر ٢٤١/١ـ٢٤٢.

ما باله غاض طرفه لا يرفع[1] رأسه إلى اسماء؟

قال: حياء من الله؛ لما عبد قوم موسى العجل، نكس رأسه.

وفي كتاب الخصال[2]: عن الصادق عليه السلام شبهه، بتغيير يسير][3].

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد غيبة موسى، أو من بعد وعد الله التوراة، أو من بعد غرق فرعون وما رأيتم من الآيات.

﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾﴿٥١﴾: مضرّون بأنفسكم، بما استحققتم من [العقاب على][4] اتخاذكم العجل معبوداً.

روي عن ابن عبّاس[5] أنّه قال: كان السامري رجلاً من أهل باجرما[6]، قيل: كان اسمه مسيحا[7].

وقال ابن عبّاس[8]: اسمه موسى بن ظفر، وكان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادة البقر في نفسه، وقد كان في أظهر الإسلام في بني اسرائيل. فلما قصد موسى إلى ربّه وخلف هارون في بني اسرائيل، قال هارون لقومه: قد حملتم أوزاراً من زينة[9] القوم ـ يعني[10]: آل فرعون ـ فتطهروا منها، فإنّها نجس[11]. يعني: أنّهم استعاروا من القبط حلياً، واستبدوا بها. فقال هارون: طهروا أنفسكم منها، فإنّها نجسة.

وأوقد لهم ناراً، فقال: اقذفوا ما كان معكم فيها.

فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الأمتعة والحلي، فيقذفون به فيها.

قال: وكان السامري رأى أثر فرس جبرئيل عليه السلام، فأخذ تراباً من أثر حافره، ثمّ أقبل إلى النار.

---

١. المصدر: لم يرفع.

٢. لا يوجد في الخصال. ولكن في علل الشرائع، ٥٩٣ وفي البحار ٧٦/١، نقلاً عن عيون الأخبار وعلل الشرائع فقط.

٣. ما بين القوسين ليس في أ.

٤. ليس في أ.

٥. مجمع البيان، ١٠٩/١.

٦. المصدر: باجرمى... ميحا.

٧. المصدر: باجرمى ... ميحا.

٨. نفس المصدر.

٩. أ: رتبة.

١٠. ليس في ج.

١١. ر: منجس.

فقال: يا هارون! يا نبيّ الله! ألقى ما في يدي؟

قال: نعم. وهو لا يدري ما في يده، ويظن أنّه ممّا يجيء به غيره من الحلي والأمتعة.

فقذف فيها، وقال: كن عجلاً جسداً له خوار. فكان البلاء والفتنة، فقال: هذا إلهكم وإله موسى. فعكفوا[1] عليه، وأحبوه حبّاً لم يحبّوا مثله شيئاً قط.

وقال ابن عبّاس: فكان البلاء والفتنة، ولم يزد على هذا.

وقال الحسن[2]: صار العجل لحماً ودماً.

وقال غيره[3]: لا يجوز ذلك؛ لأنّه من معجزات الأنبياء.

ومن وافق الحسن، قال: إن القبضة من أثر الملك، كان الله أجرى العادة بأنّها إذا طرحت على أي صورة كانت حييت، فليس ذلك بمعجزة، إنّ سبيل السامري، سبيل غيره فيه. ومن لم يجز انقلابه حيّاً يؤوّل[4] الخوار على أنّ السامري صاغ عجلاً، وجعل فيه خروقاً، يدخلها الريح، فيخرج منها صوت كالخوار. ودعاهم إلى عبادته، فأجابوه وعبدوه.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾: حين تبتم.

و«العفو»: محو الجريمة، من عفا: إذا درس.

﴿مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾: أي: بعد الاتخاذ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٥٢): لكي تشكروا عفوه.

وفي الآية دلالة على وجوب شكر النعمة، وعلى أنّ العفو عن الذنب بعد التوبة، نعمة من الله تعالى على عباده ليشكروه.

[وفي شرح الآيات الباهرة[5]: إن الله تبارك وتعالى وعد موسى عليه السلام لميقاته أربعين ليلة. فلما غاب عن قومه، اتخذوا العجل من بعده، وقصته مشهورة. ولكن قال

---

١. أ: فيه.
٢. نفس المصدر.
٣. نفس المصدر.
٤. أ: يزل. وفي الأصل و ر: يؤل. والمصدر: تأول.
٥. شرح الآيات الباهرة ٥٧/١، تفسير الامام ٢٥١.

الإمام عليه السلام في تفسيره: إن الله عز وجل أوحى إلى موسى: يا موسى بن عمران! (ما خذل هؤلاء بعبادتي واتخاذي إلهاً إلّا تهاونهم)[١] بالصلاة على محمّد وآله الطيبين وجحودهم لموالاتهم ونبوة النبيّ ووصية الوصي، حتّى أداهم ذلك إلى أن اتخذوا العجل إلهاً. فإذا كان الله تعالى إنّما خذل عبدة العجل لتهاونهم بالصلاة على محمّد ووصيّه علي، فما تخافون أنتم من الخذلان الأكبر في معاندتكم لمحمّد وعلي. وقد شاهدتموها، وتبيّنتم آياتهما ودلائلهما.

ثمّ قال عز وجل: «ثمّ عفونا عنكم من بعد ذلك لعلّكم تشكرون» أي: عفونا عن أوائلكم وعبادتكم العجل، لعلّكم أيّها الكائنون في عصر محمّد من بني اسرائيل، تشكرون تلك النعمة على أسلافكم، وعليكم بعدهم.

ثمّ قال عليه السلام: وإنّما عفا الله عز وجل عنهم؛ لأنّهم دعوا الله عز وجل بمحمّد وآله الطيبين، وجدّدوا على أنفسهم الولاية لمحمّد وعلي وآلهما الطاهرين. فعند ذلك، رحمهم الله وعفا عنهم][٢].

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾: يعني: التوراة، الجامع بين كونه كتاباً وحجة، تفرق بين الحق والباطل.

فالعطف لتغاير الوصفين، أو الفرقان: معجزاته الفارقة بين الحق والباطل، أو بين الكفر والإيمان، أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام، أو النصر الذي فرق بينه وبين عدوّه، كقوله تعالى: «يوم الفرقان»[٣] يريد يوم بدر.

وقيل[٤]: الفرقان: القرآن.

والتقدير: «وآتينا موسى التوراة، وآتينا محمّد الفرقان»، فحذف ما حذف لدلالة ما أبقاه عليه.

---

١. المصدر: ما حد هؤلاء بعبادتهم واتخاذهم إلهاً غيري.

٢. ما بين القوسين ليس في أ.

٣. الأنفال / ٤١.

٤. مجمع البيان، ١/١١١.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٥٣): لكي تهتدوا بما في التوراة من البشارة بمحمّد ﷺ وبيان صفته.

[وفي شرح الآيات الباهرة[١]: قال الإمام عليه السلام: واذكروا إذ آتينا موسى الكتاب، وهو التوراة الذي أخذ على بني اسرائيل الإيمان بها والانقياد لما توجبه. والفرقان، آتيناه أيضاً، وهو فرق ما بين الحق والباطل، وفرق ما بين المحقّين والمبطلين. وذلك أنّه لمّا أكرمهم[٢] الله بالكتاب والإيمان[٣] والانقياد له، أوحى الله بعد ذلك إلى موسى: يا موسى![٤] هذا الكتاب قد أقرّوا به، وقد بقي الفرقان فرق ما بين المؤمنين والكافرين والمحقّين والمبطلين، فجدِّد عليهم العهد به. فإنّي آليت على نفسي قسماً حقاً، لا أقبل[٥] من أحد إيماناً ولا عملاً إلّا مع الإيمان به.

فقال موسى عليه السلام: ما هو؟ يا ربّ!

قال الله عزّ وجلّ: يا موسى! تأخذ على بني اسرائيل أنّ محمّداً خير البشر وسيّد المرسلين، وأنّ أخاه ووصيّه خير الوصيين، وأنّ أولياءه الذين يقيمهم سادة الخلق، وأنّ شيعته المنقادين له، المسلّمين له ولأوامره ونواهيه ولخلفائه[٦]، نجوم الفردوس الأعلى و[٧]ملوك جنات عدن.

قال: فأخذ عليهم موسى عليه السلام ذلك. فمنهم من اعتقده حقاً، ومنهم من أعطاه بلسانه دون قلبه. فكان المعتقد منهم حقاً، يلوح على جبينه نور مبين، ومن أعطاه بلسانه دون قلبه[٨]، ليس له ذلك النور. فذلك الفرقان الذي أعطاه الله عزّ وجلّ موسى وهارون[٩]، فرق ما بين المحقّين والمبطلين.

---

١. شرح الآيات الباهرة ١/٥٨، تفسير الامام ٢٥٢.
٢. المصدر: كرمهم.
٣. ليس في المصدر.
٤. ليس في المصدر.
٥. المصدر: أتقبل.
٦. المصدر: الخلفاء به.
٧. ليس في ج.
٨. ليس في المصدر.
٩. المصدر: هو.

ثمّ قال الله ﷻ: «لعلّكم تهتدون» أي: لعلّكم تعلمون أنّ الذي يشرف به العبد، عند الله ﷻ هو اعتقاد الولاية، كما شرف[1] به أسلافكم].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾: أي: فاعزموا على التوبة.

﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾: إن كان توبتهم هي قتل الأنفس. وإلّا فالمراد: إتمام التوبة بالقتل.

وإنّما جعل القتل توبتهم، أو من تمامها؛ إشارة إلى أنّ من لم يقتل عدوّه ـ وهو النفس ـ يقتله[2] ليعتبر غيرهم، أو إشارة إلى أنّهم لمّا صاروا من حزب العجل وتابعيه، جعلوا في زمرته؛ لأنّ العجل خلق للذبح.

و«الباري»: الخالق بريأً من التفاوت، مع التميز، بصور وهيئات مختلفة. وأصل البرء: الخلوص للشيء من غيره، إمّا على سبيل التفصّي، كقولهم: برئ المريض من مرضه، والمديون من دينه. أو الإنشاء، كقولهم: برأ الله آدم من الطين.

واختلف في القتل المأمور به، على أقوال:

أحدها: أنّ[3] المراد به النجع. وهو أن يقتل كل رجل نفسه، ويهلكه.

وثانيها: أنّ المراد به قطع الشهوات، والاستسلام للقتل على سبيل التوسّع.

والثالث: أنّهم أمروا بأن يقتل بعضهم بعضاً.

والرابع: أنّه أمر من لم يعبد العجل، أن يقتل العبدة. روي أنّ الرجل يرى بعضه وقريبه، فلم يقدر المضي لأمر الله، فأرسل ضبابة[4] وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها، فأخذوا يقتلون من الغداة إلى العشي حتى دعا موسى وهارون، فكشف السحابة ونزلت التوبة. وكانت القتلى سبعين ألفاً.

---

١. النسخ: يشرف.
٢. أ: لقتله.
٣. ليس في ج.
٤. ر: حبابة، الأصل وج: صابة.

والخامس: أنّ السبعين الذين كانوا مع موسى في الطور، هم الذين قتلوا من عبدة العجل سبعين ألفاً.

والسادس: أنّ موسى عليه السلام أمرهم أن يقوموا صفّين، فاغتسلوا ولبسوا أكفانهم، وجاء هارون باثني عشر ألفاً ممن لم يعبد العجل، ومعهم الشفار المرهفة، وكانوا يقتلونهم. فلما قتلوا سبعين ألفاً، تاب الله على الباقين، وجعل قتل الماضين شهادة لهم.

﴿ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُم﴾: من حيث أنّه طهّره من الشرك ووصلة إلى الحياة الأبدية.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: جواب شرط محذوف، إن جعل من كلام موسى.

والتقدير: إن فعلتم ما أمرتم به، فتاب عليكم. ومعطوف على محذوف، إن جعل من خطابه تعالى لهم على سبيل الالتفات؛ كأنّه قال: ففعلتم ما أمرتم به، فتاب عليكم.

﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾: الذي يكثر توفيق التوبة، أو قبولها.

﴿الرَّحِيمُ﴾ (٥٤): المبالغ في الإنعام على التائبين.

[وفي شرح الآيات الباهرة[١]: قال الإمام عليه السلام: وفق الله لهم والقتل لم يقض بعد إليهم، إذ[٢] قالوا: أو ليس الله قد جعل التوسل بمحمّد وآله الطيبين أمراً لا تخيب معه طلبة، ولا تردّ به مسألة؟ وهكذا توسلت الأنبياء والرسل، فما لنا لا نتوسل بهم؟

قال: فاجتمعوا، وضجّوا: يا ربّنا! بجاه محمّد الأكرم، وبجاه علي الأفضل[٣]، وبجاه فاطمة الفضلى، وبجاه الحسن والحسين سبطي سيّد النبيين وسيّدي شباب أهل الجنان أجمعين، وبجاه الذريّة الطيبة الطاهرة من آل طه ويس، لمّا غفرت لنا ذنوبنا، وغفرت لنا هفواتنا، وأنزلت هذا القتل عنا.

فلذلك حين نودي موسى عليه السلام من السماء أن كفّ القتل؛ فقد سألني بعضهم مسألة، وأقسم عليّ قسماً لو أقسم به هؤلاء العابدون للعجل[٤]، وسألني بعضهم حتّى

---

١. شرح الآيات الباهرة ٥٩/١، تفسير الامام ٢٥٥.

٢. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر: إن.

٣. المصدر: الافضل الاعظم.

٤. المصدر العجل.

لا يعبدوه، لأجبتهم. ولو أقسم [عليّ بها ابليس لهديته، ولو أقسم][1] بها ثمود وفرعون لنجّيته.

فرفع عنهم القتل، فجعلوا يقولون: يا حسرتنا! [أين][2]كنّا عن هذا الدعاء بمحمّد وآله الطيّبين، حتّى كان الله يقينا شرّ الفتنة، ويعصمنا بأفضل العصمة][3].

﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ** ﴾: أي: لأجل قولك، أو لن نقرّ لك.

﴿ **حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً** ﴾: عياناً.

وهي في الأصل، مصدر قولك: جهرت بالقراءة، استعير [4] للمعاينة، والجامع بينهما الإدراك بلا ساتر.

ونصبها على المصدر؛ لأنّه نوع من الرؤية، أو الحال من الفاعل، أو المفعول: إمّا على مذهب غير المبرد، فمطلقاً. وإمّا على مذهبه، فلِمَا مرّ من التعليل في المصدر؛ لأنّه ذهب الى أنّ الحال لا يكون مصدراً إلّا إذا كان نوعاً من عامله.

وقرئ: جهرة ـ بالفتح ـ على أنّه مصدر، كالغلبة، أو جمع جاهر، كالكتبة. فيكون حالاً.

وقيل[5]: إن قوله: جهرة، صفة لخطابهم لموسى عليه السلام. وتقديره: وإذ قلتم جهرة، لن نؤمن لك حتى نرى الله.

وهو ضعيف.

والقائلون: هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات، وقيل: عشرة آلاف من قومه والمؤمن به: جميع ما جاء به موسى. وقيل: إن الله الذي أعطاك التوارة وكلّمك، أو إنّك نبيّ[6].

---

١. ليس في المصدر. ولكن الكاتب أشار بعلامة إلى وجود سقط، لكنه لم يذكره.

٢. يوجد في المصدر و.

٣. ما بين القوسين ليس في أ.

٤. أ: أستعيرة.

٥. مجمع البيان، ١/١١٥.

٦. أنوار التنزيل، ١/٥٧.

فأخذتهم الصاعقة لفرط العناد والتعنّت وطلب المستحيل، فإنّهم ظنّوا أنّه تعالى يشبه الأجسام، وطلبوا رؤيته، وهي محال.

روي[1] أنّه جاءت نار من السماء فأحرقتهم.

وقيل: صيحة.

وقيل: جنود سمعوا بحسيسها، فخرّوا صعقين ميّتين يوماً وليلة.

﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾(٥٥): إلى ما أصابكم، أو إلى أثره.

واستدلّ أبوالقاسم البلخي[2] بهذه الآية على أنّ الرؤية لا يجوز على الله تعالى. قال: لأنّها إنكار تضمّن أمرين: ردّهم على نبيّهم، وتجويزهم الرؤية على ربّهم. ويؤيّد ذلك قوله تعالى[3]: «فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة» فدلّ ذلك على أنّ المراد إنكار كلا الأمرين.

أقول: وفي الآية، مع قوله: «فقد سألوا موسى» (آه)، دلالة على أنّ الرد[4] على النبي واعتقاد جواز الرؤية؛ كل واحد منها علّة لأخذ الصاعقة والعذاب. ومن البيّن، عدم التفاوت بين عدم جواز الرؤية في الدنيا وعدم جوازها في الآخرة. والمنازع، مكابر مع قضيّة العقل. فمعتقد جوازها في الآخرة، مشارك[5] معتقد جوازها في الدنيا، في علة استحقاق العذاب، كالرادّ على النبي. وبذلك يثبت[6] كفر أهل السنّة القائلين بجوازها [في] الآخرة للمؤمنين وللافراد من الأنبياء في الدنيا.

قال البيضاوي[7] بعد عدّه رؤيته تعالى رؤية الأجسام من المستحيلات: بل الممكن أن يرى رؤية منزّهة عن الكيفية. وذلك للمؤمنين في الآخرة، أو للأفراد من الأنبياء في الدنيا، في بعض الأحوال[8].

---

١. أنوار التنزيل، ١/٥٧.
٢. مجمع البيان، ١/١١٥.
٣. النساء/ ١٥٣.
٤. أ: على المرد.
٥. أ: شارك.
٦. ر: يظهر.
٧. أنوار التنزيل، ١/٥٧.
٨. المصدر: في بعض الأحوال في الدنيا.

[وفي تفسير عليّ بن ابراهيم[١]، قوله: «وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة» (الآية)، فهم السبعون الذين اختارهم موسى، ليسمعوا كلام الله. فلمّا سمعوا الكلام، قالوا: لن نؤمن لك يا موسى! حتّى نرى الله جهرة. فبعث الله عليهم صاعقة فاحترقوا. ثمّ أحياهم الله، بعد ذلك وبعثهم أنبياء. فهذا دليل على الرجعة، في أمّة محمّد صلى الله عليه وآله. فإنّه قال: لم يكن في بني اسرائيل شيء، إلّا وفى أمّتي مثله.

وفي كتاب الخصال[٢]، عن ابن عبّاس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: من الجبال التي تطايرت يوم موسى عليه السلام والصاعقة[٣] سبعة[٤] أجبل. فلحقت بالحجاز واليمن. منها: بالمدينة أحد وورقان. وبمكة ثور وثبير وحراء. وباليمن صبر وحصون[٥]][٦].

واعلم! أنّ هذه الآية تدلّ ـ أيضا[٧] ـ على أنّ قول موسى عليه السلام «ربّ أرني أنظر إليك»، كان سؤالاً لقومه؛ لأنّه لا خلاف بين أهل التوراة أنّ موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية إلّا دفعة واحدة، وهي التي سألها لقومه.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾: أحييناكم[٨].

﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾: بسبب الصاعقة.

وقيّد البعث؛ لأنّه قد يكون من إغماء ونوم، لقوله تعالى: ثمّ بعثناهم.

وقيل[٩]: انّهم سألوا بعد الاحياء أن يبعثوا أنبياء، فبعثهم الله أنبياء. وأجمع المفسّرون ـ إلّا شرذمة يسيرة ـ أنّ الله تعالى لم يكن أمات موسى، كما أمات قومه. ولكن غشى عليه، بدلالة قوله تعالى: «فلمّا أفاق» والإفاقة إنّما تكون من الغشيان.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾: نعمة التي منها ردّ حياتكم.

---

١. تفسير القمي، ٤٧/١.
٢. الخصال ٣٤٤، ح ١٠.
٣. ليس في المصدر.
٤. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر: شبير.
٥. المصدر: حضور.
٦. ما بين القوسين ليس في أ.
٧. ليس في ج.
٨. ليس في ج.
٩. مجمع البيان، ١١٥/١.

وفي الآية دلالة على جواز الرجعة.

وقال أبو القاسم البلخي[١]: لا تجوز الرجعة مع الاعلام بها؛ لأنّ فيها إغراء بالمعاصي، من جهة الاتّكال على التوبة في الكرّة الثانية.

وأجيب بأن من يقول بالرجعة، لا يذهب إلى أنّ الناس كلّهم يرجعون، فيصير إغراء بأن يقع الاتكال على التوبة فيها. بل لا أحد من المكلّفين إلّا ويجوز أن لا يرجع. وذلك يكفى في باب الزجر.

[وفي شرح الآيات الباهرة[٢] قال الإمام عليه السلام: وذلك أنّ موسى عليه السلام لمّا أراد أن يأخذ عليهم عهد الفرقان، فرّق ما بين المحقّين والمبطلين لمحمّد بنبوّته وعليّ بإمامته وللائمّة الطاهرين بإمامتهم. قالوا: لن نؤمن لك أنّ هذا أمر ربّك، حتّى نرى الله جهرة عياناً، يخبرنا بذلك.

فأخذتهم الصاعقة معاينة، وهم ينظرون إلى الصاعقة تنزل عليهم!

وقال الله عزّ وجلّ: يا موسى! أنا المكرم أوليائي والمصدقين[٣] بأصفيائي ولا أبالي. وكذلك وأنا المعذب لأعدائي الرافعين[٤] حقوق أصفيائي ولا أبالي.

فقال موسى عليه السلام للباقين الذين لم يصعقوا: ماذا تقولون؟ أتغلبون وتعترفون؟ وإلّا[٥] فأنتم بهؤلاء لاحقون.

فقالوا: يا موسى! أتدري ما حلّ بهم؟ لماذا أصابتهم الصاعقة؟ ما أصابتهم لأجلك إلّا أنّها[٦] كانت نكبة من نكبات الدهر، تصيب[٧] البر والفاجر. فإن قلت[٨] إنّما أصابتهم لردّهم[٩] عليك في أمر محمّد وعلي وآلهما، فاسأل الله ربّك بهم، أن يحيى

---

١. تراجع نفس المصدر.

٢. شرح الآيات الباهرة ١/٦٠، تفسير الامام ٢٥٦.

٣. المصدر: لأوليائي والمصدق.

٤. المصدر: الرافع.

٥. المصدر: وتقترفون؟ أولا.

٦. المصدر: لأنّها.

٧. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر: يصيب.

٨. المصدر: كانت.

٩. كذا في المصدر. وفي الأصل و ر: بردهم.

هؤلاء المصعوقين لنسألهم لماذا أصابهم[١] ما أصابهم ؟!

فدعا الله ﷻ [فأحياهم][٢] وقال لقومه: سلوهم لماذا أصابهم ؟[٣] فسألوهم.

فقالوا: يا بني اسرائيل! أصابنا ما أصابنا[٤] لإبائنا اعتقاد إمامة علي بعد اعتقادنا نبوّه[٥] محمّد ﷺ. لقد رأينا بعد موتنا هذا ممالك[٦] ربّنا من سماواته وحجبه وكرسيّه وعرشه وجنانه ونيرانه. فما رأينا أنفذ أمر في[٧] جميع تلك الممالك[٨] ولا أعظم سلطاناً من محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين. وإنّا لمّا (متنا)[٩] بهذه الصاعقه، ذهب بنا إلى النيران. فناداهم محمّد وعلي: كفّوا عن هؤلاء عذابكم. هؤلاء يحيون بمسألة سائل يسأل ربّنا ﷻ بنا وبآلنا الطيّبين.

وذلك حين لم يقذفونا في الهاوية، وأخّرونا إلى أن بعثنا بدعائك يا نبيّ الله موسى بن عمران! بمحمّد وآله الطيّبين.

فقال الله ﷻ لأهل عصر محمّد ﷺ: فإذا كان بالدعاء بمحمّد وآله الطيّبين، نشر ظلمة أسلافكم المصعوقين بظلمهم، فما يجب عليكم أن لا تعترضوا لمثل ما هلكوا به إلى أن أحياهم الله ﷻ؟][١٠]

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾: سخّر الله لهم السحاب، يظلّهم من الشمس حين كانوا في التيه.

وهي جمع غمامة، وهي السحابة. وأصله التغطية والستر، ومنه الغم.

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾: قيل[١١]: الترنجبين.

وقيل[١٢]: الخبز المرقق.

---

١. المصدر: أصابتهم.

٢. يوجد في المصدر.

٣. المصدر: أصابتهم.

٤. ليس في ج.

٥. المصدر: بنبوة.

٦. المصدر: مماليك.

٧. المصدر: أمراً من.

٨. المصدر: مماليك.

٩. المصدر: أصبنا.

١٠. ما بين المعقوفتين ليس في أ.

١١. أنوار التنزيل، ٥٧/١.

١٢. مجمع البيان، ١١٦/١.

وقيل: جميع النعم التي أتتهم ممّا منّ الله به عليهم، ممّا لا تعب فيه ولا نصب.

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: الكمأة من المنّ، وماؤها شفاء للعين.

﴿وَالسَّلْوىٰ﴾: السماني.

وقيل[1]: هو طائر أبيض يشبه السماني.

قيل[2]: كان ينزل عليهم[3] المنّ مثل الثلج، من الفجر إلى الطلوع[4]. ويبعثه الجنوب عليهم بالسماني.

فيأخذ كلّ انسان منهم كفايته إلى الغد، إلّا يوم الجمعة، يأخذ ليومين؛ لأنّه لم يكن ينزل يوم السبت[5].

﴿كُلُوا﴾: نصب على إرادة القول، أي: وقلنا لهم.

﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: أي: الشهيّ اللذيذ ممّا رزقناكم.

قيل[6]: أو الحلال.

وهذا بناء على تناول الرزق الحرام ـ أيضاً ـ.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: فيه اختصار، تقديره: فظلموا بأن كفروا هذه النعمة، وما ظلمونا.

﴿وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾: بالكفران؛ لأنّه لا يتخطّاهم ضرّه.

وكان سبب إنزال المنّ والسلوى عليهم، على ما ذكر الشيخ الطبرسي[7] أنّه لمّا ابتلاهم بالتيه، إذ قالوا لموسى[8]: اذهب أنت وربّك فقاتلا، إنّا هاهنا قاعدون. حين أمرهم بالسير إلى بيت المقدس وحرب العمالقة، بقوله[9]: ادخلوا الأرض المقدسة (الخ) فوقعوا في التيه. صاروا كلما ساروا، تاهوا في قدر خمسة فراسخ، أو ستّة.

---

١. نفس المصدر.
٢. أنوار التنزيل، ٥٧/١.
٣. أ: كان ينزل عليهم يوم السبت كلوا نصب إرادة عليهم.
٤. كذا في المصدر وأ. وفي الأصل و ر: من الطلوع إلى الفجر.
٥. مجمع البيان، ١١٧/١.
٦. نفس المصدر، ١١٦/١.
٧. مجمع البيان، ١١٧/١.
٨. المائدة / ٢٤.
٩. المائدة / ٢١.

وكلّما أصبحوا صاروا غادين، فأمسوا فإذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا عنه. كذلك حتّى تمّت المدّة، وبقوا فيها أربعين سنة. وفي التيه توفّي موسى وهارون. ثمّ خرج يوشع بن نون، وكان[١] الله تعالى يرد الجانب الذي انتهوا إليه من الأرض، إلى الجانب الذي صاروا[٢] منه. فكانوا يضلّون عن الطريق لأنّهم كانوا خلقاً عظيماً. فلا يجوز أن يضلّوا كلّهم عن الطريق في هذه المدّة المديدة هذا المقدار من الأرض. ولما حصلوا في التيه، ندموا على ما فعلوا، فألطف الله تعالى لهم بالغمام، لمّا شكوا حرّ الشمس، وأنزل عليهم المنّ والسلوى. فكان يسقط[٣] عليهم المنّ من [وقت][٤] طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. فكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليومهم.

وقال الصادق عليه السلام: كان ينزل المنّ على بني اسرائيل، من بعد طلوع[٥] الفجر إلى طلوع الشمس. فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل نصيبه، فلذلك يكره النوم في هذا الوقت إلى طلوع[٦] الشمس.

قال ابن جريح: وكان الرجل منهم إذا[٧] أخذ من المنّ والسلوى زيادة على طعام يوم واحد فسد، إلّا يوم الجمعة، فإنّهم إذا أخذوا طعام يومين لم يفسد. وكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليوم الجمعة والسبت؛ لأنّه كان لا يأتيهم يوم السبت. وكانوا يخبزونه مثل القرصة. ويوجد له طعم كالشهد المعجون بالسمن، وكان الله تعالى يبعث لهم السحاب بالنهار، فيدفع عنهم حرّ الشمس. وكان ينزل عليهم بالليل[٨] عمودٌ من نور، يضيء لهم مكان السراج. وإذا ولد فيهم مولود، يكون عليه ثوب [يطول][٩] بطوله كالجلد.

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله[١٠]: روي عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن

١. المصدر: وقيل كان.
٢. أ: تساروا.
٣. أ: يسوق.
٤. يوجد في المصدر.
٥. ليس في المصدر.
٦. المصدر: بعد طلوع.
٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: ان.
٨. المصدر: في الليل من السماء.
٩. يوجد في المصدر.
١٠. الاحتجاج، ٣٢٥/١.

آبائه، عن الحسين بن عليّ عليهما السلام قال: إنّ يهودياً من يهود الشام وأحبارهم قال لأميرالمؤمنين عليه السلام في[1] أثناء كلام طويل: فإنّ موسى بن عمران قد أعطي المنّ والسلوى، فهل فعل بمحمّد نظير هذا؟

فقال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك. ومحمّد صلى الله عليه وآله أعطي ما هو أفضل من هذا؛ إنّ الله عزّ وجلّ أحلّ له الغنائم ولأمّته، ولم تحلّ لأحد غيره قبل. فهذا أفضل من المنّ والسلوى.

قال له اليهودي: فإنّ موسى عليه السلام قد ظلّل عليه الغمام!

قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك. وقد فعل ذلك لموسى في التيه. وأعطي محمّد صلى الله عليه وآله أفضل من هذا؛ إنّ الغمامة كانت لمحمّد صلى الله عليه وآله تظلّه من يوم ولد إلى يوم قبض، في حضره وأسفاره. فهذا أفضل ممّا أعطي موسى عليه السلام.

[وفي شرح الآيات الباهرة[2]: قال الإمام عليه السلام: قال الله عزّ وجلّ: واذكروا يا بني اسرائيل! «إذ ظلّلنا عليكم الغمام» لمّا كنتم في التيه، يقيكم حرّ الشمس وبرد القمر. «وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى»[3] وهو الترنجبين والسلوى طير السماني[4] «كلوا من طيّبات ما رزقناكم».

واشكروا نعمتي، وعظّموا من عظّمته، ووقّروا من وقّرته. وأخذت عليكم العهود والمواثيق لهم، محمّداً وآله الطيّبين.

ثمّ قال عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عباد الله! عليكم باعتقاد ولايتنا أهل البيت، ولا تفرقوا بيننا. وانظروا كيف وسع الله عليكم، حيث أوضح لكم الحجة، يسهل[5] عليكم معرفة الحق. ثمّ وسع لكم في التقيّة لتسلموا من شرور الخلق. ثمّ إن بدّلتم وغيّرتم، عرض عليكم التوبة، وقبلها منكم. فكونوا لنعماء الله شاكرين][6].

---

١. ليس في ج.

٢. شرح الآيات الباهرة ٦١/١؛ تفسير الإمام /٢٥٨.

٣. ليس في ج.

٤. كذا في المصدر، وفي الأصل و ر: السمان.

٥. المصدر: ليسهل.

٦. ما بين المعقوفتين ليس في أ.

الفهرس

□